تفسير
حدائق الروح والريحان
في
روابي علوم القرآن

تأليف الشيخ العلامة

محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي

المدرس بدار الحديث الخيرية في مكة المكرمة

إشراف ومراجعة

الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي

خبير الدراسات برابطة العالم الإسلامي

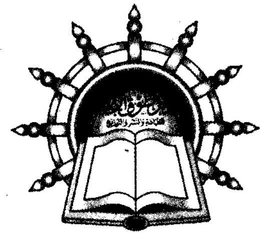
مكة المكرمة

المجلد الخامس والعشرون

دار طوق النجاة

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م



دار طوق النجاة

بيروت - لبنان


تفسير
حدائق الروح والريحان
في
روابي علوم القرآن



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الكبير المتعال، واسع الكرم والجود والفضل والنَّوال، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، ذو الجلال والإكرام، وأشهد أن سيّدنا محمداً عبده ورسوله، المرسل رحمةً للأنام، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان عليه، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الكرام، والتابعين لهم وكل من تمسّك بدين الهدى والسلام، واهتدى بهدي القرآن.

أمّا بعد: فلما فرغت من تفسير الجزء الثالث والعشرين من القرآن الكريم بمعونة الله سبحانه وتعالى.. تفرغت للشروع في تفسير الجزء الرابع والعشرين منه، قاصداً الشروع فيه بتوفيق الله سبحانه وتعالىٰ، فقلت مستمداً من الله تعالى التوفيق والهداية لأصوب الطرق وأرجح الأقاويل في تفسير كتابه، وقولي هذا:

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ

شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَـٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنَّ الله سبحانه[1] لما ذكر فيما سلف بعض هنات المشركين، وبعض قبائحهم، وأعقبه بمثل يشرح حالهم.. أردف ذلك بنوع آخر منها، وهو أنَّهم يكذبون فيثبتون لله ولداً، ويثبتون له شركاء، ويكذبون القائل المحقّ، فيكذبون محمداً ﷺ بعد قيام الأدلة القاطعة على صدقه، وبعد أن ذكر وعيد هؤلاء، أعقبه بوعد الذي جاء بالصدق ووعد المصدّقين له، فذكر أن الله يؤتيهم من فضله الثواب، ويمنع عنهم العقاب.

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر فيما سلف أنه يؤتي المؤمنين ما يشاؤون في الجنة، ويكفّر سيئاتهم.. أردف ذلك ببيان أنه يكفيهم في الدنيا ما أهمّهم، ولا يضرهم ما يخوّفونهم به من غضب الأوثان والأصنام، فإن الأمور كلها بيده تعالى، فمن يضلله فلا هادي له، ومن يهده فلا مضلّ له، وهو ذو العزّة المنتقم الجبّار.

---

(١) المراغي.

ثم ذكر أن قول المشركين يخالف فعلهم، فحين تسألهم من خلق السموات والأرض يقولون: الله، وهم مع ذلك يعبدون غيره، ثمّ سألهم سؤال تعجيز: هل ما تعبدونه من صنم أو وثن يستطيع أن يكشف ضرًّا أراده الله بأحدٍ، أو يمنع خيراً قدّره الله لأحد؟ إذاً فالله حسبي وعليه أتوكّل.

وبعد أن أعيت رسوله الحيلة في أمرهم، أمره الله سبحانه أن يقول لهم: اعملوا كما تشاؤون، وعلى نحو ما تحبّون، إنّي عامل على طريقتي، ويوم الحساب ترون المحقّ من المبطل، ومن سيحلّ به العذاب المقيم الذي سيخزيه يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنّ الله سبحانه لمّا ذكر محاجّة الرسول ﷺ إياهم بالأدلّة القاطعة، والبراهين الساطعة على وحدانيته تعالى[1].. سلاّه على إصرارهم على الكفر الذي كان يعظم عليه وقعه، كما قال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ وقال: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ وأزال عن قلبه الخوف، فأعلمه أنه أنزل عليه الكتاب بالحق، وأنّه ليس عليه إلاّ إبلاغه، فمن اهتدى فنفع ذلك عائد إليه، ومن ضلّ فضير ضلاله عليه، وما وكل عليهم ليجبرهم على الهدىٰ.

ثمّ ذكر أنّه تعالى يقبض الأرواح حين انقضاء آجالها، ويقطع صلتها بها، ظاهراً وباطناً، أو ظاهراً فقط حين النوم، فيمسك الأولى ولا يردّها إلى البدن، ويرسل الثانية إلى البدن حين اليقظة، وفي ذلك دلائل على القدرة لمن يتفكر ويتدبر.

ثُمّ أبان أنّ هذه الأصنام التي اتخذت شفعاء لا تملك لنفسها شيئاً، ولا تعقل شيئاً، فكيف تشفع؟ وبعدئذ ذكر مقابحهم ومعايبهم، وأنه إذا قيل: لا إله إلاّ الله وحده.. ظهرت آثار النفرة في وجوههم، وإذا ذكرت الأصنام.. ظهرت علامات الفرح والسرور فيها، وهذا منتهى الجهل والحمق الشديد.

---

(١) المراغي.

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنَّ الله سبحانه وتعالى لمَّا ذكر حبّ المشركين للشرك، ونفرتهم من التوحيد.. أمر رسوله ﷺ بالالتجاء إليه، لما قاساه في أمر دعوتهم من شديد مكابرتهم وعنادهم، تسلية له ﷺ، وبياناً بأنّ سعيه مشكور، وجدّه معلوم لديه، وتعليماً لعباده أن يلجؤوا إليه حين الشدّة، ويدعوه بأسمائه الحسنى.

ثمّ ذكر أحوالهم يوم القيامة حين يرون الشدائد والأهوال، وما ينتظرهم من العذاب.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا...﴾ الآيات، مناسبة هذه لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما حكىٰ عن المشركين بعض هنواتهم الفاسدة.. حكى عنهم هناةً أخرىٰ، هي: أنهم حين الوقوع في الضرّ من فقر وضرّ يفزعون إلى الله تعالى، ويلجؤون إليه، علماً منهم أنه لا دافع له إلاّ هو، وإذا نالتهم بعض النعم من فضله.. زعموا أنّ ذلك بكسبهم وحسن صنيعهم وجميل تدبيرهم، وفي الحقيقة أنّ ما أُوتوه إنما هو فتنة لهم، واختبار لحالهم، ليعلم أيشكرون علىٰ ما حباهم به من النعم أم يكفرون؟ ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك، وما هذه المقالة ببدع منهم، بل قالها كثير قبلهم، فلم ينفعهم ذلك شيئاً.

ثمَّ ذكر أن بسط الرزق وتقتيره بيد الله، يبسطه تارةً ويقبضه أخرىٰ، وليس ذلك لسعة الحيلة وحسن التدبير وحدهما، فإنا نرى كثيراً من العقلاء وأرباب التدبير للمال وحسن تصريفه في ضيق شديد، وكثيراً من الجهلاء والحمقىٰ في بحبوحة من العيش، ورغد عظيم منه.

أسباب النزول

قول تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ...﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية: ما أخرجه عبد الرزاق عن معمر، قال لي رجل: قالوا للنبيّ ﷺ: لتكفّنّ عن شتم آلهتنا أو لنأمرنّها فلتخبلنك، فنزلت: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ...﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ...﴾ الآية، سبب نزولها: ما أخرجه ابن المنذر عن مجاهد: أنها نزلت في قراءة النبي ﷺ سورة النجم عند الكعبة، وفرحهم عند ذكر الآلهة.

التفسير وأوجه القراءة

ثمّ بيّن سبحانه وتعالى، حال كل فريق من المختصمين، فقال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ و(الفاء): فاء الفصيحة؛ أو استئنافية، والاستفهام فيه، للإنكار، والتقدير: إذا عرفت أنه يقع التخاصم بين المحق والمبطل يوم القيامة، وأردت بيان حالهما.. فأقول لك: لا أحد أشدّ ظلماً من الكاذبين، وأقبح افتراءً من المفترين ممن كذب على الله سبحانه، فزعم أنّ له ولداً أو شريكاً أو صاحبةً، وفي «بحر العلوم»: فيه دلالة بينة على أنّ الاختصام واقعٌ يوم القيامة بين الظالمين والمظلومين.

والمعنى: أظلم كل ظالم من الكاذبين من افترى على الله سبحانه، بأن أضاف إليه الشرك والولد. ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾ والحق؛ أي: بالأمر الذي هو عين الحقّ ونفس الصدق، وهو كل ما جاء به النبي ﷺ من التوحيد، والأوامر والنواهي والبعث والنشور والثواب والعقاب. ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ ذلك الصدق على لسان الرسول ﷺ؛ أي: فاجأه بالتكذيب ساعة مجيئه، وأوّل ما سمعه من غير تدبّر فيه ولا تأمّل.

والمعنى: أي لا أحد من الكاذبين يبلغ ظلمهُ ظلم من افترى على الله الكذب، فجعل معه آلهة أخرىٰ، أو ادَّعىٰ أنّ الملائكة بنات الله، وهو أيضاً كذّب بالحق الذي جاء به رسوله ﷺ، من دعاء الناس إلى التوحيد، وأمرهم بالقيام بفرائض الشرع، ونهيهم عن محرّماته، وإخبارهم بالبعث والنشور، وفي قوله: ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ بيان بأنهم كذّبوا به من غير وقفة ولا إعمال روية في التمييز بين الحقّ والباطل، كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون.

وبعد أن ذكر حالهم.. أردفه بذكر وعيدهم على طريق الاستفهام الإنكاري، فقال: ﴿أَلَيْسَ﴾ لهؤلاء المفترين على الله سبحانه، المكذبين بالصدق حين جاءهم، ﴿فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾؛ أي: منزل ومسكن في نار جهنم، وقوله: ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾ إظهار في مقام الإضمار.

والاستفهام[1] في ﴿أَلَيْسَ﴾ إنكاري، وإنكار النفي نفي له، ونفي النفي إثبات.

---

(١) روح البيان.

والمعنى: إن جهنّم منزل ومقام للكاذبين المكذبين، المذكورين وغيرهم من الكفار، جزاءً لكفرهم وتكذيبهم.

ثمَّ ذكر سبحانه فريق المؤمنين المصدِّقين، فقال: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ﴾ مبتدأ، والموصول عبارة عن رسول الله ﷺ ومن تبعه من المؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝٤٩﴾ فإنّ المراد موسى عليه السلام وقومه، وخبر المبتدأ: قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بالصدق والتصديق، ﴿هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾؛ أي: المنعوتون بالتقوىٰ التي هي أجلُّ الرغائب وعنوان النجاة، فقال الإمام السهيلي[1] رحمه الله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ﴾ رسول الله ﷺ، والذي صدّق به، أبو بكر الصديق، وقال مجاهد: الذي جاء بالصدق: رسول الله ﷺ، والذي صدّق به عليُّ بن أبي طالب، وقال السدي: الذي جاء بالصدق: جبريل، والذي صدّق به: رسول الله ﷺ، وقال قتادة ومقاتل وابن زيد: الذي جاء بالصدق: النبيُّ ﷺ، والذي صدّق به: المؤمنون، وقال النخعيّ: الذي جاء بالصدق وصدّق به هم المؤمنون الذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة، وقيل: إنّ ذلك عام في كل من دعا إلى توحيد الله، وأرشد إلي ما شرعه لعباده، واختار هذا القول ابن جرير، وهو الذي اختاره من هذه الأقوال، ويؤيده قراءة ابن مسعود: والذين جاؤوا بالصدق وصدقوا به ولفظ ﴿ٱلَّذِى﴾ كما وقع في قراءة الجمهور، وإن كان مفرداً فمعناه: الجمع؛ لأنّه يراد به الجنس، كما يفيده قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾.

ودلّت الآية[2] على أنّ النبي ﷺ يصدّق أيضاً بما جاء به من عند الله، ويتلقّاه بالقبول، كما قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ ومن هنا قال بعضهم: إن النبي ﷺ مرسل إلى نفسه أيضاً، وقرأ أبو صالح: ﴿وصدَقَ به﴾ مخفّفاً؛ أي: صدق به الناس.

ثمّ ذكر سبحانه ما لهؤلاء الصادقين المصدّقين في الآخرة، بقوله: ﴿لَهُم﴾؛ أي: لهؤلاء المتقين بمقابلة محاسن أعمالهم في الدنيا. ﴿مَّا يَشَآءُونَ﴾ في الآخرة مدّخراً لهم، ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾؛ أي: كل ما يشاؤونه من جلب المنافع، ودفع المضارّ في الآخرة لا في الجنة فقط، لما أنّ بعض ما يشاؤونه من تكفير السيئات، والأمن

---

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

من الفزع الأكبر، وسائر أهوال يوم القيامة، إنما يقع قبل دخول الجنّة، ويقال أجمع العبارات لنعيم الجنة قوله: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ وأجمع العبارات لعذاب الآخرة قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾.

وفي «التأويلات النَّجمية»: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ لأنهم تقرّبوا إلى الله تعالىٰ بالاتّقاء به عما سواه، فأوجب الله سبحانه في ذمة كرمه أن يتقرّب إليهم بإعطاء ما يشاؤون من عنده، بحسب حسن استعدادهم. ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: حصول ما يشاؤونه، وهو مبتدأ، خبره: ﴿جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: ثواب الذين أحسنوا أعمالهم، بأن عملوها على مشاهدة الحق، وقد ثبت في «الصحيح» عن رسول الله ﷺ أن: «الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه.. فإنه يراك».

ثم بين سبحانه ما هو الغاية مما لهم عند ربهم، فقال: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ﴾ سبحانه ويستر، ﴿عَنْهُمْ أَسْوَأَ﴾ وأقبح وأفحش العمل ﴿ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾، من الذنوب والسيئات، فإن ذلك هو أعظم ما يرجونه من دفع الضرر عنهم؛ لأنَّ الله سبحانه إذا غفر لهم ما هو الأسوأ من أعمالهم.. غفر لهم ما دونه بطريق الأولىٰ، و(اللام)[1]: إما متعلقة بـ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ يعني الذين أحسنوا رجاء أن يكفّر الله عنهم، أو بالجزاء؛ يعنيْ جزاهم كي يكفّر عنهم، كذا في «كشف الأسرار». وقال أبو السعود ـ رحمه الله ـ: (اللام): متعلق بقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ﴾، باعتبار فحواه الذي هو الوعد؛ أي: وعدهم الله تعالى جميع ما يشاؤونه من زوال المضار وحصول المسارّ؛ ليكفر عنهم بموجب الوعد أسوأ الذي عملوا، دفعاً لمضارّهم، أو بمحذوف تقديره: يسّر لهم ذلك ليكفر.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾، والظاهر أنه اسم تفضيل، وقيل: إنّ أفعل هنا ليس للتفضيل، وهو كقولك: الأشجّ أعدل بني مروان؛ أي: عادل، فكذلك هذا؛ أي: سيّىء الذي عملوا، ويدل علىٰ هذا التأويل قراءة ابن مقسم وحامد بن يحيى عن ابن كثير: ﴿أسواء﴾ هنا وفي حم السجدة بألف بين الواو والهمزة بزنة أجمال، جمع سوء، ولا تفضيل فيه.

---

(١) روح البيان. (٢) البحر المحيط.

والمعنى[1]: لهم من الكرامة عند ربهم ما تشتهيه أنفسهم، وتقرّ به أعينهم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وذلك جزاء من أحسن عملاً، فأخلص لربّه في السرّ والنجوىٰ، وراقبه في أقواله وأفعاله، وعلم أنه محاسب على النقير والقطمير والجليل والحقير. ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ وذلك أعظم ما يرجونه من دفع الضرّ عنهم، والنفس: إذا علمت زوال المكروه عنها.. كان لها في ذلك سرور ولذّة تعدل السرور واللذة بجلب المنافع لها.

ولما ذكر سبحانه ما يدلّ على دفع المضارّ عنهم.. ذكر ما يدلّ على جلب أعظم المنافع إليهم، فقال: ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم﴾؛ أي: ويعطيهم ثوابهم ﴿بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: على حسن ما كانوا يعملونه؛ أي: ويثيبهم بمحاسن أعمالهم ولا يجزيهم بمساوئها، فهو معطوف على ﴿يكفر﴾، والظاهر: أنّ الأسوأ والأحسن بمعنى السيىء والحسن، فأفعل التفضيل ليس[2] على بابه، فبهذا الاعتبار عمّ الأسوأ جميع معاصيهم، والأحسن جميع حسناتهم، ولولا هذا التأويل.. لاقتضى النظم أنه يكفّر عنهم أقبح السيئات فقط، ويجزيهم على أفضل الحسنات فقط، هذا مراده، والله أعلم بمعاني كتابه. اهـ شيخنا، وقال مقاتل: يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوىء، وقدّم تكفير السيئات على إعطاء الثواب؛ لأنّ دفع المضارّ أهمُّ من جلب المسارّ، وفي ذكر تكفير الأسوأ؛ إشارة إلى استعظامهم للمعصية مطلقاً، لشدّة خوفهم من الله تعالى، وإلى أنّ الحسن الذي يعملونه هو الأحسن عند الله تعالى لحسن إخلاصهم فيه.

واعلم[3]: أنّ سبب التكفير والأجر الأحسن هو الصدق، وهو من المواهب لا من المكاسب في الحقيقة، وإن كان حصول أثره منوطاً بفعل العبد، ويجري في القول والفعل والوعد والعزم.

والصدق: وديعة الله في عباده، ليس للنفس فيه نصيب؛ لأنّ الصدق سبيل إلى الحق، وأبىٰ الله أن يكون لصاحب النفس إليه سبيل.

---

(١) المراغي. (٢) الفتوحات. (٣) روح البيان.

قال النبي ﷺ لمعاذ ـ رضي الله عنه ـ: «يا معاذ، أخلص دينك يكفك القليل من العمل». ولما قالت قريش: لئن لم تنته يا محمد عن تعييب آلهتنا.. لنسلّطنّها عليك فتصيبك بخبل وتعتريك بسوء.. أنزل الله سبحانه قوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾.

قرأ الجمهور[1]: ﴿عَبْدَهُۥ﴾، بالإفراد، والمراد به: النبي ﷺ، أو الجنس، ويدخل فيه رسول الله ﷺ دخولاً أوّليًا، وقرأ حمزة والكسائي وأبو جعفر ومجاهد وابن وثّاب وطلحة والأعمش: ﴿عباده﴾ بالجمع والمراد بهم: الأنبياء أو المؤمنون أو الجميع، واختار أبو عبيد قراءة الجمهور؛ لقوله عقبه: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾. وقرىء ﴿بكافي عبده﴾ على الإضافة، و﴿يكافي عباده﴾ مع نصب ﴿عباده﴾، بصيغة المضارع.

والهمزة فيه للاستفهام التقريري؛ لأنّه أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفي، فأفادت معنى إثبات الكفاية وتقريرها، وكونها للتقرير معناه: طلب الإقرار بما بعد النفي، وكونها للنفي معناه: نفي النفي الذي دخل عليه، ونفي النفي إثبات، فمآل المعنيين واحد، اهـ «كرخي». والكفاية: ما فيه سدّ الخلّة وبلوغ المراد في الأمر؛ أي: هو تعالى كافٍ عبده محمداً ﷺ أمر من يعاديه، وناصره عليه، وفيه تسلية له ﷺ.

وقيل: المراد بالعبد والعباد: ما يعمّ المسلم والكافر، قال الجرجاني: إنّ الله كاف عبده المؤمن، وعبده الكافر، هذا بالثواب، وهذا بالعقاب اهـ.

والمعنى[2]: أي الله وحده هو الذي يدفع عن عباده الآفات، ويزيل عنهم المصائب والويلات، ويعطيهم جميع المشتهيات، والمراد أنه يكفي من عبَدَه، وتوكّل عليه، وأتى بالكلام على طريق الإنكار للإشارة إلى كفايته تعالى على أبلغ وجه، كأنها من الظهور بحيث لا يتيسّر لأحد أن ينكرها.

ثمّ رتّب على ذلك ما هو كالنتيجة لما سلف، فقال: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾؛ أي: يخوفك المشركون يا محمد، ﴿بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾؛ أي: بالأوثان التي اتخذوها آلهة من دون الله تعالى، ويقولون: إنّك تعيبها، وإنها لتصيبك بسوء كالهلاك أو

---

(١) البحر المحيط. (٢) المراغي.

الجنون أو فساد الأعضاء، وقال بعض المفسرين: إنّ هذه الآية؛ أعني: قوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ نزلت مرة في حق النبي ﷺ، ومرة في شأن خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ كسورة الفاتحة حيث نزلت مرةً بمكة ومرةً بالمدينة.

أي[1]: ويخوّفك المشركون بغير الله تعالى من الأوثان والأصنام عبثاً وباطلاً، لأنّ كل نفع أو ضرّ فلا يصل إلاّ بإرادته تعالىٰ، وقد روي أنهم خوّفوا النبي ﷺ مضرّة الأوثان، فقالوا: أتسبّ آلهتنا، لئن لم تكفّ عن ذكرها.. لتخبلنّك أو تصيبنّك بسوءٍ، وقال قتادة: مشىٰ خالد بن الوليد إلى العزى ليكسرها بالفأس، فقال له سادنها: أحذّركها يا خالد، فإن لها شدّة لا يقوم لها شيء، فعمد خالد إلى العزى فهشم أنفها حتى كسرها بالفأس، وفي الآية إيماء إلى أنّه سبحانه يكفي نبيّه ﷺ دينه ودنياه، ويكفي أتباعه أيضاً ويكفيهم شرّ الكافرين، ونحو الآية قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾، وقوله تعالى: حكايةً عن إبراهيم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾. ثم بيّن شديد جهلهم لتوعّدهم بما لا يضرّ ولا ينفع فقال: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: ومن يجعله الله ضالاً عن الطريق القويم والفهم المستقيم، حتىٰ غفل عن كفايته تعالى وعصمته للنبي ﷺ، وخوفه بما لا ينفع ولا يضرّ أصلاً. ﴿فَمَا لَهُۥ﴾؛ أي: لذلك الضالّ ﴿مِنْ هَادٍ﴾ يهديه إلى خير ما، ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ سبحانه؛ أي: ومن يرشده إلى الصراط المستقيم ﴿فَمَا لَهُۥ﴾؛ أي: لذلك الهادي ﴿مِن مُّضِلٍّ﴾ يصرفه عن مقصده أو يصيبه بسوء يخلّ بسلوكه طريق الهدىٰ، إذ لا رادّ لفعله. ولا معارض لإرادته.

والمعنى: أي ومن يضلله الله لتدسيته نفسه، وحبّه للإثم والفسوق ومعصية الرسول.. فما له من هاد يهديه إلى الرشاد، ويخلّصه من الضلال ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: ومن يوفّقه الله إلى أسباب السعادة بتزكية نفسه، وتحبيبها إلى صالح العمل.. فلا مضلّ له يصرفه عن مقصده، أو يصيبه بسوء يغيّر سلوكه، إذ لا معقّب لحكمه، ولا معارض لإرادته.

وفي «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن رؤية الخير والشر من غير الله تعالى ضلالة، والتخويف بمن دون الله غاية الجهالة.

---

(١) المراغي.

والاستفهام في قوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ﴾ سبحانه ﴿بِعَزِيزٍ﴾؛ أي: بغالب منيع يعزّ من يعبده ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ من أعدائه لأوليائه.. للتقرير[1]؛ لأنّ الاستفهام إذا دخل على النفي.. أفاد تحقيقاً وتقريراً، كما مرّ.

والمعنى: أنَّ الله عزيز لا يغالب، ومنيع لا ينازع ولا يمانع، وذو انتقام وعقوبة ينتقم من عصاته بما يصبّه عليهم من عذابه، وما ينزله بهم من سوط عقابه، فهو الذي لا يضام من استند إلى جنابه، أو لجأ إلى بابه.

ثمّ أقام الدليل على غفلتهم وشديد جهلهم في عبادتهم للأصنام والأوثان، مع تفرّده تعالى بالخالقية لكل شيء، وعدم خلقها شيئاً، فقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ يا محمد؛ أي: وعزّتي وجلالي، لئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين الذين يخوّفونك بآلهتهم، فقلت لهم: ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾؛ أي: من اخترع هذين الجنسين المعبّر عنهما بالعالم.. ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ هؤلاء الكفرة في الجواب خلقهنّ ﴿ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى؛ لوضوح الدليل على اختصاصه بالخالقية. و﴿اللام﴾ الأولى: توطئة وتمهيد للقسم، والثانية تأكيد له، وهو سادّ مسدّ جوابين.

وفي هذا[2] أعظم دليل على أنّهم كانوا في غفلة شديدة، وجهالة عظيمة؛ لأنهم إذا علموا أنَّ الخالق لهم ولما يعبدون من دون الله هو الله سبحانه فكيف استَحْيَنَتْ عقولهم عبادة غير خالق الكل وتشريك مخلوق مع خالقه في العبادة؟ وقد كانوا يذكرون بحسن العقول، وكمال الإدراك، والفطنة التامّة، ولكنهم لمَّا قلدوا أسلافهم، وأحسنوا الظنّ بهم.. هجروا ما يقتضيه العقل، وعملوا بما هو محض الجهل. وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى إنّ الإيمان الفطري مركوز في جبلة الإنسان من يوم الميثاق، إذ أشهدهم الله على أنفسهم، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ كما قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾. وقال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة»، فلا يزال يوجد في الإنسان وإن كان كافراً أثر ذلك الإقرار، ولكنّه غير نافع إلاّ مع الإيمان الكسبيّ بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاؤوا به. انتهى.

---

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

ثمّ أمر الله سبحانه رسوله أن يبكّتهم ويوبّخهم بعد هذا الاعتراف، فقال: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد تبكيتاً وتوبيخاً لهم: ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾؛ أي: أخبروني، جعل الرؤية وهو العلم الذي هو سبب الإخبار مجازاً عن الإخبار، ﴿مَا تَدْعُونَ﴾؛ أي: تعبدون، و﴿مَا﴾: عبارة عن الآلهة، ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ سبحانه، ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ والضرّ: سوء الحال أيّاً كان، من مرض وضيق معيشة وشدّة وبلاء، و﴿الهمزة﴾ في ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾: للاستفهام الإنكاريّ، داخلة على محذوف، و﴿الفاء﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أفكّرتم ما أقررتم به فرأيتم... إلخ.

والظاهر[1]: أن ﴿الفاء﴾ فاء الفصيحة؛ لأنّها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا لم يكن خالق سواه تعالى.. فأخبروني عن آلهتكم التي تعبدونها، أنّه إن أرادني الله بضرّ.. هل هن كاشفات ضُرّه، ﴿أَوْ﴾ أنه إن ﴿أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾؛ أي: بنفع من صحةٍ أو غنىً أو غير ذلك من المنافع، ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾؛ أي: أخبروني عن آلهتكم هذه، هل تقدر على كشف ما أراده الله بي من الضر، أو منع ما أراده الله لي من الخير، وإذا لم تكن لها قدرة على شيء.. فلا ينبغي التعويل عليها، ولا الكدُّ في عبادتها، بل نعبد الإله القادر الذي تكون عبادته كافية في جلب السرّاء ودفع الضراء، والضرّ: سوء الحال أيًّا كان من مرضٍ وضيق معيشةٍ وشدةٍ؛ والكشف: الإظهار والإزالة ورفع شيء عما يواريه ويغطيه.

وحاصل المعنى[2]: أي إذا حققتم وأيقنتم أنّ خالق العالم العلويّ والسفلي هو الله تعالى.. فأخبروني أنّ آلهتكم إن أرادني الله بضرّ هل هنّ يكشفن عنّي ذلك الضرر والبلاء ويدفعنه عنّي؛ أي: لا تقدر على دفعه وإزالته، أو أرادني برحمة ونفعٍ من المنافع، هل هنّ ممسكات رحمته فيمنعنها عنّي؟ أي: لا تقدر على إمساك تلك الرحمة ومنعها، وتعليق إرادة الضُرِّ والرحمة بنفسه ﷺ للردّ في نحورهم، حيث كانوا خوّفوه مضرّة الأوثان، ولما فيه من الإيذان بإمحاض النصح، وإنما قال: ﴿كَٰشِفَٰتُ﴾ و﴿مُمْسِكَٰتُ﴾ إبانةً لكمال ضعفها، وإشعاراً بأنوثتها، كما قال: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ وهم كانوا يصفونها بالأنوثة، مثل العزى

---

(١) الفتوحات.
(٢) المراغي.

واللات ومناة، فكأنه قال: كيف أشركتم به تعالى هذه الأشياء الجماديّة البعيدة من الحياة والعلم والقدرة والقوّة والتمكّن من الخلق؟ هلاّ استحييتم من ذلك؟ وجواب هذا الاستخبار محذوف، تقديره: فإنهم سيقولون لا تقدر على شيء من ذلك.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿كَٰشِفَٰتُ﴾ و﴿مُمۡسِكَٰتُ﴾ على الإضافة، وقرأ شيبة والأعرج وعمرو بن عبيد وعيسى بخلاف عنه وأبو عمرو وأبو بكر: بتنوينهما، ونصب ما بعدهما، واختار أبو عبيد وأبو حاتم قراءة أبي عمرو؛ لأنّ ﴿كَٰشِفَٰتُ﴾ اسم فاعل في معنى الاستقبال، وما كان كذلك فتنوينه أجود، وبها قرأ الحسن وعاصم.

قال مقاتل: لما نزلت هذه الآية.. سألهم النبيّ ﷺ فسكتوا، وقال غيره: قالوا لا تدفع شيئاً من قدر الله، ولكنها تشفع، فنزل قوله: ﴿قُلۡ﴾ يا محمد لهم ﴿حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ﴾؛ أي: الله كافيّ في جميع أموري من جلب نفع أو دفع ضرّ، فلا أخاف شيئاً من أصنامكم التي تخوّفونني بها ﴿عَلَيۡهِ﴾ سبحانه وتعالى لا على غيره أصلاً ﴿يَتَوَكَّلُ﴾ ويعتمد ﴿ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾؛ أي: المعتمدون لعلمهم بأنّ ما سواه تحت ملكوته تعالى، وفيه إشارة إلى أن من تحول عن الكافي إلى غير الكافي.. لم يتمّ أمره، فلا بدّ من التوكّل على رب العباد، والتسليم له والانقياد، وفي الحديث: «من أحبّ أن يكون أقوى الناس.. فليتوكّل على الله، ومن أحبّ أن يكون أغنى الناس.. فليكن بما في يد الله عزّ وجلّ أوثق منه بما في يديه، ومن أحبّ أن يكون أكرم الناس.. فليتق الله عزّ وجلّ.

وفي الحديث الصحيح: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت.. فاسأل الله، وإذا استعنت.. فاستعن بالله، واعلم أنّ الناس لو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يكتبه الله عليك.. لم يضرُّوك، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك.. لم ينفعوك، رفعت الأقلام، وجفّت الصحف، واعلم أنَّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأنَّ النصر مع الصبر، وأنَّ الفرج مع الكرب، وأنّ مع العسر يسرا».

---

(١) البحر المحيط.

ونحو الآية قول هود عليه السلام: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ حين قال له قومه: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ﴾. فالعصمة من الله تعالى.

حكي: أنّ سفينة مولى رسول الله ﷺ، أخطأ الجيش بأرض الروم، وأسر، فانطلق هارباً يلتمس الجيش، فإذا بأسدٍ فقال له: يا أبا الحارث، أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ، فكان مرادي كيت وكيت، فأقبل الأسد يتبصبص حتى قام إلى جنبه، فركب عليه، فكان كلما سمع صوتاً أهوىٰ إليه فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش، ثمّ رجع الأسد.

وفيه إشارات:

منها: أن الحيوان المفترس لا يقدر على الإضرار إذا كان المرء في عصمة الله، فكيف الجماد؟

ومنها: أنَّ طاعة الله تعالى والتوكل عليه سبب النجاة من المهالك.

ومنها: أنَّ الاستشفاع برسول الله والتقرب إليه بالإيمان والتوحيد والعمل بسنّته، يهدي إلى سواء الصراط، كما هدىٰ سفينة ـ رضي الله عنه ـ.
فعلى العاقل إخلاص التوحيد، والإعراض عمّا سواه تعالى، فإنّه تعالى كاف لعبده في كل حال من الأحوال، وفي كل أمر من الأمور.

ولمَّا أورد عليهم الحجة التي لا دافع لها.. أمر رسوله أن يقول لهم على وجه التهديد بقوله: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿يَٰقَوْمِ﴾ي ﴿ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾؛ أي: على حالتكم التي أنتم عليها من العداوة التي تمكنتم فيها، فإن[1] المكانة تستعار من العين للمعنى، كما استعير هنا، وحيث: للزمان مع كونهما للمكان. وقرأ أبو بكر: ﴿مكاناتكم﴾ بالجمع. ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ﴾ على مكانتي وحالتي التي أنا عليها، وتمكنت منها، ولا يزيد حالي إلا قوةً ونصرةً وحذف ذلك للعلم به مما قبله. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ﴾ بسوء أعماله، و﴿مَن﴾ مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾. ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ ويذلّه

---

(١) روح البيان.

ويهينه في الدنيا، فيظهر عند ذلك أنّه المبطل، وخصمه المحقّ. والمراد بهذا العذاب، عذاب الدنيا، وما حلّ بهم من القتل والأسر والقهر والذلّة وخزي أعدائه، دليل على غلبته، فقد نصره الله سبحانه، وعذَّب أعداءه، وأخزاهم يوم بدر.

ثم ذكر عذاب الآخرة فقال: ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾؛ أي: ينزل عليه من أفعاله من الحلول بمعنى النزول، ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾؛ أي: دائم إلى الأبد، لا يفارقه ولا ينقطع عنه، وهو عذاب النار.

يعني: أنتم الهالكون؛ بسبب كونكم على البطلان، ونحن الناجون؛ بسبب كوننا على الحق، فسوف ينكشف ربحنا وخسرانكم، وسوف تظهر زيادتنا ونقصانكم، وسوف يغالبكم الله، ولا جواب لكم، ويعذّبكم ولا شفيع لكم، ويدمّر عليكم ولا صريخ.

والمعنى[1]: اعملوا على ما أنتم تعتقدون في أنفسكم من القوّة والشدّة واجتهدوا في أنواع مكركم وكيدكم، فإنّي عامل أيضاً في تقرير ديني، والسعي في نشره بين الناس، فسوف تعلمون أنّ العذاب والخزي في الدنيا يصيبني أو يصيبكم، فيظهر حينئذ أيُّنا المبطل، أنا أو أنتم، ويحل علي العذاب المقيم الدائم في الآخرة أو عليكم.

ثمّ لمّا كان يعظم على رسول الله ﷺ إصرارهم على الكفر.. أخبره بأنه لم يكلّف إلاّ بالبيان، لا بأنه يهدي من ضلّ فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: القرآن ﴿لِلنَّاسِ﴾؛ أي: لأجل نفعهم واهتدائهم به، فإنه مناط لمصالحهم في المعاش والمعاد، وفيه بيان ما كُلّفوا به، و﴿بِٱلْحَقِّ﴾ إما حال من فاعل ﴿أَنزَلْنَآ﴾؛ أي: حال كوننا محقّين في إنزاله، أو من مفعوله؛ أي: حال كون ذلك الكتاب متلبساً بالحق والصدق؛ أي: كل ما فيه حقٌّ وصواب لا ريب فيه، موجب للعمل به حتماً. ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ بأن عمل بما فيه ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾؛ أي: إنما نفع به نفسه ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ بأن لم يعمل بما فيه ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لما أن وبال ضلاله مقصور عليها ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾؛ أي: بمكلف بهدايتهم مخاطب، بل ليس عليك إلا البلاغ،

---

(١) المراغي.

وقد فعلت؛ أي: وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى، وما وظيفتك إلا البلاغ، وقد بلّغت أيّ بلاغ، وفي «فتح الرحمن» قوله: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ قاله هنا بحذف فإنما يهتدي المذكور في يونس والإسراء، اكتفاءً بما ذكره بقوله قبل: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ انتهى.

وفي الآية[1]: إشارة إلى أنّ القرآن مذكّر جوار الحق للناس الذين نسوا الله وجواره، فمن تذكّر بتذكيره، واتّعظ بوعظه، واهتدى بهدايته.. كانت فوائد الهداية راجعةً إلى نفسه، بأن تنوّرت بنور الهداية، فانمحى عنها آثار ظلمات صفاتها الحيوانيّة السبعية الشيطانية الموجبة لدخول النار. ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ فإنه يوكله إلى نفسه وطبيعته، فتغلب عليه الصفات الذميمة، فيكون حطب النار. ﴿وَمَآ أَنتَ﴾ يا محمد عليهم بوكيل تحفظهم من النار، إذا كان في استعدادهم الوقوع فيها.

وحاصل معنى الآية[2]: إنّا أنزلنا إليك يا محمد القرآن بالحقّ؛ لتبلّغه للإنس والجنّ مبشّراً برحمة الله، ومنذراً بعقابه، وفيه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم، والهادي لهم إلى الصراط المستقيم. ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ﴾؛ أي: فمن عمل بما فيه واتّبعه.. فإنما بغى الخير لنفسه، إذ أكسبها رضا خالقها، وفاز بالجنة ونجا من النار. ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾؛ أي: ومن حاد عن البيان الذي بيناه لك، فضل عن المحجة.. فإنما يجور على نفسه، وإليها يسوق العطب والهلاك؛ لأنّه يكسبها سخط الله، وأليم عقابه في دركات الجحيم. ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ ﴿وَمَآ أَنتَ﴾ أيـها الرسـول ﴿عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾؛ أي: برقيب على من أرسلت عليهم ترقب أعمالهم، وتحفظ عليهم أفعالهم، إنّما عليك البلاغ وعلينا الحساب، ونحو الآية قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ وقـولـه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

وهذه الآيات منسوخة بآية السيف[3]، فقد أمر الله رسوله ﷺ بعد هذا أن يقاتلهم حتى يقولوا: لا إله إلا الله، ويعملوا بأحكام الإسلام.

ثمّ ذكر سبحانه وتعالى نوعاً من أنواع قدرته البالغة، وصنعته العجيبة، فقال:

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي. (٣) الشوكاني.

﴿ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى: ﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾؛ أي[1]: يقبض الأرواح الإنسانية عن الأبدان، بأن يقطع تعلّقها عنها، وتصرُّفها فيها ظاهراً وباطناً، وذلك عند الموت، فيزول الحسّ والحركة عن الأبدان، وتبقى كالخشب اليابس، ويذهب العقل والإيمان والمعرفة مع الأرواح؛ أي: يقبض الأنفس التي بها الحياة، والأنفس التي بها الإدراك جميعاً.

﴿حِينَ مَوْتِهَا﴾؛ أي: حين موت أبدانها وأجسادها، فالكلام على حذف مضاف، كما في «الوسيط». والموت: زوال القوّة الحسّاسة. كما أنّ الحياة وجود هذه القوة، ومنه سمِّي الحيوان حيواناً، ومبدأ هذه القوّة هو الروح الحيواني، الذي محلّه الدماغ، كما أنّ محلّ الروح الإنساني القلب الصنوبري، ولا يلزم من ذلك تحيزه فيه، وإن كانت الأرواح البشرية متحيزة عند أهل السنة، ثمّ إنّ الإنسان ما دام حيّاً فهو إنسان بالحقيقة، فإذا مات.. فهو إنسان بالمجاز؛ لأنَّ إنسانيته في الحقيقة إنما كانت بتعلُّق الروح الإنسانيّ وقد فارقه. ﴿و﴾ يتوفى الأنفس ﴿التي لم تمت﴾؛ أي: ويقبض الأرواح المدركة التي لم تمت أجسادها. ﴿فِي مَنَامِهَا﴾؛ أي: حين نومها، بأن يقطع تعلُّقها عن الأبدان، وتصرّفها فيها ظاهراً وباطناً، فالنائم يتنفّس ويتحرّك ببقاء الروح الحيوانيّ، ولا يعقل ولا يميّز بزوال الروح الإنساني. وقوله: ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ راجع إلى قوله: ﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾؛ أي: فيمسك الله الأنفس التي قضى وحكم عليها موت أجسادها عنده، ولا يردُّها إلى أجسادها، وذلك الإمساك إنما هو في عالم البرزخ، التي تكون الأرواح فيه بعد المفارقة من النشأة الدنيويّة، وهو غير البرزخ بين الأرواح المجرّدة والأجسام التي قبل النشأة الدنيويّة، ويسمّى عالم المثال؛ أي: يمسك أنفس الإماتة عنده، ولا يردها إلى البدن، وأسند القبض إليه تعالى؛ لأنّه الآمر للملائكة القابضين، وفي «زهرة الرياض» التوفي من الله تعالى: الأمر بخروج الروح من البدن، ولو اجتمعت الملائكة.. لم يقدروا على إخراجها، فالله يأمرها بالخروج، كما أمرها بالدخول، ومن الملائكة المعالجة.

وقوله: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ...﴾ إلخ، راجع إلى قوله: ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى

---

(١) روح البيان.

مَنَامِهَا﴾؛ أي: ويرسل أنفس الإدراك، وهي النائمة إلى أبدانها عند اليقظة، والنّزول من عالم المثال المقيّد، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: إلى وقت معلوم، وهو الوقت المضروب لموتها، وهو غاية لجنس الإرسال؛ أي: لا لشخصه، حتى يرد لزوم أن لا يقع نوم بعد اليقظة الأولى، فتوفي الأنفس في حال النوم بإزالة الإدراك، وخلق الغفلة، والآفة في محل الإدراك، وتوفيها في حالة النوم بخلق الموت، وإزالة الحس بالكلية، فيمسك التي قضى عليها الموت، بأن لا يخلق فيها الإدراك، ويرسل الأخرى بأن يعيد إليها الإحساس، اهـ «جمل».

وقرأ الجمهور: ﴿قَضَىٰ عَلَيْهَا﴾ مبنيًّا للفاعل، ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ نصباً، وقرأ ابن وثاب والأعمش وطلحة وعيسىٰ وحمزة والكسائي: مبنياً للمفعول، ﴿الموتُ﴾ رفعاً.

وعبارة النسفي هنا: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ وتوفّيها: إماتتها. ، وهو: أن يسلب ما هي به حيّة حسّاسة درّاكة. ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾؛ أي: ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها؛ أي: يتوفّاها حين تنام تشبيهاً للنائمين بالموتى، حيث لا يميِّزون ولا يتصرفون، كما أنّ الموتى كذلك، ومنه قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ ﴿فَيُمْسِكُ﴾ الأنفس ﴿ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ الحقيقيّ؛ أي: لا يردُّها في وقتها حيّةً. ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ النائمة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: إلى وقت ضربه لموتها، وقيل: ﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾؛ أي: يستوفيها ويقبضها، وهي الأنفس التي تكون معها الحياة والحركة، ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها، وهي أنفس التمييز.

قالوا: فالتي تتوفّى في المنام، هي نفس التمييز لا نفس الحياة، إذْ لو زالت. . زال معها النفَس، بفتح الفاء، والنائم يتنفس، ولكل إنسان نفسان، إحداهما: نفس الحياة، وهي التي تفارقه عند الموت، والأخرى: نفس التمييز، وهي التي تفارقه إذا نام، اهـ.

وقال سعيد بن جبير: إنّ الله يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا، وأرواح الأحياء إذا ناموا، فتتعارف ما شاء الله أن تتعارف.

وعبارة المراغي: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾؛ أي[1]: الله هو الذي

---

(١) المراغي.

يقبض الأنفس حين انقضاء آجالها بالموت، ويقطع تعلّقها بالأجساد تعلق المتصرّف فيه، ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾؛ أي: ويتوفى الأنفس التي لم يحضر أجلها، فيقبضها من التصرّف في الأجساد مع بقاء الأرواح متصلة بها. ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ فلا يردّها إلى الأجساد، ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾؛ أي: ويرسل النائمة إلى الأجساد حين اليقظة إلى أجل مسمى، وهو وقت الموت.

روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: «إنّ في ابن آدم نفساً وروحاً، بينهما مثل شعاع الشمس، فالنفس التي هي بها العقل والتمييز، والروح هي التي بها النفَس ـ بفتح الفاء والتحرُّك ـ فيتوفيان عند الموت، وتتوفى النفس وحدها حين النوم.

وأخرج أحمد والبخاريّ وأبو داود وابن أبي شيبة عن أبي قتادة: أنّ النبي ﷺ قال لهم ليلة الوادي: «إن الله تعالى قبض أرواحكم حين شاء، وردّها عليكم حين شاء».

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور من توفي الأنفس مائتة ونائمة، وإمساكها وإرسالها إلى أجل مسمّى. ﴿لَآيَاتٍ﴾ عجيبة، دالّة على كمال قدرته تعالى، وحكمته وشمول رحمته ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في كيفية تعلق الأرواح بالأبدان، وتوفيها[1] عنها تارةً بالكلية، كما عند الموت وإمساكها باقية بعد الموت لا تفنى بفناء الأبدان، وأخرى عن ظواهرها فقط، كما عند النوم، وإرسالها حيناً بعد حين إلى انقضاء آجالها، وانقطاع أنفاسها؛ أي: لآيات عظيمة دالة على قدرته لقوم يُجيلون فيه أفكارهم فيعتبرون.

ثمّ أنكر سبحانه على المشركين اتخاذ الأصنام شفعاء، فقال: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾ فـ﴿أَمِ﴾ منقطعة تقدر ببل الإضرابية، وهمزة الاستفهام الإنكاري؛ أي: أبل اتخذ هؤلاء المشركون من أهل مكة ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ سبحانه؛ أي: من دون إذنه تعالى ﴿شُفَعَاءَ﴾ تشفع لهم عنده تعالى في جلب منفعة أو دفع مضرّة، هي الأصنام، جمع شفيع، وهو من يطلب الخير من الغير للغير.

(١) روح البيان.

وإجمال المعنى: أنّه لا ينبغي لهم ذلك إذ لا يخطر على بال عاقل فائدة لهذا، ومن ثم أمر رسوله ﷺ أن يتهكم بهم، ويحمقهم على ما يفعلون، فقال: ﴿قُلْ﴾ لهم أيها الرسول ﴿أَ﴾ تتخّذونهم شفعاء كما تزعمون، ﴿ولو كانوا لا يملكون﴾ لكم ﴿شَيْئًا﴾ من حوائجكم ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أنكم تعبدونهم، فـ﴿الهمزة﴾[1]: لإنكار الواقع واستقباحه. والتوبيخ عليه، دالة على محذوف كما قدّرنا، و﴿الواو﴾: عاطفة على ذلك المحذوف؛ أي: أيشفعون ولو كانوا إلخ، وجواب ﴿لو﴾: محذوف، تقديره: تتخذونهم؛ أي: وإن كانوا بهذه المنزلة تتخذونهم شفعاء.

ومعنى[2] ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾: أنهم غير مالكين لشيء من الأشياء، وتدخل الشفاعة في ذلك دخولاً أولياً، ولا يعقلون شيئاً من الأشياء؛ لأنها جمادات لا عقل لها، وجمعهم بالواو والنون جمع العقلاء؛ لاعتقاد الكفار فيهم أنهم يعقلون.

والمعنى: قل لهم يا محمد: أفتتخذون الأصنام شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلونه، فضلاً عن أن يملكوا الشفاعة عند الله سبحانه، ويعقلوا أنكم تعبدونهم.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن اتخاذ الأشياء للعبادة أو للشفاعة بالهوى والطبع، لا بأمر الله تعالى ووفق الشرع يكون ضلالةً على ضلالة، وأن المقبول من العبادة والشفاعة ما يكون بأمر الله ومتابعة نبيّه ﷺ على وفق الشرع.

ثم أمر سبحانه رسوله أن يخبرهم أن الشفاعة لله وحده، فقال: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد، بعد تبكيتهم وتجهيلهم بما ذكر تحقيقاً للحق؛ ﴿لِلَّهِ﴾ سبحانه، لا لغيره ﴿الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ نصب على الحال من الشفاعة، فليس لأحد منها شيء إلا أن يكون بإذنه لمن ارتضى، كما في قوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ وأكد الشفاعة بما يؤكد به الاثنان فصاعداً؛ لأنها مصدر يطلق على الواحد والاثنين والجماعة.

والخلاصة[3]: أنه تعالى مالك الشفاعة كلها، لا يستطيع أحد أن يشفع لديه

---

(١) روح البيان. (٢) الشوكاني. (٣) المراغي.

إلا أن يكون المشفوع له مرتضى، والشفيع مأذوناً له، وكلاهما مفقود ههنا. قال البقلي: بين أنه تعالى، مرجع الكل: الشافع والمشفوع فيه، حتى يرجع العبد العارف إليه بالكلّية، ولا يلتفت إلى أحد سواه، فلا يصل إليه أحد إلا به تعالى.

ونِعْمَ ما قالت رابعة العدوية ـ رحمها الله تعالى ـ: محبّة الله تعالى ما أبقت محبة غيره، ومحبّة الرسول ﷺ مندرجة في محبة الله تعالى.

وفي «فتح الرحمن»: إن قلت: كيف قال ذلك مع أن للأنبياء والعلماء والشهداء والأطفال شفاعة؟

قلت: معناه: أن أحداً لا يملكها إلا بتحليلها من الله تعالى، كما قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

ثمّ بين العلة في أن الشفاعة جميعاً له تعالى، فقال: ﴿لَّهُۥ﴾ تعالى وحده ﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: له السلطان في السموات والأرض، وكل من فيهما ملك له، ومنه ما تعبدون من دونه، فاعبدوا مالك الملك كله، الذي لا يتصرّف أحد في شيء منه إلاّ بإذنه ورضاه، وفيه إشارة[1] إلى أن الله تعالى هو المالك حقيقةً، فإن ما سواه عبد ولا ملك للعبد، ولو ملّكه مولاه، وإنما هو عارية عنده، والعارية مردودة إلى مالكها. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ﴾ تعالى لا إلى غيره ﴿تُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة؛ أي: إليه مصيركم بعد البعث لا إلى أحد سواه، لا استقلالاً ولا اشتراكاً، فيفعل يومئذ ما يريد، وهو معاقبكم على إشراككم به سواه، إن أنتم متم على هذه الحال.

وفي «الكواشي»: يحصي أعمالكم، ثم إلى حسابه ترجعون؛ أي: تردّون فيجازيكم، فاحذروا سخطه، واتّقوا عذابه، فيا ربح الموحّدين يومئذ، ويا خسارة المشركين.

وخلاصة ذلك: اعبدوا من يقدر على نفعكم في الدنيا، وعلى ضرّكم فيها، وفي الآخرة بعد مماتكم يجازيكم بما قدّمتم من عمل خيراً كان أو شرًّا، ولا يخفى ما في هذا من التهديد والوعيد، الذي تقشعر منه الجلود خشيةً.

واعلم: أن افتخار الخلق في الدنيا بعشرة، ولا ينفع ذلك يوم القيامة:

---

(١) روح البيان.

الأول: المال، فلو نفع المال لأحدٍ.. لنفع قارون، قال الله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾.

والثاني: الولد، فلو نفع الولد لأحد.. لنفع إبراهيم عليه السلام أباه آزر، قال تعالى: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾.

والثالث: الجمال، فلو نفع الجمال.. لنفع أهل الروم؛ لأنّ لهم تسعة أعشار الجمال، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾.

والرابع: الشفاعة، فلو نفعت الشفاعة.. لنفع الرسول ﷺ من أحبّ إيمانه، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ كأنه قال: أنت شفيعي في الجنايات، لا شريكي في الهدايات.

والخامس: الحيلة، فلو نفعت الحيلة.. لنفع الكفار مكرهم، قال تعالى: ﴿وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾.

والسادس: الفصاحة، فلو نفعت الفصاحة.. لنفعت العرب، قال تعالى: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

والسابع: العزّ، فلو نفع العزّ.. لنفع أبا جهل، قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾.

والثامن: الأصدقاء، فلو نفع الأصدقاء.. لنفعوا الفسّاق، قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

والتاسع: الأتباع، فلو نفع التبع.. لنفع الرؤساء، قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾.

والعاشر: الحسب، فلو نفع الحسب.. لنفع يعقوب اليهود؛ لأنهم أولاد يعقوب، قال تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

فإذا عرفت هذه الأمور المذكورة.. فارجع يا أخي إلى الله تعالى من الأسباب الغير النافعة، وذلك بكمال الإيمان والتقوى.

ثم ذكر سبحانه هفوة من هفواتهم التي تصدر منهم، وتدل على غفلة عظيمة، وتناقض بين الاعتراف بالألوهية، والإنكار لها، فقال: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ سبحانه

حال كونه ﴿وَحۡدَهُ﴾؛ أي: منفرداً، دون آلهة المشركين، وانتصاب ﴿وَحۡدَهُ﴾ على الحال عند يونس، وعلى المصدر عند الخليل وسيبويه، والعامل في ﴿إِذَا﴾: جوابها، وهو قوله: ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ﴾؛ أي: انقبضت ونفرت وذعرت وأنكرت ﴿قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾؛ أي: قلوب الذين لا يصدّقون بيوم القيامة. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾؛ أي: من الله تعالى؛ يعني الأوثان فرادى، أو مع ذكر الله. ﴿إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾؛ أي: يفرحون ويظهر في وجوههم البشر، وهو أثر السرور لفرط افتتانهم بها ونسيانهم الحق، والاشمئزاز[1]: أن يمتلىء القلب غيظاً وغماً، ينقبض عنهما أديم الوجه، كما يرى في وجه العابس المحزون، وهو غاية ما يمكن من الانقباض، ففيه مبالغة في بيان حالهم القبيحة، والاستبشار: أن يمتلىء القلب سروراً، فتنبسط له بشرة الوجه، وهو غاية ما يمكن من الانبساط، ففيه مبالغة أيضاً في بيان حالهم القبيحة، والعامل في ﴿إِذَا﴾ الشرطية: هو العامل في ﴿إِذَا﴾ المفاجأة على القول بأنها ظرف، تقديره: وقت ذكر الذين من دونه، فاجَؤُوا وقت الاستبشار.

والمعنى[2]: أي إنه إذا قيل: لا إله في الكون إلا الله وحده.. نفرت قلوب أولئك المشركين، الذين لا يؤمنون بالبعث والمعاد بعد الموت، وإذا ذكرت الآلهة التي يدعونها من دون الله تعالى، فقيل: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجىٰ.. استبشروا وفرحوا لفرط افتتانهم بهنّ، ونسيانهم حق الله تعالى.

قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ في الآية: ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ﴾: قست ونفرت قلوب هؤلاء الأربعة الذين لا يؤمنون بالآخرة، أبو جهل بن هشام والوليد بن عتبة وصفوان وأبي بن خلف، ونحو الآية قوله تعالى حكايةً عنهم: ﴿وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا﴾.

واعلم[3]: أن هؤلاء المشركين كأمثال الصبيان، فكما أنهم يفرحون بالأفراس الطينية، والأسود الخشبية، وبمذاكرة ما هو لهو ولعب، فكذا أهل الأوثان، لكون نظرهم مقصوراً على الصور والأشباح، فكل قلب لا يعرف الله، فإنه لا يأنس بذكر الله، ولا يسكن إليه، ولا يفرح به، فلا يكون مسكن الحق.

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي. (٣) روح البيان.

قال السيد الألوسي في «تفسيره» ناعياً حال المسلمين اليوم: وقد رأينا[1] كثيراً من الناس على نحو هذه الصفة، التي وصف الله تعالى بها المشركين، يهشون لذكر أموات يستغيثون بهم، ويطلبون منهم، ويطربون من سماع حكايات كاذبة عنهم، توافق أهواءهم ومعتقداتهم فيهم، ويعظمون من يحكم لهم ذلك، وينقبضون من ذكر الله تعالى وحده، ونسبة الاستقلال بالتصرف إليه عز وجل، وسرد ما يدل على عظمته وجلاله، وينفرون ممن يفعل ذلك كل النفرة، وينسبونه إلى ما يكره، وقد قلت يوماً لرجل يستغيث في شدة ببعض الأموات، وينادي: يا فلان أغثني، فقلت له: قل يا الله، فقد قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فغضب وبلغني أنّه قال: فلان منكر على الأولياء، وسمعت من بعضهم أنه قال: الولي أسرع إجابةً من الله عز وجل، وهذا من الكفر بمكان، نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزيغ والطغيان. انتهى.

فعلى العاقل أن لا ينقطع عن الذكر، ويستبشر به، فالله تعالى معه معينه، ولما لم يقبل المتمردون من الكفار ما جاءهم به النبي ﷺ من الدعاء إلى الخير، وصمموا على كفرهم.. أمره الله سبحانه أن يرد الأمر إليه، فقال: ﴿قُلِ﴾ يا محمد: ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ والميم فيه عوض عن حرف النداء، والمعنى: قل يا محمد: يا الله يا ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ نصب بالنداء؛ أي: يا خالق السموات والأرض على أسلوب بديع ﴿عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ أي: يا عالم كل ما غاب عن العباد وكل ما شهدوه؛ أي: التجىء يا محمد إليه تعالى بالدعاء حين تحيّرت في أمر الدعوة، وضجرت من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد، فإنه القادر على الأشياء بجملتها، والعالم بأحوالها برمتها. ﴿أَنتَ﴾ وحدك ﴿تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾؛ أي: بيني وبين قومي، وكذا بين سائر العباد ﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾؛ أي: فيما يختلفون فيه من أمر الدين؛ أي: تحكم حكماً يسلمه كل مكابر، ويخضع له كل معاند، وهو العذاب الدنيوي أو الأخروي، والثاني أنسب بما بعد الآية.

والمعنى: أي قل يا محمد: يا الله، يا مبدع السموات والأرض، ويا عالم ما غاب عنّا، وما تشهده العيون والأبصار، أنت تحكم بين عبادك، فتفصل بينهم

(١) الألوسي.

بالحق يوم تجمعهم لفصل القضاء فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا، من القول فيك، وفي عظمتك وسلطانك، فتقضي بيننا وبين المشركين الذين إذا ذكر الله وحده.. اشمأزت قلوبهم، وإذا ذكر من دونه.. استبشروا وفرحوا، فتجازي المحسن بإحسانه، وتعاقب المسيء بإساءَتِهِ، فإنه بذلك يظهر من هو المحق ومن هو المبطل، ويرتفع عنده خلاف المختلفين، وتخاصم المتخاصمين.

أخرج مسلم وأبو داود والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن عائشة ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل.. افتتح صلاته: «اللهم ربّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحقّ بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

ثمّ لما حكى الله سبحانه عن الكفار ما حكاه من الاشمئزاز عند ذكر الله، والاستبشار عند ذكر الأصنام.. ذكر ما يدل على شدة عذابهم، وعظيم عقوبتهم، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أنفسهم بالشرك والمعاصي ﴿مَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من الأموال والذخائر حال كونه ﴿جَمِيعًا﴾ حال من ﴿مَا﴾ الموصولة؛ أي[1]: لو أن لهم جميع ما في الدنيا من الأموال والذخائر. ﴿و﴾ ملكوا ﴿مثله﴾؛ أي: مثل ما في الأرض، ﴿مَعَهُۥ﴾؛ أي: مع ما في الأرض ﴿لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ﴾؛ أي: لجعلوا كل ذلك فداءً لأنفسهم. ﴿مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ﴾؛ أي: من العذاب الشديد المعد لهم، ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ لكن لا مال يوم القيامة، ولو كان لم يقبل الافتداء به، وهذا وعيد شديد، وإقناط لهم من الخلاص، والظرف متعلق بـ﴿افتدوا﴾، كما في «الجمل».

وفي «التأويلات النجمية»: يشير سبحانه إلى أن هذه الجملة لا تقبل يوم القيامة لدفع العذاب، واليوم ههنا تقبل ذرّة من الخير، ولقمة من الصدقة، وكلمة من التوبة والاستغفار، كما أنهم لو تابوا وبكوا في الآخرة بالدماء.. لا يرحم بكاؤهم، وبدمعة واحدة اليوم يمحى كثيرٌ من ذنوبهم.

والمعنى[2]: أي ولو أن هؤلاء المشركين ملكوا كل ما في الأرض من

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

الأموال، وملكوا مثله معه، وقيل ذلك منهم يوم القيامة.. لافتدوا به أنفسهم من أهوال ذلك العذاب الشديد، الذي سيعذبون به، وقد تقدم إيضاح هذا في سورة آل عمران.

﴿وَبَدَا لَهُم﴾؛ أي: وظهر لهم في ذلك اليوم الرهيب ﴿مِّنَ﴾ عذاب ﴿ٱللَّهِ﴾ سبحانه وفنون العقوبات. ﴿مَا لَمْ يَكُونُوا۟﴾ في الدنيا. ﴿يَحْتَسِبُونَ﴾ به ويظنونه؛ أي: بدا لهم يوم القيامة من فنون العذاب، ما لم يكن في حسابهم وظنهم في الدنيا أنه نازل بهم يومئذ؛ أي: وظهر لهم من عذاب الله، الذي أعدّه لهم ما لم يكن في حسبانهم، ولم يحدّثوا به أنفسهم، وفي هذا وعيد عظيم لهم، وتهديد بالغ غايةً لا غاية وراءها، قال مجاهد: عملوا أعمالاً توهموا أنها حسنات، فإذا هي سيئات، وعن سفيان الثوري: أنه قرأها فقال: ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء من هذه الآية. ﴿وَبَدَا لَهُم﴾؛ أي: ظهر لهم في ذلك اليوم حين تعرض عليهم صحائف أعمالهم. ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ في الدنيا؛ أي: ظهر لهم جميع ما اجترحوه من السيئات، وارتكبوه من الآثام، وعلموا أنهم مجازون على النقير والقطمير ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾؛ أي: نزل وأصاب وأحاط بهم ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ أي: وبال استهزائهم، وجزاء مكرهم، وكانوا يستهزئون بالكتاب، ويسخرون من المسلمين، ويهزؤون بالبعث والعذاب، ونحو ذلك؛ أي: أحاط بهم العذاب من كل الجوانب، وأيقنوا أنهم مواقعوه لا محالة؛ لاستهزائهم بما كانوا ينذرهم به الرسول ﷺ.

قوله: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ المراد بالإنسان هنا[1]: الجنس، باعتبار بعض أفراده أو غالبها، وقيل: المراد به: الكفار فقط، والأول أولى، ولا يمنع حمله على الجنس خصوص سببِه؛ لأن الاعتبار بعموم اللفظ وفاءً بحق النظم القرآني، ووفاءً بمدلوله، و﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت أنّ المشركين ليشمئزّون عن ذكر الله وحده، ويستبشرون بذكر الآلهة، وأردت بيان حالهم فيما إذا أصابهم الضر.. فأقول لك. إن شأن غالب نوع الإنسان أنه إذا مسه ﴿ضُرٌّ﴾ من مرض أو فقر أو غيرهما، ﴿دَعَانَا﴾ وتضرع إلينا في رفعه ودفعه؛ أي: دعوا لدفعه من اشمأزوا عن ذكره، وهو الله سبحانه وتعالى، فيا

---

(١) الشوكاني.

عجباً لحالهم مع الله سبحانه لمناقضتهم وتعكيسهم في التسبب، حيث جعلوا الكفر سبباً في الالتجاء إلى الله، بأن أقاموه مقام الإيمان مع أن الواجب أن يجعل الإيمان سبباً فيه، وإنما أتى هنا بـ﴿الفاء﴾ في قوله: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾، وعطف بـ﴿الواو﴾ في أول السورة في قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾؛ لأن ما هنا كلام مرتب على ما قبله؛ لأنّه ترتب على قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ﴾ إلخ، وأما ما في أول السورة فلم يترتب على ما قبله، وإنما هو ذكر كلامٍ اقتضى عطفه على ما قبله بالواو لمناسبة ما قبله.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ﴾؛ أي: أعطيناه ﴿نِعْمَةً﴾ صادرة ﴿مِّنَّا﴾ تفضلاً وإحساناً، فإن التخويل مختص بما كان بطريق التفضل، لا يطلق على ما أعطي بطريق الجزاء، أي: إذا أعطيناه مالاً أو عافيةً في البدن تفضلاً منا ﴿قَالَ﴾ ذلك الإنسان ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾؛ أي: إنما أوتيت هذه النعمة والضمير للنعمة، إن قلنا ﴿ما﴾ كافة في ﴿إِنَّمَا﴾ وتذكير[1] الضمير: نظراً لكونها بمعنى الفضل أو الإنعام أو الشيء، أو لـ﴿ما﴾ إن قلنا إنها موصولة، والأول أولى. ﴿عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾؛ أي: بسبب علم مني بوجوه المكاسب، أو على علم مني بأني سأعطاه، لما لي من الفضل والاستحقاق، أو على علم من الله سبحانه باستحقاقي وبفضلي، أو ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾؛ أي: على خير علمه الله مني، فإن كانت النعمة سعةً في المال.. قال: إنما حصل هذا بكسبي واجتهادي، وإن كات صحةً.. قال: إنما حصلت هذه الصحة بسبب العلاج الفلاني، وقوله: ﴿بَلْ هِىَ﴾؛ أي: تلك النعمة ﴿فِتْنَةٌ﴾ ومحنة وابتلاء لذلك الإنسان، أيشكر أم يكفر، رد لما قاله ذلك الإنسان، أي: ليس ذلك الذي أعطيناك لما ذكرت، بل هو محنة لك، واختبار لحالك أتشكر أم تكفر، قال الفراء: أنّث الضمير في قوله: ﴿هِىَ﴾؛ لتأنيث الفتنة، ولو قال: بل هو فتنة.. لجاز، وقال النحاس: بل عطيته فتنة، وقيل: تأنيث الضمير: باعتبار لفظ الفتنة، وتذكير الأوّل في قوله: ﴿أُوتِيتُهُۥ﴾ باعتبار معناها ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾؛ أي: أكثر الناس وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنّ التخويل والإعطاء والبسط استدراج وامتحان.

والمعنى[2]: أي إن أمر المشرك عجيب، يدعو إلى الدهشة والحيرة، فإذا هو

---

(١) الشوكاني. (٢) المراغي.

أصيب بضر من فقر أو مرض. . جأر إلى الله، واستعان به لكشف ذلك الضرّ عنه، وإذا تغيرت الحال، ونال شيئاً من الرخاء، أو زال عنه ما به من العلة. . قال: إنما أوتيت هذا لعلمي بوجوه المكاسب، وجدّي واجتهادي، أو لذهابي إلى الأطباء واهتمامي بالعلاج، فلم أدخر دواء نافعاً إلا بذلت نفيس المال للحصول عليه.

وهذا منه تناقض عجيب، ففي الحال الأولى يستغيث بربه، وفي الحال الثانية ينسب السلامة إلى نفسه، ويقطع صلتها عن المنعم بها، الذي أوجدها وأرادها، وفي الحق أن ما أعطيه من النعم، إنما هو فتنة واختبار لحاله، أيشكر أم يكفر، أيطيع أم يعصي، ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ذلك استدراج من الله، وامتحان لهم، ومن ثم يقولون ما يقولون، ويدعون من الدعاء ما لا يفقهون.

ثم بين أن هذه مقالة ليست وليدة أفكارهم، بل سبقهم بها كثير ممن قبلهم، فقال: ﴿قَدْ قَالَهَا﴾؛ أي: قد قال[1]: تلك الكلمة أو الجملة، وهي قوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: قد قال الذين من قبل قومك يا محمد مثل هذه المقالة، وهم قارون وقومه، حيث قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ وهم راضون به؛ يعني لما رضي قوم قارون بمقالته. . جمعوا معه، وقال بعضهم: يجوز أن يكون المراد بالذين من قبلهم: جميع من تقدمنا من الخيار والشرار، فيجوز أن يوجد في الأمم المتقدمة من يقول تلك الكلمة غير قارون أيضاً، ممن أبطرته النعمة، واغترّ بظاهرها. ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾؛ أي: فما دفع عن أولئك القائلين من الأمم المتقدمة. ﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ من متاع الدنيا، ويجمعون منه شيئاً من عذاب الله تعالى؛ يعني أن النعمة لم تدفع عنهم النقمة والعذاب ولم ينفعهم ذلك، ويجوز أن تكون ﴿ما﴾ في قوله: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ﴾: نافية، كما فسرناها، وأن تكون استفهامية؛ أي: أيّ شيء أغنى عنهم ذلك.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ۚ﴾؛ أي: جزاء سيئات كسبهم، أو أصابهم سيئات هي جزاء كسبهم، وسمّي الجزاء سيئات؛ لوقوعه في مقابلة سيئاتهم، فهو من باب المشاكلة، كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ﴾، ففيه رمز إلى أن جميع أعمالهم من قبيل السيئات.

---

(١) روح البيان.

والمعنى: أنهم ظنوا أن ما آتيناهم لكرامتهم علينا، ولم يكن كذلك؛ لأنهم وقعوا في العذاب ولم تنفعهم أموالهم، وهذا كما قال اليهود: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾.

والمعنى[1]: أي قد زعم مثل هذا الزعم، وادعى مثل هذه الدعوى كثير ممن سبقهم من الأمم، فلم يغن عنهم شيئاً ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا، ويجمعون من حطامها، حين جاءهم أمر ربهم على تكذيبهم رسله، واستهزائهم بهم.

ثم بين ما سلف بقوله: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾؛ أي: فحل بهم جزاء سيئات ما كسبوا من الأعمال، فعوجلوا بالخزي في الدنيا، كالخسف الذي لحق قارون، والصاعقة التي نزلت بقوم لوط، وسيصيبهم النكال الدائم في الآخرة، ثم أوعد سبحانه مشركي قومه ﷺ على ما سينالهم في الدنيا والآخرة، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أنفسهم بالشرك ﴿مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المشركين المعاصرين لك يا محمد؛ أي: أفرطوا في الظلم والعتو، و﴿مِنْ﴾ للبيان، أو للتبعيض. ﴿سَيُصِيبُهُمْ﴾؛ أي: سيحل بهم، ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ من الكفر والمعاصي، كما أصاب أولئك، و﴿السين﴾: للتأكيد، وقد أصابهم في الدنيا ما أصابهم من القحط والقتل والأسر والقهر؛ أي: والذين كفروا بالله من قومك، وظلموا أنفسهم سيصيبهم أيضاً وبال السيئات التي اكتسبوها، كما أصاب الذين من قبلهم، فأصابهم القحط سبع سنين متوالية، وقتل صناديدهم يوم بدر، وأسر منهم العدد الكثير. ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ الله تعالى؛ أي: وما هم بفائتين الله هرباً يوم القيامة، بل مرجعهم إليه، ويصنع بهم ما شاء من العقوبة؛ يعني يدركهم العذاب، ولا ينجون منه بالهرب.

ثم أقام سبحانه الدليل على عظيم قدرته، وبديع حكمته، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ و﴿الهمزة﴾: للاستفهام التوبيخي، داخلة على محذوف معلوم من السياق، و﴿الواو﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير[2]: أقالوا تلك الكلمة؛ يعني قوله: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾؛ أي: أقالوا ذلك ولم يعلموا، أو أغفلوا عن فضل الله ولم يعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ ويوسّعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ أن يوسّع عليه، ليختبره أيشكر أم يكفر. ﴿وَيَقْدِرُ﴾ الرزق ويقبضه عمن يشاء القبض

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

عنه، ويضيّقه عليه، ليمتحنه أيصبر أم يقنط؛ أي: يبسط ويقبض من غير أن يكون لأحد مدخل ما في ذلك، حيث حبس عنهم الرزق سبع سنين، ثم بسط لهم سبعاً، روي: أنهم أكلوا في سني القحط الجيف والجلود والعظام والعلهز، وهو: الوبر: بأن يخلط الدم بأوبار الإبل، ويشوى على النار، وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان من الجوع، فلم ينفعهم ذلك، حيث أصرّوا على الكفر والعناد.

والمعنى[1]: أي أو لم ير هؤلاء المشركون أن الله هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء تارةً، ويضيق على من يريد أخرى، كما يشاهد من اختلاف الناس في سعة الرزق وضيقه، وليس ذلك لجهل في الكاسب أو علم لديه، فربما كان العاقل القادر ضيق الرزق، والجاهل أو المريض ذا سعةٍ وبسطةٍ في المال.

فائدة: ويرد بهذه الآية على من يرى الغنى من الكيس، والفقر من العجز، أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: «أتدري لم رزقت الأحمق» قال: يا رب لا، قال: «ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاحتيال، فالكل بيد الله تعالى» ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ وبه ظهر فساد قول ابن الراوندي:

كَمْ عَاقِلٍ عَاقِلٍ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ ... وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلْقَاهُ مَرْزُوْقَا

هَذَا ٱلَّذِيْ تَرَكَ ٱلأَوْهَامَ حَائِرَةً ... وَصَيَّرَ ٱلْعَالِمَ ٱلنِّحْرِيْرَ زِنْدِيْقَا

أي: كافراً نافياً للصانع العدل الحكيم، قائلاً: لو كان له الوجود.. لما كان الأمر كذلك، ولقد أحسن من قال:

كَمْ مِنْ أَدِيْبٍ فَهِمٍ عَقْلُهُ ... مُسْتَكْمِلِ ٱلْعَقْلِ مُقِلٌّ عَدِيْمِ

وَمِنْ جَهُوْلٍ مُكْثِرٍ مَالُهُ ... ذَلِكَ تَقْدِيْرُ ٱلْعَزِيْزِ ٱلْعَلِيْمِ

يعني: أن من نظر إلى التقدير.. علم أن الأمور الجارية على أهل العالم كلها على وفق الحكمة، وعلى مقتضى المصلحة، ففيه إرشاد إلى إثبات الصانع الحكيم، لا إلى نفي وجوده. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور من البسط والقبض ﴿لَآيَٰتٍ﴾ دالةً على أن الحوادث كافةً من الله تعالى بوسطٍ عاديٍّ، أو غيره؛ أي: لدلالات ﴿لِقَوْمٍ

---

(١) المراغي.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ بالله تعالى، ويقرّون بوحدانيته، وهم الذين يعلمون أن الذي يفعل ذلك هو الله لا سواه، وإنما خص المؤمنين بذلك؛ لأنهم المنتفعون بالآيات، المتفكّرون فيها، والمستدلون بها على مدلولاتها.

الإعراب

﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿فَمَنْ﴾: ﴿الفاء﴾: استئنافية، أو فصيحة، كما مر في بحث التفسير. ﴿مَن﴾: اسم استفهام في محل الرفع مبتدأ، ومعناه النفي؛ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ﴾ خبره، والجملة: مستأنفة. ﴿مِمَّن﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَظْلَمُ﴾. ﴿كَذَبَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر، والجملة: صلة ﴿مَن﴾ الموصولة. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿كَذَبَ﴾، ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾: معطوف على ﴿كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان، مجرد عن معنى الشرط، في محل النصب على الطرفية، مبني على السكون، والظرف: متعلق بـ﴿كَذَّبَ﴾. ﴿جَآءَهُۥٓ﴾: فعل ومفعول به وفاعل مستتر يعود على الصدق، والجملة الفعلية: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾. ﴿أَلَيْسَ﴾ ﴿الهمزة﴾: للإستفهام التقريري. ﴿ليس﴾ فعل ماض ناقص، ﴿فِى جَهَنَّمَ﴾: خبرها مقدم على اسمها. ﴿مَثْوًى﴾: اسمها مؤخر. ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: صفة لـ﴿مَثْوًى﴾، أو متعلق بـ﴿مَثْوًى﴾؛ لأنه اسم مكان من ثوى؛ أي: أقام، وجملة ﴿ليس﴾: جملة استئنافية لا محل لها من الإعراب.

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِى﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿ٱلَّذِى﴾: مبتدأ، وجملة ﴿جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾: صلة الموصول. ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ معطوف على الصلة و﴿ٱلَّذِى﴾: جنس، المراد به بالنسبة للصلة الأولى: محمد ﷺ، وبالنسبة للصلة الثانية: المؤمنون، ولذلك روعي معنى: ﴿ٱلَّذِى﴾ في: ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾. ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ ثان. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل. ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾: خبر ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾. وجملة المبتدأ الثاني مع خبره: خبر للمبتدأ الأول، وجملة الأول: مستأنفة. ﴿لَهُم﴾: خبر مقدم. ﴿مَّا﴾: اسم موصول

في محل الرفع مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية: خبر ثان لـ﴿ٱلَّذِى﴾. ﴿يَشَآءُونَ﴾: فعل وفاعل، صلة لـ﴿مَا﴾ الموصولة والعائد: محذوف، تقديره: لهم ما يشاؤونه ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من العائد المحذوف؛ أي: لهم ما يشاؤونه حال كونه مدّخراً لهم عند ربهم. ﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ، ﴿جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: خبر ومضاف إليه، والجملة الاسمية: حال ثانية من العائد المذكور؛ أي: حال كون ذلك جزاء المحسنين.

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿لِيُكَفِّرَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف جرّ وتعليل. ﴿يكفر الله﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، والجملة الفعلية: في تأويل مصدر مجرور بـ﴿اللام﴾ الجار والمجرور: متعلق بمحذوف تقديره: يسر لهم ذلك لتكفير الله عنهم، أو متعلق بـ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ و﴿اللام﴾: للعاقبة؛ أي: الذين أحسنوا؛ لتكون عاقبتهم التكفير ﴿عَنْهُمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يكفر﴾، ﴿أَسْوَأَ﴾ مفعول به. ﴿ٱلَّذِى﴾ مضاف إليه. ﴿عَمِلُوا۟﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة وليس المراد هنا باسم التفضيل معناه على بابه، وإنما هي من إضافة الشيء إلى بعضه من غير تفضيل. ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى﴾ عطف على ما تقدم ﴿أَجْرَهُم﴾ مفعول به ثانٍ لـ﴿يجزي﴾، وجملة ﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: صلة الموصول، والعائد: محذوف تقديره: بأحسن الذي كانوا يعملونه، واسم التفضيل في قوله: ﴿أَسْوَأَ﴾ و﴿أَحْسَنَ﴾: ليس على بابه، لئلا يلزم علينا أنه يكفّر عنهم أقبح السيئات فقط، ويجزيهم أفضل الحسنات فقط، كما مرّ في بحث التفسير.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿أَلَيْسَ﴾: ﴿الهمزة﴾: فيه للاستفهام التقريري. ﴿ليس الله﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿بِكَافٍ﴾: ﴿الباء﴾: زائدة، ﴿كاف﴾: خبر ﴿ليس﴾، ﴿عَبْدَهُۥ﴾: مفعول ﴿كاف﴾، والمراد به: النبي ﷺ أو الجنس عامة، كما مر، وجملة ﴿ليس﴾: إنشائية، لا محل لها من الإعراب. ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾: ﴿الواو﴾: حالية، أو استئنافية.

﴿يخوفونك﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿بِٱلَّذِينَ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية: في محل النصب حال من ﴿عَبْدَهُۥ﴾: إن كان المراد به النبي ﷺ، والمعنى: أليس الله كافيك حال تخويفهم إيّاك، أو مستأنفة مسوقة لتفنيد ما يعمدون إليه من التخويف بالأصنام، إن كان المراد بالعبد الجنس. ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: جار ومجرور، صلة ﴿الذين﴾. ﴿وَمَن﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر: جملة الشرط، أو الجواب، أو هما. ﴿يُضْلِلِ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿مَنْ﴾ الشرطية، على كونه فعل شرط لها. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل. ﴿فَمَا﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب الشرط، ﴿مَا﴾ تميمية، أو حجازية. ﴿لَهُۥ﴾: خبر مقدم أو خبر ﴿مَا﴾ مقدم. ﴿مِن﴾: زائدة. ﴿هَادٍ﴾: مبتدأ مؤخر، أو اسمها مؤخر، والجملة الاسمية: في محل الجزم بـ﴿مَنْ﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَنْ﴾ الشرطية مستأنفة. ﴿وَمَن﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿من﴾: اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر: جملة الشرط، أو الجواب، أو هما. ﴿يَهْدِ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿مَنْ﴾ الشرطية، على كونه فعل شرط لها. ﴿فَمَا﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة الجواب، ﴿ما﴾: حجازية، ﴿لَهُۥ﴾: خبرها مقدم، ﴿مِنْ﴾ زائدة، ﴿مُّضِلٍّ﴾: اسمها مؤخر، والجملة الاسمية: في محل الجزم بـ﴿مَنْ﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَنْ﴾ الشرطية: معطوفة على جملة ﴿مَنْ﴾ الأولى. ﴿أَلَيْسَ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التقريري، ﴿ليس الله﴾: فعل ناقص واسمه، ﴿بِعَزِيزٍ﴾: خبر ﴿ليس﴾: و(الباء) زائدة ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ صفة لـ﴿عزيز﴾ تابع لِلَفْظِهِ وجملة ﴿ليس﴾ جملة استئنافية لا محل لها من الإعراب.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَلَئِن﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿إن﴾: حرف شرط جازم. ﴿سَأَلْتَهُم﴾: فعل وفاعل ومفعول أول في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية، على كونها فعل شرط لها. ﴿مَنْ﴾: اسم استفهام، في محل الرفع مبتدأ. ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ﴿مَنْ﴾ الاستفهامية، والجملة الاسمية: في محل النصب مفعول ثان لـ﴿سأل﴾ المعلقة عن العمل فيه بالاستفهام. ﴿لَيَقُولُنَّ﴾

و﴿اللام﴾: موطئة للقسم، مؤكدة للأولى. ﴿يقولُن﴾: فعل مضارع معرب لعدم مباشرة نون التوكيد له مرفوع، وعلامة رفعه ثبات النون المحذوفة؛ لتوالي الأمثال، و واو الجماعة المحذوفة للالتقاء الساكنين، في محل الرفع فاعل. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو الله، أو مبتدأ والخبر: محذوف؛ أي: الله خلقها، والجملة الاسمية: في محل النصب مقول ﴿لَيَقُولُنَّ﴾: وجملة ﴿يقولن﴾: جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مع جوابها: مستأنفة، وجواب الشرط: محذوف، دلّ عليه جواب القسم، جرياً على القاعدة المشهورة فيما إذا اجتمع شرط وقسم، والتقدير: إن سألتهم من خلق السموات والأرض.. يقولوا: الله، وجملة الشرط: معترضة بين القسم وجوابه. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد ـ صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ، والجملة: مستأنفة. ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾: ﴿الهمزة﴾: فيه للاستفهام التوبيخي، و﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا لم يكن خالق سواه تعالى.. فأقول لكم: أخبروني عن آلهتكم التي تعبدونها، أنه إن أرادني الله بضرّ إلخ. ﴿رأيتم﴾: فعل وفاعل، بمعنى أخبروني. ﴿مَّا﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول أول لـ﴿رأيتم﴾. ﴿تَدْعُونَ﴾: فعل وفاعل وصلة لـ﴿مَّا﴾ الموصولة، والعائد: محذوف تقديره: ما تدعونه ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: حال من العائد المحذوف، وجملة ﴿أرأيتم﴾: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة. ويجوز أن تكون ﴿الهمزة﴾ للاستفهام التوبيخي، داخلة على محذوف، و﴿الفاء﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أفكّرتم ما أقررتم به، فرأيتم ما تدعون من دون الله... إلخ.

﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾

﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم ﴿أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل ونون وقاية، ومفعول به في محل الجزم بـ﴿إِنْ﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها، ﴿بِضُرٍّ﴾: متعلق بـ﴿أَرَادَنِيَ﴾، وجواب ﴿إِنْ﴾ الشرطية: محذوف، تقديره: إن أرادني الله بضر.. فهل يكشفن عني ضرّه، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية: معترضة بين الفعل ومفعوله، لا محل لها من الإعراب. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام، ﴿هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية: في محل النصب مفعول ثان لـ﴿رأيتم﴾ علق عنها بالاستفهام،

﴿أَوْ أَرَادَنِي﴾: فعل وفاعل مستتر ونون وقاية ومفعول به معطوف على ﴿أَرَادَنِيَ﴾ الأول. ﴿بِرَحْمَةٍ﴾: متعلق بـ﴿أَرَادَنِيَ﴾. ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾: مبتدأ وخبر في محل النصب معطوف على ﴿هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ على كونها مفعولاً ثانياً لـ﴿رأيتم﴾. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة: مستأنفة. ﴿حَسْبِيَ﴾ مبتدأ ﴿ٱللَّهُ﴾: خبر، أو بالعكس، والجملة: مقول لـ﴿قُلْ﴾، و﴿عَلَيْهِ﴾ متعلق بـ﴿يَتَوَكَّلُ﴾. ﴿يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾: فعل مضارع وفاعل، والجملة في محل النصب معطوفة على الجملة الاسمية.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر، والجملة: مستأنفة. ﴿يَٰقَوْمِ﴾: منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة اجتزاء عنها بالكسرة، وجملة النداء: في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿ٱعْمَلُوا۟﴾: فعل أمر وفاعل. ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: حال من فاعل ﴿ٱعْمَلُوا۟﴾، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾: ناصب واسمه وخبره، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿فَسَوْفَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿سوف﴾: حرف تنفيس. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل، وجملة العلم: معطوفة على جملة ﴿ٱعْمَلُوا۟﴾: على كونها مقولاً لـ﴿قُلْ﴾. ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾. ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ﴾: فعل ومفعول وفاعل صلة ﴿مَن﴾ الموصولة. ﴿يُخْزِيهِ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به صفة لـ﴿عذاب﴾. ﴿وَيَحِلُّ﴾: فعل مضارع. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق بـ﴿يحل﴾، ﴿عَذَابٌ﴾: فاعل. ﴿مُّقِيمٌ﴾: صفة ﴿عَذَابٌ﴾، والجملة: معطوفة على جملة ﴿يَأْتِيهِ﴾ على كونها صلة ﴿مَن﴾ الموصولة.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾.

﴿إِنَّآ﴾: ناصب واسمه، ﴿أَنزَلْنَآ﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلق به، ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به، ﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلق بـ﴿أَنزَلْنَآ﴾، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: حال من فاعل ﴿أَنزَلْنَآ﴾؛ أي: حالة كوننا متلبسين بالحق، أو من المفعول؛ أي: حالة كونه متلبساً

بالحق، وجملة ﴿أَنزَلْنَا﴾: في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾: مستأنفة، ﴿فَمَنْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿مَنْ﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر: جملة الشرط، أو الجواب، أو هما. ﴿ٱهْتَدَىٰ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿مَن﴾ في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها. ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة الجواب وجوباً، ﴿لنفسه﴾: خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: فهدايته لنفسه، والجملة الاسمية: في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ الشرطية، على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية: معطوفة على جملة ﴿إن﴾. ﴿وَمَن﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿مَن﴾: اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر: جملة الشرط على الخلاف السابق. ﴿ضَلَّ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر في محل الجزم بـ﴿مَنْ﴾، على كونه فعل شرط لها. ﴿فَإِنَّمَا﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة الجواب جوازاً، ﴿إنما﴾: أداة حصر. ﴿يَضِلُّ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على ﴿مَنْ﴾. ﴿عَلَيْهَا﴾ متعلق بـ﴿يَضِلُّ﴾، والجملة الفعلية: في محل الجزم بـ﴿مَنْ﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وإنما جزمت المضارع المحل لا اللفظ؛ مشاكلة للماضي الواقع شرطاً، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية: معطوفة على جملة ﴿مَنْ﴾ الأولى. ﴿وَمَآ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿ما﴾: نافية حجازية، ﴿أَنتَ﴾: في محل الرفع اسمها. ﴿عَلَيْهِم﴾: متعلق بـ﴿وكيل﴾، و﴿بِوَكِيلٍ﴾: خبر لـ﴿ما﴾ الحجازية منصوب بفتحة مقدرة، و﴿الباء﴾: زائدة، والجملة الاسمية: معطوفة على جملة قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ﴾ على كونها جواباً لـ﴿مَنْ﴾ الشرطية، وجمع ضمير ﴿عَلَيْهِم﴾ نظراً لمعنى ﴿مَنْ﴾ الشرطية.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على ﴿ٱللَّهُ﴾، ومفعول به، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: مستأنفة. ﴿حِينَ مَوْتِهَا﴾: متعلق بـ﴿يَتَوَفَّى﴾ ﴿وَٱلَّتِى﴾: معطوف على ﴿ٱلْأَنفُسَ﴾، وجملة ﴿لَمْ تَمُتْ﴾: صلة التي الموصولة. ﴿فِى مَنَامِهَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يَتَوَفَّى﴾ والمعنى: الله يتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها؛ أي: يتوفّاها حين تنام. ﴿فَيُمْسِكُ﴾. ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿يمسك﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود

على ﴿اللَّهِ﴾. ﴿الَّتِي﴾: مفعول به لـ﴿يمسك﴾. ﴿قَضَىٰ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿اللَّهِ﴾. ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلق بـ﴿قَضَىٰ﴾. ﴿الْمَوْتَ﴾: مفعول به لـ﴿قَضَىٰ﴾ وجملة ﴿قَضَىٰ﴾: صلة الموصول. ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، معطوف على ﴿يمسك﴾. ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ﴾ متعلق بـ﴿يرسل﴾ أو بـ﴿يمسك﴾. ﴿مُسَمًّى﴾: نعت لـ﴿أجل﴾. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب، ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: خبر مقدم لها. ﴿لَآيَاتٍ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿آيات﴾: اسمها مؤخر. ﴿لِقَوْمٍ﴾: صفة ﴿لَآيَاتٍ﴾ وجملة ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: صفة لـ﴿قوم﴾ وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿أَمِ﴾: منقطعة، بمعنى بل الإضرابية، وهمزةِ الاستفهام الانكاري. ﴿اتَّخَذُوا﴾: فعل ماض وفاعل. ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾: جار ومجرور، متعلق به على كونه مفعولاً ثانياً له ﴿شُفَعَاءَ﴾: مفعول أول له، والجملة: مستأنفة. ﴿قُلْ﴾ فعل أمر وفاعل مستتر، والجملة: مستأنفة ﴿أَوَلَوْ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري، داخلة على محذوف، تقديره: أيشفعون، ﴿وَلَوْ﴾: ﴿الواو﴾: حالية، ﴿لو﴾: حرف شرط مهمل، بمعنى قد. ﴿كَانُوا﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ خبر ﴿كان﴾، ﴿شَيْئًا﴾: مفعول به، أو مفعول مطلق، كما مر مراراً. ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾: معطوف على ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾. و﴿لو﴾: مهملة لا جواب لها؛ أي: أيشفعون حال كونهم لا يملكون شيئاً ولا يعقلون شيئاً، ويجوز أن تكون ﴿الواو﴾: عاطفة، و﴿لو﴾ على معناها، وجوابها، محذوف، تقديره: تتخذونهم شفعاء، وجملة ﴿لو﴾ معطوفة على تلك المحذوفة.

﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿قُل﴾: فعل أمر وفاعل مستتر، والجملة: مستأنفة. ﴿لِّلَّهِ﴾: خبر مقدم، ﴿الشَّفَاعَةُ﴾: مبتدأ مؤخر، ﴿جَمِيعًا﴾: حال من ﴿الشَّفَاعَةُ﴾ على رأي سيبويه، أو

من الضمير المستقر في الخبر على مذهب الجمهور، والجملة الاسمية: في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿لَّهُۥ﴾: خبر مقدم. ﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مبتدأ مؤخر، ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ﴿مُلْكُ﴾، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾، ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وترتيب وتراخ، ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلق بـ﴿تُرْجَعُونَ﴾، و﴿تُرْجَعُونَ﴾: فعل ونائب فاعل معطوف على محذوف معلوم من السياق، تقديره: يتصرف فيكم في الدنيا كيف يشاء، ثم إليه ترجعون في الآخرة. ﴿وَإِذَا﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، ﴿ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾: فعل ونائب فاعل. ﴿وَحْدَهُ﴾: حال من الجلالة؛ أي: حالة كونه منفرداً في الذكر دون الشركاء، ومنصوب على المصدر عند الخليل وسيبويه؛ أي: ذُكر ذِكْر انفراد، والجملة الفعلية: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذَا﴾ على كونها فعل شرط لها. ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾: فعل ماض. ﴿قُلُوبُ﴾: فاعل، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية: جواب ﴿إِذَا﴾، لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إِذَا﴾: مستأنفة، وجملة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: صلة الموصول. ﴿بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: متعلق بـ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿وَإِذَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، ﴿ذُكِرَ ٱلَّذِينَ﴾: فعل ونائب فاعل، فعل شرط لـ﴿إِذَا﴾. ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾: جار ومجرور، صلة الموصول، ﴿إِذَا﴾: فجائية، خلف عن ﴿الفاء﴾ الرابطة، حرف لا محل لها من الإعراب، ﴿هُمْ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: خبره، والجملة الاسمية: جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إِذَا﴾: معطوفة على جملة ﴿إِذَا﴾ الأولى.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿قُلِ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿ٱللَّهُمَّ﴾: منادى مفرد العلم في محل النصب على المفعولية، مبني على الضم، والميم المشددة: عوض عن حرف النداء، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: منادى ثان، حذف منه حرف النداء، مضاف إلى ما بعده، منصوب؛ أي: يا فاطر السموات، ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وجملة النداء: معطوفة بعاطف مقدر على جملة النداء الأول، على كونها مقولاً لـ﴿قُلْ﴾، وهناك أعاريب أخرى، سيأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى. وكذلك ﴿عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ

﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: منادى مضاف حذف منه حرف النداء، معطوف على النداء الأول ومضاف إليه. ﴿أَنتَ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿تَحۡكُمُ﴾: خبره، والجملة الاسمية: في محل النصب مقول ﴿قُلِ﴾. ﴿بَيۡنَ عِبَادِكَ﴾: متعلق بـ﴿تَحۡكُمُ﴾، ﴿فِي مَا﴾: متعلق بـ﴿تَحۡكُمُ﴾ أيضاً. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَخۡتَلِفُونَ﴾: خبر ﴿كَانُواْ﴾، ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يَخۡتَلِفُونَ﴾، وجملة ﴿كان﴾ من اسمها وخبرها: صلة لـ﴿مَا﴾ الموصولة.

فائدة في ﴿ٱللَّهُمَّ﴾: مذهب الخليل وسيبويه: أن هذا الاسم لا يوصف؛ لأنه صار عندهم مع الميم بمنزلة الصوت؛ أي: غير متمكّن في الاستعمال. وذهب المبرد والزجاج: إلى جواز وصفه بمرفوع على اللفظ، ومنصوب على المحل، وجعل ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: صفة له. قال أبو حيان: والصحيح مذهب سيبويه؛ لأنه لم يسمع مثل اللهم الرحمن الرحيم ارحمنا، والآية ونحوها محتملة للنداء. وقال ابن هشام: وإنما قال في ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ إنه على تقدير (يا)، ولم يجعله صفة على المحل؛ لأنّ عنده أن اسم الله سبحانه وتعالى لما اتصلت به الميم المعوّضة عن حرف النداء.. أشبه الأصوات، فلم يجز نعته؛ أي: فقد صار مثل هلا، إذ الميم بمنزلة صوت مضموم إلى اسم الله، مع بقائهما على معنييهما.

﴿وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿وَلَوۡ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿لو﴾: حرف شرط غير جازم. ﴿أَنَّ﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور، خبر مقدم لـ﴿أَنَّ﴾ وجملة ﴿ظَلَمُواْ﴾: صلة الموصول، ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل النصب، اسم ﴿أَنَّ﴾ مؤخر عن خبرها. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: جار ومجرور صلة لـ﴿مَا﴾ الموصولة، ﴿جَمِيعٗا﴾: حال من اسم ﴿أَنَّ﴾، ﴿وَمِثۡلَهُۥ﴾: معطوف على ﴿مَا﴾، ﴿مَعَهُۥ﴾: ظرف متعلق بمحذوف حال من ﴿مثله﴾؛ أي: حال كون ذلك المثل منضماً إلى ﴿مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، وجملة ﴿أَنَّ﴾ في تأويل مصدر مرفوع على الفاعلية، لفعل محذوف، هو فعل شرط لـ﴿لو﴾، تقديره: ولو ثبت كون ما في الأرض للذين ظلموا، ومثله معه.. لافتدوا به من سوء

العذاب. ﴿لَافْتَدَوْا﴾: ﴿اللام﴾: رابطة لجواب ﴿لو﴾ الشرطية، ﴿افتدوا﴾: فعل وفاعل، ﴿بِهِ﴾ متعلق بـ﴿افتدوا﴾. و﴿مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ﴾: متعلق به أيضاً. ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: ظرف متعلق به أيضاً، أو حال من فاعل ﴿افتدوا﴾؛ أي: حال كونهم في ذلك اليوم العصيب، والجملة الفعلية: جواب ﴿لو﴾ الشرطية، لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لو﴾ الشرطية؛ مستأنفة. ﴿وَبَدَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿بدا﴾: فعل ماض، ﴿لَهُم﴾: متعلق به، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: حال من فاعل ﴿بدا﴾. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل الرفع فاعل، والجملة الفعلية: معطوفة على جملة ﴿لو﴾ الشرطية. ﴿لَمْ يَكُونُوا۟﴾: جازم وفعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَحْتَسِبُونَ﴾: في محل النصب خبر ﴿يَكُونُوا۟﴾؛ أي: لم يكونوا محتسبين، وجملة ﴿يَكُونُوا۟﴾: صلة لـ﴿مَا﴾ الموصولة. ﴿وَبَدَا﴾: فعل ماض. ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به. ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا﴾: فاعل، ومضاف إليه، والجملة الفعلية: معطوفة على ما قبلها، ولك أن تجعل الكلامين مستأنفاً مسوقاً لإبراز وعيدهم في أبلغ ما يكون الوعيد والتهديد. ﴿كَسَبُوا۟﴾: فعل وفاعل، صلة لـ﴿مَا﴾ الموصولة، والعائد: محذوف، تقديره: سيئات ما كسبوه. ﴿وَحَاقَ﴾: فعل ماض، معطوف على ﴿بدا﴾، ﴿بِهِم﴾: متعلق بـ﴿حاق﴾، ﴿مَّا﴾: اسم موصول في محل الرفع فاعل ﴿حاق﴾. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿بِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾، وجملة ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾: خبر ﴿كَانُوا۟﴾، وجملة ﴿كَانُوا۟﴾: صلة الموصول.

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿فَإِذَا﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت أن المشركين ليشمأزّون عن ذكر الله وحده، ويستبشرون بذكر آلهتهم، وأردت بيان حالهم فيما إذا أصابهم الضرّ.. فأقول لك: إن شأن غالب نوع الإنسان، أنّه إذا مسّه ضرّ إلخ. ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿مَسَّ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: مفعول به. ﴿ضُرٌّ﴾: فاعل، والجملة الفعلية: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إذا﴾ على كونها فعل شرط لها. ﴿دَعَانَا﴾: فعل ومفعول به وفاعل مستتر يعود على الإنسان، والجملة الفعلية: جواب ﴿إذا﴾، لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إذا﴾: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا

المقدرة: مستأنفة. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وتراخ. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً﴾: فعل وفاعل، ومفعولان. ﴿مِّنَّا﴾: صفة لـ﴿نِعْمَةً﴾، والجملة الفعلية، في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذَا﴾، والظرف: متعلق بالجواب. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر، والجملة: جواب ﴿إِذَا﴾ وجملة ﴿إِذَا﴾: معطوفة على جملة ﴿إِذَا﴾ الأولى. ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر ﴿أُوتِيتُهُ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعل ومفعول ثان، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من تاء المتكلم في ﴿أُوتِيتُهُ﴾، حالة كوني عالماً أني سأعطاه، لما أتمتع به من جدارةٍ واستحقاق. ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب للإضراب الانتقالي. ﴿هِيَ فِتْنَةٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾: ناصب واسمه. وجملة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: خبره، والجملة الاستدراكية: معطوفة على الجملة الإضرابية، ويصح أن تكون حالية.

﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٥٠) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٥١)﴾.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق. ﴿قَالَهَا﴾: فعل ومفعول. ﴿الَّذِينَ﴾: فاعل، و﴿الهاء﴾: عائدة على مقالتهم، وهي ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، لأنها كلمة. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: صلة الموصول، والجملة الفعلية: مستأنفة. ﴿فَمَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿مَا﴾: نافية. ﴿أَغْنَىٰ﴾: فعل ماض. ﴿عَنْهُم﴾: متعلق به ﴿مَّا﴾: فاعل، والجملة الفعلية: معطوفة على جملة ﴿قَدْ قَالَهَا﴾. ﴿كَانُوا﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَكْسِبُونَ﴾: خبره، وجملة ﴿كَانُوا﴾: صلة الموصول. ﴿فَأَصَابَهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة ﴿أصابهم﴾: فعل ومفعول ﴿سَيِّئَاتُ﴾: فاعل، و﴿مَا﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية: معطوفة على جملة قوله: ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾. ﴿كَسَبُوا﴾: فعل وفاعل صلة لـ﴿مَا﴾ الموصولة، والعائد: محذوف؛ أي سيئات ما كسبوه. ﴿وَالَّذِينَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿الَّذِينَ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿ظَلَمُوا﴾: صلة الموصول. ﴿مِنْ هَٰؤُلَاءِ﴾: جار ومجرور حال من واو ﴿ظَلَمُوا﴾. ﴿سَيُصِيبُهُمْ﴾: فعل ومفعول به، ﴿سَيِّئَاتُ﴾: فاعل. و﴿مَا﴾ مضاف إليه، والجملة الفعلية، في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: معطوفة على جملة قوله: ﴿قَدْ قَالَهَا﴾، وجملة ﴿كَسَبُوا﴾ صلة لـ﴿مَا﴾ الموصولة. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: حالية، ﴿ما﴾: نافية حجازية. ﴿هُم﴾: اسمها. ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾:

خبرها، و﴿الباء﴾: زائدة، والجملة: في محل النصب حال من مفعول ﴿سَيُصِيبُهُمْ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿أَوَلَمْ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري، داخلة على محذوف، و﴿الواو﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، تقديره: أقالوها ولم يعلموا؟ والجملة المحذوفة: مستأنفة. ﴿لم يعلموا﴾: جازم وفعل وفاعل، والجملة معطوفة: على تلك المحذوفة. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾: خبره. وجملة ﴿أن﴾: في تأويل مصدر سادّ مسدّ مفعولي ﴿يَعْلَمُوٓاْ﴾. ﴿لِمَن﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يَبْسُطُ﴾، وجملة ﴿يَشَآءُ﴾ صلة لـ﴿مَنْ﴾ الموصولة، ﴿وَيَقْدِرُ﴾: معطوفة على جملة ﴿يَبْسُطُ﴾. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب، ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾: خبرها مقدّم. ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: اسمها مؤخر، و﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿لِّقَوْمٍ﴾ صفة ﴿لَءَايَٰتٍ﴾. وجملة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: صفة لـ﴿قوم﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة.

التصريف ومفردات اللغة

﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أصله: مثوي بوزن مفعل، قلبت الياء ألفاً؛ لتحركها بعد فتح، مشتق من ثوى بالمكان: إذا أقام به، يثوى ثوياً وثواءً، مثل مضى يمضي مضياً ومضاءً، ولو كان من أثوى الرباعي.. لكان مثوىً بضم الميم، وهذا يدل على أن ثوى هي اللغة الفصحىٰ.

وحكى أبو عبيدة: أثوى، اهـ «قرطبي» بزيادةٍ. ومعنى المثوى: المقام والمستقر.

والمعنى: أنّ جهنم منزل ومقام للكاذبين المكذبين المذكورين وغيرهم من الكفار جزاءً لكفرهم وتكذيبهم.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾؛ أي: يكفيه وعيد المشركين وكيدهم، والكفاية: ما فيه سد الخلة، وبلوغ المراد في الأمر.

﴿يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ مكانتكم: اسم مكان من مادة كان، ووزنه

مفعلة، أصله: مكونة نقلت حركة الواو إلى الكاف، ثم أبدلت ألفاً؛ لتحركها في الأصل وانفتاح ما قبلها الآن، وقيل: إن الميم أصلية، فهي من مادّة مكن وعليه فهو مصدر ميمي.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ أصله. يتوفي، قلبت ياؤه ألفاً؛ لتحركها بعد فتح.

﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ﴾ أصله: تموت بوزن تفعل، نقلت حركة الواو إلى الميم، فسكنت إثر ضمة فصارت حرف مد، ثم دخل الجازم على الفعل فسكن آخره، فصار اللفظ تموت، فالتقى ساكنان، فحذفت الواو، فوزنه تفل، ويقال توفاه الله: قبض روحه، كما في «القاموس». والأنفس: جمع نفس بسكون الفاء، وهي النفس الناطقة المسماة عند أهل الشرع بالروح الإضافي الإنساني السلطاني فسميت نفساً باعتبار تعلقها بالبدن، وانصياعها بأحكامه، والتلبس بغواشيه، وروحاً باعتبار تجردها في نفسها، ورجوعها إلى الله تعالى، فالنفس: ناسوتية سفلية، والروح: لاهوتية علوية.

﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ والموت: زوال القوة الحساسة، كما أن الحياة وجود هذه القوة، ومنه سمي الحيوان حيواناً، ومبدأ هذه القوة هو الروح الحيواني، الذي محله الدماغ، كما أن محل الروح الإنساني القلب الصنوبري، ولا يلزم من ذلك تحيزه فيه، وإن كانت الأرواح البشرية متحيزة عند أهل السنة. اهـ من «الروح».

والمنام والنوم واحد، وهو استرخاء أعصاب الدماغ برطبات البخار الصاعد إليه، وقيل: النوم: هو أن يتوفىٰ الله النفس من غير موت، كما في الآية، وقيل: النوم: موت خفيف، والموت: نوم ثقيل، وهذه التعريفات كلها صحيح بنظرات مختلفة. اهـ. منه ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ إمساك الشيء: التعلق به وحفظه، والقضاء: الحكم.

﴿شُفَعَآءَ﴾ جمع شفيع، والشفع: ضم الشيء إلى مثله، والشفاعة: الانضمام إلى آخر مسائلاً عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى رتبةً إلى من هو أدنى، ومنه الشفاعة يوم القيامة.

﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾ من الشمز، والشمز: نفور النفس مما تكره، وتَشمّز وجهه:

تقبض، والاشمئزاز؛ هو أن يمتلىء القلب غيظاً وغماً، ينقبض منه أديم الوجه، وهو غاية ما يمكن من الانقباض، ففيه مبالغة في بيان حالهم القبيحة، كما مر.

﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾؛ أي: يفرحون ويظهر في وجوههم البشر، وهو أثر السرور لفرط افتتانهم بها، ونسيانهم الحق، والاستبشار: هو أن يمتلىء القلب سروراً حتى تنبسط له بشرة الوجه، ويتهلل، ففيه مبالغة أيضاً في بيان حالهم القبيحة.

﴿لَافْتَدَوْا﴾ أصله: لافتديوا، قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين، يقال افتدى: إذا بذل المال عن نفسه، فإن الفداء: حفظ الإنسان من النائبة بما يبذله عنه؛ أي: لجعلوا كل ذلك فديةً لأنفسهم من العذاب الشديد، لكن لا مال يوم القيامة، كما مر.

﴿وَبَدَا لَهُمْ﴾ فيه إعلال بالقلب، أصله: بدو، بوزن فعل، قلبت واوه ألفاً لتحركها بعد فتح.

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ﴾ فيه من مباحث الصرف الادغام، أصله: مسس، أدغمت السين في السين. ﴿دَعَانَا﴾ أصله: دعونا، قلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها.

﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ﴾ أصله: أؤتي، أبدلت الهمزة الثانية واواً حرف مد مجانساً لحركة الأولى، وسكنت الياء، فصارت حرف مد لتطرفها إثر كسرة.

﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: محنة وابتلاء له، أيشكر أم يكفر، تقول فتنت الذهب: إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته وتختبره.

﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ أصله: أغني بوزن أفعل؛ لأنه رباعي، فقلبت الياء ألفاً؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أصله: فأصوبهم، بوزن أفعل، نقلت حركة الواو إلى الصاد، ثم قلبت ألفاً؛ لتحركها في الأصل وانفتاح ما قبلها الآن.

﴿سَيُصِيبُهُمْ﴾ فيه إعلال بالنقل والتسكين والقلب، أصله: سيصوبهم، نقلت حركة الواو إلى الصاد، فسكنت إثر كسرة، ثم قلبت ياءً حرف مد، وقوله:

﴿سَيِّئَاتُ﴾ أصله سوءات بوزن فيعلات، قلبت الواو ياء، وأدغمت فيها الياء، لما اجتمعتا، وسبقت إحداهما ساكنةً.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الطباق بين قوله: ﴿مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾ وقوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾.

ومنها: الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة الموصول الثاني؛ أعني قوله: ﴿بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ دون الأول، أعني قوله: ﴿أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ للإيذان باستمرارهم على الأعمال الصالحة بخلاف السيئة، كذا في «الإرشاد».

ومنها: الاستفهام التقريري في قوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ حيث أدخل همزة الإنكار على كلمة النفي. فأفادت معنى إثبات الكفاية وتقريرها، فصار الاستفهام تقريرياً، وكذا الحكم في قوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾.

ومنها: الطباق بين قوله: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ وقوله: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ وبين قوله: ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ وقوله: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿يُضْلِلِ﴾ و﴿مُّضِلٍّ﴾ وقوله: ﴿يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ و﴿هاد﴾.

ومنها: الطباق بين قوله: ﴿بِضُرٍّ﴾ وقوله: ﴿بِرَحْمَةٍ﴾، وفي قوله: ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ وقوله: ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ﴾.

ومنها: الجناس المغاير في قوله: ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

ومنها: المجاز في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾ حيث جعل الرؤية، وهو العلم الذي هو سبب الإخبار مجازاً عن الإخبار، كما في «الروح».

ومنها: التهديد في قوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾؛ لأنه أمر تهديد.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حيث استعار اسم

المكان للحال، فشبهت الحال بالمكان القارّ فيه، ووجه الشبه: ثباتهم في تلك الحال ثبات المتمكن في مكانه.

ومنها: المقابلة في قوله: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ﴾.

ومنها: المجاز بالحذف في قوله: ﴿إِنِّى عَامِلٌ ۖ﴾؛ أي: على مكانتي.

ومنها: المجاز في الإسناد في قوله: ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾؛ أي: مقيم فيه صاحبه، كما في «الشهاب».

ومنها: الطباق بين الإمساك والإرسال في قوله: ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ وقوله: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ...﴾.

ومنها: المقابلة الرائعة في قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ...﴾ الآية. فقد قابل بين الله والأصنام، وبين السرور والاشمئزاز.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ﴾. وكذلك بين الغيب والشهادة في قوله: ﴿عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ
ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ
ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن
كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ
حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى
فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٥٩) وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ
وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا
يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١) ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَّهُۥ
مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٦٣) قُلْ أَفَغَيْرَ
ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ
عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٦٥) بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (٦٦) وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ
قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يُشْرِكُونَ (٦٧) وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ
فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ
وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا
يَفْعَلُونَ (٧٠) وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ
خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ
وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٧١) قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ
مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ
أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ
ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ (٧٤)
وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٧٥)﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما[1] أوعد الكافرين فيما سلف أردفه بذكر رحمته وفضله على عباده المؤمنين، بغفران ذنوبهم إذا هم تابوا وأنابوا إليه، وأخلصوا له العمل، ليكون في ذلك مطمع لهؤلاء الضالين، ومنبهة لهم من ضلالهم.

وعبارة «أبي حيان» هنا[2]: ومناسبتها لما قبلها: أنه تعالى لما شدّد على الكفار، وذكر ما أعدّ لهم من العذاب، وأنهم لو كان لأحدهم ما في الأرض ومثله معه.. لافتدى به من عذاب الله.. ذكر ما في إحسانه من غفران الذنوب، إذا آمن العبد ورجع إلى الله، وكثيراً تأتي آيات الرحمة مع آيات النقمة، ليرجو العبد ويخاف، وهذه الآية عامة في كل كافر يتوب، ومؤمن عاص يتوب، تمحو الذنب توبته، وقال عبد الله وعليّ وابن عمر: هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى انتهى.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما أوعد المشركين فيما سلف بما سيكون لهم من الأهوال يوم القيامة، ووعد المتقين بما يمنحهم من الفوز والنعيم في ذلك اليوم.. أردف ذلك ذكر حالٍ لكل منهما تبدو للعيان، ويشاهدها كل إنسان يوم العرض والحساب.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما[3] بسط الوعد والوعيد يوم القيامة لأهل التوحيد وأهل الشرك.. عاد إلى ذكر دلائل الألوهية والوحدانية، ثم انتقل إلى النعي على الكافرين في أمرهم لرسوله بعبادة الأوثان والأصنام، ثم بين أن الأنبياء جميعاً أوحي إليهم أن لا يعبدوا إلا الله وحده، وأن لا يشركوا به سواه، وأنهم إن فعلوا غير ذلك.. حبطت أعمالهم وكانوا من الخاسرين، ثم كرر النعي عليهم مرةً أخرى، بأنهم لم يعرفوا الله حق معرفته، إذ لو عرفوه.. لما جعلوا هذه المخلوقات الخسيسة مشاركةً له في العبودية.

---

(١) المراغي. (٢) البحر المحيط. (٣) المراغي.

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر عظمته، بأنه خالق كل شيء وهو الوكيل على كل شيء، وبيده مقاليد السموات والأرض.. أردف ذلك بذكر دلائل أخرى، تدل على كمال قدرته، وعظيم سلطانه، فذكر مقدمات يوم القيامة، من نفخ الصور النفخة الأولى، التي يموت بها أهل الأرض جميعاً، ثم النفخة الثانية، التي يقوم بها الناس جميعاً من قبورهم، ثم ذكر الفصل بينهم للجزاء والحساب، فتوفى كل نفس جزاءً ما عملت من خير أو شر، وهو سبحانه العليم بأفعالهم جميعاً.

قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر أحوال يوم القيامة على سبيل الإجمال، بقوله: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾.. فصل ذلك، فذكر ما يحل بالأشقياء من الأهوال، وما يلقونه من التأنيب والتوبيخ من خزنة جهنم على طريق السؤال والجواب التهكمي، وهو أشد وقعاً على الأبي العيوف، الذي تأبى نفسه الهوان والاحتقار.

قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ...﴾ الآيات، مناسبتها لما قبلها: أن الله سبحانه[1] لما ذكر أحوال الأشقياء، وما يلاقونه يوم القيامة من الأهوال.. أردفها بذكر أحوال السعداء، وما يلاقونه إذ ذاك من النعيم، وما يقال لهم وما يقولون، ثم أخبر بأن ملائكته محدقون حول العرش، يسبّحون بحمد ربهم، ويعظّمونه، وينزّهونه عن النقائص، وأنه سيقضي بين الخلائق بالعدل، وأن أولئك المتقين سيقولون: الحمد لله رب العالمين، على ما تفضّل به علينا وأنعم.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ...﴾ الآية، سبب نزولها[2]: ما تقدم في سورة الفرقان من حديث الشيخين، وما أخرجه ابن أبي حاتم بسند صحيح، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: أنزلت هذه الآية في مشركي أهل مكة.

---

(١) المراغي. (٢) لباب النقول.

وأخرج الحاكم والطبراني عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: كنا نقول ما لمفتتن توبة إذا ترك دينه بعد إسلامه ومعرفته، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة.. أنزل فيهم ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟...﴾ الآية.

وأخرج الطبراني بسند فيه ضعف، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي قاتل حمزة، يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه: كيف تدعوني، وأنت تزعم أن من قتل، أو زنى، أو أشرك.. ﴿يَلْقَ أَثَامًا يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ وأنا صنعت ذلك، فهل تجد لي من رخصة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا﴾ الآية. فقال وحشي: هذا شرط شديد، فلعلّي لا أقدر على هذا، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ فقال وحشيّ: هذا أرى بعده مشيئة، فلا أدري أيغفر لي أم لا، فهل غير هذا، فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ...﴾ الآية. فقال وحشي: هذا نعم فأسلم.

قوله: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ...﴾ الآية، سيأتي سبب نزولها في سورة الكافرون، وأخرج البيهقي في «الدلائل» عن الحسن البصري قال. قال المشركون للنبي ﷺ: أتضلل آباءك وأجدادك يا محمد، فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ﴾ إلى قوله: ﴿مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ...﴾ الآية، سبب نزولها: ما أخرجه الترمذي وصححه عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: مر يهودي بالنبي ﷺ، فقال: كيف تقول يا أبا القاسم: إذا وضع الله السموات على ذه، والأرضين على ذه، والماء على ذه، والجبال على ذه، فأنزل الله سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ...﴾ الآية. والحديث في «الصحيح» بلفظ: فتلا، دون فأنزل.

وأخرج أحمد بسنده، عن علقمة عن عبد الله قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب، فقال: يا أبا القاسم، أبلغك أنَّ الله عزّ وجل يحمل الخلائق على إصبع، والسموات على أصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ والحديث رجاله رجال الصحيح.

وأخرج ابن المنذر عن الربيع بن أنس قال: لما نزلت آية: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾. قالوا: يا رسول الله، هذا الكرسي هكذا، فكيف العرش، فأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الآية. قال الحافظ السيوطي في «الإتقان» ج ١ ص ٣٤: الحديث في «الصحيح» بلفظ: فتلا رسول الله ﷺ وهو أصوب، فإنَّ الآية مكية.

وأقول: لفظ تلا، الواقع في «الصحيح»: لا ينافي أنها نزلت، ثم تلاها الرسول ﷺ، وأما كونها مكيةً، فإن ثبت نزولها؛ أعني هذه الآية بمكة.. فلا مانع من نزولها مرتين، وإن لم يثبت نزولها بمكة بالسند الصحيح.. فقد تكون السورة مكية، إلا آية. والله أعلم.

التفسير وأوجه القراءة

ولما ذكر سبحانه ما ذكره من الوعيد.. عقّبة بذكر سعة رحمته، وعظيم مغفرته، وأمر رسوله ﷺ أن يبشرهم بذلك، فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد، تبشيراً لعبادي بسعة رحمتي: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ وأفرطوا وجاوزوا الحد في الجناية. ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بالانهماك في المعاصي، وارتكاب الكبائر والفواحش: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟﴾ ولا تيأسوا ﴿مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ سبحانه ومغفرته، فهو يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب إليه، ولجأ إلى جنابه، وإن كثرت ذنوبه، وكانت كزبد البحر.

وقرأ الجمهور: ﴿يَٰعِبَادِىَ﴾ بإثبات الياء وصلاً ووقفاً. وروى أبو بكر عن عاصم: أنه يقف بغير ياء، وقرأ الجمهور: ﴿تَقْنَطُوا۟﴾ بفتح النون، وقرأ أبو عمرو والكسائي: بكسرها، وتعدية[1] الإسراف بـ﴿عَلَىٰٓ﴾؛ لتضمين معنى الجناية، قال البيضاوي ومن وافقه: إضافة العبادة تخصّصه بالمؤمن على ما هو عرف القرآن، يقول الفقير: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ ينادى على خلافه؛ لأن العباد فسر هناك ببختنصر وقومه، وكانوا كفاراً بالاتفاق، إلا أن يدعى الفرق بين الإضافة بالواسطة وبغيرها، وقال في «الوسيط»: المفسرون كلهم قالوا: إن هذه الآية نزلت في قوم خافوا إن أسلموا أن لا يغفر لهم ما جنوا من الذنوب العظام، كالشرك، وقتل النفس والزنا ومعاداة النبي ﷺ والقتال معه،

---

(١) روح البيان.

فأنزل الله هذه الآية، ورآها أصحابه من أوسع الآيات في مغفرة الذنوب. انتهى.
وعلى كل تقدير، فخصوص السبب لا ينافي عموم اللفظ، فدخل فيه كل مسرف.

واعلم[1]: أن هذه الآية أرجى آيةٍ في كتاب الله سبحانه؛ لاشتمالها على أعظم بشارة، فإنه أولاً أضاف العباد إلى نفسه، لقصد تشريفهم ومزيد تبشيرهم، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي، والاستكثار من الذنوب، ثم عقب ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب، فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين، من باب الأولى، وبفحوى الخطاب.

وبعد أن نهاهم عن القنوط.. أخبرهم بما يدفع ذلك ويرفعه، فيحل الرجاء مكانه، وجاء بما لا يبقى بعده شك، ولا يخالج القلب عند سماعه ظن، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ﴾؛ أي: أفراد جنس الذنوب حال كونها، ﴿جَمِيعًا﴾ فالألف واللام فيه: لاستغراق أفراد الجنس؛ أي: إن الله سبحانه يغفر كل ذنب، كائناً ما كان، إلا ما أخرجه النص القرآني، وهو الشرك بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

فيا لها من بشارةٍ ترتاح لها قلوب المؤمنين، المحسنين ظنهم بربهم، الصادقين في رجائه، الخالعين ثياب القنوط، البعيدين عن سوء الظن بمن لا يتعاظمه ذنب، ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده، المتوجهين إليه في طلب العفو، الملتجئين به في مغفرة ذنوبهم.

ثم ذكر علة ذلك، فقال: ﴿إِنَّهُۥ﴾ سبحانه ﴿هُوَ﴾ وحده ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ بمحو ما يوجب العقاب عمن تاب ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بالتفضّل بالثواب له؛ أي: كثير المغفرة والرحمة، عظيمهما وبليغهما واسعهما، وصيغة[2] المبالغة: راجعة إلى كثرة الذنوب، وكثرة المغفور والمرحوم.

فمن أبى هذا الفضل العظيم، والعطاء الجسيم، وظن أن تقْنيط عباد الله، وتَأْيِيْسهم من رحمته، أولى بهم مما بشرهم الله به.. فقد ركب أعظم الشطط، وغلط أقبح الغلط، فإن التبشير هو الذي جاءت به نصوص الكتاب، وهو المسلك

---

(١) الشوكاني. (٢) روح البيان.

الذي سلكه رسول الله ﷺ، كما صح عنه من قوله: «يسروا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفّروا».

وروى أحمد عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ: قال: «ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية»: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ إلى آخر الآية، فقال رجل: يا رسول الله، فمن أشرك، فسكت رسول الله ﷺ، ثم قال: «ألا ومن أشرك» ثلاثَ مرات.

وروى أحمد أيضاً عن عمرو بن عنبسة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء إلى النبي ﷺ شيخ كبير، يتوكأ على عصاً له، فقال: يا رسول الله، إن لي غدراتٍ وفجرات، فهل يغفر لي؟ فقال ﷺ: «ألست تشهد أن لا إله إلا الله»؟ قال: بلى، وأشهد أنه رسول الله، فقال ﷺ: «قد غفر لك غدراتك وفجراتك».

وروى البخاري عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن ناساً من أهل الشرك، كانوا قد قتلوا وزنوا فأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ، فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ ونزل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ والمراد من الآية الأولى قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا...﴾ الآية.

فهذه الأحاديث كلها دالة على أن المراد: أنه يغفر جميع ذلك مع التوبة، والإخلاص في العمل، ولا يقنطنّ عبد من رحمة الله، فإن باب الرحمة واسع، كما قال عز وجل: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾.

وروى الطبراني من طريق الشعبي عن سنيد بن شكل، أنه قال: سمعت ابن مسعود يقول: إن أعظم آيةٍ في كتاب الله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، وإن أجمع آيةٍ في القرآن بخير وشر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾، وإن أكثر آيةٍ في القرآن فرجاً في سورة الغرف: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ وإن أشد آيةٍ في كتاب الله تفويضاً: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ فقال له مسروق: صدقت.

فإن قلت[1]: حمل هذه الآية على ظاهرها يكون إغراء بالمعاصي، وإطلاقاً في الإقدام عليها، وذلك لا يمكن.

قلت: المراد منها: على أنه لا يجوز أن يظن العاصي أنّه لا مخلص له من العذاب، فإن من اعتقد ذلك.. فهو قانط من رحمة الله تعالى، إذ لا أحد من العصاة إلا ومتى تاب.. زال عقابه، وصار من أهل المغفرة والرحمة، فمعنى أن الله يغفر الذنوب جميعاً؛ أي: إذا تاب، وصحت التوبة.. غفرت ذنوبه، ومن مات قبل أن يتوب.. فهو موكول إلى مشيئة الله تعالى، فإن شاء.. غفر له، وعفا عنه، وإن شاء.. عذّبه بقدر ذنوبه، ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته، فالتوبة واجبة على كل أحد، وخوف العذاب مطلوب، فلعل الله تعالى يغفر مطلقاً، ولعله يعذّب ثم يعفو بعد ذلك، والله أعلم.

قال الشوكاني[2]: وأما ما يزعمه جماعة من المفسرين، من تقيد هذه الآية بالتوبة، وأنها لا تغفر إلا ذنوب التائبين، وزعموا أنهم قالوا ذلك: للجمع بين الآيات.. فهو جمع بين الضب والنون، وبين الملاح والحادي، ولو كانت هذه البشارة العظيمة مقيدة بالتوبة.. لم يكن لها كثير موقع، فإن التوبة من المشرك يغفر الله له بها ما فعله من الشرك بإجماع المسلمين، وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ فلو كانت التوبة قيداً في المغفرة لم يكن للتنصيص على الشرك فائدة، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ﴾ انتهى.

وقال البروسوي في «الروح»: واعلم[3]: أن أهل السنة لم يشترطوا التوبة في غفران الذنوب مطلقاً؛ أي: سواء كانت كبائر أو صغائر، سوى الشرك. ودل عليه آثار كثيرة.

روي: أن الله تعالى يقول يوم القيامة لبعض عصاة المؤمنين: «سترتها عليك في الدنيا»؛ أي: الذنوب «وأنا أغفرها لك اليوم» فهذا وأمثاله يدل على المغفرة بلا توبة. والفرق بين الشرك وسائر المعصية: هو أن الكافر لا يطلب العفو والمغفرة

---

(١) الخازن. (٢) الشوكاني. (٣) روح البيان.

لمعاصيه، اهـ.

وبعد أن وعد سبحانه بالمغفرة أمر بشيئين:

١ـ الإنابة إليه بقوله: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ﴾ يا عبادي وارجعوا ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ سبحانه، بالتوبة من المعاصي ﴿وَأَسْلِمُواْ﴾؛ أي: أخلصوا العمل ﴿لَهُۥ﴾؛ أي: لوجهه طلباً لمرضاته، فإن السالم بمعنى الخالص، ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾؛ أي: لا تمنعون من عذاب الله إن لم تتوبوا قبل نزوله، والظاهر من آخر الآية: أن الخطاب للكفار، فالمعنى: فارجعوا أيها الناس من الشرك إلى الايمان، وأخلصوا له تعالى التوحيد.

وفي «الأسئلة المقحمة»: الفرق بين التوبة والإنابة: أن التائب يرجع إلى الله تعالى خوفاً من العقوبة، والمنيب يرجع حياءً منه، وشوقاً إليه، قال إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله ـ: إذا صدق العبد في توبته.. صار منيباً؛ لأن الإنابة ثاني درجة التوبة.

وفي «التأويلات النجمية»: التوبة لأهل البداية، وهي الرجوع من المعصية إلى الطاعة، والأوبة للمتوسط، وهي الرجوع من الدنيا إلى الآخرة، والإنابة لأهل النهاية، وهي الرجوع مما سوى الله إلى الله، بالفناء في الله تعالى، وقال الجنيد رحمه الله: معنى أنيبوا إلى الله: انقطعوا عن الكل بالكلية، فما يرجع إلينا بالحقيقة أحد، ولا للغير عليه أثر، وللأكوان على سره خطر، ومن كان لنا كان حراً مما سوانا. اهـ.

والظاهر: أن الله سبحانه جمع لعباده بين التبشير العظيم، والأمر بالإنابة إليه، والإخلاص له، والاستسلام لأمره والخضوع لحكمه.

والمعنى[1]: أيها الناس، أنيبوا إلى ربكم بالتوبة، وارجعوا إليه بالطاعة، واستجيبوا إلى ما دعاكم إليه من توحيده، وإفراده بالألوهية، قبل أن يأتيكم العذاب، ثم لا تجدوا نصيراً ولا معيناً من عذابه النازل بكم.

٢ـ اتباع الأحسن بقوله: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾؛ أي: أحكم

---

(١) المراغي.

ومحكم ما أنزل إليكم ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ سبحانه، دون منسوخه ومتشابهه، أو عزائمه دون رخصه.

وقيل: العفو دون الانتقام، وقيل: أحسن ما أنزل إليكم من أخبار الأمم الماضية، وقال الحسن: الزموا طاعته، واجتنبوا معصيته، فإن الذي أنزل عليكم من ثلاثة أوجه، ذكر القبيح لتجتنبوه، وذكر الأحسن لتؤثروه، وذكر الأوسط لئلا يكون عليكم جناح في الإقبال عليه، أو الإعراض عنه، وهو المباحات.

وفي «فتح الرحمن»[1]: إن قلت: كيف قال: ذلك مع أن القرآن كله حسن؟.

قلت: معناه أحسن وحي، أو أحسن كتاب أنزل إليكم، وهو القرآن كله، أو أحسن القرآن آياته المحكمات، أو آياته التي تضمنت أمر طاعة، أو إحسان انتهى.
أي: واتبعوا ما أمركم به ربكم في تنزيله، واجتنبوا ما نهاكم عنه فيه ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ﴾؛ أي: البلاء والعقوبة ﴿بَغْتَةً﴾؛ أي: فجأة، ويجوز أن يكون المراد بالعذاب الآتي بغتة هو الموت؛ لأنه مفتاح العذاب الأخروي، وطريقه، ومتصل به ﴿وَأَنتُمْ﴾ لغفلتكم؛ أي: والحال أنكم لغفلتكم ﴿لَا تَشْعُرُونَ﴾؛ أي: لا تدركون بالحواس مجيئه؛ لتتداركوا وتتأهّبوا؛ أي: من قبل أن يفاجئكم العذاب وأنتم غافلون عنه، لا تشعرون به، وقيل[2]: أراد أنهم يموتون بغتة فيقعون في العذاب، والأول أولى؛ لأنّ الذي يأتيهم بغتة هو العذاب في الدنيا بالقتل والأسر والقهر والخوف والجدب، لا عذاب الآخرة ولا الموت؛ لأنه لم يسند الإتيان إليه، ولما خوّفهم بالعذاب.. ذكر علّة ذلك فقال:

١- ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ مفعول لأجله[3] للأفعال السابقة، التي هي الإنابة والإخلاص واتباع القرآن، والتنكير في ﴿نَفْسٌ﴾؛ لأن القائل بعض الأنفس، أو للتكثير والتعميم؛ ليشيع في كل النفوس.

والمعنى: افعلوا ما ذكر من المأمورات؛ يعني أمرتكم به كراهية أن تقول كل

---

(١) فتح الرحمن.
(٢) الشوكاني.
(٣) روح البيان.

نفس أو بعض الأنفس ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾ بالألف بدلاً من ياء الإضافة؛ إذ أصله يا حسرتي، تقول العرب: يا حسرتي يا لهفي، ويا حسرتا ويا لهفا، ويا حسرتاي ويا لهفاي، بالجمع بين العوضين، تقول هذه الكلمة في نداء الاستغاثة، كما في «كشف الأسرار» والحسرة: الغم على ما فاته، والندم عليه، كأنه انحسر الجهل عنه، الذي حمله على ما ارتكبه، وقال بعضهم الحسرة: أن تأسف النفس أسفاً تبقى منه حسيرة؛ أي: منقطعة.

والمعنى: يا حسرتي ويا ندامتي احضري، فهذا أوان حضورك لأتعجب منك.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾ بالألف بدلاً من الياء المضاف إليها، والأصل: يا حسرتي، وقرأ أبو جعفر: ﴿ياحسرتي﴾ بالياء على الأصل، وقرأ ابن كثير: ﴿ياحسرتاه﴾ بهاء السكت وقفاً.

﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾؛ أي: على تفريطي وتقصيري، فـ﴿مَا﴾ مصدرية. ﴿فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في جانبه وحقه، وهو طاعته وإقامة حقّه، وسلوك طريقه، وقيل في أمره، وحدّه الذي حده لنا. ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ ﴿إِنَّ﴾ هي[2] المخففة، و﴿اللام﴾: هي الفارقة، والسخر: الاستهزاء، ومحل الجملة: النصب على الحال، والمعنى: فرطت، والحال أني كنت في الدنيا من المستهزئين بدين الله، وأهله، قال قتادة: لم يكفهم ما ضيعوا من طاعة الله تعالى، حتى سخروا بأهل طاعته.

والخلاصة[3]: بادروا إلى العمل، واحذروا أن تقول بعض الأنفس يا حسرتا على تقصيري في طاعة الله، وسخريتي واستهزائي بدين الله وكتابه وبرسوله وبالمؤمنين.

٢ـ ﴿أَوۡ تَقُولَ﴾ نفس ﴿لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي﴾ بالإرشاد إلى الحق، ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ من الشرك والمعاصي.

والمعنى: أي أو تقول لو أن الله أرشدني إلى دينه وطاعته.. لكنت ممن اتقى

---

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

الله، فترك الشرك والمعاصي، وفي الخبر: «ما من أحد من أهل النار يدخل النار حتى يرى مقعده من الجنة، فيقول: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ فيكون عليه حسرةً، وهذا من جملة ما يحتج به المشركون من الحجج الزائفة، ويتعلّلون به من العلل الباطلة، كما في قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ فهي كلمة حق يريدون بها باطلاً.

٣ - ﴿أَوْ تَقُولَ﴾ نفس ﴿حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ﴾ عياناً ومشاهدةً ﴿لَوْ﴾ للتمني ﴿أَنَّ لِى كَرَّةً﴾؛ أي: رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ﴾ بالنصب في جواب التمني؛ أي: أتمنى كون كرة ورجعة لى إلى الدنيا، فكوني ﴿مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في العقيدة والعمل.

وخلاصة ذلك: أنّ هذا المقصر تحسر على التفريط في الطاعة، وفقد الهداية، ثم تمنى الرجعة إلى الدنيا؛ لتدارك ما فات، وكلمة أو في مواضعها للدلالة على أنها لا تخلو النفس عن هذه الأقوال، تحيراً وتعللاً بما لا طائل تحته، وندماً حيث لا ينفع الندم، وقيل: إن قوماً يقولون هذا، وقوماً يقولون ذاك.

فأجابها سبحانه بقوله: ﴿بَلَىٰ...﴾ إلخ.

فإن قلت[1]: كلمة ﴿بَلَىٰ﴾ مختصة بإيجاب النفي، ولا نفي في واحدة من تلك المقالات.

قلت: إنها رد للثانية، وكلمة ﴿لَوْ﴾ تتضمن النفي؛ لأنها لامتناع الثاني لامتناع الأول؛ أي: لو أن الله هداني.. لكنت من المتقين، ولكن ما هداني، فقال تعالى: بلى قد هديتك.

﴿قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى﴾ التنزيلية القرآنية، وهي سبب الهداية، وفصله عن قوله: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ لما أن تقديمه على الثالث يفرّق القرائن الثلاث التي دخلها أَوْ﴾، وتأخير ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى...﴾ إلخ. يخل بالترتيب الوجوديّ؛ لأنه يتحسر بالتفريط عند تطاير الكتب، ثم يتعلل بفقد الهداية عند مشاهدة أحوال المتقين واغتباطهم، ثم يتمنّى الرجعة عند الاطلاع على النار، ورؤية العذاب، وتذكير[2]

---

(١) روح البيان.

الخطاب في قوله: ﴿جَآءَتۡكَ﴾ و﴿كذبت﴾ و﴿استكبرت﴾ و﴿كنت﴾ باعتبار معنى النفس، وهو الإنسان؛ لأن النفس تطلق على المذكر والمؤنث، قال المبرّد: تقول العرب: نفس واحد؛ أي: إنسان واحد، وبفتح التاء في هذه المواضع قرأ الجمهور، وقرأ الجحدري وأبو حيوة ويحيى بن يعمر والزعفراني وابن مقسم ومسعود بن صالح والشافعي عن ابن كثير ومحمد بن عيسى باختياره ونصير والعبسي: بكسرها في جميعها، وهي قراءة أبي بكر الصديق وابنته عائشة وأم سلمة، ورويت عن ابن كثير، وروت القراءتين أم سلمة عن النبي ﷺ، وقرأ الحسن والأعرج والأعمش: ﴿جَأَتْكَ﴾ بالهمزة من غير مد، وهو مقلوب من ﴿جاءتك﴾، قدمت لام الكلمة وأخرت العين، فسقطت الألف، كما سقطت في رمت ﴿فَكَذَّبۡتَ بِهَا﴾؛ أي: قلت: إنها ليست من عند الله تعالى ﴿وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ﴾؛ أي: تعظمت عن الإيمان بها ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ والجاحدين بها.

والمعنى[1]: أي إنه لا فائدة في شيء من تلك المقالات، فقد جاءتك آياتي في الدنيا على لسان رسولي الذي أرسلته إليك، وفي كتابي الذي يتلوه عليك، ويذكّرك بما فيه من وعد ووعيد، وتبشير وإنذار، فكذبت بها واستكبرت عن قبولها، وكنت ممن يعمل عمل الكافرين، ويستنّ بسنّتهم، ويتّبع مناهجهم.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي﴾ من الأنبياء ومعجزاتهم، والكتب وحكمها ومواعظها وأسرارها وحقائقها ودقائقها وإشاراتها ﴿فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ﴾ عن اتباعها، والقيام بشرائطها ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: كافري النعمة، بما أنعم الله به عليك من نعمة وجود الأنبياء، وإنزال الكتب، وإظهار المعجزات.

﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ لرب العالمين ﴿تَرَى﴾ وتبصر أو تعلم يا محمد ﴿ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى بأن وصفوه بما لا يليق بشأنه، كاتخاذ الولد والصاحبة والشريك حال كونهم ﴿وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ﴾ لما أحاط بهم من العذاب، وشاهدوه من غضب الله ونقمته، وقوله: ﴿وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ﴾: متبدأ وخبر، والجملة: حال[2] قد اكتفي فيها بالضمير عن الواو، على أن الرؤية بصرية، أو مفعول ثان لها على أنها

---

(١) الشوكاني. (٢) المراغي. (٣) روح البيان.

عرفانية.

والمعنى: تراهم يا محمد، أو أيها المخاطب حال كونهم مسودّي الوجوه، أو تراهم مسودّي الوجوه بما ينالهم من الشدة، أو بما يتخيّل من ظلمة الجهل والكفر سواداً مخالفاً لسائر أنواع السواد، هو سواد يدل على الجهل بالله، والكفر به، والكذب عليه.

وقرىء ﴿وجوههم مسودة﴾ بنصبهما فـ﴿وجوههم﴾: بدل بعض من كل، و قرأ أبي: ﴿أجوههم﴾ بإبدال الواو همزة.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن يوم القيامة تكون الوجوه بلون القلب، فالقلوب الكاذبة لما كانت مسودة بسواد الكذب، وظلمة الكفر.. تلونت وجوههم بلون القلوب. انتهى.

والاستفهام في قوله: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾؛ أي: مقام ومنزل، ﴿لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عن الإيمان والطاعة، للتقرير؛ أي: لهم مقام ومنزل في نار جهنم، خالدين مخلدين فيها أبد الآباد، وهو إشارة إلى قوله: ﴿وَاسْتَكْبَرْتَ﴾. والكبر: هو بطر الحق، وغمط الناس، كما ثبت في الحديث الصحيح.

ومعنى الآية[1]: أي وترى أيها الرسول يوم القيامة وجوه الذين كذبوا على الله، فزعموا أن له ولداً، وأن له شريكاً، وعبدوا آلهةً من دونه، مجللةً بالسواد، لما أحاط بها من الكآبة والحزن الذي علاها، والغم الذي لحقها.

ثم علل هذا وأكده بقوله: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾؛ أي: أليست النار كافيةً لهم سجناً وموئلاً، ولهم فيها الخزي والهوان بسبب تكبرهم وإبائهم عن الانقياد للحق، وعن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ وسلم: «يحشر المتكبرون يوم القيامة كالذر، يلحقهم الصغار، حتى يؤتى بهم إلى سجن جهنم».

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى من عذاب جهنم ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك والمعاصي حال كونهم متلبسين ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ وظفرهم بالمطلوب الذي هو النعيم المقيم، والمفازة[2]: مصدر ميمي بمعنى الفوز، كما سيأتي، والفوز: الظفر

---

(١) المراغي.

بالمطلوب مع السلامة من المكروه، و﴿الباء﴾: متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول، مفيدة لمفازة تنجيتهم من العذاب لنيل الثواب؛ أي: ينجيهم الله سبحانه من مثوى المتكبرين، حال كونهم متلبسين بفوزهم بمطلوبهم الذي هو الجنة.

وروي عن النبي ﷺ تفسير هذه الآية من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «يحشر الله مع كل امرىءٍ عمله، فيكون عمل المؤمن معه في أحسن صورة وأطيب ريح، فكلما كان رعب أو خوف.. قال له: لا ترع، فما أنت بالمراد به، ولا أنت المعني به، فإذا كثر ذلك عليه.. قال: فما أحسنك، فمن أنت؟ فيقول: أما تعرفني، أنا عملك الصالح، حملتني على ثقلي، فوالله لأحملنك ولأدفعنّ عنك، فهي التي قال الله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾.

ثم بين هذه المفازة بقوله: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ والجملة: حال أخرى من الموصول، مفيدة لكون نجاتهم وفوزهم بالجنة غير مسبوقة بمساس العذاب والحزن؛ أي: ينجيهم الله سبحانه من مثوىٰ المتكبرين، حال كونهم متلبسين بفوزهم بمطلوبهم الذي هو الجنة، وحالة كونهم غير مسبوقين بمساس السوء والعذاب في أبدانهم، وبمساس الحزن والغمّ في قلوبهم أي: لا يمسهم[1] أذى جهنم، ولا يحزنون على ما فاتهم من مآب الدنيا، إذ هم قد صاروا إلى ما هو خير منه؛ نعيم مقيم في جنات تجري من تحتها الأنهار، ورضوان من الله أكبر.

وخلاصة ذلك: أنهم أمِنوا من كل فزع، وبعدوا من كل شرّ، وفازوا بكل خير ومسرة.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ على الإفراد، والسلمي والحسن والأعرج والأعمش وحمزة والكسائي وأبو بكر: على الجمع، من حيث إن النجاة أنواع والأسباب مختلفة، وقال أبو علي: المصادر تجمع إذا اختلفت أجناسها، كقوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾، وقال الفراء: كلا القراءتين صواب، تقول قد تبين أمر الناس، وأمور الناس.

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي. (٣) البحر المحيط.

﴿ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ ومبدع كل مخلوق من خير وشر، وإيمان وكفر، لكن لا بالجبر، بل بمباشرة الكاسب لأسبابها.

قال في «التأويلات النجمية»: دخل أفعال العباد وأكسابهم في هذه الجملة، ولا يدخل هو وكلامه فيها؛ لأن المخاطب لا يدخل تحت الخطاب، ولأنه تعالى يخلق الأشياء بكلامه، وهو كلمة ﴿كن﴾ الموجودة في الدنيا والآخرة، كائناً ما كان، من غير فرق بين شيء وشيء.

﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ يتولى التصرف فيه كيفما يشاء؛ أي: الأشياء كلها موكولة إليه تعالى، فهو القائم بحفظها وتدبيرها من غير مشارك له، والوكيل[1]: هو القائم على الأمر، الزعيم بإكماله، والله تعالى هو المستكفل بمصالح عباده، والكافي لهم في كل أمر، ومن عرف أنه الوكيل.. اكتفى به في كل أمره، فلم يدبر معه، ولم يعتمد إلا عليه.

وخاصية هذا الاسم: نفي الجوائح والمصائب، فمن خاف ريحاً أو صاعقة أو نحوهما فليكثر من ذكره، فإنه يصرف عنه، ويفتح له أبواب الخير والرزق.

والمعنى: أي وهو سبحانه القائم على كل الأشياء، يتولاها بحراسته وحفظه بحسب ما تقتضيه المصلحة، فهي محتاجة إليه في بقائها، كما هي محتاجة إليه في وجودها.

ثم فصل ذلك بعض التفصيل، فقال: ﴿لَّهُۥ﴾ سبحانه وحده لا لغيره ﴿مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ جمع مقليد، أو مقلاد، كما سيأتي. وهو المفتاح؛ أي: له تعالى وحده مفاتيح خزائن العالم العلوي والسفلي، لا يتمكن من التصرف فيها غيره؛ أي: هو حافظ الخزائن ومدبّرها ومالك مفاتيحها، فله التصرف في كل شيء مخزون فيها.

والخلاصة: هو القادر عليهما، والحافظ لهما.

وقال قتادة ومقاتل: له مفاتيح السموات والأرض، بالرزق والرحمة، وقال الكلبي: له خزائن السموات بالمطر، وخزائن الأرض بالنبات، وروي أنه سأل

---

(١) روح البيان.

عثمان ـ رضي الله عنه ـ رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فقال: «يا عثمان، ما سألني عنها أحد قبلك، مقاليد السموات والأرض: «لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، بيده الخير، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير».

والمعنى على هذا: إن لِلَّه هذه الكلمات، يوحد بها ويمجد بها، وهي مفاتيح خير السموات والأرض، من تكلم بها.. أصابَهُ خيرهما، أخرجه أبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ـ سبحانه ـ التنزيلية والتكوينية، المنصوبة في الآفاق والأنفس، الناطقة بكونه تعالى خالقاً للأشياء كلها، وكونه مالكاً مقاليد السموات والأرض بأسرها. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ خسراناً[1] لا خسران وراءه؛ لأنهم اختاروا العقوبة على الثواب، وفتحوا أبواب نفوسهم بمفتاح الكفر والنفاق، نسأل الله سبحانه أن يجعلنا ممن ربحت تجارته، لا ممن خسرت صفقته.

قال البيضاوي[2]: وهذا كلام متصل بقوله: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ وما بينهما: اعتراض للدلالة على أنه مهيمن على العباد، مطلع على أفعالهم، مجاز عليها، وتغيير النظم للأشعار بأن العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله، وفي هلاك الكافرين بأن خسروا أنفسهم، وللتصريح بالوعد، والتعريض بالوعيد قضية للكرم، أو بما يليه، والمراد بآيات الله، دلائل قدرته واستبداده بأمر السموات والأرض، أو كلمات توحيده وتمجيده، وتخصيص الخسار بهم؛ لأن غيرهم ذو حظ من الرحمة والثواب. انتهى.

والهمزة في قوله: ﴿قُلْ﴾ أيها الرسول ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ للاستفهام الإنكاري[3] التوبيخي، داخلة على محذوف، كنظائره فيما سبق، و﴿الفاء﴾: عاطفة على المحذوف، و﴿غيرَ الله﴾: منصوب بـ﴿أَعْبُدُ﴾، و﴿أَعْبُدُ﴾: معمول لـ﴿تَأْمُرُوٓنِّىٓ﴾ على تقدير أن المصدرية، فلما حذفت.. بطل عملها،

---

(١) روح البيان. (٢) البيضاوي. (٣) الشوكاني.

والتقدير: قل يا محمد لمشركي قومك، الداعين لك إلى عبادة الأصنام، القائلين لك: هو دين آبائك: أتدعونني إلى عبادة الأصنام بعد مشاهدة هذه الآيات، وتأمرونني أن أعبد غير الله أيها الجاهلون، ويجوز أن يكون ﴿غير﴾ منصوباً بفعل مقدر؛ أي: فتلزمونني غير الله؛ أي: عبادة غير الله، أو أعبد غير الله أعبد، ويجوز أن يكون ﴿غير﴾ منصوباً بـ﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾، و﴿أَعْبُدُ﴾ بدل اشتمال منه، وأن مضمرة معه أيضاً، أمره الله سبحانه أن يقول هذا للكفار، لما دعوه إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام، وقالوا: هو دين آبائك.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾ بإدغام النون في نون الوقاية، وسكون الياء وفتحها ابن كثير، وقرأ ابن عامر: ﴿تأمرونني﴾ بنونين على الأصل. ونافع: ﴿تأمروني﴾ بنون واحدة مكسورة وفتح الياء، قال ابن عطية: وهذا على حذف النون الواحدة، وهي الموطئة لياء المتكلم، ولا يجوز حذف النون الأولى، وهو لحن؛ لأنها علامة رفع الفعل. انتهى. وفي المسألة خلاف: منهم من يقول: المحذوفة نون الرفع، ومنهم من يقول: نون الوقاية، وليس بلحن؛ لأن التركيب متفق عليه. والخلاف جرى في أيهما حذف، ونختار أنها نون الرفع، ولما كان الأمر بعبادة غير الله لا يصدر إلا من غبي جاهل.. ناداهم بالوصف المقتضي ذلك، فقال: ﴿أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾.

والمعنى[2]: أي قل أيها الرسول الكريم لمشركي قومك، الداعين لك إلى عبادة الأصنام، والقائلين لك: هو دين آبائك: أفتأمروني أيها الجاهلون بعد مشاهدتي الآيات الدالة على تفرده سبحانه وتعالى بالألوهية، أن أعبد غيره، والعبادة لا تصلح لشيء سواه.

روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن قريشاً دعت رسول الله ﷺ أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، ويطَؤُوون عقبه؛ أي: يغطون دعوته ويزيلونها، وقالوا: هذا لك يا محمد، وتكف عن شتم آلهتنا، ولا تذكرها بسوء، قال: حتى أنظر ما يأتيني من ربي، فنزل: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ إلى آخر السورة، ونزل: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾

---

(١) البحر المحيط.
(٢) المراغي.

إلى قوله: ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. وعنه أيضاً: أن المشركين من جهلهم، دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة آلهتهم، وهم يعبدون معه إلهه.

ثم بين أنه حذّر وأنذر عباده من الشرك، بلسان جميع الأنبياء، فقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ أيها الرسول ﴿وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾؛ أي: من الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام.

﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ فرضاً، وإفراد[1] الخطاب، باعتبار كل واحد من الأنبياء، كأنه قيل: أوحي إليك وإلى كل واحد من الأنبياء هذا الكلام، وهو: لئن أشركت ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾؛ أي: ليبطلن ثواب عملك، وإن كنت كريماً علي. ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ في صفقتك، بسبب حبوط عملك، و﴿اللام﴾: الأولى: موطئة للقسم، والأخريان: للجواب، وهو كلام وارد على طريقة الفرض، لتهييج الرسل، وإقناط الكفرة، والإيذان بغاية شناعة الإشراك وقبحه، وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن أن يباشره، فكيف بمن عداه؟! وعطف الخسران على الحبوط من عطف المسبب على السبب، قال التفتازاني: فالمخاطب هو النبي ﷺ، وعدم إشراكه مقطوع به، لكن جيء بلفظ الماضي إبرازاً للإشراك في معرض الحاصل على سبيل الفرض والتقدير، تعريضاً لمن صدر عنهم الإشراك، بأنه قد حبطت أعمالهم، وكانوا من الخاسرين.

وقال في «كشف الأسرار»: هذا خطاب مع الرسول ﷺ، والمراد به غيره، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هذا أدب من الله لنبيه ﷺ، وتهديد لغيره؛ لأن الله تعالى قد عصمه من الشرك، ومداهنة الكفار، قال في «فتح الرحمن»: إن قلت: كيف قال ذلك مع أن الموحى إليهم جمع، ولما أوحى إلى من قبله لم يكن في الوحي إليهم خطابه؟. قلت: معناه: ولقد أوحي إلى كل واحد منك ومنهم: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾، أو فيه إضمار نائب الفاعل، تقديره: ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك التوحيد، ثم ابتدأ فقال: و﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾، أو فيه تقديم وتأخير، تقديره: ولقد أوحي إليك: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ وكذلك أوحي إلى الذين من قبلك اهـ «فتح الرحمن».

---

(١) روح البيان.

وقال الشوكاني: هذا الكلام[1] من باب التعريض لغير الرسل؛ لأن الله سبحانه قد عصمهم من الشرك، ووجه إيراده على هذا الوجه: التحذير والإنذار للعباد من الشرك؛ لأنه إذا كان موجباً لإحباط عمل الأنبياء على الفرض والتقدير.. فهو محبط لعمل غيرهم من أممهم بطريق الأولى، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: ولقد أوحي إليك: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ وأوحي إلى الذين من قبلك كذلك، قال مقاتل؛ أي: أوحي إليك وإلى الأنبياء قبلك بالتوحيد، والتوحيد: محذوف، ثم قال: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ يا محمد ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾، وهو خطاب للنبي ﷺ خاصة. انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الإنسان ولو كان نبياً، لئن وكل إلى نفسه.. ليفتحن بمفتاح الشرك والرياء أبواب خزائن قهر الله على نفسه، وليحبطن عمله، بأن يلاحظ غير الله بنظر المحبة، ويثبت معه في الإبداع سواه.

ومعنى الآية[2]: أي ولقد نزل عليك الوحي من ربك، بأنه إذا حصل منك إشراك به، بعبادة صنم أو وثن.. ليبطلنّ كل عمل لك من أعمال الخير، كصلة رحم وبر ببائس فقير، ولا تنالنَّ به ثواباً ولا جزاءً، ولتكونن ممن خسروا حظوظهم في الدنيا والآخرة، وأوحي إلى الرسل من قبلك بمثل هذا.

وقرأ الجمهور: ﴿لَيَحْبَطَنَّ﴾ بالبناء للفاعل ﴿عَمَلُكَ﴾ رفع به، وقرىء: ﴿لَيُحبِطن﴾ بضم الياء من أحبط علمه ﴿عملَك﴾ بالنصب؛ أي: ليحبطن الله عملك، أو الإشراك عملك، وقرىء ﴿لنُحبطن﴾ بالنون ﴿عملك﴾ بالنصب، فاحذر أن تشرك بالله شيئاً، فتهلك، وهذا كلام سيق على سبيل الفرض والتقدير، لتهييج المخاطب المعصوم، وللإيذان بشناعة الإشراك وقبحه، حتى لينهى عنه من لا يكاد يفعله، فكيف بغيره؟ والحكم بحبوط عمل المشرك في الآخرة، مقيّد بما إذا مات وهو كذلك، بدليل قوله في الآية الأخرى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾.

ثم رد عليهم ما أمروه به من عبادة الأصنام، وأمره بعبادته وحده، فقال: ﴿بَلِ

---

(١) الشوكاني. (٢) المراغي.

بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ و﴿الفاء﴾ فيه واقعة في جواب الشرط المحذوف، تقديره: لا تعبد ما أمرك الكفار بعبادته، بل إن عبدت فاعبد الله دون ما سواه من الأنداد والأوثان، فحذف الشرط، وأقيم المفعول مقامه، ووجه الرد: ما يفيده التقديم من القصر، قال الزجاج: و﴿الفاء﴾ في ﴿فَٱعۡبُدۡ﴾ للمجازاة، وقال الأخفش: زائدة، وقال عطاء ومقاتل: معنى ﴿فَٱعۡبُدۡ﴾: وحد؛ لأن عبادته لا تصح إلا بتوحيده. ﴿وَكُن﴾ يا محمد ﴿مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ ربك على إنعامه عليك بما هداك إليه من التوحيد والعبادة والدعاء إلى دينه، وكذا النبوة والرسالة الحاصلتان بفضله وكرمه، لا بسعيك وعملك.

وقرأ عيسى: ﴿بل اللهُ﴾ بالرفع، والجمهور: بالنصب.

واعلم: أن الشكر على ثلاث درجات[1]:

الأولى: الشكر على المحابِّ، وقد شاركت المسلمين في هذا الشكر اليهود والنصارى والمجوس.

والثانية: الشكر على المكارهِ، وهذا الشاكر أول من يدعى إلى الجنة؛ لأن الجنة حفت بالمكاره.

والثالثة: أن لا يشهد غير المنعم، فلا يشهد النعمة ولا الشدة، وهذا الشهود والتلذذ به أعلى اللذات؛ لأنه في مقام السر، فالعاقل يجتهد في الإقبال على الله والتوجه إليه، من غير التفات إلى يمين وشمال.

ثم أكد ما سلف بقوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾؛ أي: ما عظموه سبحانه وتعالى حق تعظيمه، حيث جعلوا له شريكاً، وأمروا رسوله ﷺ بأن يكون مثلهم في الشرك، قال أبو حيان؛ أي: ما عظموه حق تعظيمه، وما قدروه في أنفسهم حق تقديره؛ إذ أشركوا معه غيره، وساووا بينه وبين الحجر والخشب في العبادة، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدره، ولما[2] كان العظيم من الأشياء إذا عرفه الإنسان حق معرفته، وقدّره في نفسه حق تقديره، وعظمه حق تعظيمه. قيل: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾.

---

(١) روح البيان. (٢) النسفي.

وقرأ الأعمش[1]: ﴿حق قدَره﴾ بفتح الدال، وقرأ الحسن وعيسى وأبو نوفل وأبو حيوة: ﴿وما قدَّروا﴾ بتشديد الدال، ﴿حق قدره﴾ بفتح الدال؛ أي: ما عظموه حقيقة تعظيمه، والضمير في ﴿قَدَرُوا﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: إلى كفار قريش، كانت هذه الآية كلها محاورةً لهم، وردًّا عليهم، وقيل: نزلت في قوم من اليهود تكلموا في صفات الله وجلاله، فألحدوا وجسموا، وجاؤوا بكل تخليط.

روى البخاري عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد: إنا نجد في كتابنا أن الله عز وجل يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآية.

وأخرج الشيخان والنسائي وابن ماجه في جماعة آخرين عن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: أن رسول الله ﷺ: قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ وهو يقول هكذا بيده يحركها، يقبل بها ويدبر، يمجد الرب نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم، فرجف برسول الله ﷺ المنبر، حتى قلنا: ليَخِرَّنَّ به.

وفي «التأويلات النجمية»[2]: ما عرفوا الله حق معرفته، وما وصفوه حق وصفه، وما عظموه حق تعظيمه، فمن وصفه بتمثيل أو جنح إلى تعطيل. فقد حاد عن الألسنة المثلى، وانحرف عن الطريقة الحسنى، وصفوا الحق بالأعضاء، وتوهّموا في نعته الأجزاء، فـ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾. انتهى.

ثم نبههم سبحانه على عظمته وجلالة شأنه، فقال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا﴾: حال لفظاً، وتأكيد معنى، ولذا قال أهل التفسير: تأكيد الأرض بالجميع؛ لأن المراد بها: الأرضون السبع، أو جميع أبعاضها البادية والغائرة؛ أي: الظاهرة وغير

---

(١) البحر المحيط.
(٢) التأويلات النجمية.

الظاهرة من باطنها وظاهرها ووسطها، وقوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ﴾: مبتدأ، خبره، قوله: ﴿قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ والجملة الاسمية: حال من لفظ الجلالة في قوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: ما قدروا الله وعظموه حق قدره وعظمته؛ أي: ما عظموه التعظيم اللائق به تعالى، حيث عبدوا معه غيره، حالة كون جميع الأرض مقبوضة، ومملوكة يوم القيامة؛ أي: في ملكه[1] وتصرّفه من غير منازع، يتصرف فيها تصرف الملاك في ملكهم، وأنها؛ أي: جميع الأرضين، وإن عظمن.. فما هنّ بالنسبة إلى قدرته تعالى، إلا قبضة واحدة، ففيه تنبيه على غاية عظمته، وكمال قدرته، وحقارة الأفعال العظام بالنسبة إلى قدرته، ودلالة على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل، من غير اعتبار القبضة حقيقةً ولا مجازاً على ما في «الإرشاد» ونحوه.

وقيل: القبضة[2] المرة من القبض بالكف، والكلام حينئذ على حذف مضاف.

والمعنى: والأرضون جميعاً قبضته؛ أي: ذوات قبضته يقبضهنّ قبضة واحدة؛ يعني أن الأرضين مع عظمهن وبسطهنّ، لا يبلغن إلا قبضة واحدة من قبضاته، كأنه يقبضها قبضة واحدة بكف واحد، وإذا أريد معنى القبضة فظاهر؛ لأن المعنى أن الأرضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة؛ أي: ما عظموه حق تعظيمه، والحال أنه متصف بهذه الصفة، الدالة على كمال القدرة، التي هي غاية العظمة والجلال، فالأرض مع سعتها وبسطها في قبضة الرحمن يوم القيامة.

وقرأ الجمهور: برفع ﴿قَبۡضَتُهُۥ﴾ على أنها خبر المبتدأ، وقرأ الحسن: بنصبها، ووجهه ابن خالويه بأنه على الظرفية؛ أي في قبضته، وقدم الأرض لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقتها، ولما كان في دار الدنيا من يدعي الملك والقهر والعظمة والقدرة دون دار الآخرة فالأمر فيها لله وحده ظاهراً وباطناً.. قال ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ اهـ «خطيب».

وفي «القرطبي»: إنما خص يوم القيامة بالذكر، وإن كانت قدرته عامة وشاملة لدار الدنيا أيضاً؛ لأن الدعاوى تنقطع ذلك اليوم، كما قال: ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾. انتهى.

---

(١) روح البيان. (٢) النسفي.

وقوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ مبتدأ ﴿مَطۡوِيَّٰتُۢ﴾ خبره ﴿بِيَمِينِهِۦٓ﴾ متعلق بـ﴿مَطۡوِيَّٰتُۢ﴾؛ أي: مجموعات وملفوفات ومدرجات بيمينه تعالى يوم القيامة؛ أي: والسموات على سعتها وعظمها مطويات بيمينه، من طويت الشيء طياً؛ أي: أدرجته إدراجاً.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: ما السموات السبع والأرضون السبع في يد الله، إلا كخردلة في يد أحدكم.

والمعنى: أن الأرض جميعاً تحت ملكه يوم القيامة، يتصرف فيها كيف يشاء، ولا يتصرف فيها سواه، والسموات مطويات طي السجل للكتب، بقدرته التي لا يتعاصى معها شيء، وفي هذا رمز إلى أن ما يشركونه معه في الأرض أو في السماء مقهور تحت سلطانه جل شأنه، روى البخاري عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض».

وقال سفيان بن عيينة: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه، فتفسيره تلاوته، والسكوت عليه، وقال ابن كثير: وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية، والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف.

وقال بعضهم: المعنى: والأرض جميعاً قبضته تعالى، يقبضها بشماله يوم القيامة، والسموات مطويات يطويها بيمينه، بدليل مقابلة السماء بالأرض، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقبض الله السموات بيمينه، والأرضين بيده الأخرى، ثم يهزهن ويقول: أنا الملك أين ملوك الأرض». وفيه إشعار بإطلاق اسم الشمال على اليد الأخرى، وهما صفتان ثابتتان لله تعالى، نثبتهما ونعتقدهما بلا تكييف ولا تمثيل، وخص يوم القيامة بالذكر، وإن كانت قدرته شاملة؛ لأن الدعاوى تنقطع فيه، كما قال تعالى: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ كما مر. وقرأ الجمهور[1]: ﴿مَطۡوِيَّٰتُۢ﴾ بالرفع، على أنها خبر المبتدأ، والجملة في محل نصب على الحال، كالتي قبلها، وقرأ عيسى والجحدري؛ بنصب ﴿مطويات﴾،

---

(١) البحر المحيط.

ووجه ذلك: أن ﴿السموات﴾ معطوفة على ﴿وَٱلۡأَرۡضُ﴾، وتكون ﴿قَبۡضَتُهُۥ﴾ خبراً عن ﴿الأرضُ﴾ ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ وتكون ﴿مطوياتٍ﴾ حالاً أو تكون ﴿مطويات﴾ منصوبة بفعل مقدر، و﴿بِيَمِينِهِۦۚ﴾ الخبر.

ثم نزه سبحانه نفسه فقال: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾؛ أي: تنزيهاً له تعالى عن كل ما ينسبونه إليه من الصاحبة والولد، ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾؛ أي: وترفع عن شركة ما يشركونه به من المعبودات التي يعبدونها ويجعلونها شركاء له، مع هذه القدرة العظيمة، والحكمة الباهرة، أي: ما أبعد وما أعلى من هذه قدرته وعظمته عن إشراكهم، أو عما يشركونه به من الشركاء، فما على الأول مصدرية، وعلى الثاني موصولة.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾؛ أي: نفخ إسرافيل في الصور النفخة الأولى، التي هي للإماتة، فالمراد بها: النخفة الأولى، بقرينة النفخة الآتية، التي هي للبعث، والنفخ: نفخ الريح في الشيء، يقال: نفخ بفمه: أخرج منه الريح.

والنفخ في القرآن على خمسة أوجه[1]:

الأول: نفخ جبرائيل عليه السلام في جيب مريم عليها السلام، كما قال تعالى: ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾؛ أي: نفخ جبرائيل في الجيب بأمرنا، فسبحان من أحبل رحم امرأة، وأوجد فيها ولداً بنفخ جبرائيل.

والثاني: نفخ عيسى عليه السلام في الطين، كما قال تعالى: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ وهو الخفاش، فسبحان من حول الطين طيراً بنفخ عيسى عليه السلام.

والثالث: نفخ الله تعالى في طين آدم عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾؛ أي: أمرت الروح بالدخول فيه، والتعلق به، فسبحان من أنطق لحماً، وأبصر شحماً، وأسمع عظماً، وأحيا جسداً بروح منه.

والرابع: نفخ ذي القرنين الحديد في النار، كما قال تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ ٱنفُخُواْۖ﴾الآية، فسبحان من حول قطعة حديد ناراً بنفخ ذي القرنين.

---

(١) روح البيان.

والخامس: نفخ إسرافيل عليه السلام في الصور، كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ فسبحان من أخرج الأرواح من الأبدان بنفخ واحد، كما يطفأ السراج بنفخ واحد، وتوقد النار بنفخ واحد، وسبحان من ردّ الأرواح إلى الأبدان بنفخ واحد، وهذا كله دليل على قدرته التامة العامة.

والصور: قرن من نور، ألقمه الله تعالى إسرافيل، وهو أقرب الخلق إلى الله تعالى، وله جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، والعرش على كاهله، وإن قدميه قد خرجتا من الأرض السفلى، حتى بعدتا عنها مسيرة مائة عام، على ما رواه وهب، وعظم دائرة القرن، مثل ما بين السماء والأرض، وفي «الدرة الفاخرة» للإمام الغزالي: الصور: قرن من نور، له أربع عشرة دائرة، الدائرة الواحدة كاستدارة السماء والأرض، فيه ثقب بعدد أرواح الخلائق، وباقي ما يتعلق بالنفخ والصور قد سبق في سورة الكهف والنمل، فارجع.

وقرأ الجمهور[1]: الصور، بسكون الواو، وقرأ قتادة وزيد بن علي: بفتحها، جمع صورة، قال ابن عطية: والصور هنا: القرن، ولا يتصور هنا غير هذا المعنى، ومن يقول: الصور: جمع صورة، فإنما يتوجه قوله في نفخة البعث، انتهى.

﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: خرّ[2] وسقط ومات جميع من في السموات السبع، وجميع من في الأرضين السبعة؛ أي: خروا أمواتاً من الفزع وشدة الصوت.

وقرىء: ﴿فصُعق﴾ بضم الصاد، والاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ متصل وهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام، فإنهم يموتون من بعد، قال السدي: وضم بعضهم إليهم ثمانية من حملة العرش، فيكون المجموع اثني عشر ملكاً، وآخرهم موتاً ملك الموت، وروى النقاش: أنه جبريل، كما جاء في الخبر: «إن الله تعالى يقول حينئذ: يا ملك الموت، خذ نفس إسرافيل، ثم يقول من بقي، فيقول: بقي جبريل وميكائيل وملك الموت، فيقول خذ نفس ميكائيل، حتى يبقى ملك الموت وجبرائيل، فيقول تعالى: مت يا ملك الموت، فيموت، ثم

---

(١) الشوكاني.
(٢) روح البيان.

يقول يا جبرائيل من بقي، فيقول: تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، وجهك الدائم الباقي وجبرائيل الميت الفاني، فيقول: يا جبرائيل لا بد من موتك، فيقع ساجداً يخفق بجناحيه، فيموت، فلا يبقى في الملك والملكوت حي من إنس وجن، وملك وغيرهم، إلا الله الواحد القهار».

وقال بعض المفسرين: المستثنى الحور والولدان وخزنة الجنة والنار وما فيهما؛ لأنهما وما فيهما خلقاً للبقاء، والموت لقهر المكلّفين، ونقلهم من دار إلى دار، ولا تكليف على أهل الجنة، فتركوا على حالهم بلا موت، وهذا الخطاب بالصعق: متعلق بعالم الدنيا، والجنة والنار عالمان بانفرادهما، خلقا للبقاء، فهما بمعزل عما خلق للفناء، فلم يدخل أهلهما في الآية، فتكون آية الاستثناء مفسرة لقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ وغيرهما من الآيات، فلا تناقض. انتهى.

قلت: وليس في القرآن ولا في صحيح الأخبار ما يدل على تعيين من استثناهم الله تعالى من الصعق والفزع، ومن ثم قال قتادة: لا ندري من هم.

فإن قلت[1]: فما الفرق بين الصعق الذي في هذه الآية، وبين الفزع الذي في آية النمل، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾؟

قلت: لا شك أن الصعق بمعنى الموت غير الفزع، وكذا بمعنى الغشي، إذ ليس كل من له فزع مغشياً عليه، هذا ما تيسر لي في هذا المقام، والله أعلم بأسرار كتابه.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ﴾؛ أي: في الصور نفخة ﴿أُخْرَىٰ﴾؛ أي: غير الأولى، وهي النفخة الثانية، وهي نفخة البعث، ﴿فَإِذَا هُمْ﴾؛ أي: جميع الخلائق ﴿قِيَامٌ﴾ جمع قائم؛ أي[2]: قائمون من قبورهم على أرجلهم أو متوقفون، فالقيام بمعنى الوقوف والجمود في مكانهم لتحيرهم ﴿يَنظُرُونَ﴾؛ أي يقلبون أبصارهم في الجوانب كالمبهوتين أو ينتظرون ماذا يُفعلُ بهم وقيل: ينظرون إلى السماء، كيف غيرت،

---

(١) روح البيان. (٢) روح البيان.

وإلى الأرض كيف بدلت، وإلى الداعي كيف يدعوهم إلى الحساب، وإلى الآباء والأمهات كيف ذهبت شفقتهم عنهم، واشتغلوا بأنفسهم، وإلى خصمائهم ماذا يفعلون بهم.

وقرأ الجمهور: ﴿قِيَامٌ﴾ بالرفع على أنه خبر و﴿يَنظُرُونَ﴾، في محل النصب على الحال وقرأ زيد بن علي بالنصب على أنه حال، والخبر ﴿يَنظُرُونَ﴾ والعامل في الحال ما عمل في ﴿إِذَا﴾ الفجائية، قال الكسائي: كما تقول: خرجت فإذا زيد جالساً.

قال في «المدارك»[1]: دلت الآية على أن النفخة اثنتان، الأولى: للموت والثانية: للبعث، والجمهور على أنها ثلاث، الأولى للفزع، كما قال: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ﴾، والثانية: للموت، والثالثة: للإعادة، انتهى. فإن كانت النفخة اثنتين يكون معنى ﴿فَصَعِقَ﴾: خروا أمواتاً، وإن كانت ثلاثاً يكون معناه: مغشياً عليهم، فتكون هذه النفخة؛ أي: الثالثة بعد نفخة الإحياء يوم القيامة، كما ذهب إليه البعض، هذا والذي[2] يظهر من «خريدة العجائب» أن نفخة الفزع هي أول النفخات، فإنه إذا وقعت أشراط الساعة، ومضت.. أمر الله صاحب الصور أن ينفخ نفخة الفزع، ويديمها ويطولها فلا يبرح كذا عاماً يزداد الصوت كل يوم شدةً، فيفزع الخلائق، وينحازون إلى أمهات الأمصار، وتعطل الرعاة السوائم، وتأتي الوحوش والسباع، وهي مذعورة من هول الصيحة، فتختلط بالناس، ويؤول الأمر إلى تغير الأرض والسماء عما هما عليه، وبين نفخة الفزع والنفخة الثانية أربعون سنة، ثم تقع النفخة الثانية والثالثة، وبينهما أربعون سنة، أو شهراً أو يوماً أو ساعة.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون، قالوا: أربعون يوماً» قال أبو هريرة: أبيت، قالوا: أربعون شهراً، قال أبو هريرة: أبيت، قالوا: أربعون سنةً، قال: أبيت، ثم ينزل من السماء ماء فينبتون، كما ينبت البقل، وليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظم واحد، وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة، متفق عليه.

---

(١) النسفي. (٢) روح البيان.

قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ: اختلف الناس في أمد المدة التي بين النفختين، فاستقر جمهورهم على أنها أربعون سنة، وحدّثني من لا أشك في علمه: أن أمد ذلك لا يعلمه إلا الله تعالى؛ لأنه من أسرار الربوبية، فإذا أراد الله إحياء الخلق يفتح خزانة من خزائن العرش، فيها بحر الحياة، فتمطر به الأرض، فإذا هو كمنيّ الرجال، بعد أن كانت عطشى فتحيى وتهتز، ولا يزال المطر عليها حتى يعمها، ويكون الماء فوقها أربعين ذراعاً، فإذا الأجسام تنبت من عجب الذنب، وهو أول ما يخلق من الإنسان، بدىء منه، ومنه يعود، وهو عظم على قدر الحمصة، وليس له مخ، فإذا نبت كما نبت البقل.. تشتبك بعضها في بعض، فإذا رأس هذا على منكب هذا، ويد هذا على جنب هذا، وفخذ هذا على حجر، هذا لكثرة البشر، والصبي صبي والكهل كهل، والشيخ شيخ، والشاب شابّ، ثم تهب ريح من تحت العرش، فيها نار، فتنسف ذلك عن الأرض وتبقى الأرض بارزة مستوية، كأنها صحيفة واحدة، ثم يحيي الله سبحانه إسرافيل، فينفخ في الصور من صخرة بيت المقدس، فتخرج الأرواح لها دوي كدوي النحل، فتملأ الخافقين، ثم تذهب كل نفس إلى جثتها بإعلام الله تعالى، حتى الوحش والطير وكل ذي روح، فإذا الكل قيام ينظرون، ثم يفعل بهم ما يشاء سبحانه وتعالى.

قلت: ولكن ليس فيما نقلنا من ذلك نص صريح، ولاحديث صحيح، كأنه من الإسرائيليات. والله أعلم.

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ﴾؛ أي: صارت عَرَجَات القيامة مشرقةً ومضيئةً، وذلك حين ينزل الله إلى كرسيه لفصل القضاء بين عباده؛ أي: أضاءت إضاءةً عظيمةً، حتى تميل إلى الحمرة، والمراد بالأرض: الأرض الجديدة التي يوجدها الله تعالى ذلك الوقت، ليحشر الناس عليها، وليس المراد بها أرض الدنيا؛ لقوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ﴾ ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾؛ أي: عدل ربها؛ أي: بما أقام فيها من العدل، استعير له النور؛ لأنه يزين البقاع، ويظهر الحقوق، كما يسمى الظلم ظلمةً، وفي الحديث: «الظلم ظلمات يوم القيامة» يعني شدائده؛ يعني الظلم سبب لشدائد صاحبه، ولكون المراد بالنور العدل، أضيف الاسم الجليل إلى ضمير الأرض، فإن تلك الإضافة إنما تحسن إذا أريد به تزين الأرض بما ينشر فيها من الحكم والعدل، أو المعنى: أشرقت بنورٍ خلقه الله في الأرض يوم القيامة، بلا توسط أجسام مضيئة، كما في

الدنيا، يعني: يشرق بذلك النور وجه الأرض المبدلة، بلا شمس ولا قمر ولا غيرهما من الأجرام المنيرة، ولكون المعنى ذلك أضيف النور إلى الاسم الجليل، وفي الحديث الصحيح: «يحشر الناس على أرض بيضاء عفراء، كقرصة النقي، ليس بها علم لأحد».

قرأ الجمهور: ﴿أشرقت﴾ مبنياً للفاعل؛ أي: أضاءت، وقرأ ابن عباس وأبو الجوزاء وعبيد بن عمير: على البناء للمفعول، من شرقت بالضوء: تشرق إذا امتلأت به.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾؛ أي: وضع الكتاب للحساب والجزاء، من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه، أو صحائف الأعمال في أيدي العمال في الأيمان والشمائل، فآخذ بيمينه، وآخذ بشماله، واكتفي باسم الجنس عن الجمع، إذ لكل أحد كتاب على حدة، وقيل: المعنى: وضع الكتاب في الأرض بعد ما كان في السماء، قال بعضهم: هذا على إطلاقه غير صحيح؛ لأن كتاب الأبرار في عليين، وكتاب الفجار في سجين، فالذي في السماء يوضع في الأرض حتى اللوح المحفوظ، وأما ما في الأرض فعلى حاله.

﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾؛ أي: جيء بهم إلى الموقف، فسئلوا عمّا أجابتهم به أممهم، ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ الذين يشهدون على الأمم من أمة محمد ﷺ، كما في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ وقيل: الشهداء للأمم، وعليهم من الحفظة والمؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ وقيل: المراد بالشهداء: الذين استشهدوا في سبيل الله، فيشهدون يوم القيامة لمن ذب عن دين الله تعالى، وفيه[1] إشارة إلى أن النبيين والشهداء إذا دعوا للقضاء والحكومة والمحاسبة فكيف يكون حال الأمم، وأهل المعاصي والذنوب.

﴿وَقُضِىَ﴾؛ أي: حكم ﴿بَيْنَهُم﴾؛ أي: بين العباد ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾؛ أي: والحال أنهم لا ينقصون من ثوابهم، ولا يزاد على ما يستحقونه من عقابهم؛ أي: لا يظلمون بنقص ثواب، وزيادة عقاب على ما جرى به

---

(١) روح البيان.

الوعد والوعيد، وكما فتح الآية بإثبات العدل.. ختمها بنفي الظلم، فقال ﴿وَوُفِّيَتْ﴾؛ أي: وفرت وأعطيت ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ من النفوس المكلفة ﴿مَّا عَمِلَتْ﴾؛ أي: جزاء ما عملت من الخير والشر، والطاعة والمعصية. ﴿وَهُوَ﴾ تعالى ﴿أَعْلَمُ﴾ منهم ومن الشهداء ﴿بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ في الدنيا، لا يحتاج إلى كاتب ولا حاسب وشاهد، إذ هو خالق الأفعال، فلا يفوته شيء من أفعالهم، وإنما ﴿وضع الكتاب وجيءَ بالنبيين والشهداء﴾؛ لتكميل الحجة، وقطع المعذرة، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: إذا كان يوم القيامة.. بدّل الله الأرض غير الأرض، وزاد في عرضها وطولها كذا وكذا، فإذا استقر عليها أقدام الخلائق، برهم وفاجرهم أسمعهم الله تعالى كلامه، يقول: «إن كتابي كانوا يكتبون ما أظهرتم، ولم يكن لهم علم بما أسررتم، فأنا عالم بما أظهرتم وبما أسررتم، ومحاسبكم اليوم على ما أظهرتم وعلى ما أسررتم، ثم أغفر لمن أشاء منكم».

ثم ذكر سبحانه تفصيل ما ذكره من توفية كل نفس ما كسبت فقال: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ مع إمامهم ومعبوداتهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ حال كونهم ﴿زُمَرًا﴾؛ أي: جماعة جماعةً متفرقةً بعضها إثر بعض؛ أي: سيقوا إليها بعد إقامة الحساب بأمر يسير من قبلنا، وذلك بالعنف والإهانة، حال كونهم أفواجاً متفرقة بعضها في إثر بعض، مترتبةً حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة والشرارة، وتتلقاهم جهنم بالعبوسة، كما تلقوا الأوامر والنواهي والآمرين والناهين بمثل ذلك، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾؛ أي: جاؤوا جهنم وقربوا إليها، و﴿حَتَّىٰٓ﴾ هذه[1] هي الابتدائية، التي تبتدِىء الجمل بعدها كما في «أبي السعود»، وجواب ﴿إذا﴾ قوله: ﴿فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾؛ أي: فتحت أبواب جهنم السبعة؛ ليدخلوها، كما قال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ وفائدة[2] إغلاقها إلى وقت مجيئهم: تهويل شأنها، وإيقاد حرّها، قال في «أسئلة الحكم»: أهل النار يجدونها مغلقة الأبواب، كما هي حال السجون في الدنيا، فيقفون هنالك، حتى يفتح لهم إهانةً وتوبيخاً.

يقول الفقير: هذا من قبيل العذاب الروحاني، وهو أشد من العذاب الجسماني، فليس وقوفهم عند الأبواب أولى لهم من تعجيل العذاب، يؤيده أن

---

(١) الارشاد.　　(٢) روح البيان.

الكافر حين يطول قيامه في شدة وزحمة وهول، يقول: يا رب أرحني ولو كان بالنار، وفيه إشارة إلى الأوصاف الذميمة النفسانية السبعة، وهي الكبر والبخل والحرص والشهوة والحسد والغضب والحقد، فإنها أبواب جهنم، وكل من يدخل فيها لا بدّ له من أن يدخل من باب من أبوابها، فلا بد من تزكيتها وتخلية النفس عنها. ﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾؛ أي: للذين كفروا ﴿خَزَنَتُهَآ﴾؛ أي: خزنة جهنم وزبانيتها وحرّاسها تقريعاً، وتوبيخاً لهم، وزيادة في الإيلام والتوجيع، واحدها خازن، وهو حافظ الخزانة وما فيها، والمراد: حفظة جهنم وزبانيتها، وهم الملائكة الموكّلون بتعذيب أهلها ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ أيها الكفرة ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾؛ أي: من جنسكم، آدميون مثلكم؛ ليسهل عليكم مراجعتهم وفهم كلامهم. وقرىء: ﴿نذر﴾، كما في «المراح» ﴿يَتْلُونَ﴾؛ أي: يتلو أولئك الرسل، ويقرؤون ﴿عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ التي أنزلها عليهم؛ لتبليغها إليكم ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ﴾؛ أي: يخوفونكم ﴿لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ﴾؛ أي: لقاء وقتكم هذا، وهو وقت دخولهم النار، لا يوم القيامة، وذلك لأن الإضافة اللامية تفيد الاختصاص، ولا اختصاص ليوم القيامة بالكفار، وقد جاء استعمال اليوم والأيام مستفيضاً في أوقات الشدة، فلذلك حمل على الوقت.

وفيه دليل على أنه لا تكليف قبل الشرع، من حيث أنهم علّلوا توبيخهم بإتيان الرسل وتبليغ الكتب، فأجابوا بالاعتراف، ولم يقدروا على الجدل الذي كانوا يتعلّلون به في الدنيا؛ لانكشاف الأمر وظهوره، ولهذا ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ قد أتونا، وتلوا علينا، وأنذرونا، فأقرّوا في وقت لا ينفعهم الإقرار والاعتراف ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ﴾ ووجبت ﴿كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ وهي قوله تعالى لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥)﴾ وقد كنا ممن تبع إبليس، فكذبنا الرسل، وقلنا ما نزل الله من شيء، إن أنتم إلا تكذبون.

ومعنى الآية: أي وسيق الكافرون بربهم، المشركون به الأصنام والأوثان، إلى جهنم سوقاً عنيفاً، أفواجاً متفرقةً بعضها في إثر بعض، بحسب ترتب طبقاتهم في الضلال والشرّ، بزجرٍ وتهديدٍ ووعيدٍ، كما يساق المجرمون في الدنيا إلى السجون جماعاتٍ جماعات، مع الإهانة والتحقير على ضروب شتى، ونحو الآية قوله: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣)﴾؛ أي: يدفعون إليها دفعاً.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾؛ أي: حتى إذا وصلوا إليها.. فتحت لهم

أبوابها سريعاً؛ ليدخلوها، كأبواب السجون، لا تزال مغلقة حتى يأتي أرباب الجرائم، الذين يسجنون فيها، فتفتح؛ ليدخلوها، فإذا دخلوها.. أغلقت عليهم.

ثم ذكر سؤال الخزنة لهم على طريق التوبيخ والإهانة، فقال: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ إلخ؛ أي: ألم يأتكم رسل من جنسكم، تفهمون ما ينبئونكم به من طاعة ربكم، والاعتراف بوحدانيته، وترك الشرك به، ويسهل عليكم مراجعتهم حين يقيمون عليكم الحجج والبراهين، مبينين صدق ما دعوكم إليه، وينذرونكم أهوال هذا اليوم، فأجابوهم معترفين، ولم يقدروا على الجدل الذي كانوا يتعللون به في الدنيا، لوضوح السبل أمامهم، ولا سبيل حينئذ إلى الإنكار والجحود، قالوا: بلى، قد أتانا رسل ربنا، فأنذرونا وأقاموا الحجج والبراهين، ولكنا كذبناهم وخالفناهم، لما سبق لنا من الشقوة والضلالة، فعدلنا بسوء اختيارنا عن الحق إلى الباطل، وفعلنا الشر دون الخير، وعبدنا ما لا يضر ولا ينفع، وتركنا عبادة الواحد القهار، ونحو الآية قوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾.

وبعد أن اعترفوا هذا الاعتراف ﴿قِيلَ﴾ لهم؛ أي: قالت لهم الملائكة الموكلون بعذابهم ﴿ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ التي قد فتحت لكم، فتدخلوها حالة كونكم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾؛ أي: ماكثين فيها أبدا؛ أي: مقدراً خلودكم فيها مدة لا نهاية لها، ولا خروج لكم منها، ولا زوال لكم عنها.

وفيه[1]: إشارة إلى أن الحكمة الإلهية اقتضت إظهاراً لصفة القهر، أن يخلق النار، ويخلق لها أهلاً، كما أنه تعالى خلق الجنة، وخلق لها أهلاً، إظهاراً لصفة اللطف، فلهذه الحكمة قيل: في الأزل قهراً وقسراً: ﴿ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾، وهي الصفات الذميمة السبع التي مرّ ذكرها، خالدين فيها، بحيث لا يمكن الخروج من هذه الصفات الذميمة بتبديلها، كما يخرج المتقون منها. ﴿فَبِئْسَ﴾ وقبح ﴿مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾؛ أي: منزل المتكبرين عن الإيمان والطاعة والحق، والمخصوص بالذم

---

(١) روح البيان.

محذوف وجوباً، تقديره: بئس مثواهم جهنم.

والمعنى: أي فبئس المصير، وبئس المقيل لكم، بسبب تكبّركم في الدنيا، وإبائكم عن اتباع الحق، فهو الذي صيّركم إلى ما أنتم فيه، فبئس الحال وبئس المآل.

و﴿اللام﴾: فيه للجنس، ولا يقدح ما فيه من الإشعار بأن كون مثواهم جهنم، لتكبرهم عن الحق، مع أن دخولهم النار بسبق كلمة العذاب عليهم، فإنها إنما حقت عليهم بناءً على تكبرهم وكفرهم، فتكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عن ذلك السبق، وفيه[1] إشارة إلى أن العصاة صنفان، صنف منهم متكبرون، وهم المصرون متابعو إبليس، فلهم الخلود في النار، وصنف منهم متواضعون، وهم التائبون متابعو آدم، فلهم النجاة، وبهذا الدليل ثبت أن ليس ذنب أكبر بعد الشرك من الكبر، بل الشرك أيضاً يتولد من الكبر، كما قال تعالى: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

ولما ذكر فيما تقدم حال الذين كفروا وسوقهم إلى جهنم.. ذكر هنا حال المتقين، وسوقهم إلى الجنة، فقال: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ﴾؛ أي: ساقتهم الملائكة سوق إعزاز وتشريف وتكريم بلا تعب ولا نصب، بل بروح وطرب للإسراع إلى دار الكرامة، وذلك قبل الحساب، أو بعده يسيراً أو شديداً، وهو الموافق لما قبل الآية من قوله: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ حال كونهم ﴿زُمَرًا﴾؛ أي: جماعات متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة، والمراد: المتقون عن الشرك، فهؤلاء عوام أهل الجنة، وفوق هؤلاء من قال الله تعالى فيهم: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وفوقهم من قال فيهم: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾.

والمعنى[2]: أي وسيق المتقون إلى الجنة جماعة إثر جماعة على النجائب، وفوداً إلى الجنة، المقربون فالأبرار ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، كل طائفة منهم مع من يشاكلهم، الأنبياء مع الأنبياء، والصدّيقون مع أشكالهم، والشهداء مع أضرابهم، والعلماء مع أقرانهم.

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

والمراد بالسوق هنا: الإسراع بهم إلى دار الكرامة والرضوان، كما يفعل بمن يكرم من الوافدين على بعض الملوك، وبالسوق المتقدم: طردهم إلى العذاب والهوان، كما يفعل بالأسير إذا سيق إلى الحبس أو القتل، فشتان ما بين السوقين.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾؛ أي: الجنة ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ وقرأ الكوفيون: ﴿وَفُتِحَتْ﴾ بالتخفيف؛ أي: والحال أنه قد فتحت أبوابها الثمانية قبل مجيئهم؛ لئلا يصيبهم وصب الانتظار، مع أن دار الفرح والسرور لا تغلق للأضياف والوافدين باب الكرم، فـ﴿الواو﴾: واو الحال، وجواب ﴿إِذَا﴾ محذوف دل عليه السياق، والتقدير؛ أي: حتى إذا وصلوا إليها، وقد فتحت لهم أبوابها قبل مجيئهم، كما تفتح الخدم باب المنزل للضيف قبل قدومه، وتقف منتظرةً حضوره فرحاً بمقدمه،

فرحوا بما أفاء الله به عليهم من النعيم، وبما شاهدوا مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

فإن قلت[1]: يرد على كون أبواب الجنان مفتحةً لهم قبل مجيئهم إليها، قوله ﷺ: «أنا أول من يستفتح باب الجنة».

قلت: قد حصل الفتح المقدم على الوصول بدعوته ﷺ الاستفتاح، ولو لم يكن دعاؤه قد سبق.. لما فتحت، ثم تبقى الأبواب بدعائه مفتوحةً ببركة دعائه المقدم على ذلك، وفي الحديث: «أنا أول من يقرع باب الجنة، والجنة محرمة على جميع الأمم، حتى أدخلها أنا وأمتي، الأول فالأول».

وقيل: تقدير الجواب: حتى إذا جاؤوها، وقد فتحت أبوابها.. كان ما كان مما يقصر عنه البيان.

وفي «الخازن»: فإن قلت[2]: قال في أهل النار: ﴿فُتِحَتْ﴾ بغير واو، وهنا زاد حرف ﴿الواو﴾ فما الفرق بين الموضعين؟

قلت: فيه وجوه:

أحدها: أنها زائدة عند الأخفش والكوفيين، وهو خطأ عند البصريين؛ لأن

---

(١) روح البيان.

(٢) الخازن. بزيادة وتصرف.

الواو من حروف المعاني، فلا تزاد عندهم، وزيدت الواو على القول بزيادتها للإيذان بأنها كانت مفتحةً قبل مجيئهم إليها، وحذفت الواو في الآية الأولى؛ لبيان أن أبواب جهنم كانت مغلقة قبل مجيئهم إليها، والحكمة في ذلك: أن الجنة إذا جاؤوها، ووجدوا أبوابها مفتحة.. حصل لهم السرور والفرح بذلك، وأهل النار إذا رأوها مغلقة.. كان ذلك نوع ذل وهوان لهم.

والثاني: أنها واو الحال، بتقدير: قد؛ أي: حتى إذا جاؤوها وقد فتحت أبوابها فرحوا بها، كما مر في حلنا.

والثالث: أنها واو الثمانية، زيدت هنا لبيان أن أبواب الجنة ثمانية، ونقصت فيما سبق؛ لأن أبواب جهنم سبعة، والعرب تعطف فيما فوق السبعة، تقول ستة سبعة وثمانية وتسعة، وفيه أن واو الثمانية غير مطردة مقصورة على السماع. فإن قلت: على هذا إن قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ شرط، فأين جوابه؟

قلت: فيه وجوه:

أحدها: أنه محذوف، والمقصود أن يدل على أنه بلغ من الكمال إلى حيث لا يمكن ذكره، ولا يحتاج إلى ذكره.

والثاني: أن الجواب هو قوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ بجعل ﴿الواو﴾ فيه زائدةً.

والثالث: الجواب محذوف دل عليه قوله: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ والتقدير: حتى إذا جاؤوها، وفتحت أبوابها، وقال لهم خزنتها: سلام عليكم، طبتم فادخلوها خالدين، دخلوها، فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليه.

قلت: والأوضح الأخصر: أن تكون ﴿الواو﴾ في قوله: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ عاطفة على جواب محذوف، دل عليه السياق، والتقدير: حتى إذا جاؤوها فرحوا بمجرد رؤيتها، وفتحت لهم أبوابها ازدياداً في سرورهم، وقال لهم خزنتها: سلام علكيم إلخ. تكرمةً لهم، والله أعلم بمراده في كتابه.

فائدة: في ذكر أحاديث مناسبة للآية:

منها: ما روي عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم أحد يتوضأ، فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد عبده ورسوله.. إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء» أخرجه مسلم وغيره.

وروي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء إضاءة».

وأخرج الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «في الجنة ثمانية أبواب، منها: باب يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون». وقد ثبت كون أبواب الجنة ثمانية بالأحاديث الصحيحة، منها: ما ذكر آنفاً، ومنها: قوله ﷺ: «إن للجنة لثمانية أبواب، ما منها بابان إلا بينهما يسير الراكب سبعين عاماً، وما بين كل مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة». وفي رواية: «كما بين مكة وبصرى». وكون أبواب جهنم سبعة فمذكور بقوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾.

ثم أخبر سبحانه أن خزنة الجنة يسلمون على المؤمنين، فقال: ﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾؛ أي: للمتقين عند دخولهم الجنة ﴿خَزَنَتُهَآ﴾؛ أي: حفظة الجنة، رضوان وغيره من الملائكة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ من جميع المكاره والآلام، فلا يعتريكم مكروه، وهذا لعوام أهل الجنة، وأما خواصهم، فيقول الله لهم: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾. فإن السلام في الجنة من وجوه:

فالسلام الأول: وإن كان سلام الله، ولكن بالواسطة.

والثاني: سلام خاص بلا واسطة بعد دخولهم الجنة ﴿طِبْتُمْ﴾ نفساً بما أتيح لكم من النعيم المقيم، وقد يكون المعنى: طبتم في الدنيا، فلم تدنسوا أنفسكم بالشرك والمعاصي، وطاب سعيكم وطاب جزاؤكم ﴿فَادْخُلُوهَا﴾؛ أي: الجنة حالة كونكم ﴿خَٰلِدِينَ﴾ فيها؛ أي: ماكثين فيها أبداً، لا زوال ولا فناء ولا تحول عنها.

و﴿الفاء﴾: للدلالة على أن طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم، سواء كان طيباً بعفو أو بتعذيب، إذ كل منهما مطهر، وإنما طهر ظاهرهم؛ لحسن إقرارهم

وأعمالهم البدنية، وباطنهم؛ لحسن نياتهم وعقائدهم.

وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ إذا سيقوا إلى الجنة فإذا انتهوا إليها.. وجدوا عند بابها شجرة، يخرج من تحتها عينان، فيغتسل المؤمن من أحدهما فيطهر ظاهره، ويشرب من الأخرى فيطهر باطنه، وتتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة، يقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾.

﴿وَقَالُواْ﴾؛ أي: وقال المؤمنون إذا عاينوا ذلك النعيم المقيم، والعطاء العظيم في الجنة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ﴾ بالبعث والثواب بالجنة؛ أي: صدقنا وأعطانا ما وعدنا به على ألسنة رسله الكرام، كما دعوا بذلك في الدنيا، وقالوا: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ وقالوا:

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ ﴿وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ﴾ معطوف على الصلة؛ أي[1]: أورثنا وأعطانا أرض الجنة، يريدون المكان الذي استقروا فيه من أرض الجنة، على الاستعارة، وإيراثها: إعطاؤها وتمليكها، مخلفةً عليهم من أعمالهم، أو تمكينهم من التصرف فيما فيها تمكين الوارث فيما يرثه، كأنها صارت من غيرهم إليهم، فملكوها وتصرفوا فيها، وقيل: إنهم ورثوا الأرض التي كانت لأهل النار، لو كانوا مؤمنين، قاله أكثر المفسرين، وقيل: إنها أرض الدنيا، وعلى هذا: ففي الكلام تقديم وتأخير، وقيل: أورثنا من آدم؛ لأنها كانت في أول الأمر له لقوله تعالى: ﴿وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ فلما عادت إلى أولاده.. كان ذلك إرثاً لهم منه. اهـ شيخنا. حالة كوننا ﴿نَتَبَوَّأُ﴾ ونتخذ ﴿مِنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ منازل ﴿حَيۡثُ نَشَآءُۖ﴾؛ أي: يتبوأ كل واحد منا في أي مكان أراده من جنته الواسعة، لا من جنة غيره، على أن فيها مقاماتٍ معنوية، لا يتمانع واردوها، كما قال في «التفسير الكبير»: قال حكماء الإسلام: الجنة نوعان: جسمانية، وروحانية، فالجنات الجسمانية: لا تحتمل المشاركة، وأما الروحانية: فحصولها لواحد لا يمنع حصولها لآخر، انتهى.

وقيل: معنى ﴿حَيۡثُ يَشَآءُ﴾ أن أمة محمد ﷺ يدخلون الجنة قبل الأمم،

---

(١) روح البيان.

فينزلون فيها حيث شاؤوا؛ أي: يتخير كل واحد منهم أين ينزل تكرمةً له، وإن كان لا يختار إلا ما قسم له، وأما بقية الأمم، فيدخلون بعد أمة محمد ﷺ، فينزلون فيما فضل عنهم، اهـ «خازن» و «خطيب».

والمعنى[1]: أي وجعلنا نتصرف في أرض الجنة تصرف الوارث فيما يرث، فنتخذ منها مباءةً ومسكناً حيث شئنا، قال تعالى: ﴿فَنِعْمَ﴾ وحسن ﴿أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾؛ أي ثواب المطيعين في الدنيا الجنة في العقبى، وقيل: من تمام قول أهل الجنة، والمعنى عليه؛ أي: فنعم الأجر أجرنا على عملنا، وثوابنا الذي أعطيتنا، والمخصوص بالمدح الجنة.

ولما ذكر سبحانه وتعالى ما أعطيه المؤمنون من الدرجات.. أتبعه بذكر أهل الكرامات الذين لا شاغل لهم عن العبادات، وبيان مستقرهم في الجنة، وهم الملائكة، فقال صارفاً الخطاب لأشرف الخلق، لأنه لا يقوم بحق هذه الرؤية غيره: ﴿وَتَرَى﴾ يا محمد في ذلك اليوم ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾؛ أي: القائمين بجميع ما عليهم من الحقوق، حالة كونهم ﴿حَآفِّينَ﴾؛ أي: محدقين ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾؛ أي: حوله، و﴿مِنْ﴾: مزيدة، أو لابتداء الحفوف، يقال: حفوا حوله حفوفاً: طافوا به واستداروا حوله، ومنه الآية؛ أي: تراهم يا محمد أو أيها المخاطب، الملائكة حالة كونهم محيطين بجوانب العرش، التي يمكن الحفوف بها، فيسمع لحفوفهم صوت التسبيح والتمجيد والتقديس، وإدخال ﴿مِنْ﴾: يفهم أنهم مع كثرتهم إلى حد لا يحصيه إلا الله، لا يملؤون حوله، وهذا أولى من قول البيضاوي: إن ﴿مِنْ﴾ زائدة. اهـ «خطيب»؛ أي: فهي ابتدائية، كما حكاه البيضاوي أيضاً، حالة كونهم ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ الجملة: حال ثانية، أو مقيدة[2] للأولى؛ أي: ينزهونه تعالى عما لا يليق به حال كونهم متلبسين بحمده، ذاكرين له بوصفي جلاله وإكرامه، تلذذاً به، يعني: يقولون: سبحان الله وبحمده، تلذذاً لا تعبداً وتكليفاً؛ لأن التكليف يزول في ذلك اليوم، وذلك يشعر بأن ثوابهم هو عين ذلك التسبيح، وأفهم أن منتهى درجات العلّيين، ولذاتهم، الاستغراق في صفاته تعالى، اهـ «كرخي».

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

والمعنى[1]: أي ترى يا محمد، أو أيها الرائي، الملائكة محيطين بجوانب العرش، قائمين بجميع ما يطلب منهم، فيسمع لحفوفهم صوت التسبيح والتقديس، ويصلون حول العرش شكراً لربهم، وتنزيهاً له عن كل نقص. ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾؛ أي: حكم بين العباد ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ أي: بالعدل، بإدخال بعضهم الجنة، وبعضهم النار، أعاذنا الله منها، أو بين الملائكة، بإقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم في درجاتهم، والأول أولى.

﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: على ما قضى بيننا بالحق، وأنزل كلا منا منزلته التي هي حقه، والقائلون[2]: هم المؤمنون، حمدوا الله على قضائه بينهم، وبين أهل النار بالحق، وقيل: القائلون: هم الملائكة، حمدوا الله تعالى على عدله في الحكم، وقضائه بين عباده بالحق، والمقصود من هذا الإبهام: التنبيه على أن خاتمة كلام العقلاء في الثناء على حضرة ذي الجلال والكبرياء، ليس إلا أن يقولوا: الحمد لله رب العالمين.

والمعنى: أي وختمت خاتمة القضاء بينهم، بالشكر للذي بدأ خلقهم، وصورهم فأحسن صورهم، ومن له ملك السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات، التي لا يعلم عددها إلا هو، وقد بدأ سبحانه هذه الآية بالحمد، وختمها بالحمد للتنبيه إلى تحميده، في بداية كل أمر ونهايته.

وقال قتادة: افتتح الخلق بالحمد في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ واختتم بالحمد في قوله تبارك وتعالى ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وعلم مما ذكر: أنهم يقدمون التسبيح على التحميد، فالتسبيح: عبارة عن إقرارهم بكونه تعالى موصوفاً بصفات الإكرام، ثم إن جوانب العرش ملاصقة لجوانب الجنة، فالمؤمنون والملائكة يصيرون متوافقين على الاستغراق في تحميد الله تعالى وتمجيده وتسبيحه، فكان ذلك سبباً لمزيد التذاذهم، والله تعالى أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

---

(١) المراغي. (٢) الشوكاني.

الإعراب

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد ـ صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم ـ، والجملة: مستأنفة مسوقة لبيان: أن الإنابة مطلوبة؛ لأن الفسحة عظيمة للمسرف. ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾: منادى مضاف إلى ياء المتكلم المفتوحة، وقرىء ﴿يا عباد﴾ بحذفها. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت لـ﴿عبادي﴾. ﴿أَسْرَفُوا۟﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: متعلق بـ﴿أَسْرَفُوا۟﴾ ﴿لَا﴾: ناهية. ﴿تَقْنَطُوا۟﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لَا﴾ الناهية. ﴿مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿تَقْنَطُوا۟﴾، والجملة الفعلية: في محل النصب وقول ﴿قُلْ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: ناصب واسمه، ﴿يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على ﴿ٱللَّهِ﴾، ومفعول به، ﴿جَمِيعًا﴾: حال من ﴿ٱلذُّنُوبَ﴾، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل النهي عن القنوط. ﴿إِنَّهُۥ﴾ ناصب واسمه، ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل، أو مبتدأ ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ خبران لـ﴿إن﴾ أو لـ﴿هو﴾، والجملة: خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل غفران الله الذنوب جميعاً. ﴿وَأَنِيبُوٓا۟﴾: فعل أمر وفاعل. ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: متعلق بـ﴿أنيبوا﴾، والجملة: معطوفة على جملة قوله: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟﴾. ﴿وَأَسْلِمُوا۟﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿وَأَنِيبُوٓا۟﴾، ﴿لَهُۥ﴾: متعلق بـ﴿أسلموا﴾. ﴿مِن قَبْلِ﴾: جار ومجرور حال من واو الفاعل في الفعلين، ﴿أن﴾ حرف مصدر ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ فعل ومفعول وفاعل، منصوب بـ﴿أن﴾ المصدرية وجملة ﴿أن﴾ المصدرية في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف إليه؛ أي: من قبل إتيان العذاب إياكم. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وترتيب مع التراخي. ﴿لَا﴾: نافية، ﴿تُنصَرُونَ﴾: فعل مغير ونائب فاعل، والجملة: معطوفة على جملة ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ﴾: على كونها مضافاً إليه للظرف؛ أي: من قبل إتيان العذاب إياكم، ثم عدم نصركم.

﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿وَٱتَّبِعُوٓا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿اتبعوا﴾: فعل أمر وفاعل معطوف على ﴿أنيبوا﴾. ﴿أَحۡسَنَ﴾: مفعول به، وهو مضاف و﴿مَآ﴾: اسم موصول في محل الجر مضاف إليه ﴿أُنزِلَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعله: ضمير يعود على ﴿مَآ﴾ ﴿إِلَيۡكُم﴾: متعلق به ﴿مِّن رَّبِّكُم﴾: متعلق بـ﴿أُنزِلَ﴾ أيضاً، والجملة: صلة لـ﴿مَآ﴾ الموصولة. ﴿مِّن قَبۡلِ﴾: جار ومجرور حال من فاعل ﴿اتبعوا﴾، وجملة ﴿أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾: في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف إليه. ﴿بَغۡتَةً﴾: حال من ﴿ٱلۡعَذَابِ﴾؛ أي: باغتاً. ﴿وَأَنتُمۡ﴾ ﴿الواو﴾: حالية. ﴿أنتم﴾: مبتدأ، وجملة ﴿لَا تَشۡعُرُونَ﴾: خبره، والجملة الاسمية: في محل النصب حال من ضمير المخاطبين.

﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ﴾: فعل وفاعل، منصوب بـ﴿أَن﴾ المصدرية، والجملة: في تأويل مصدر منصوب على أنه مفعول لأجله، ولكنه على تقدير مضاف، والتقدير: واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم، كراهية قول نفس، أو مخافة قول نفس. ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾: ﴿يا﴾: حرف نداء، ﴿حسرتا﴾: منادى مضاف، منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، المنقلبة ألفاً للتخفيف ﴿حسرة﴾ مضاف، وياء المتكلم المنقلبة ألفاً للتخفيف؛ في محل الجر مضاف إليه، وجملة النداء: في محل النصب مقول لـ﴿تَقُولَ﴾. ﴿عَلَىٰ﴾ حرف جر ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿فَرَّطتُ﴾: فعل وفاعل، ﴿فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، متعلق بـ﴿فَرَّطتُ﴾، وجملة ﴿فَرَّطتُ﴾: صلة ﴿مَا﴾ المصدرية ﴿مَا﴾ مع صلتها: في تأويل مصدر مجرور بـ﴿عَلَىٰ﴾ تقديره: على تفريطي في جنب الله، الجار والمجرور: متعلق بـ﴿حسرتى﴾. ﴿وَإِن كُنتُ﴾: ﴿الواو﴾: حالية ﴿إن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها: ضمير الشأن، تقديره: وإنه ﴿كُنتُ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿من الساخرين﴾: جار ومجرور خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾: في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ المخففة، وجملة ﴿إن﴾ المخففة: في محل النصب حال من فاعل ﴿فَرَّطتُ﴾؛ أي: حال كوني من الخاسرين. ﴿أَوۡ﴾: حرف عطف وتفصيل. ﴿تَقُولَ﴾: معطوف على ﴿تَقُولَ﴾ الأول، منصوب بـ﴿أن﴾ المصدرية، وفاعله: ضمير مستتر يعود على ﴿نَفۡسٞ﴾. ﴿لَوۡ﴾: حرف شرط. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: ناصب واسمه. ﴿هَدَىٰنِي﴾: فعل وفاعل مستتر

ونون وقاية ومفعول به، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ﴿أَنَّ﴾ وجملة ﴿أَنَّ﴾: : في تأويل مصدر مرفوع على الفاعلية لفعل محذوف، وقع شرطاً لـ﴿لَوْ﴾ الشرطية، والتقدير: لو ثبت هداية الله إياي.. ﴿لَكُنتُ﴾: ﴿اللام﴾: رابطة لجواب ﴿لَوْ﴾ الشرطية. ﴿كنت﴾ فعل ناقص واسمه. ﴿مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: خبره، وجملة ﴿كان﴾: جواب ﴿لَوْ﴾ الشرطية، لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لَوْ﴾ الشرطية: في محل النصب مقول ﴿تَقُولَ﴾.

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿أَوْ تَقُولَ﴾: معطوف على ﴿تَقُولَ﴾ الأول ﴿حِينَ﴾: منصوب على الظرفية الزمانية، متعلق بـ﴿تَقُولَ﴾، ﴿تَرَى ٱلْعَذَابَ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، ورأى هنا: بصرية، تتعدى لمفعول واحد، والجملة الفعلية: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿حِينَ﴾. ﴿لَوْ﴾ حرف تمنٍّ، ﴿أَنَّ﴾: حرف نصب، ﴿لِى﴾: خبرها مقدم على اسمها. ﴿كَرَّةً﴾: اسمها مؤخر، وجملة ﴿أَنَّ﴾ في تأويل مصدر منصوب على المفعولية لفعل محذوف، تقديره: أتمنى كون كرة لي إلى الدنيا. ﴿فَأَكُونَ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة ﴿أَكُونَ﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد ﴿الفاء﴾ العاطفة على اسم خالص؛ لأنها عطفت مصدراً مؤولاً على اسم خالص، واسمها: ضمير يعود على ﴿نَفْسٌ﴾. ﴿مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: خبرها، وجملة ﴿أَنَّ﴾: في تأويل مصدر معطوف على ﴿كَرَّةً﴾؛ أي: لو أن لي كرة فكوني من المحسنين، أو ﴿الفاء﴾: عاطفة سببية ﴿أَكُونَ﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد ﴿الفاء﴾ السببية الواقعة في جواب التمنى، وجملة ﴿أَكُونَ﴾: في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الجملة التي قبلها من غير سابك لإصلاح المعنى، تقديره: أتمنى كون كرة لي، فكوني من المحسنين. والفرق بين الوجهين: أنه على الأول يكون من جملة المتمني، ويكون إضمار ﴿أَنْ﴾ جائزاً، لا واجباً، وعلى الثاني: يكون مترتباً على التمني، ويكون إضمار ﴿أَنْ﴾ واجباً. اهـ شيخنا. ﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب، ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق. ﴿جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى﴾: فعل ومفعول به وفاعل، والجملة الفعلية: جملة جوابية، لا محل لها من الإعراب. ﴿فَكَذَّبْتَ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿كذبت﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿جَآءَتْكَ﴾. ﴿بِهَا﴾: متعلق

به. ﴿وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿كذبت﴾، ﴿وَكُنتَ﴾: فعل ناقص واسمه ﴿مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: خبره، وجملة ﴿كان﴾: معطوفة على جملة ﴿كذبت﴾.

فائدة: ألف الفصل تزاد بعد واو الجماعة، مخافة التباسها بواو النسق، مثل: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾، ومثل ﴿كَفَرُواْ﴾، و﴿رَدُّوٓاْ﴾ ألا ترى أنهم لو لم يدخلوا الألف بعد الواو، ثم اتصلت بكلام بعدها.. ظنّ القارىء أنها كفر، ورد، فحيزت الواو لما قبلها بألف الوصل، ولما فعلوا ذلك في الأفعال التي تنقطع واوها من الحروف قبلها، نحو ساروا، وجاؤوا فعلوا ذلك في الأفعال التي تتصل واوها بالحروف قبلها. نحو كانوا وباتوا؛ ليكون حكم هذه الواو في كل موضع حكماً واحداً، اهـ «إعراب القرآن».

﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿وَيَوۡمَ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: ظرف زمان متعلق بـ﴿تَرَى﴾. ﴿تَرَى ٱلَّذِينَ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على محمد، أو على أي مخاطب، ومفعول به، والجملة الفعلية: مستأنفة. ﴿كَذَبُواْ﴾: فعل وفاعل، صلة الموصول. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿كَذَبُواْ﴾. ﴿وُجُوهُهُم﴾: مبتدأ. ﴿مُّسۡوَدَّةٌ﴾: خبر، والجملة الاسمية: في محل النصب حال من الموصول. ﴿أَلَيۡسَ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التقريري؛ لأنها دخلت على النفي، ونفي النفي: إثبات، فصار تقريرياً. ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾: خبر ﴿ليس﴾: مقدم. ﴿مَثۡوٗى﴾: اسمها مؤخر. ﴿لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾: صفة لـ﴿مَثۡوٗى﴾، وجملة ﴿ليس﴾: جملة إنشائية، لا محل لها من الإعراب، مسوقة لتعليل اسوداد وجوههم، كأنه قال: لأن لهم في جهنم مقراً ومقاماً. اهـ شيخنا.

﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾.

﴿وَيُنَجِّي﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة: مستأنفة. ﴿ٱتَّقَوۡاْ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿بِمَفَازَتِهِمۡ﴾: متعلق بـ﴿ينجّي﴾، ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾: فعل ومفعول به وفاعل، والجملة الفعلية: مفسرة للمفازة، لا محل لها من الإعراب، كأنه قيل: ما مفازتهم؟ فقيل: لا يمسهم السوء. ﴿وَلَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿لا﴾: نافية ﴿هُمۡ﴾: مبتدأ وجملة

﴿يَحْزَنُونَ﴾: خبره، والجملة: معطوفة على جملة ﴿لَا يَمَسُّهُمُ﴾ على كونها مفسرة، ويمكن أن تكون حالاً من الذين اتقوا، و﴿الواو﴾: حينئذ واو الحال، وأجاز الزمخشري أن تكون مستأنفة.

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿اللَّهُ﴾: مبتدأ ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: خبر ومضاف إليه، والجملة الاسمية: مستأنفة. ﴿وَهُوَ﴾: مبتدأ، ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾: متعلق بـ﴿وَكِيلٌ﴾، و﴿وَكِيلٌ﴾: خبر ﴿هُوَ﴾، والجملة: مستأنفة ﴿لَّهُ﴾: خبر مقدم. ﴿مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ﴾: مبتدأ مؤخر، ﴿وَالْأَرْضِ﴾: معطوف على ﴿السَّمَاوَاتِ﴾، والجملة مستأنفة أيضاً. ﴿وَالَّذِينَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿الذين﴾: مبتدأ أول، وجملة ﴿كَفَرُوا﴾: صلة الموصول، ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿كَفَرُوا﴾. ﴿أُولَٰئِكَ﴾: مبتدأ ثان، ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل. ﴿الْخَاسِرُونَ﴾: خبر للمبتدأ الثاني، وجملة المتبدأ الثاني، مع خبره: خبر المبتدأ الأول، وجملة المبتدأ الأول مع خبره معطوفة على جملة قوله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ عطف أحد المتقابلين على الآخر، ولا يمنع من هذا العطف كون المعطوف جملةً اسمية، والمعطوف عليه جملة فعليه.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر، والجملة: مستأنفة. ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري، داخلة على محذوف، و﴿الفاء﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: قل يا محمد، لمشركي قومك: أتدعونني إلى عبادة آلهتهكم، فتأمرونني أن أعبد غير الله ﴿غيرَ اللهِ﴾: مفعول مقدم لـ﴿أَعْبُدُ﴾، ﴿تَأْمُرُونِّي﴾: فعل وفاعل ونون وقاية ومفعول به مرفوع، وعلامة رفعة النون المدغمة في نون الوقاية، والجملة الفعلية: معطوفة على تلك المحذوفة، على كونها معترضة بين الفعل ومفعوله، والجملة المحذوفة: مقول لـ﴿قُلْ﴾. ﴿أَعْبُدُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر، وجملة ﴿أَعْبُدُ﴾: في تأويل مصدر بأن المصدرية المقدرة، منصوب على كونه مفعولاً ثانياً لـ﴿تَأْمُرُونِّي﴾، والتقدير: أتدعونني إلى عبادة آلهتكم، فتأمرونني عبادة غير الله سبحانه. ﴿أَيُّهَا﴾: ﴿أي﴾: منادى نكرة مقصودة،

و﴿الهاء﴾: حرف تنبيه زائد تعويضاً عما فات؛ أي: من الإضافة. ﴿ٱلْجَٰهِلُونَ﴾: صفة لـ﴿أي﴾: أو بدل منه، أو عطف بيان له، وجملة النداء: في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾ وفي المقام أوجه كثيرة من الإعراب، أعرضنا عنها خوفاً للإطالة.

﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم. ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿أُوحِىَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور في محل الرفع نائب الفاعل، وقيل: نائب الفاعل محذوف، يدل عليه سياق الكلام؛ أي: أوحي إليك التوحيد. ﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ﴾: معطوف على ﴿إِلَيْكَ﴾. ﴿مِن قَبْلِكَ﴾: صلة الموصول، والجملة الفعلية: جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم: مستأنفة. ﴿لَئِنْ﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم، مبني على الفتح. ﴿إن﴾: حرف شرط. ﴿أَشْرَكْتَ﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية، على كونه فعل شرط لها، وجواب ﴿إن﴾ الشرطية محذوف دل عليه جواب القسم، تقديره: يحبط عملك، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية: معترضة لا محل لها من الإعراب، لاعتراضها بين القسم وجوابه. ﴿لَيَحْبَطَنَّ﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم موكدة للأولى. ﴿يحبطنَّ﴾: فعل مضارع في محل الرفع؛ لتجرده عن الناصب والجازم، مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، ونون التوكيد: حرف لا محل له من الإعراب. ﴿عَمَلُكَ﴾: فاعل، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وهذا القسم مع جوابه: جواب للقسم الأول. ﴿وَلَتَكُونَنَّ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم. ﴿تكونَنَّ﴾: فعل مضارع ناقص في محل الرفع؛ لتجرده عن الناصب والجازم، مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، واسمها ضمير مستتر يعود على محمد. ﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: خبرها، وجملة ﴿تكونَنَّ﴾: معطوفة على جملة ﴿يحبطنَّ﴾.

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿بَلِ﴾: حرف عطف وإضراب، ولفظ الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾ مفعول لفعل محذوف. ﴿الفاء﴾: واقعة في جواب الشرط المحذوف، تقديره: لا تعبد ما أمرك الكفار

بعبادته، بل إن عبدت فاعبد الله دون ما سواه من الأنداد والأوثان، ﴿اعبد﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد، مبني على السكون، والجملة الفعلية: في محل الجزم بالشرط المحذوف، وجملة الشرط: معطوفة على جملة النهي المحذوف، كما قدرناه آنفاً، وقال الأخفش: ﴿الفاء﴾: زائدة، كما مر البسط فيه في مبحث التفسير. ﴿وَكُن﴾: فعل أمر ناقص معطوف على ﴿اعبد﴾، واسمه: ضمير مستتر يعود على محمد، ﴿مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: خبره.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿ما﴾: نافية. ﴿قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مستأنفة. ﴿حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾: منصوب على المفعولية المطلقة؛ أي: ما علموا كنهه، وما عرفوه حق معرفته. ﴿وَٱلْأَرْضُ﴾: ﴿الواو﴾: حالية. ﴿الأرض﴾: مبتدأ، ﴿جَمِيعًا﴾: حال من ﴿الأرض﴾ ﴿قَبْضَتُهُۥ﴾: خبر المبتدأ ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: متعلق بـ﴿قَبْضَتُهُۥ﴾، والجملة الاسمية في محل النصب حال من لفظ الجلالة؛ أي: ما عظموه حق عظمته، والحال أنه موصوف بهذه القدرة الباهرة. ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾: مبتدأ، ﴿مَطْوِيَّٰتٌۢ﴾: خبر ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿مَطْوِيَّٰتٌۢ﴾ والجملة: في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ﴾. ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف وجوباً، تقديره: أسبحه سبحاناً، وجملة التسبيح: مستأنفة. ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾: فعل ماض، وفاعله: ضمير مستتر يعود على الله. ﴿عَمَّا﴾: متعلق بـ﴿تعالى﴾، والجملة: معطوفة على جملة التسبيح، وجملة ﴿يُشْرِكُونَ﴾: صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة؛ أي: عما يشركونه به، أو لـ﴿ما﴾ المصدرية؛ أي: عن إشراكهم.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿وَنُفِخَ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿نفخ﴾: فعل ماض مغير الصيغة. ﴿فِى ٱلصُّورِ﴾: جار ومجرور في محل الرفع نائب فاعل، والجملة: مستأنفة. ﴿فَصَعِقَ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿صعق﴾: فعل ماض. ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل الرفع

فاعل، والجملة: معطوفة على جملة ﴿نفخ﴾. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: صلة لـ﴿مَن﴾ الموصولة، ﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: معطوف على ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَن﴾: اسم موصول في محل النصب على الاستثناء. ﴿شَآءَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة ﴿مَن﴾ الموصولة، والعائد: محذوف؛ أي: إلا من شاء الله بقاءَهُ. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وترتيب. ﴿نُفِخَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة. ﴿فِيهِ﴾: متعلق بـ﴿نُفِخَ﴾. ﴿أُخۡرَىٰ﴾: نائب فاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿نفخ في الصور﴾. ﴿فَإِذَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿إذا﴾: حرف فجأة، مبني على السكون. ﴿هُمۡ﴾: مبتدأ. ﴿قِيَامٞ﴾: خبر، وجملة ﴿يَنظُرُونَ﴾: خبر ثان أو صفة لـ﴿قِيَامٞ﴾، والجملة الاسمية: معطوفة على جملة قوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ﴾ عطف اسمية على فعلية؛ لأنها في تأويل الفعل؛ أي: ثم نفخ فيه أخرى، ففاجأهم القيام من قبورهم.

﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

﴿وَأَشۡرَقَتِ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿أشرقتِ الأرضُ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿ثُمَّ نُفِخَ﴾، ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أشرقت﴾ ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿وضع الكتاب﴾: فعل ونائب فاعل معطوف على ﴿أشرقت﴾، ﴿وَجِاْيٓءَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ﴿بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: نائب فاعل، ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾: معطوف عليه، والجملة الفعلية: معطوفة على ما قبلها. ﴿وَقُضِيَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿قضي﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ﴿بَيۡنَهُم﴾: متعلق بـ﴿قضي﴾. ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: جار ومجرور في محل الرفع نائب فاعل لـ﴿قضي﴾، ويجوز العكس، ﴿وَهُمۡ﴾: ﴿الواو﴾: حالية. ﴿هم﴾: مبتدأ، وجملة ﴿لَا يُظۡلَمُونَ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل النصب حال من ضمير ﴿بَيۡنَهُم﴾.

﴿وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿وَوُفِّيَتۡ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿وُفّيَتْ كلُّ نَفْسٍ﴾: فعل ونائب فاعل معطوف على ﴿قضي﴾، ﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي، في محل النصب مفعول ثان لـ﴿وُفّيَتْ﴾، وجملة ﴿عَمِلَتۡ﴾: صلته، والعائد: محذوف؛ أي: جزاء ما عملته، ولك أن تجعل ﴿مَا﴾: مصدرية؛ أي: عملهم، ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ﴾: مبتدأ وخبر،

و﴿الواو﴾: حالية، أو عاطفة، والجملة في محل النصب حال من ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾؛ أي: وفى الله تعالى جزاء عمل كل نفس حال كونه عالماً بما عملت، أو معطوفة على جملة ﴿وُفِّيَتْ﴾، ﴿بِمَا﴾ جار ومجرور متعلق بـ﴿أَعْلَمُ﴾؛ وجملة ﴿يَفْعَلُونَ﴾: صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾.

﴿وَسِيقَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿سِيْقَ الَّذِيْنَ﴾: فعل ونائب فاعل، وجملة ﴿كَفَرُوا﴾: صلة الموصول. ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾: متعلق بسيق. ﴿زُمَرًا﴾: حال من الموصول، والجملة الفعلية: معطوفة على جملة ﴿وُفِّيَتْ﴾ مسوقة لتفصيل توفية الحقوق. ﴿حَتَّىٰ﴾ ابتدائية، أو حرف جر وغاية، ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿جَاءُوهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة: في محل الخفض مضاف إليه لـ﴿إِذَا﴾ على كونها فعل شرط لها. ﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة: جواب ﴿إِذَا﴾، لا محل لها من الإعراب، والظرف: متعلق بالجواب، وجملة ﴿إِذَا﴾: مستأنفة، أو مجرورة بـ﴿حَتَّىٰ﴾ والجار والمجرور: متعلق بـ﴿سيق﴾؛ أي: وسيق الذين كفروا إلى جهنم، إلى فتح أبوابها وقت مجيئهم إياها، والأول أولى.

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

﴿وَقَالَ﴾: فعل ماض، ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به، ﴿خَزَنَتُهَا﴾: فاعل، والجملة: معطوفة على جملة ﴿فُتِحَتْ﴾. ﴿أَلَمْ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التقريري ﴿لَمْ﴾: حرف جزم ﴿يَأْتِكُمْ﴾: فعل مضارع ومفعول به مجزوم بـ﴿لَمْ﴾. ﴿رُسُلٌ﴾: فاعل ﴿مِّنكُمْ﴾: صفة لـ﴿رُسُلٌ﴾، والجملة الاستفهامية: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿يَتْلُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلق به. ﴿آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ مفعول به، والجملة الفعلية: في محل الرفع صفة ثانية لـ﴿رُسُلٌ﴾، ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول، معطوف على ﴿يَتْلُونَ﴾، ﴿لِقَاءَ يَوْمِكُمْ﴾: مفعول ثان ومضاف إليه. ﴿هَٰذَا﴾: نعت لـ﴿يَوْمِكُمْ﴾ أو بدل منه أو عطف بيان له. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة:

مستأنفة. ﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب لإثبات النفي؛ أي: بلى أتونا وتلوا علينا. ﴿وَلَٰكِنْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة على الجواب المحذوف، ﴿لَكِن﴾: حرف استدراك مهملة. ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾: فعل وفاعل معطوف على الجواب المحذوف. ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: متعلق بـ﴿حَقَّتْ﴾. ﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة. ﴿ٱدْخُلُوٓاْ. . .﴾ إلى آخر الآية. نائب فاعل محكي ومقول له، والجملة: مستأنفة، وإن شئت قلت: ﴿ٱدْخُلُوٓاْ﴾: فعل أمر وفاعل، ﴿أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾: مفعول به، على السعة، والجملة: في محل الرفع نائب فاعل لـ﴿قِيلَ﴾، ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال مقدرة من فاعل ﴿ٱدْخُلُوٓاْ﴾. ﴿فِيهَا﴾: متعلق بـ﴿خَٰلِدِينَ﴾. ﴿فَبِئْسَ﴾: ﴿الفاء﴾: استئنافية. ﴿بئس﴾: فعل ماض لإنشاء الذم. ﴿مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: فاعل ومضاف إليه، والمخصوص بالذم، محذوف، تقديره: هي، وجملة الذم: مستأنفة.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ﴾: فعل ونائب فاعل معطوف على ﴿سيق﴾ الأول، ﴿ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ﴾: متعلق بـ﴿سيق﴾، ﴿زُمَرًا﴾: حال من فاعل ﴿ٱتَّقَوْاْ﴾ وجملة ﴿ٱتَّقَوْاْ﴾: صلة الموصول، ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء، أو حرف جر وغاية ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان متعلق بالجواب المحذوف. ﴿جَآءُوهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة: في محل الخفض بإضافة ﴿إذا﴾ إليها، على كونها فعل شرط لها. ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾: فعل مغير ونائب فاعل، معطوف على ﴿جَآءُوهَا﴾، وجواب ﴿إِذَا﴾: محذوف دلالةً على أنه شيء لا يكتنه ولا يحيط به الوصف، تقديره: حتى إذا جاؤوها، وفتحت أبوابها. . رأوا بهجتها، وجملة ﴿إِذَا﴾: مستأنفة، أو مجرورة بـ﴿حَتَّىٰٓ﴾ بمعنى إلى، والتقدير: وسيق الذين اتقوا إلى الجنة، إلى رؤيتهم بهجتها وقت مجيئها، وفتح أبوابها، والجار والمجرور: متعلق بـ﴿سِيقَ﴾، ﴿وَقَالَ﴾: فعل ماض، ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به، ﴿خَزَنَتُهَآ﴾: فاعل والجملة: معطوفة على جواب ﴿إِذَا﴾ المحذوف، وقيل: ﴿الواو﴾: في ﴿وَفُتِحَتْ﴾: زائدة في جواب ﴿إذا﴾.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

﴿سَلَٰمٌ﴾: مبتدأ، ﴿عَلَيْكُمْ﴾: خبره، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿طِبْتُمْ﴾: فعل ماض وفاعل، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿فَٱدْخُلُوهَا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة تفريعية، ﴿ادخلوها﴾: فعل أمر وفاعل ومفعول به، معطوف على ﴿طِبْتُمْ﴾. ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من فاعل ﴿ادخلوا﴾. ﴿وَقَالُواْ﴾: فعل وفاعل معطوف على مقدر، تقديره: فدخلوها وقالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُواْ﴾ ﴿ٱلَّذِى﴾: صفة للجلالة. ﴿صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر، ومفعولان، والجملة: صلة الموصول، ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر ومفعولان معطوف على ﴿صَدَقَنَا﴾. ﴿نَتَبَوَّأُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر، والجملة: في محل النصب حال من مفعول ﴿وَأَوْرَثَنَا﴾ الأول. ﴿مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾: متعلق بمحذوف حال من ﴿حيث﴾ المذكورة بعده. ﴿حَيْثُ﴾: ظرف مكان متعلق بـ﴿نَتَبَوَّأُ﴾، أو مفعول به لـ﴿نَتَبَوَّأُ﴾؛ أي: نتبوأ أيَّ مكان شئناً حال كونه من الجنة، ﴿نَشَآءُ﴾ فعل مضارع مرفوع بالضمة والفاعل مستتر تقديره نحن والجملة في محل جر بالإضافة. ﴿فَنِعْمَ﴾: ﴿الفاء﴾: استئنافية. ﴿نعم﴾: فعل ماض من أفعال المدح ﴿أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾: فاعل، والجملة: مستأنفة، والمخصوص بالمدح: محذوف، تقديره: هي أي الجنة في محل رفع مبتدأ وجملة ﴿نعم﴾ في محل رفع خبر؛ أي: الجنة.

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿وَتَرَى﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿ترى الملائكة﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة: مستأنفة، و﴿ترى﴾ بصرية. ﴿حَآفِّينَ﴾: حال من ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿حَآفِّينَ﴾، وجملة ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: حال ثانية من ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾، ﴿وَقُضِىَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة أو استئنافية، ﴿قضي﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف نائب عن الفاعل أو متعلق بـ﴿قضي﴾، ونائب الفاعل: مصدر مفهوم من الفعل؛ أي: قضي القضاء. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: حال من المصدر المحذوف الواقع نائب فاعل، ولك أن تعلق الظرف بـ﴿قضي﴾. و﴿بِٱلْحَقِّ﴾: نائب فاعل، وجملة ﴿قضي﴾: معطوفة على جملة ﴿ترى﴾، أو مستأنفة، ﴿وَقِيلَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

نائب فاعل محكي لـ﴿قيل﴾ والجملة معطوفة على جملة ﴿قضي﴾ وإن شئت ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ مبتدأ أو خبر ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ صفة للجلالة، والجملة الاسمية في محل الرفع نائب فاعل لـ﴿قِيلَ﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ الإسراف: تجاوز الحد في كل ما يفعله المرء، وكثر استعماله في إنفاق المال وتبذيره، والمراد هنا: الإفراط في المعاصي. قال الراغب: السرف: تجاوز الحد في كل ما يفعله الإنسان، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: يتناول الإسراف في الأموال وفي غيرها. انتهى.

﴿لَا تَقْنَطُوا۟﴾؛ أي: لا تيأسوا، من قنط يقنط بكسر النون، من باب جلس، وبفتحها من باب طرب وسلم، وقرىء: بضمها شاذاً من باب دخل، وفي «المختار»: القنوط: اليأس، وبابه: جلس ودخل وطرب وسَلم، فهو قنوط وقنط وقانط. اهـ. وفي «المفردات»: القنوط: اليأس من الخير. ﴿مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ والرحمة من الله: الإنعام والإعطاء والتفضل.

﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ من الإنابة، وهو: الرجوع إلى الله بالطاعة، فيه إعلال بالنقل والتسكين والقلب، أصله: أنوبوا، نقلت حركة الواو إلى النون فسكنت الواو إثر كسرة، فقلبت ياءً حرف مد فصار ﴿أنيبوا﴾. ﴿وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ من الإسلام وهو: الانقياد والإخلاص له.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ صيغة المبالغة فيهما راجعة إلى كثرة الذنوب، وكثرة المغفور والمرحوم. اهـ من «الروح». ﴿أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ وهو القرآن، فإن ما أنزل إلينا من ربنا كتب كثيرة، أحسنها القرآن. اهـ. شيخنا.

﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ بالألف بدلاً عن ياء المتكلم، إذ أصله: يا حسرتي، تقول العرب: يا حسرتي يا لهفي، ويا حسرتا ويا لهفا، ويا حسرتاي ويا لهفاي، بالجمع بين العوض والمعوّض، تقول هذه الكلمة في نداء الاستغاثة، كما في «كشف الأسرار». وقد أوضحنا إعراب هذه الكلمة أي إيضاح في رسالتنا «هدية أولي العلم

والإنصاف في إعراب المنادى المضاف» فراجعها إن شئت. والحسرة: الغم على ما فاته، والندم عليه، كأنه انحسر الجهل عنه الذي حمله على ما ارتكبه، وقال بعضهم: الحسرة: أن تأسف النفس أسفاً، تبقى منه حسيراً؛ أي: منقطعةً، وقال الخازن: الحسرة: الاغتمام والحزن على ما فات. اهـ.

﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾ قال الراغب: الإفراط: أن يسرف في التقدم، والتفريط: أن يقصر فيما هو المراد، فإن الفرط المتقدم.

﴿فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في عبادته وطاعته، والجنب والجانب: كلاهما بمعنى جهة الشيء المحسوسة، وإطلاق الجنب على الطاعة مجاز بالاستعارة، كما سيأتي في مبحثه إن شاء الله تعالى، يقال هو في جنب فلان وفي جانبه؛ أي: في جهته وناحيته، ثم اتسع فيه، فقيل: فرط في جنبه؛ أي: في حقه، اهـ «سمين». وقال الراغب: أصل الجنب: الجارحة، جمعه جنوب، ثم استعير في الناحية التي تليها، كاستعارة سائر الجوارح لذلك، نحو اليمين والشمال، وقوله: ﴿فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في أمره وحده الذي حده لنا. ﴿لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾؛ أي: من المستهزين بدين الله تعالى وأهله. ﴿كَرَّةً﴾؛ أي: رجعةً إلى الدنيا، يقال: كر عليه عطف، وعنه رجع، والكرة: المرة والحملة، كما في «القاموس».

﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ المفازة: إما مصدر ميمي أو اسم مكان، وعلى كل حال أصله مفوزة، بوزن مفعلة، نقلت حركة الواو إلى الفاء، ثم قلبت ألفاً؛ لتحركها في الأصل وانفتاح ما قبلها الآن، فصار مفازة.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾؛ أي: قيم بالحفظ والحراسة، فيتولى التصرف بحسب الحكمة والمصلحة.

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: مفاتيح، لفظ فارسي معرب، واحده إقليد، معرب إكليد، وهو في الفارسي بمعنى: المفتاح في العربي، وإن كان شائعاً بين الناس بمعنى الفعل، جمع جمعاً شاذاً، كالمذاكير، جمع ذكر، وإلا فحقه أن يجمع على أقاليد، وهو إما جمع مقلاد بوزن مفعال، فالياء فيه: منقلبة عن الألف في المفرد، أو جمع مقليد، ولا قلب فيه، أو لا واحد له من لفظه، كأساطير وأخواته، ويقال أيضاً: إقليد وأقاليد.

﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ في «المصباح»: حبط العمل يحبط، من باب تعب، حبطاً بالسكون وحبوطاً: فسد وهدر، وحبط يحبط من باب ضرب لغةً، وقرئ بها في الشواذ، وحبط دم فلان حبطاً، من باب تعب: هدر، وأحبطت العمل والدم بالألف: أهدرته. اهـ.

﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾ أصله: تأمرونني، بإظهار النونين، ثم أدغمت أولاهما، وهي علم الرفع في الثانية، وهو للوقاية، وقد قرأ ابن عامر: على الأصل؛ أي: بإظهارهما، ونافع: بحذف الثانية، فإنها تحذف كثيراً.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ القدر: التعظيم، كما في «القاموس». فالمعنى: ما عظموا الله حق تعظيمه، حيث جعلوا له شريكاً، ويقال: قدر الشيء قدره: من التقدير، كما في «المختار». وقال الراغب في «المفردات»: ما عرفوا كنهه.

﴿قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ القبضة: المرة من القبض؛ أطلقت بمعنى القبضة، وهي: المقدار المقبوض بالكف، تسميةً بالمصدر، أو بتقدير ذات قبضته، وفي «المفردات»: القبض: التناول بجميع الكف، نحو قبض السيف وغيره، ويستعار القبض لتحصيل الشيء، وإن لم يكن فيه مراعاة الكف، كقولك: قبضت الدار من فلان؛ أي: حزتها.

﴿مَطْوِيَّٰتُۢ﴾: جمع مطوية، اسم مفعول من طوى الثلاثي، أصله: مطوُيات، اجتمعت الواو الثانية والياء، وسبقت إحداهما ساكنة، فقلبت الواو ياءً، وأدغمت في الياء، ثم كسرت الواو، مناسبة الياء. ﴿فَصَعِقَ﴾ يقال: صعق الرجل: إذا فزع فأغمي عليه، وربما مات منه، ثم استعمل في الموت كثيراً، كما في «المشارق». ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ والكتاب في الأصل: اسم للصحيفة مع المكتوب فيه.

﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ أصله: قوام، قلبت الواو ياءً؛ لوقوعها بعد كسرة وقبل ألف. ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ أصلة جيء بوزن فعل، مبني للمجهول، استثقلت الكسرة على الياء حيث ينتقل من ضمة إلى كسرة، فحذفت حركة الياء فسكنت، ثم حركت الفاء بالكسر؛ لمناسبة الياء، فقيل جيء؛ لأن الياء صارت حرف مدّ لما سكنت إثر كسرة. ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ جمع شهيد، ككرماء جمع كريم، وشرفاء جمع شريف.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ وأصل ﴿سيق﴾: سوق بوزن فعل، مبني للمجهول، استثقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى فاء الكلمة فسكنت الواو بعد كسرة، فقلبت ياءً حرف مد، والسوق: الحث على السير بعنف وإزعاج، علامةً على الإهانة والاحتقار، والزمر: الأفواج المتفرقة بعضها في إثر بعض، والزمر: جمع زمرة، وهي الجمع القليل، ومنه قيل شاة زمرة: قليلة الشعر، واشتقاقها من الزمر؛ وهو الصوت، إذ الجماعة لا تخلو عنه. ﴿خَزَنَتُهَآ﴾ واحدهم خازن، نحو سدنة وسادن.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ أصله: طيب، بوزن فعل من باب باع، قلبت الياء ألفاً؛ لتحركها بعد فتح، ثم أسند الفعل إلى ضمير الرفع المتحرك، فصار اللفظ: طابتم، فالتقي الساكنان فحذفت الألف فصار طبتم، فاحتيج إلى معرفة عين الفعل الحذوفة، هل هي واو أو ياء؟ فحذفت حركة الفاء، وعوض عنها شكلة مجانسة لتلك العين المحذوفا، التي هي ياء، والمجانس لها هو الكسرة، فقيل ﴿طِبْتُمْ﴾ بوزن فلتم، بكسر الفاء. ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ يقال بوأت له مكاناً: سويته وهيأته.

﴿حَآفِّينَ﴾؛ أي: محدقين محيطين بالعرش، مصطفين بحافته وجوانبه. اهـ «خازن». وعبارة السمين: قوله: حافين: جمع حاف، وهو المحدث بالشيء، من حففت بالشيء: إذا أحطت به، وهو مأخوذ من الحفاف وهو الجانب، وقال الفراء، وتبعه الزمخشري: لا واحد لـ﴿حَآفِّينَ﴾ من لفظه، وكأنهما رأيا أن الواحد لا يكون حافاً، إذ الحفوف هو الإحداق بالشيء والإحاطة به، وهذا لا يتحقق إلا في جمع. اهـ. وأصله: حاففين، أدغمت عينه في لامه، فقيل: حافين.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

واعلم: أنه قال علماء البيان: اشتمل قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ على سبعة فنون من علمي البيان والبديع، نلخصها فيما يأتي.

١ ـ إقباله تعالى على عباده، وفي ذلك منتهى الاطمئنان لهم، لمحو ما سبق

من الذنوب والأوضار، والإشعار بأن أمامهم مندوحة من الوقت لاستدراك ما فرّط، ورأب ما انصدع.

٢ ـ نداؤهم، وفي ذلك من التودد إليهم، والتلطف بهم ما يهيب بذوي المسكة من العقول منهم إلى المبادرة بالإنابة، والرجوع بالتوبة.

٣ ـ إضافتهم إليه إضافة تشريف لهم.

٤ ـ إضافة الرحمة إلى لفظ الجلالة، الجامع لجميع الأسماء والصفات، إشعاراً بأنها هي الأصل في معاملته لعباده.

٥ ـ إعادة الظاهر بلفظه في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾.

٦ ـ الالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله: ﴿مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ لتخصيص الرحمة بالاسم الكريم، والأصل لا تقنطوا من رحمتي.

٧ ـ الاتيان بالجملة المعرّفة الطرفين، المؤكدة بأن وضمير الفصل والصفتين الموضوعتين للمبالغة.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فهذه سبعة فنون كاملة في آية واحدة.

ومنها: إطلاق الخاص، وإرادة العام في قوله: ﴿أَسۡرَفُواْ﴾ لأن الإسراف في الأصل: خاص بالإفراط في صرف المال، والمراد: ما يعم الإسراف في الأموال وغيرها.

ومنها: إطلاق العموم بمعنى الخصوص في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾؛ لأن الشرك ليس بداخل في الآية.

ومنها: التنكير لإفادة التقليل في قوله: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٌ﴾ لأن المراد بها بعض الأنفس، وهي الكافر؛ لأنها التي تقول ذلك، وقيل للتكثير والتعميم؛ ليشيع في كل النفوس.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ حيث شبهت الطاعة بالجنب بمعنى الجهة المحسوسة، بجامع تعلق كل بصاحبه، فالطاعة

لها تعلق بالله، كما أن الجهة لها تعلق بصاحبها.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: مفاتيح خيراتهما، ومعادن بركاتهما، فشبّه الخيرات والبركات بخزائن، واستعار لها لفظ المقاليد بمعنى المفاتيح.

ومعنى الآية: خزائن رحمته وفضله بيده سبحانه.

ومنها: الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ مثّل عظمته وكمال قدرته، وحقارة الأجرام العظام، التي تتحير فيها الأوهام بالنسبة لقدرته تعالى بمن قبض شيئاً عظيماً بكفه، وطوى السموات بيمينه، بطريق الاستعارة التمثيلية، قال في «تلخيص البيان»: وفي الآية استعارة، ومعنى ذلك أن الأرض في مقدوره، كالذي يقبض عليه القابض، فتستولي عليه كفه، ويحوزه ملكه ولا يشاركه غيره، والسموات مجموعات في ملكه، مضمومات بيمينه.

ومنها: توافق الفواصل في الحرف الأخير، وهو نهاية في الروعة والجمال، في قوله: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

ومنها: الاتيان بصيغة الماضي في قوله: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ إشعاراً بتحقق وقوعه.

ومنها: تقديم المعمول على عامله؛ لإفادة القصر في قوله: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾.

ومنها: عطف المسبب على السبب في قوله: ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ فإن عطف الخسران على الحبوط، من عطف المسبب على السبب.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ فإنه شبه العدل بالنور، بجامع الإظهار في كل، فإن العدل يظهر الحقوق، كما أن النور يظهر ما خفي في الظلام، فاستعار اسم المشبّه به للمشبه على طريقة الاستعارة التصريحية.

ومنها: إبهام القائل في قوله: ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾؛ لتهويل المقول.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

* * *

مجمل موضوعات هذه السورة الكريمة

اشتملت هذه السورة على المقاصد التالية:

١- وصف الكتاب الكريم.

٢- الأمر بعبادة الله وحده، والنعي على المشركين في عبادتهم للأوثان والأصنام.

٣- إقامة الأدلة على وحدانية الله.

٤- طبيعة المشرك في السرّاء والضراء.

٥- ضرب الأمثال في القرآن، وفائدة ذلك.

٦- تمني المشركين الفداء حين يرون العذاب.

٧- الوعد بغفران ذنوب من أسرفوا على أنفسهم إذا تابوا.

٨- ما يرى على وجوه أهل النار من الكآبة والحزن.

٩- ذكر أحوال يوم القيامة.

١٠- وصف ذهاب أهل النار إلى المحشر، وما يشاهدونه من الأهوال.

١١- وصف ذهاب أهل الجنة وما يشاهدونه فيها من النعيم المقيم.

١٢- بعد فصل القضاء يقول أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

سورة غافر

سورة غافر، وتسمى سورة المؤمن وسورة الطول، مكية نزلت بعد الزمر قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة، وقال ابن عباس وقتادة: إلا آيتين نزلتا بالمدينة، وهما قوله: ﴿يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ والتي بعدها، وقال الزجاج: وذكر أن الحواميم كلها نزلت بمكة. وآيها: خمس وثمانون، وقيل: اثنتان وثمانون آية. وكلماتها: ألف ومئة وتسع وتسعون. وحروفها: أربعة آلاف وتسع مئة وستون حرفاً.

الناسخ والمنسوخ فيها: وقال أبو عبد الله محمد بن حزم: سورة المؤمن كلها محكم، غير آيتين:

أولاهما: قوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ الآية (٥٥). نسخ الأمر بالصبر بآية السيف.

والآية الثانية: قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ﴾ الآية (٧٧)، نسخت أيضاً بآية السيف، انتهى.

تسميتها: سميت سورة غافر؛ لأن الله سبحانه ذكر هذا الوصف الجليل، الذي هو من صفات الله الحسنى في مطلع السورة الكريمة ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ وكرر ذكر المغفرة في دعوة الرجل المؤمن: ﴿وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ﴾. وتسمى سورة المؤمن لذكر قصة مؤمن آل فرعون فيها.

المناسبة لما قبلها:

١ـ أنه[1] ذكر في سابقتها ما يؤول إليه حال الكافر وحال المؤمن، وذكر هنا أنه غافر الذنب؛ ليكون ذلك استدعاءً للكافر إلى الإيمان، والإقلاع عن الكفر.

٢ـ أنه ذكر في كل منهما أحوال يوم القيامة، وأحوال الكفار فيه، وهم في

---

(١) المراغي.

المحشر، وهم في النار.

وقال أبو حيان[1]: مناسبة أول هذه السورة لآخر الزمر: أنه تعالى لما ذكر ما يؤول إليه حال الكافرين وحال المؤمنين.. ذكر هنا أنه تعالى غافر الذنب وقابل التوب؛ ليكون ذلك استدعاءً للكافر إلى الإيمان، وإلى الإقلاع عما هو فيه، وأن باب التوبة مفتوح، وذكر شدة عقابه وصيرورة العالم كلهم إليه؛ ليرتدع عما هو فيه، وأن رجوعه إلى ربه فيجازيه بما يعمل من خير أو شر. انتهى.

فضلها: ومن فضائلها:

ما أخرجه[2] محمد بن نصر وابن مردويه عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني الراءات إلى الطواسين مكان الإنجيل، وأعطاني ما بين الطواسين إلى الحواميم مكان الزبور، وفضّلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي».

وأخرج أبو عبيد في «فضائله» عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: إن لكل شيء لباباً، وإن لباب القرآن آل حم.

وأخرج أبو عبيد وابن الضريس وابن المنذر والحاكم والبيهقي في «الشعب» عن ابن مسعود قال: الحواميم ديباج القرآن.

وأخرج أبو عبيد ومحمد بن نصر وابن المنذر عنه قال: إذا وقعت في آل حم.. وقعت في روضات دمثات، أتأنق فيهن.

وأخرج أبو الشيخ وأبو نعيم والديلميّ عن أنس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الحواميم ديباج القرآن».

وأخرج البيهقي في «الشعب» عن خليل بن مرة أن رسول الله ﷺ قال: الحواميم سبع، وأبواب النار سبع، تجيء كل حم منها تقف على باب من هذه الأبواب، تقول: اللهم، لا تدخل من هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرؤني».

وأخرج أبو عبيد وابن سعد ومحمد بن نصر وابن مردويه والبيهقي في

---

(١) البحر المحيط. (٢) الشوكاني.

«الشعب» عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حم المؤمن إلى ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ وآية الكرسي حين يصبح.. حفظ بهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي.. حفظ بهما حتى يصبح.

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال[1]: إن مثل صاحب القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلاً، فمر بأثر غيث، فبينما هو يسير فيه ويتعجّب منه؛ إذ هبط على روضات دمثات، فقال: عجبت من الغيث الأول، فهذا أعجب منه وأعجب، فقيل له: إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن، وإن مثل هذه الروضات الدمثات مثل آل حم في القرآن، وقال سعيد بن ابن إبراهيم: كل آل حم تسمى العرائس.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «لكل شيء ثمرة، وإن ثمرة القرآن ذوات حم، هن روضات حسان مخصبات متجاورات، فمن أحبّ أن يرتع في رياض الجنة.. فليقرأ الحواميم».

وعنه أيضاً: «مثل الحواميم. في القرآن، كمثل الحبرات في الثياب». ذكرهما الثعلبيّ، اهـ «قرطبي». وقال الجوهري وأبو عبيد: وآل حم سور في القرآن، فأما قول العامة: الحواميم فليس من كلام العرب، وقال أبو عبيد: الحواميم سور في القرآن على غير قياس، قال: والأولى أن تجمع بذوات حم.

فتلخص من مجموع هذه الأخبار[2]: أن هذه السور السبع تسمى الحواميم، وتسمى آل حم، وتسمى ذوات حم، فلها جموع ثلاثة، خلافاً لمن أنكر الأول منها. تأمل.

وقال محمد بن القاسم الأنباري[3]: العرب تقول: وقع في الحواميم وفي آل حميم، أنشد أبو عبيدة:

حَلَفْتُ بِٱلسَّبْعِ ٱللَّوَاتِي طُوِّلَتْ ... وَبِمِئِيْنَ بَعْدَهَا قَدْ أُمِئِيَتْ

وَبِمَثَانٍ ثُنِّيَتْ فَكُرِّرَتْ ... وَبِٱلطَّوَاسِيْنِ ٱللَّوَاتِي ثُلِّثَتْ

وَبِٱلْحَوَامِيْمِ ٱللَّوَاتِي سُبِّعَتْ ... وَبِٱلْمُفَصَّلِ ٱللَّوَاتِي فُصِّلَتْ

---

(١) الخازن.

(٢) الفتوحات.

(٣) زاد المسير.

فمن قال وقع في آل حميم.. جعل حاميم اسماً لكلهن، ومن قال: وقع في الحواميم جعل حم، كأنه حرف واحد بمنزلة قابيل وهابيل، وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي: قال: من الخطأ أن تقول: قرأت الحواميم، وليس من كلام العرب، والصواب أن تقول: قرأت آل حاميم.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ
ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ
أُمَّةِۢ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾
وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ
حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ
رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ
عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ
﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ
فَتَكۡفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن
سَبِيلٖ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ
ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن
يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ
يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا
ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ
مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ
يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞
أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ
وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت
تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾ .

المناسبة

لقد قدمنا لك بيان المناسبة بين أول هذه السورة وآخر سابقتها، وأما قوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ الآيات، فمناستبها لما قبلها: أن الله سبحانه لما[1] بين أن القرآن كتاب أنزله لهداية الناس، وسعادتهم في دنياهم وآخرتهم، إذا هم عملوا بهديه.. ذكر أحوال من يجادل فيه لغرض إبطاله، وإخفاء نوره، ثم أرشد رسوله أن لا يغتر بأحوال أولئك المجادلين، وتركهم سالمين في أبدانهم وأموالهم، يتصرفون في البلاد للتجارة لسعة الرزق، والتمتع بزخرف الدنيا، فإنه سيأخذهم أخذ عزيز مقتدر، كما فعل بأمثالهم من الأمم الماضية، ممن كذبوا رسلهم، فحل بهم البوار في الدنيا، وسينزل بهم النكال في الآخرة، في جهنم وبئس القرار.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما أبان ما أظهره المشركون للمؤمنين من العداوة ومجادلتهم للرسل بالباطل؛ لإطفاء نور دعوتهم.. أردف ذلك ببيان أن أشرف المخلوقات، وهم الملائكة الذين يحملون العرش، والحافون حول العرش، يحبون المؤمنين، ويطلبون لهم ولآبائهم وأزواجهم وذريّاتهم المغفرة من ربهم، فلا تبال أيها الرسول بهؤلاء المشركين، ولا تقم لهم وزناً، وكفاك نصرة حملة العرش والحافين حوله.

وعبارة أبي حيان: مناسبتها لما قبلها[2]: أنه تعالى لما ذكر جدال الكفار في آيات الله وعصيانهم.. ذكر طاعة هؤلاء المصطفين من خلقه، وهم حملة العرش ومن حوله، وهم الحافون به من الملائكة. انتهى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر فيما سلف أحوال المشركين المجادلين في آيات الله.. أردف ذلك ببيان أنهم يوم القيامة يعترفون بذنوبهم، وباستحقاقهم ما سيحل بهم من النكال والوبال، ويسألون الرجوع

---

(١) المراغي. (٢) البحر المحيط.

إلى الدنيا ليتلافوا ما فرط منهم، وبعد أن هددهم أعقب ذلك بما يدل على كمال قدرته وحكمته، بإظهاره للآيات، وإنزاله للأرزاق، وأنه أرفع الموجودات، لأنه مستغن عن كل ما سواه، وكل ما سواه محتاج إليه، وأنه ينزل الوحي على من يشاء من عباده؛ لينذر بالعذاب يوم الحساب والجزاء.

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ...﴾ الآيات، مناسبتها لما قبلها: أنه سبحانه لما ذكر فيما سلف أن الأنبياء ينذرون الناس بيوم التلاق.. أعقب ذلك بذكر أوصاف هائلة، تصطك منها المسامع، وتشيب من هولها الولدان لهذا اليوم المهيب.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ...﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها: أنه سبحانه لما بالغ في تخويف الكفار بعذاب الآخرة.. أردفه بتخويفهم بعذاب الدنيا، فطلب إليهم أن ينظروا إلى من قبلهم، ممن كانوا أشد منهم قوة، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر، إذ كذبوا رسلهم حين جاؤوهم بالبينات.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية[١]: ما أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي عن أبي مالك: أنها نزلت في الحارث بن قيس السهمي.

التفسير وأوجه القراءة

﴿حمٓ ①﴾: اسم[٢] للسورة، ومحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي: هذه السورة مسماة بحم، نزلت منزلة الحاضر المشار إليه؛ لكونها على شرف الذكر والحضور.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: حمٓ اسم الله الأعظم، وعنه قال: ﴿حمٓ ①﴾ اسم الله الأعظم، وعنه قال: ﴿الٓر﴾ و﴿حمٓ ①﴾ و﴿نٓ﴾: حروف، اسمه الرحمن مقطعة، وقيل الحاء: افتتاح أسمائه حليم وحميد وحي وحكيم وحنَّان،

---

(١) لباب النقول. (٢) روح البيان.

والميم: افتتاح أسمائه ملك ومجيد ومنان، وقيل: ﴿حمٓ ۝١﴾ معناه: حم بضم الحاء؛ أي: قضي وبين ما هو كائن إلى يوم القيامة.

وقرأ الجمهور[1]: بفتح الحاء مشبعاً، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: بإمالته إمالةً محضةً، وقرأ أبو عمرو ونافع في رواية ورش: بإمالته بين بين، وقرأ الجمهور: ﴿حمٓ ۝١﴾ بسكون الميم، كسائر الحروف المقطعة، وقرأ الزهري: بضمها، على أنه خبر مبتدأ مضمر، أو مبتدأ، والخبر ما بعده، وقرأ عيسى بن عمر الثقفي: بفتحها، على أنه منصوب بفعل مقدر؛ أي: اقرأ حم، وإنما منعت من الصرف للعلمية والتأنيث، أو للعلمية وشبه العجمة، وذلك أنه ليس في الأوزان العربية وزن فاعيل، بخلاف الأعجمية، نحو قابيل وهابيل، أو على أنها حركة بناء تخفيفاً، كأين وكيف، وعلة البناء فيه: الشبه الوضعي، وقرأ أبو السمال: بكسرها لالتقاء الساكنين، أو بتقدير القسم، وقرأ الجمهور: بوصل الحاء بالميم، وقرأ أبو جعفر؛ بقطعها.

وعبارة «المراغي» هنا: ﴿حمٓ ۝١﴾ تقدم الكلام في أمثال هذه الحروف المقطعة في أوائل السور بما يغني عن إعادته هنا، وقد اخترنا هناك أن أحسن الآراء في ذلك: أنها كلمات يراد بها التنبيه في أول الكلام، نحو ﴿ألا﴾ و﴿يا﴾ وينطق بأسمائها، فيقال: حاميم بتفخيم الألف وتسكين الميم، ويجمع على حواميم وحواميمات، وأنكر ذلك الجوالقي والحريري وابن الجوزي، وقالوا: لا يقال ذلك، بل يقال: آل حم، ويؤيد ذلك أن صاحب «الصحاح»: نقل عن الفراء أن قول العامة: الحواميم ليس من كلام العرب، وحديث ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ وقد تقدم: إذا وقعت في آل حم.. فقد وقعت في روضات دمثات، أتأنق فيهن، وعلى هذا قول الكميت بن زيد في الهاشميات:

وَجَدْنَا لَكُمْ فِيْ آلِ حَم آيَةً ... تَأَوَّلَهَا مِنَّا تَقِيٌّ وَمُعْرِبُ

يريد بذلك قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾. انتهى.

وقال الشوكاني: وقد اختلف في معناه، فقيل هو اسم من أسماء الله تعالى،

---

(١) الشوكاني.

وقيل: اسم من أسماء القرآن، وقال الضحاك والكسائي: معناه قضي ووقع ما هو كائن إلى يوم القيامة. وجعلاه بمعنى حم؛ أي: قضي ووقع، وقيل: معناه حم أمر الله؛ أي: قرب نصره لأوليائه، وانتقامه من أعدائه، وهذا تكلف لا موجب له، وتعسف لا مُلجِىء إليه، والحق أن هذه الفاتحة لهذه السورة وأمثالها من المتشابه الذي استأثر الله سبحانه بعلم معناه، كما قدمنا تحقيقه في أول سورة البقرة. انتهى.

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هو خبر لـ﴿حمٓ ۝١﴾ على تقدير أنه مبتدأ؛ أي: سورة حم الكتاب المنزل ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ إلخ. فالمصدر بمعنى اسم المفعول، أو خبر لمبتدأ محذوف، أو هو مبتدأ وخبره ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ والمصدر على معناه، وهذا أولى الوجوه؛ أي: تنزيل هذا الكتاب الكريم كائن من الله تعالى، لا كما يقول الكفار ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾؛ أي: الغالب القاهر على ما أراد ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بكل المعلومات، ولعل تخصيص هذين الوصفين لما في القرآن من الإعجاز وأنواع العلم الدالين على القدرة الكاملة والعلم البالغ، وفي «فتح الرحمن»: العزيز الذي لا مثل له، العليم بكل المعلومات، أو الكثير العلم بخلقه، وبما يقولونه ويفعلونه.

والمعنى: أي هذا القرآن تنزيل من الله الغالب، القاهر في ملكه، الكثير العلم بخلقه وبما يقولون وما يفعلون، وفي هذا إيماء إلى أنه ليس بمتقول ولا مما يجوز أن يكذب به ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ صفة أخرى للجلالة، والإضافة حقيقيّة؛ لأنه لم يرد به زمان مخصوص؛ لأن صفات الله تعالى أزلية منزهة عن التجدد والتقيد بزمان دون زمان، وإن كان تعلقها حادثاً بحسب حدوث المتعلقات كالذنب في هذا المقام، واسم الفاعل يجوز أن يراد به الاستمرار، بخلاف الصفة المشبهة، والغافر: الساتر، والذنب: الإثم، يستعمل في كل فعل يضرّ في عقباه، اعتباراً بذنب الشيء؛ أي: آخره، ولم يقل: غافر الذنوب بالجمع، إرادةً للجنس، كما في الحمد لله.

والمعنى: ساتر جميع الذنوب، صغائرها وكبائرها، بتوبة وبدونها، ولا يفضح صاحبها يوم القيامة، كما يقتضيه مقام المدح العظيم ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ والقابل في الأصل: هو الذي يستقبل الدلو من البئر فيأخذها، والقابلة: التي تقبل الولد عند الولادة، والتوب مصدر، كالتوبة: وهو ترك الذنوب على أحد الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار، فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه، إما أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا، أو فعلت وأسأت، وأقلعت، ولا رابع لذلك، وهذا

الثالث هو التوبة، والتوبة في الشرع: هي ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربعة.. فقد كملت شرائط التوبة، فالتوبة هي الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود في الدين، والاستغفار: عبارة عن طلب المغفرة بعد رؤية قبح المعصية والإعراض عنها، فالتوبة مقدمة على الاستغفار، والاستغفار لا يكون توبة بالإجماع، ما لم يقل معه: تبت وأسأت ولا أعود إليه أبداً، فاغفر لي يا رب.

وتوسيط الواو بين الغافر والقابل؛ لإفادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة في موصوف واحد بالنسبة إلى طائفة هي طائفة المذنبين التائبين، فالمغفرة بمحو الذنوب بالتوبة، والقبول بجعل تلك التوبة طاعة مقبولاً يثاب عليها، فقبول التوبة كناية عن أنه تعالى يكتب تلك التوبة للتائب طاعة من الطاعات، وإلا لما قبلها؛ لأنه لا يقبل إلا ما كان طاعة، أو لتغاير الوصفين، إذ ربما يتوهم الاتحاد، بأن يذكر الثاني لمجرد الإيضاح والتفسير، أو لتغاير موقع الفعلين ومتعلقهما؛ لأن الغفر: هو الستر مع بقاء الذنب، وذلك لمن لم يتب من أصحاب الكبائر، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والقبول بالنسبة إلى التائبين عنها.

وفي «الأسئلة المقحمة»: قدم المغفرة على التوبة؛ رداً على المعتزلة، ليعلم أنه تعالى ربما يغفر من غير توبة ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾؛ أي: مشدد العقاب لمن مات على الشرك، فهو اسم فاعل، كما قبله، فصح جعله نعتاً للمعرفة، حيث يراد به الدوام والثبوت، وليس بصفة مشبهة، حتى تكون الإضافة لفظية، بأن يكون من إضافة الصفة إلى فاعلها، ولئن سلم.. فالمراد الشديد عقابه باللام فحذفت للازدواج مع ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ في الخلو عن الألف واللام ﴿ذِى ٱلطَّوۡلِۖ﴾؛ أي: صاحب الفضل والإحسان على من آمن به بترك العقاب المستحق، وذي الغنى على من لم يؤمن به، والطول بالفتح: الفضل، يقال: لفَلان على فلان طول؛ أي: زيادة وفضل، وأصل هذه الكلمة من الطول الذي هو خلاف القصر؛ لأنه إذا كان طويلاً.. ففيه كمال وزيادة، كما أنه إذا كان قصيراً.. ففيه قصور ونقصان، وسمي الغني أيضاً طولاً، لأنه ينال به من المرادات ما لا ينال عند الفقر، كما أنه بالطول ينال ما لا ينال بالقصر، كذا في «تفسير الإمام» في سورة النساء، والمراد هنا:

الفضل بترك العقاب المستحق، وإيراد صفة واحدة في جانب الغضب بين صفات الرحمة: دليل سبقها ورجحانها.

والمعنى: أي وهو سبحانه الإله الذي يغفر ما سلف من الذنوب، ويقبل التوبة في مستأنف الأزمنة لمن تاب وخضع، وهو شديد العقاب لمن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا، وعثا عن أوامر الله وبغى، المتفضل على عباده، المتطول عليهم بما هم فيه من المنن والنعم، التي لا يطيقون القيام بشكرها، ولا شكر واحدة منها، كما قال: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾.

وذكر: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾؛ لترغيب عباده العاصين، وذكر: ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لترهيبهم، وفي مجموع هذا الحث على فعل المراد من تنزيل الكتاب، وهو التوحيد والإيمان بالبعث، والإخلاص لله في العمل، والإقبال عليه، وقد جمع القرآن هذين الوصفين في مواضع كثيرة منه، كقوله: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ ليبقى العبد بين الخوف والرجاء ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ سبحانه، فيجب الإقبال الكلي على طاعته في أوامره ونواهيه ﴿إِلَيْهِ﴾ تعالى فحسب، لا إلى غيره، لا استقلالاً ولا اشتراكاً ﴿الْمَصِيرُ﴾؛ أي: المرجع والمآب؛ أي: رجوع الخلق إليه سبحانه في الآخرة، فيجازي كلا من المطيع والعاصي.

ثم لما ذكر أن القرآن كتاب الله، أنزله ليهتدى به في الدين.. ذكر أحوال من يجادل فيه بقصد إبطاله، فقال: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾؛ أي: ما يخاصم وينازع في دفع آيات الله وإبطالها. وتكذيبها؛ أي: ما يخاصم في آيات الله تعالى التنزيلية، أو التكوينية بالطعن فيها، بأن يقول في حقها سحراً أو شعراً أو أساطير الأولين أو نحو ذلك، وباستعمال المقدمات الباطلة لإدحاضه وإزالته وإبطاله، لقوله تعالى: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ فحمل المطلق هنا على المقيد هناك، وأريد بالجدال المذكور هنا: الجدال بالباطل، أما الجدال لاستيضاح الحق ورفع اللبس، والبحث عن الراجح والمرجوح، وعن المحكم والمتشابه، ودفع ما يتعلق به المبطلون من متشابهات القرآن، وردهم بالجدال إلى المحكم.. فهو من أعظم ما يتقرب به المتقربون، ومن أفضل الطاعات، كالجهاد في سبيل الله تعالى.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بها، وأما الذين آمنوا.. فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها، فضلاً عن الطعن فيها، ولما حكم سبحانه وتعالى على المجادلين في آيات الله بالكفر.. نهى رسوله ﷺ عن أن يغتر بشيء من حظوظهم الدنيوية، فقال: ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ﴾ يا محمد ﴿تَقَلُّبُهُمْ﴾؛ أي: تنقلهم ﴿في البلاد﴾ للتجارات النافقة، والمكاسب المربحة، سالمين غانمين بمراداتهم، فإنهم يمهلون ولا يهملون، و﴿الفاء﴾: في قوله: ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ﴾: واقعة في جواب شرط محذوف، والغرة: غفلة في اليقظة، والتقلب: التنقل في البلاد والتصرف فيها بالتجارة.

والمعنى: فإذا علمت يا محمد أنهم محكوم عليهم بالكفر.. فلا يغررك إمهالهم وإقبالهم في دنياهم، وتقلبهم في بلاد الشام واليمن للتجارات المربحة، وهي رحلة الشتاء والصيف.

وقرأ الجمهور: ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ﴾ بالفك، وهي لغة أهل الحجاز، وقرأ زيد بن علي وعبيد بن عمير: ﴿فلا يغرك﴾ بالإدغام مفتوح الراء، وهي لغة تميم.

ومعنى الآية: أي ما يخاصم في القرآن بالطعن فيه وتكذيبه، كقولهم مرة: أنه شعر، وأخرى: أنه سحر، وثالثة: أنه أساطير الأولين، إلى أشباه ذلك من سخيف المقال، إلا الذين جحدوا به وأعرضوا عن الحق مع ظهوره، وهذا النوع من الجدل هو المذموم، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «لا تماروا في القرآن، فإن المراء فيه كفر». أما الجدل لتقرير الحق، وإيضاح الملتبس، وكشف المعضل، واستنباط المعاني، ورد أهل الزيغ بها، ورفع اللبس، ودفع ما يتعلق به المبطلون من متشابهات القرآن.. فهو وظيفة الأنبياء، ومنه قوله تعالى عن قوم نوح لنوح ﴿يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: هاجرت إلى رسول الله ﷺ يوماً، فسمعت أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج يعرف في وجهه الغضب فقال: «إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب». رواه مسلم.

وقال أبو العالية: آيتان ما أشدهما علي ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية. وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾.

ولما حكم سبحانه على المجادلين في آيات الله بالكفر.. نهى رسوله ﷺ أن

ولما حكم سبحانه على المجادلين في آيات الله بالكفر.. نهى رسوله ﷺ أن يغتر بشيء من حظوظهم الدنيوية، فقال: ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾؛ أي: فلا يغررك ما يفعلونه من التجارة النافعة في البلاد، وما يحصلون عليه من المكاسب في رحلة الشتاء في اليمن، ورحلة الصيف في الشام، ثم يرجعون سالمين غانمين، فإنهم معاقبون عما قليل، وهم وإن أمهلوا.. فإنهم لا يهملون، قال الزجاج: لا يغررك سلامتهم بعد كفرهم، فإن عاقبتهم الهلاك.

وقال في «عين المعاني»: فلا يغررك أيها المغرور، والمراد غيره ﷺ خطاب للمقلدين من المسلمين. انتهى.

وفي هذا تسلية له ﷺ، ووعيد لهم، ثم قال مسلياً رسول الله ﷺ على تكذيب من كذبه من قومه، بأن له أسوةً في سلفه الأنبياء، فإن أقوامهم كذبوهم، وما آمن منهم إلا قليل، فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾؛ أي: قبل قريش ﴿قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ﴾؛ أي: القبائل من الكفار الذين تحزبوا على الرسل وعادوهم وحاربوهم ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾؛ أي: من بعد قوم نوح، مثل عاد وثمود وأضرابهم، وبدأ بقوم نوح إذ كان أول رسول في الأرض؛ أي: لأن آدم إنما أرسل إلى أولاده.

أي: كذبت[1] قوم نوح والأمم الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب، فحلت بهم نقمتنا بعد بلوغ أمدهم، كما هي سنتنا في أمثالهم من المكذبين، كعاد وثمود ومن بعدهم، وكانوا في جدلهم على مثل الذي عليه قومك. ﴿وَهَمَّتْ﴾؛ أي: قصدت وعزمت ﴿كُلُّ أُمَّةٍ﴾ من تلك الأمم المكذبة أن يوقعوا الشر ﴿بِرَسُولِهِمْ﴾ الذي أرسل إليهم، والهم كما سيأتي: تصميم القلب على فعل شيء قبل أن يفعل من خير أو شر، قال في «الأسئلة المقحمة»: لم يقل: برسولها؛ لأنه أراد بالأمة ههنا الرجال دون النساء، وبذلك فسروه، وقال في «عين المعاني»: برسولهم تغليب للرجال ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾؛ أي: ليأسروه ويحبسوه فيعذبوه أو يقتلوه، من الأخذ بمعنى الأسر.

وفيه[2]: إشارة إلى أن كل عصر يكون فيه صاحب ولاية لا بد له من أرباب

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

الجحود والإنكار وأهل الاعتراض، كما كانوا في عهد كل نبي ورسول، وقال قتادة والسدي: ليقتلوه، والأخذ قد يرد بمعنى الإهلاك، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ والعرب تسمي الأسير الأخيذ.

وقرأ الجمهور: ﴿بِرَسُولِهِمْ﴾، وقرأ عبد الله: ﴿برسولها﴾، عاد الضمير إلى لفظ أمة.

والمعنى: أي وحرصت كل أمة على تعذيب رسولهم بحبسه وإصابة ما أرادوا منه ﴿وَجَٰدَلُواْ﴾؛ أي: وخاصموا رسولهم ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ من القول الذي لا أصل ولا حقيقة له أصلاً. قال في «فتح الرحمن»: الباطل: ما كان فائت المعنى من كل وجه، مع وجود الصورة، إما لانعدام الأهلية، أو لانعدام المحلية، كبيع الخمر وبيع الصبي، انتهى. ﴿لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾؛ أي: ليزيلوا بذلك الباطل، الحق الذي لا محيد عنه، كما فعل هؤلاء المشركون من قومك؛ أي: وخاصموا رسولهم بالباطل، بإيراد الشبه التي لا حقيقة لها، كقولهم: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ ليبطلوا به الحق الذي جاء به من عند الله تعالى، وليطفئوا النور الذي أوتيه.

قال يحيى بن سلام: جادلوا الأنبياء بالشرك؛ ليبطلوا الإيمان ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ بالإهلاك جزاء لهمّهم بالأخذ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾؛ أي: عقابي الذي عاقبتهم به، فإن آثار دمارهم ترونها حين تمرون على ديارهم عبرة للناظرين، ولآخذنّ هؤلاء أيضاً لاتحادهم في الطريقة، واشتراكهم في الجريمة.

والاستفهام فيه[1] استفهام تعجيب من استئصالهم، واستعظام لما حل بهم، وليس استفهاماً عن كيفية عقابهم، واجتزأ بالكسر عن ياء الإضافة؛ لأنها فاصلة، والأصل: عقابي.

والمعنى[2]: فأهلكتهم واستأصلت شأفتهم، فلم أبق منهم دياراً ولا نافخ نار، وصاروا كأمس الدابر، وإنكم لتمرون على ديارهم مصبحين وممسين، كما قال: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٣٨﴾ وهكذا سأفعل بقومك إن هم أصروا على الكفر والجدل في آيات الله، وإلى ذلك أشار بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ

---

(١) البحر المحيط. (٢) المراغي.

الأمم المكذبة، المتحزبة على رسلهم، المجادلة بالباطل لإدحاض الحق به.. وجب أيضاً ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ من قومك؛ أي: كفروا ربك، وتحزبوا عليك، وهموا بما لم ينالوا، فالموصول عبارة عن كفار قومه ﷺ، وهم قريش، لا عن الأمم المهلكة.

وقوله: ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ في حيز النصب بحذف لام التعليل، وإيصال الفعل؛ أي: كذلك حقت كلمة العذاب على الذين كفروا من قومك؛ لأنهم مستحقو أشد العقوبات وأفظعها، التي هي عذاب النار، وملازموها أبداً لكونهم كفاراً معاندين، متحزبين على الرسول ﷺ، كدأب من قبلهم من الأمم المهلكة، فهم لسائر فنون العقوبات أشد استحقاقاً، وأحق استيجاباً، فعلة واحدة تجمعهم، وهي أنهم أصحاب النار.

والمعنى[1]: أي وكما حق على الأمم التي كذبت رسلها، وقصصت عليك خبرها، أن يحل بها عقابي.. وجبت كلمة ربك على الذين كفروا بالله من قومك؛ لأن الأسباب واحدة، والعلة متحدة، وهي كفرهم وعنادهم للحق، واهتمامهم بإطفاء نور الله الذي بثّه في الأرجاء، لإصلاح نظم العالم وسعادته في دينه ودنياه، وارتقاء النفوس البشرية، والسمو بها عن الاستخذاء إلى شجر أو حجر أو حيوان، طمعاً في خير يرجى منه، وشفاعة تنفع عند الله تعالى.

وقيل: هو؛ أعني قوله: ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ في محل الرفع على أنه بدل من ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بدل الكل.

والمعنى عليه: أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من أصحاب النار؛ أي: كما وجب إهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستئصال، كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الآخرة، فالتشبيه واقع بين حالتيهم، والجامع للطرفين: إيجاب العذاب، ومحل الكاف على كلا التقديرين، النصب، على أنه نعت لمصدر محذوف، وفي الآية إشارة إلى أن الإصرار مؤد إلى الأخذ والانتقام في الدنيا والآخرة، فعلى العاقل أن يرجع إلى الله، ويتوب ويتعظ بغيره، قبل أن يتعظ الغير به، عصمنا الله تعالى وإياكم من أسباب سخطه.

---

(١) روح البيان.

به، عصمنا الله تعالى وإياكم من أسباب سخطه.

وفي مصحف عبد الله[1]: ﴿وكذلك سبقت﴾ وهو تفسير معنى، لا قراءة، وقرأ ابن هرمز وشيبة وابن القعقاع ونافع وابن عامر: ﴿كلمات﴾ على الجمع، وأبو رجاء وقتادة وباقي السبعة: على الإفراد.

ثم ذكر أحوال حملة العرش ومن حوله، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ والموصول: مبتدأ، ﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾: معطوف على ﴿ٱلَّذِينَ﴾: وخبر المبتدأ: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ وهذا هو الظاهر، وقيل: يجوز أن تكون من في محل نصب عطفاً على ﴿ٱلْعَرْشَ﴾، والأول أولى. ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل، متلبسين بحمده على نعمائه التي لا تتناهى ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾؛ أي: بربهم إيماناً حقيقاً بحالهم، والتصريح به مع إغناء ما قبله عن ذكره؛ لإظهار فضيلة الإيمان، وإبراز شرف أهله، وقد قيل: أوصاف الأشراف أشراف الأوصاف.

وقال بعضهم[2]: أشار بالإيمان إلى أنهم في مرتبة الإدراك بالبصائر، محجوبون عن إدراكه تعالى بالأبصار، كحال البشر ما داموا في موطن الدنيا، وأما في الجنة.. فقيل: لا يراه الملائكة، وقيل: يراه منهم جبريل خاصة مرةً واحدة،ويراه المؤمنون من البشر في الدنيا بالبصائر، وفي الآخرة بالأبصار؛ لأن قوله ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ قد استثني منه المؤمنون، فبقي على عمومه في الملائكة والجن، وذلك لأن استعداد الرؤية إنما هو لمؤمني البشر؛ لكمالهم الجامع ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ استغفارهم: شفاعتهم وحملهم على التوبة، وإلهامهم ما يوجب المغفرة، وفيه إشعار بأنهم يطلعون على ذنوب بني آدم، وتنبيه على أن المشاركة في الإيمان توجب النصح والشفقة، وإن تخالفت الأجناس، لأنها أقوى المناسبات وأتمها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

وقال أبو حيان: فإن قلت: ما فائدة قوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾، ولا يخفى على أحد أن حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون؟

قلت: فائدته: إظهار شرف الإيمان وفضله، والترغيب فيه، كما وصف

---

(١) البحر المحيط. (٢) روح البيان.

الأنبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك. انتهى.

والمعنى[1]: إن الملائكة الذين يحملون عرش ربهم، والملائكة الذين هم حوله، ينزهون الله تعالى متلبسين بحمده على نعمه، ويقرون بأن لا إله إلا هو، ولا يستكبرون عن عبادته، ويسألون أن يغفر لمن أقروا بمثل ما أقروا به، من توحيد الله، والبراءة من كل معبود سواه.

ونحن نؤمن بما جاء في الكتاب الكريم، من حمل الملائكة للعرش، ولا نبحث عن كيفيته، ولا عن عدد الحاملين له، فإن ذلك من الشؤون التي لم يفصلها لنا الكتاب ولا السنة المتواترة، فنكل أمر علمها إلى ربنا، وعلينا التسليم بما جاء في كتابه، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الحمل يراد به التدبير والحفظ، وأن الحفيف والطواف بالعرش يراد به القرب من ذي العرش سبحانه، ومكانة الملائكة لديه وتوسطهم في نفاذ أمره.

ثم بين سبحانه كيفية استغفارهم للمؤمنين، فقال حاكياً عنهم: ﴿رَبَّنَا﴾ فهو على[2] تقدير القول على أنه بيان لاستغفارهم؛ أي: يقولون: ربنا، أو على أنه حال؛ أي: يستغفرون للذين آمنوا قائلين: ربنا ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ نصب كل من ﴿رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ على التمييز المحول عن الفاعل؛ أي: وسعت رحمتك وعلمك كل شيء من خلقك، والمراد: أن رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم، وعلمك يحيط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم، وتقديم الرحمة على العلم، وإن كان العلم أشمل وأقدم تعلقاً من الرحمة؛ لأنها المقصودة بالذات ها هنا، وفي «عين المعاني»: ملأت كل شيء نعمةً وعلماً به، قال بعضهم: دخل في عموم الآية الشيطان ونحوه؛ لأن كل موجود له رحمة دنيوية ألبتة، وأقلها الوجود، وللشيطان إنظار إلى يوم الدين، ويكون من الرحمة الدنيوية إلى غير ذلك. ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ عن الشرك والمعاصي ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾؛ أي: تمسكوا بدينك بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه. و﴿الفاء﴾ فيه: لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم، فما بعد ﴿الفاء﴾ مسبب عن كل واحد من الرحمة والعلم، إذ المعنى: فاغفر للذين علمت منهم التوبة من

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

الكفر والمعاصي، واتباع سبيل الإيمان والطاعة.

وفيه: إشارة إلى أن الملائكة لا يستغفرون إلا لمن تاب ورجع عن اتباع الهوى، واتبع بصدق الطلب وصفاء النية سبيل الحق تعالى. ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾؛ أي: واحفظهم من عذاب جهنم، وهو تصريح بعد إشعار للتأكيد، وذلك لأن معنى الغفران: إسقاط العذاب، وفيه إشارة إلى أنه بمجرد التوبة لا تحصل النجاة، فلا بدّ من الثبات عليها، وتخليص العمل من شوب الرياء والسمعة، وتصفية القلب عن الأهواء والبدع.

والمعنى[1]: فاصفح عن المسيئين إذا تابوا، وأقلعوا عن ذنوبهم، واتبعوا ما أمرتهم به من فعل الخيرات، وترك المنكرات، واجعل بينهم وبين عذاب الجحيم وقاية، بأن تلزمهم الاستقامة، وتتم نعمتك عليهم، فإنك وعدت من كان كذلك بالبعد عن هذا العذاب، ولا يبدل القول لديك، قال مطرف بن عبد الله: وجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة، ووجدنا أغش عباد الله لعباد الله الشيطان، وتلا هذه الآية.

قيل[2]: هذا الاستغفار في مقابلة قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ فلما صدر هذا منهم أولاً.. تداركوه بالاستغفار لمن تكلموا فيهم، وهو كالتنبيه لغيرهم، على أنه يجب على من تكلم في أحد بشيء يكرهه، أن يستغفر له، وعلى كل مَنْ آذى غيره، أن يَجْبُرَهُ بإيصال نفع إليه، ذكره في «المراح».

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ﴾ عطف على ﴿وَقِهِمْ﴾ وتوسيط النداء بينهما للمبالغة في الجؤار، وهو رفع الصوت بالدعاء والتضرع والاستغاثة ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾؛ أي: بساتين إقامةٍ وخلودٍ ﴿ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ﴾ إياها، وقد وعد الله تعالى بأن يدخل من قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، جنات عدن، إما ابتداءً، أو بعد أن يعذبهم بقدر عصيانهم.

وروي: أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال لكعب الأحبار: ما جنات عدن؟ قال: قصور من ذهب في الجنة، يدخلها النبيون وأئمة العدل، فعلى هذا

---

(١) المراغي. (٢) المراح.

يكون ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: موضع أهل الخصوص لا أهل العموم، ومثلها: الفردوس، إذ لكل مقام عمل يخص به، فإذا كان العمل أخص وأرفع.. كان المقام أرقى وأعلى.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿جَنَّٰتِ﴾ جمعاً، وزيد بن علي والأعمش ﴿جنة عدن﴾ بالإفراد، وكذا في مصحف عبد الله.

﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ في محل النصب عطفاً على الضمير في ﴿وَأَدْخِلْهُمْ﴾.

والمعنى: وأدخل معهم من صلح من هؤلاء صلاحاً مصححاً لدخول الجنة في الجملة، وإن كان دون صلاح أصولهم، وذلك ليتم سرورهم، ويتضاعف ابتهاجهم، وفيه إشارة إلى أن بركة الرجل التائب تصل إلى آبائه وأزواجه وذرياته؛ لينالوا بها الجنة ونعيمها.

وقرأ ابن أبي عبلة: ﴿صلح﴾ بضم اللام، يقال: صلح فهو صليح، وصلح فهو صالح، وقرأ عيسى: ﴿وذريتهم﴾ بالإفراد، والجمهور: بالجمع.

والمعنى[2]: أي ربنا وأدخلهم الجنات التي وعدتهم إياها على ألسنة رسلك، وأدخل معهم في الجنة الصالحين من الآباء والأزواج والذرية؛ لتقر بهم أعينهم، فإن الاجتماع بالأهل والعشيرة في موضع السرور، يكون أكمل للبهجة وأتم للأنس.

قال سعيد بن جبير: يدخل المؤمن الجنة فيقول: يا رب، أين أبي وجدي وأمي، وأين ولدي وولد ولدي. وأين زوجاتي؟ فيقال: إنهم لم يعملوا كعملك، فيقول: يا رب كنت أعمل لي ولهم؟ فيقال: أدخلوهم الجنة، ثم تلا: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ ويقرب من هذه الآية قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة.. نودي في أطفال المسلمين: أن اخرجوا من قبوركم، فيخرجون من قبورهم، فينادى فيهم: أن امضوا إلى الجنة زمراً، فيقولون: يا ربنا، ووالدينا معنا، فينادى فيهم الثانية: أن امضوا إلى الجنة زمراً، فيقولون: ووالدينا معنا، فيتبسم

---

(١) البحر المحيط. (٢) روح البيان.

الرب تعالى، فيقول: ووالديكم معكم، فيثب كل طفل إلى أبويه، فيأخذون بأيديهم، فيدخلونهم الجنة، فهم أعرف بآبائهم وأمهاتهم يومئذ من أولادكم الذين في بيوتكم».

﴿إِنَّكَ﴾ يا ربنا ﴿أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب الذي لا يمتنع عليه مقدور ما ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة الباهرة، من الأمور التي من جملتها إنجاز الوعد والوفاء به ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾؛ أي[1]: واحفظهم عما يسوءهم يوم القيامة، وادفع عنهم العقوبات؛ لأن جزاء سيئة سيئة، فتسميتها سيئة. إما لأن السيئة اسم للملزوم، وهو الأعمال السيئة، فأطلق على اللازم، وهو جزاؤها، أو المعنى: قهم جزاء السيئات، على حذف المضاف، على أن ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بمعنى الأعمال السيئة، وهو تعميم بعد تخصيص، لقوله: ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ أو عذاب القبر وموقف القيامة والحساب والسؤال والصراط ونحوها، أو مخصوص بمن صلح من الأتباع، والأول دعاء للأصول، قال أبو السعود: والضمير في ﴿وَقِهِمْ﴾: راجع للمعطوف، وهو الآباء والأزواج والذرية.

﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾؛ أي: ومن تصرف عنه سوء عاقبة ما ارتكب من السيئات ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ﴾ ونجيته من عذابك؛ لأن[2] المعافى من العذاب مرحوم، ويجوز أن يكون المراد بـ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الأولى: المعاصي في الدنيا، فمعنى قوله: ﴿وَمَن تَقِ...﴾ إلخ؛ أي: ومن تقه المعاصي في الدنيا.. فقد رحمته في الآخرة، كأنهم طلبوا لهم السبب بعد ما سألوا المسبب ﴿وَذَٰلِكَ﴾ المذكور من الرحمة والوقاية ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي لا فوز أجمل منه، والظفر الجسيم الذي لا مطمع وراءه لطامع؛ إذ وجدوا بأعمال منقطعة نعيماً لا ينقطع، وبأفعال قليلة ملكاً لا تصل العقول إلى كنه جلاله.

ولما ذكر سبحانه حال أصحاب النار، وأنها حقت عليهم كلمة العذاب، وأنهم أصحاب النار.. ذكر أحوالهم بعد دخول النار، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالله ورسله ﴿يُنَادَوْنَ﴾؛ أي: تناديهم الملائكة، وهم خزنة جهنم من مكان بعيد، تنبيهاً على بعدهم عن الحق: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ جواب قسم محذوف، والمقت: البغض

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

الشديد لمن يراه متعاطياً لقبيح، والبغض: نفار النفس من الشيء، ترغب عنه، وهو ضد الحب، وهو انجذاب النفس إلى الشيء الذي ترغب فيه، ومقت الله: غضبه وسخطه، وهو مصدر مضاف إلى فاعله، وحذف مفعوله؛ لدلالة المقت الثاني عليه، والمعنى: والله لمقت الله أنفسكم الأمارة بالسوء ﴿أَكْبَرُ﴾ وأشد ﴿مِن مَّقْتِكُمْ﴾ وبغضكم ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ الأمارة بالسوء، وذلك أن الكفار يمقتون في جهنم أنفسهم الأمارة بالسوء، التي وقعوا بها فيما وقعوا فيه من العذاب المخلد باتباع هواها؛ أي: يغضبون عليها حتى يأكلوا أناملهم، ويبغضونها أشد البغض، وينكرونها أشد الإنكار، ويظهرون ذلك على رؤوس الأشهاد، فعند ذلك تناديهم الملائكة من مكان بعيد.

والظرف في قوله: ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ في الدنيا من جهة الأنبياء ﴿إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ﴾ فتأبون قبوله ﴿فَتَكْفُرُونَ﴾ بالله تعالى وتوحيده، اتباعاً لأنفسكم، ومسارعة إلى هواها.. متعلق بالمقت الأول، ولا يقدح فيه وجود الخبر في «العين»؛ لأنَّ في الظروف اتساعاً.

والمعنى: إن الذين كفروا تناديهم الملائكة يوم القيامة، وهم يتلظون النار، ويذوقون العذاب، فيمقتون أنفسهم، ويبغضونها أشد البغض، بسبب ما أسلفوا من سيء الأعمال التي كانت سبب دخولهم في النار، والله إن مقت الله إياكم في الدنيا حين تدعون إلى الإيمان، فتكفرون، أشد من مقتكم أنفسكم اليوم، وأنتم على هذه الحال.

وقال الأخفش: ﴿اللام﴾ في قوله: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾: لام الابتداء، دخلت على معمول خبر ﴿إِنَّ﴾. وقيل: الظرف في قوله: ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾: متعلق بمحذوف، تقديره: اذكروا إذ تدعون في الدنيا.

والخلاصة[1]: إن مقت الله لأهل الضلال حين عرض عليهم الإيمان في الدنيا فتركوه، وأبو أن يقبلوه، أكبر مما مقتوا أنفسهم حين عاينوا عذابه يوم القيامة. قاله قتادة ومجاهد والحسن البصري وابن جرير.

---

(١) المراغي.

ثم ذكر ما يقولونه حين ينادون بهذا النداء، فقال: ﴿قَالُوا﴾؛ أي: قالت الكفرة حين خوطبوا بهذا الخطاب: ﴿رَبَّنَا﴾؛ أي: يا ربنا ويا مالك أمرنا ﴿أَمَتَّنَا﴾ إماتتين ﴿اثْنَتَيْنِ﴾؛ أي: جعلتنا نطفاً لا حياة لنا في أصلاب آبائنا، وجعلتنا أمواتاً بانقضاء آجالنا ﴿وَأَحْيَيْتَنَا﴾ إحياءَتين ﴿اثْنَتَيْنِ﴾؛ أي: إحياءةً بنفخ الروح فينا في بطن أمهاتنا، وإحياءةً بالبعث من قبورنا، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾. ووجه هذا القول: أن الموت قد يطلق على عادم الحياة من الأصل، ولا يلزم منه أن لا عذاب في القبر، ولا حياة ولا موت، فإنهم إنما لم يذكروها؛ لأن حياة القبر ليست كحياة الدنيا، ولا كحياة الآخرة، كما في «الأسئلة المقحمة». وقد ذهب إلى هذا المعنى جمهور السلف.

وقيل المعنى[1]: أمتنا إماتتين اثنتين: مرةً بقبض أرواحنا، ومرةً بعد ما سألنا منكر ونكير في القبور، وأحيَيتنا إحياءَتين اثنتين مرة عند سؤال منكر ونكير في القبور ومرةً عند البعث، وهذا أنسب بحالهم، فإنَّ مقصودهم تعديد أوقات البلاء، وهي أربعة: الموتة الأولى، والحياة في القبر، والموتة الثانية، والحياة في القيامة، فهذه الأربعة أوقات المحنة، فأما الحياة في الدنيا، فليست من أقسام أوقات البلاء، فلهذا السبب لم يذكروها.

وقال ابن زيد: المراد بالآية: أنهم خلقهم في ظهر آدم، واستخرجهم وأحياهم وأخذ عليهم الميثاق، ثم أماتهم ثم أحياهم في الدنيا ثم أماتهم.

وحاصل المعنى على القول الأول: أي قالوا: ربنا خلقتنا أمواتاً، وأمتنا حين انقضاء آجالنا، وأحييتنا أولاً بنفخ الأرواح فينا، ونحن في الأرحام، وأحييتنا بإعادة أرواحنا إلى أبداننا حين البعث. نقله ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس وابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنهما ـ، وجعلوا ذلك نظير قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا...﴾ الآية.

ثم ذكر سبحانه اعترافهم بعد أن صاروا في النار بما كذبوا به في الدنيا، فقال حاكياً عنهم: ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ التي أسلفناها في الدنيا من تكذيب الرسل،

---

(١) المراح.

والإشراك بالله وترك توحيده، فاعترفوا حيث لا ينفعهم الاعتراف، وندموا حيث لا ينفعهم الندم، وقد جعلوا اعترافهم هذا مقدمة لقولهم: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ﴾ لنا من النار ورجوع لنا إلى الدنيا ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾؛ أي: من طريق؛ أي: فهل أنت معيدنا إلى الدنيا لنعمل غير الذي كنا نعمل؟ فإنك قادر على ذلك، وهذا أسلوب يستعمل في التخاطب حين اليأس، قالوه تحيراً أو تعللاً: عسى أن يتاح لهم الفرج، ونحو الآية قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ وقوله: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ فما كان جوابهم عما طلبوا إلا الرفض البات مع ذكر السبب، فقال: ﴿ذَٰلِكُم﴾ الذي أنتم فيه من العذاب، وهو مبتدأ، خبره قوله: ﴿بِأَنَّهُۥ﴾؛ أي: بسبب أن الشأن ﴿إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ﴾ في الدنيا؛ أي: عبد ﴿وَحْدَهُۥ﴾ أي: حال كونه منفرداً، فهو في موضع الحال من الجلالة.. ﴿كَفَرْتُمْ﴾ بتوحيده؛ أي: ذلكم الذي أنتم فيه من العذاب كائن بسبب أنه إذا دعي الله في الدنيا وحده دون غيره.. كفرتم به وتركتم توحيده ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ﴾ غيره من الأصنام أو غيرها ﴿تُؤْمِنُوا۟﴾ بالإشراك به، وتجيبوا الداعي إليه، فبين سبحانه لهم السبب الباعث على عدم إجابتهم إلى الخروج من النار، وهذه الجملة علة لمحذوف، تقديره: فأجيبوا بأنه لا سبيل إلى رجوعكم إلى الدنيا، ولا إلى خروجكم من النار؛ لأن طباعكم لا تقبل الحق بل تنفيه؛ لأنكم كنتم فيها إذا دعي الله وحده.. كفرتم وأنكرتم أن تكون الألوهية له خاصةً، وإن أشرك به مشرك صدقتموه وآمنتم بقوله، فأنتم هكذا تكونون لو رددتم إلى الدنيا، كما قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾.

ثم ذكر ما ترتب على أعمالهم التي عملوها وما ضرّوا بها إلا أنفسهم، فقال: ﴿فَٱلْحُكْمُ﴾ حينئذ ﴿لِلَّهِ﴾ وحده دون غيره الذي لا يحكم إلا الحق، وهو الذي حكم عليكم بالخلود في النار وعدم الخروج منها ﴿ٱلْعَلِىِّ﴾؛ أي: المتعالي عن أن يكون له مماثل في ذاته ولا في صفاته ﴿ٱلْكَبِيرِ﴾ الذي كبر عن أن يكون له مثل أو صاحبة أو ولد أو شريك، إذ ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وقد حكم بأنه لا مغفرة للمشرك ولا نهاية لعقوبته، فلا سبيل لكم إلى الخروج من النار أبداً، إذ أشركتم به سواه.

وكأن الحرورية أخذوا قولهم: لا حكم إلا لله من هذه الآية[1]، وقيل للخوارج: حرورية؛ لتجليتهم بحروراء واجتماعهم فيها، وهي كحلولاء، وقد تقصر، قرية بالكوفة، والخوارج: قوم من زهاد الكوفة خرجوا عن طاعة علي - رضي الله عنه - عند التحكيم بينه وبين معاوية، وذلك أنه لما طالت محاربة على ومعاوية. . اتفق الفريقان على التحكيم إلى أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص - رضي الله عنهما - في أمر الخلافة، وعلي - رضي الله عنه - ارتضى بما يريانه، فقال القوم المذكور: إن الحكم إلا لله، فقال علي - رضي الله عنه -: كلمة حق أريد بها باطل، وكانوا اثني عشر ألف رجل أنكروا الخلافة، واجتمعوا ونصبوا راية الخلاف، وسفكوا الدماء وقطعوا السبيل، فخرج إليهم علي - رضي الله عنه - وأمرهم بالرجوع فأبوا إلا القتال فقاتلهم بالنهروان، هي كزعفران، بليدة قديمة بالقرب من بغداد، فقتلهم واستأصلهم ولم ينج منهم إلا قليل، وهم الذي قال ﷺ في حقهم: «يخرج قوم من أمتي في آخر الزمان، يحقر أحدكم صلاته في جنب صلاتهم، وصومه في جنب صومهم، ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم».

والحاصل: أن الخوارج من الفرق الضالة لفسادهم في الاعتقاد، وبإنكار الحق وفساد الاعتقاد، ساء حال أكثر العباد في أكثر البلاد، خصوصاً في هذه الأعصار، فعلى العاقل أن يجيب دعوة الله ودعوة رسوله قولاً وعملاً وحالاً واعتقاداً، حتى يفوز بالمرام، ويدخل دار السلام، ولا يكون كالذين أرادوا أن يتداركوا الحال بعد مضي الفرصة.

ثم ذكر سبحانه ما يدل على كبريائه وعظمته، فقال: ﴿هُوَ﴾ سبحانه وتعالى الإله ﴿ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾؛ أي: دلائل قدرته وشواهد وحدته في الأنفس والآفاق، رعايةً لمصالح أديانكم، وفيه إشارة إلى أن ليس للإنسان أن يرى ببصيرته حقائق الأشياء، إلا بإراءة الحق تعالى إياه.

﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾؛ أي: سبب رزق، وهو المطر مراعاةً لمصالح أبدانكم، فإن آيات الحق بالنسبة إلى حياة الأديان بمنزلة الأرزاق بالنسبة إلى حياة

---

(١) روح البيان.

الأبدان.

والمعنى: أي هو الذي يظهر قدرته لخلقه بما يشاهدونه في العالم العلويّ والسفلي من الآيات العظام، الدالة على كمال خالقها وقدرة مبدعها وتفرّده بالألوهية، كما قال:

وفـــي كـــلِّ شـــيءٍ لـــهُ آيـــةٌ   تـــدلُّ عـــلـــى أنَّـــه واحـــدُ

ثم خصص من هذه الآيات ما هم في أشد الحاجة إليه، وهو المطر فقال: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًاۚ﴾؛ أي: وهو الذي ينزل لكم المطر الذي يخرج به من الزرع والثمار ما تشاهدونه مما هو مختلف الألوان والطعوم والروائح والأشكال، مما أبدعته يد القدرة ووشته بأبدع الحلي والمناظر.

وقرأ الجمهور: ﴿يُنَزِّلَ﴾ بالتشديد من نزل المضاعف، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: بالتخفيف، من أنزل الرباعي.

﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ ويتعظ ويعتبر بتلك الآيات الباهرة، فيستدل بها على التوحيد وصدق الوعد والوعيد ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ ويرجع إلى طاعة الله وتوحيده عن الإنكار به، ويتفكّر فيما أودعه في تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة، ونعمته الشاملة، الظاهرة والباطنة، الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى، ومن ليس كذلك وهو المعاند، فهو بمعزل من التذكر والاتعاظ.

والخلاصة: أن دلائل التوحيد مركوزة في العقول، لا يحجبها إلا الاشتغال بعبادة غير الله، فإذا أناب العبد إلى ربه.. زال الغِطاء وظفر بالفوز، وظهرت له سبيل النجاة.

ولما ذكر ما نصبه من الأدلة على التوحيد.. أمر عباده بدعائه وإخلاص الدين له، فقال: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ﴾ والفاء: فيه للإفصاح؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم أن التذكر خاص بمن ينيب، وأردتم بيان ما هو اللازم لكم فأقول لكم: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ﴾ سبحانه أيها المؤمنون، واعبدوه وحده حال كونكم ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾؛ أي: مخلصين له دينكم وطاعتكم وعبادتكم التي أمركم بها، من الشرك، والالتفات إلى ما سواه بموجب إنابتكم إليه، وإيمانكم به، وخالفوا

المشركين في مسلكهم ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ إخلاصكم وغاظهم إنابتكم إلى ربكم، ولا تلتفتوا إلى كراهتهم لذلك، ودعوهم يموتوا بغيظهم ويهلكوا بحسرتهم.

وقد ثبت في «الصحيح» عن عبد الله بن الزبير ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ﷺ كان يقول عقب الصلوات المكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون».

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «ادعوا الله تبارك وتعالى وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء قلب غافل لاهٍ».

وبعد أن ذكر من صفات كبريائه إظهاره للآيات وإنزاله للأرزاق.. ذكر ثلاث صفات أخرى تدل على جلاله وعظمته، فقال:

١ـ ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ﴾؛ أي: هو سبحانه أرفع الموجودات وأعظمها شأناً؛ لأن كل شيء محتاج إليه، وهو مستغن عما عداه، وأنه أزلي أبدي، ليس لوجوده أول ولا آخر، وأنه العالم بكل شيء.

٢ـ ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ وارتفاع رفيع الدرجات على أنه خبر ثان عن المبتدأ المتقدم؛ أي: هو الذي يريكم آياته وهو رفيع الدرجات، وكذلك قوله:

٣ـ ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ خبر ثالث، ويجوز أن يكونا خبرين لمبتدأ محذوف، والرفيع: صفة مشبهة، أضيفت إلى فاعلها بعد النقل إلى فعل بالضم، كما هو المشهور، وتفسيره بالرافع؛ ليكون من إضافة اسم الفاعل إلى المفعول، بعيد في الاستعمال كما في «الإرشاد».

والمعنى: رفيع الصفات والأفعال عن كل ما لا يليق به ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ العظيم أي: مالك العرش وخالقه ومدبره، فهو مستول على عالم الأجسام، وأعظمها العرش، كما هو مستول على عالم الأرواح، وهي مسخرة له، وإلى ذلك أشار بقوله: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ وذلك يقتضي علو شأنه وعظم سلطانه، ومن كان كذلك.. فهو الذي يحق له العبادة ويجب له الإخلاص، وجملة قوله: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ

﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ في محل رفع على أنها خبر رابع للمبتدأ المتقدم، أو هي خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هو سبحانه وتعالى يلقي الوحي بقضائه وإرادته ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ الذين يصطفيهم لرسالته، وتبليغ أحكامه إلى من يريد من خلقه، وسمي الوحي روحاً؛ لأن القلوب تحيا به من موت الكفر، كما تحيا الأبدان بالروح.

والمعنى[1]: ينزل الوحي الجاري من القلوب منزلة الروح من الأجساد، فكما أن الروح سبب لحياة الأجسام، كذلك الوحي سبب لحياة القلوب، فإن حياة القلوب إنما هي بالمعارف الإلهية الحاصلة بالوحي، فاستعير الروح للوحي؛ لأنه يحيى به القلب بخروجه من الجهل والحيرة إلى المعرفة والطمأنينة، وقوله: ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿يُلْقِى﴾، و﴿مِنْ﴾ بمعنى الباء، أو لابتداء الغاية، ويجوز أن يكون متعلقاً بمحذوف على أنه حال من الروح؛ أي: حال كونه ناشئاً، ومبتدأ من أمره تعالى.

وقوله: ﴿لِيُنذِرَ﴾: غاية للإلقاء؛ أي: لينذر الله تعالى، أو الملقى عليه أو الروح، والإنذار: دعوة إبلاغ مع تخويف.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿لِيُنذِرَ﴾ مبنياً للفاعل ونصب اليوم، والفاعل: هو الله سبحانه، أو الرسول، أو من يشاء، والمنذر به: محذوف تقديره: لينذر العذاب الواقع ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ وقرأ أبي وجماعة: كذلك، إلا أنهم رفعوا ﴿يَوْمَ﴾ على الفاعلية مجازاً، وقرأ اليماني فيما ذكر صاحب «اللوامح»: ﴿لِيُنذَر﴾ مبنياً للمفعول، ﴿يَوْمُ ٱلتَّلَاقِ﴾ بالرفع، وقرأ ابن عباس والحسن واليماني: فيما ذكر ابن خالويه ﴿لتنذر﴾ بالتاء، فقالوا: الفاعل: ضمير الروح؛ لأنها تؤنث أو فيه ضمير المخاطب وهو الرسول، وقرىء: ﴿ٱلتَّلَاقِ﴾ و﴿ٱلتَّنَادِ﴾ بياء وبغير ياء، و﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾: هو يوم القيامة، سمي بذلك؛ لأنه تتلاقى فيه الأرواح والأجساد، وأهل السموات وأهل الأرض، والعابدون والمعبودون، والعاملون والأعمال، والأولون والأخرون، والظالمون والمظلومون، وأهل النار مع الزبانية.

---

(١) روح البيان.

(٢) البحر المحيط.

والمعنى: لينذر الله سبحانه، أو الرسول الموحى إليه الناس العذاب يوم القيامة.

وقوله: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾: بدل من ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾؛ أي: لينذر الرسول الناس عذاب يوم هم خارجون من قبورهم، أو ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء؛ لكون الأرض يومئذ مستويةً، ولا عليهم ثياب، إنما هم عراة مكشوفون كما في الحديث: «يحشرون حفاةً عراةً غرلاً»؛ أي: لينذر الناس عذاب يوم يلتقي فيه العابدون والمعبودون يوم هم ظاهرون، لا يكنهم شيء ولا يسترهم شيء ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ سبحانه ﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي: من أعيانهم وأعمالهم الجلية والخفية السابقة واللاحقة ﴿شَيْءٌ﴾ ما مع كثرتهم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ وكانوا في الدنيا يتوهمون أنهم إذا استتروا بالحيطان والحجب.. فإن الله لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم، فهم يومئذ لا يتوّهمون ذلك أصلاً، وهذه الجملة مستأنفة، مبنية لبروزهم، ويجوز أن تكون في محل نصب على الحال من ضمير ﴿بَٰرِزُونَ﴾ ويجوز أن تكون خبراً ثانياً للمبتدأ؛ أي: لا يخفى عليه سبحانه شيء منهم، ولا من أعمالهم التي عملوها في الدنيا، فيعلم ما فعله كل منهم، فيجازيه بحسب ما قدمت يداه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

ثم ذكر ما يقال عند بروز الخلق للحساب والجزاء فقال: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ يعني: يوم القيامة، جملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: فماذا يقال عند بروز الخلائق في ذلك اليوم؟ فقيل: يقال: لمن الملك اليوم؛ يعني يوم القيامة، فلا يجيبه أحد، فيجيب تعالى نفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ وقيل: ينادي مناد: لمن الملك اليوم؟ فيجيب ذلك المنادي بعينه ويقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ أو يجيبه أهل المحشر مؤمنهم وكافرهم؛ لحصول العلم الضروري بالوحدانية للكافر أيضاً، لكن الكافر يقوله صغاراً وهواناً وعلى سبيل التحسر والندامة، والمؤمن ابتهاجاً وتلذذاً.

وهذا يسمى سؤال التقرير، فإن قلت: كيف خص ذلك بيوم مخصوص، والملك لله في جميع الأيام والأوقات.

قلت: هو وإن كان لله في جميع الأيام، إلا أنه سبحانه ملك عباده في الدنيا،

ثم تكون دعاويهم منقطعة يوم القيامة، لا يدعي مدع مُلكاً ومِلكاً يومئذ، ولذا قال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾.

والمعنى على الأول: أي يقول الرب تعالى: ﴿لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ فلا يجيبه أحد، فيجيب سبحانه، فيقول: ﴿لِلَّهِ﴾؛ أي: هو ﴿لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ﴾ في ذاته وصفاته وأفعاله، الذي لا مثل له ولا ند ﴿ٱلْقَهَّارِ﴾ لكل شيء سواه بقدرته، الغالب بعزته.

وبعد أن ذكر صفات قهره في ذلك اليوم.. أردفها ببيان صفات عدله وفضله، فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ من تمام الجواب على القول: بأن المجيب هو الله سبحانه، وأما على القول بأن المجيب هم العباد كلهم أو بعضهم، فهو مستأنف لبيان ما يقوله الله سبحانه بعد جوابهم؛ أي: يقول الله سبحانه في هذا اليوم الرهيب: تجزى كل نفس من النفوس المكلفة، برةً أو فاجرةً بما كسبت من خير أو شر، لا ظلم اليوم على أحد منهم بنقص ثواب، أو زيادة عذاب.

والمعنى: أي اليوم يثاب كل عامل بعمله فيلاقي أجره، ففاعل الخير يجزى الخير، وفاعل الشر يجزى بما يستحق، ولا يبخس أحد ما استوجبه من أجر عمله في الدنيا، فينقص منه إن كان محسناً، ولا يحمل على مسيء إثم ذنب لم يعمله.

روى مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، فيما يحكيه عن ربه ـ عزَّ وجلَّ ـ: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظَّالموا» إلى أن قال: «يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً.. فليحمد الله تبارك وتعالى، ومن وجد غير ذلك.. فلا يلومن إلا نفسه».

ثم بين سبحانه أنه يصل إلى الخلق في ذلك اليوم ما يستحقون بلا إبطاءٍ، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾؛ أي: إن الله سبحانه وتعالى سريع حسابه لعباده على أعمالهم التي عملوها في الدنيا، فيحاسب الخلائق كلهم كما يحاسب نفساً واحدة، لإحاطة علمه بكل شيء، فلا يعزب عنه مثقال ذرة، ويصل إليهم ما يستحقونه سريعاً، فالجملة: تعليل لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ إلخ. فإن كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاق ويوم البروز، ربما يوهم استبعاد وقوع الكل فيه.

أخرج عبد بن حميد عن ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: يجمع الله الخلق كلهم يوم القيامة بصعيد واحد، بأرض بيضاء، كأنها سبيكة فضة، لم يعصَ الله فيها قط، فأول ما يتكلم أن ينادي مناد: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡحِسَابِ﴾، ونحو الآية قوله: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ﴾. وقال: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠﴾.

﴿وَأَنذِرۡهُمۡ﴾؛ أي: وخوف يا محمد مشركي قومك ﴿يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ﴾؛ أي: عذاب يوم القيامة، ليقلعوا عن قبيح أعمالهم وذميم معتقداتهم التي يستحقون عليها شديد العذاب و﴿يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ﴾: منصوب على أنه مفعول به لـ﴿أنذرهم﴾؛ لأنه المنذر به، و﴿ٱلۡأٓزِفَةِ﴾: فاعلة من أزف الأمر على وزن علم، إذا قرب، والمراد: القيامة، ولذا أنث، ونظيره: ﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ٥٧﴾؛ أي: قربت القيامة، وسميت بالآزفة؛ لأزوفها، وهو القرب؛ لأن كل آت قريب، وإن استبعد اليائس أمده.

وفي الحديث: «بعثت أنا والساعة كهاتين، إن كادت لتسبقني» والإشارة بهاتين: إلى السباسة والوسطى؛ يعني أن ما بيني وبين الساعة بالنسبة إلى ما مضى من الزمان، مقدار فضل الوسطى على السبابة، شبه القرب الزماني بالقرب المساحي؛ لتصوير غاية قرب الساعة.

وجملة قوله: ﴿إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ﴾: بدل من ﴿يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ﴾ فإن القلوب ترتفع عن أماكنها من شدة الفزع، فتكون عند الحناجر، جمع حنجرة، وهي: الحلقوم؛ أي: وأنذرهم يوم الآزفة، إذ تزول القلوب عن أماكنها، وترتفع من شدة الفزع إلى الحلقوم، فتلتصق بها، فلا تعود إلى أماكنها، فيستروحوا ويتنفّسوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت، وقيل: ينتفخ السحر؛ أي: الرئة؛ خوفاً، فيرتفع القلب إلى الحنجرة حال كون أصحاب تلك القلوب ﴿كَٰظِمِينَۚ﴾؛ أي: مغمومين يتردد الغيظ في أجوافهم، فلا يمكنهم أن ينطقوا ويظهروا خوفهم، فهو حال من أصحاب القلوب على المعنى، إذ الأصل إذ قلوبهم لدى حناجرهم، بناء على أن التعريف اللامي بدل من التعريف الإضافي، يقال: كظم غيظه: إذا ردّ غضبه وحبسه في نفسه بالصبر وعدم إظهار الأثر.

والمعنى: حال كونهم كاظمين صابرين على الغم والكربة، ساكتين حال

امتلائهم بهما؛ يعني لا يمكنهم أن ينطقوا ويصرّحوا بما عندهم من الحزن والخوف من شدة الكربة وغلبة الغمّ عليهم، فقوله: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾: تقرير للخوف الشديد، وقوله: ﴿كَٰظِمِينَۚ﴾: تقرير للعجز عن الكلام، فإن الملهوف إذا قدر على الكلام، وبث الشكوى.. حصل له نوع خفة وسكون، وإذا لم يقدر عظم اضطرابه واشتدّ حاله.

والخلاصة: أن ذلك اليوم يعظم فيه الخوف، حتى يخيل أن القلوب قد شخصت من الصدور، وتعلقت بالحلوق، فيرومون ردّها إلى مواضعها من صدورهم، فلا هي ترجع، ولا هي تخرج من أبدانهم، فيموتوا.

ثم بين أنه لا ينفع الكافرين في ذلك اليوم أحد، فقال: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: ما للكافرين في ذلك اليوم ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾؛ أي: قريب مشفق ﴿وَلَا﴾ من ﴿شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾؛ أي[1]: ولا من شفيع مشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة معاً، وعلى أن يطاع مجاز عن يجاب وتقبل شفاعته؛ لأن المطيع في الحقيقة يكون أسفل حالاً من المطاع، وليس في الوجود من هو أعلى حالاً من الله تعالى، حتى يكون مطاعاً له تعالى، وفي الآية بيان أن لا شفاعة في حق الكفار؛ لأنها وردت في ذمهم، وإنما قال: ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ موضع للكافرين، وإن كان أعم منهم ومن غيرهم من العصاة بحسب الظاهر، تسجيلاً لهم بالظلم، ودلالة على اختصاص انتفاء كل واحد من الحميم والشفيع المشفع بهم، فثبت أن لعصاة المسلمين حميماً وشفيعاً، وهو النبيُّ ﷺ وسائر الأنبياء والمرسلين والأولياء المقربين والملائكة أجمعين.

والمعنى[2]: أي ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله قريب ينفعهم، ولا شفيع تقبل شفاعته لهم، بل تقطّعت بهم الأسباب من كل خير.

ثم وصف سبحانه شمول علمه بكل شيء وإن كان في غاية الخفاء، فقال: ﴿يَعْلَمُ﴾ سبحانه ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾؛ أي: النظرة الخائنة للأعين، وإسناد الخيانة إلى النظرة مجاز؛ لأن الخائن هو الناظر، أو المعنى: يعلم سبحانه خائنة الأعين؛ أي: خيانة الأعين واستراقها النظر على أنها مصدر كالعافية، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.

﴿تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾؛ أي: خيانة منهم، والخيانة: مخالفة الحق، بنقض العهد في السر، ونقيضها الأمانة، والمراد هنا: استراق النظر إلى غير المَحْرم، كفعل أهل الريب والنظرة الثانية إليه.

وفي الخبر: «يا ابن آدم، لك النظرة الأولى معفوة» لوقوعها مفاجأةً دون الثانية، لكونها مقارنة للقصد وهي منْ قبيل زنى النظر، وذلك لأن النظر سهم مسموم من سهام إبليس، والنظرة تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنةً.

والمعنى: أي يعلم ربكم ما خانت أعين عباده، وما نظرت به إلى ما لا يحل، كما يفعل أهل الريب.

قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: في الآية هي الرجل يكون في القوم، فتمر بهم المرأة، فيريهم أنه يغض بصره عنها، وإذا غضوا.. نظر إليها، وإذا نظروا.. غض بصره عنها، وقد اطلع الله من قلبه أنه ود أن ينظر إلى عورتها. أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر.

وقال الشوكاني: ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾[1]: هي مسارقة النظر إلى ما لا يحل النظر إليه، وهذه الجملة خبر آخر لقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ﴾؛ قال المؤرخ: فيه تقديم وتأخير؛ أي: يعلم الأعين الخائنة، وقال قتادة: ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾: الغمز بالعين فيما لا يحب الله، وقال الضحاك: هو قول الإنسان: ما رأيت وقد رأى، ورأيت وما رأى، وقال سفيان: هي النظرة بعد النظرة، والأول: أولى، وبه قال مجاهد. اهـ.

﴿و﴾ يعلم سبحانه ﴿ما تخفي الصدور﴾ والقلوب من الضمائر وتسره من معاصي الله؛ أي: لا يخفى عليه شيء من أمورهم، حتى ما يحدّثون به أنفسهم، وتضمره قلوبهم خيراً كان أو شراً، فقوله: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ في قوة التعليل للأمر بالإنذار.

﴿وَٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى: ﴿يَقْضِى﴾؛ أي: يحكم ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بالصدق والعدل في حق كل محسن ومسيء، فيجازي كل أحد بما يستحقه من خير أو شر، ففيه تشديد لخوف المكلف.

والمعنى[2]: أي والله يحكم بالعدل في الذي خانته الأعين بنظرها، وأخفته

---

(١) الشوكاني. (٢) المراغي.

الصدور من النوايا، فيجزي الذين أغمضوا أبصارهم وصرفوها عن محارمه حذار الموقف بين يديه بالحسنى، ويجزي الذين رددوا النظر وعزمت قلوبهم على مواقعة الفواحش جزاءهم الذي أوعدهم به في دار الدنيا.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾؛ أي: يعبدونهم ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ تعالى، وهم الأصنام والأوثان ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾؛ لأنهم لا يعلمون شيئاً، ولا يقدرون على شيء. وفي «الإرشاد»: هذا تهكم بهم؛ لأن الجماد لا يقال في حقه: يقضي ولا يقضي.

والمعنى: أي والأوثان والآلهة التي يعبدها هؤلاء المشركون من قومك، لا يقضون بشيء؛ لأنهم لا يعلمون شيئاً ولا يقدرون على شيء، فاعبدوا الذي يقدر على كل شيء، ولا يخفى عليه شيء.

وقرأ الجمهور[(١)]: ﴿يَدْعُونَ﴾ بياء الغيبة؛ لتناسب ضمائر الغيبة قيل: يعني: يدعو الظالمون، واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم، وقرأ نافع وشيبة وهشام: بالفوقية على الخطاب لهم؛ أي: قل لهم يا محمد والذين تدعون من دونه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم وأفعالهم، فلا يخفى عليه من المسموعات والمبصرات خافية؛ أي: إنه تعالى هو السميع لما تنطق به الألسنة، البصير بما تفعلون من الأفعال، وهو محيط بكل شيء ومحصيه عليكم، فيجازيكم عليه جميعاً يوم الجزاء، ولا يخفى ما في هذا من الوعيد لهم على ما يقولون ويفعلون، والتعريض بحال ما يدعون من دون الله تعالى، وهذا تقرير[(٢)] لعلمه تعالى بخائنة الأعين، وقضائه بالحق، فإن من يسمع ما يقولون ويبصر ما يفعلون، إذا قضى.. قضى بالحق، ووعيد لهم على ما يفعلون ويقولون، وتعريض بحال ما يدعون من دونه، فإنهم عارون عن التلبس بهاتين الصفتين، فكيف يكونون معبودين؟

ثم إنه لما بالغ في تخويف الكفار بأحوال الآخرة.. أردفه بالتخويف بأحوال الدنيا، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ و﴿الهمزة﴾: فيه: للاستفهام التوبيخي، داخلة على محذوف، و﴿الواو﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أغفلوا عن شدة

---

(١) البحر المحيط. (٢) روح البيان.

بأس الله، ولم يسيروا في نواحي الأرض وأرجائها ﴿فَيَنظُرُوا﴾ يجوز أن يكون مجزوماً بالعطف على ﴿يَسِيرُوا﴾ وأن يكون منصوباً على أنه جواب الاستفهام ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: كيف كان حال من قبلهم، ومآلهم من الأمم المكذبة لرسلهم، كعاد وثمود وأضرابهم، وكانت ديارهم ممر تجار قريش ﴿كَانُوا﴾؛ أي: كان الذين من قبلهم ﴿هُمْ أَشَدَّ﴾ وأكثر ﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي: من مشركي مكة ﴿قُوَّةً﴾؛ أي: قدرةً وتمكناً من التصرفات.

وإنما[1] جيء بضمير الفصل مع أن حقه التوسط بين معرفتين كقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾؛ لمضاهاة أفعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه.

وقرأ الجمهور: ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ بالغيبة، وقرأ ابن عامر ﴿أشد منكم﴾ على الالتفات.

﴿و﴾ أكثر ﴿آثارا في الأرض﴾ مثل: القلاع الحصينة والمدن المتينة ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ سبحانه؛ أي: عاقبهم وأهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾؛ أي: بسبب كفرهم وتكذيبهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم﴾؛ أي: للأمم المكذبة ﴿مِنَ اللَّهِ﴾؛ أي: من عذاب الله تعالى ﴿مِن وَاقٍ﴾ يقيهم وحافظ يحفظهم ودافع يدفع عنهم العذاب. وقرأ ابن كثير: ﴿واقي﴾ بالياء في الوقف. ﴿ذَلِكَ﴾؛ أي: ما ذكر من الأخذ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾؛ أي: بسبب أنهم ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾؛ أي: بالمعجزات أو بالأحكام الظاهرة والحجج الواضحة ﴿فَكَفَرُوا﴾ بما جاؤوهم به وكذّبوا رسلهم ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ تعالى أخذاً عاجلاً ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿قَوِيٌّ﴾؛ أي: متمكن مما يريد غاية التمكن ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لأهل الشرك، لا يعتبر عقاب دون عقابه، فهؤلاء المشركون من أهل مكة قد شاهدوا مصارعهم وآثار هلاكهم، فبأي وجه أمنوا أن يصيبهم مثل ما أصابهم من العذاب، أو المعنى: أنه قوي على الانتقام من الأعداء للأولياء، شديد العقاب في الانتقام من الأعداء. وفي «فتح الرحمن»: قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم...﴾ الآية. فإن قلت: لم قال هنا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ بضمير الجمع، وفي التغابن: بإفراده، حيث قال هناك: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا...﴾ الآية؟

(١) روح البيان.

قلت: جمع الضمير هنا؛ موافقة لما قبله في قوله: ﴿كَانُوٓاْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ وأفرده ثم؛ لأنه ضمير الشأن، زيد توصلاً إلى دخول ﴿أن﴾ على ﴿كان﴾.

والحاصل: أن الله سبحانه[1] حذّر هؤلاء المشركين مما حل بمن قبلهم من الأمم التي كانت أقوى منهم وأعظم آثاراً، كعاد وثمود، والسعيد من وعظ بغيره، فقال واعظاً ومذكّراً: ألم يسر هؤلاء المشركون بالله في البلاد، فيروا عاقبة الذي كانوا من قبلهم من الأمم ممن سلكوا سبيلهم في الكفر وتكذيب الرسل، وقد كانوا أشدّ منهم بطشاً، وأبقى في الأرض أثراً، فلم تنفعهم شدة قواهم وعظيم آثارهم إذ جاء أمر الله، فأخذوا بما أجرموا من المعاصي، واكتسبوا من الآثام، فأبيدوا جميعاً، وصارت مساكنهم خاويةً بما ظلموا، وما كان لهم من عذاب الله من حافظ يدفعه عنهم.

فائدة: وفي «شرح الأسماء» للزورقي: القوي هو الذي لا يلحقه ضعف في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فلا يمسّه نصب ولا تعب، ولا يدركه قصور ولا عجز في نقض ولا إبرام، ومن عرف أن الله تعالى هو القوي.. رجع إليه عن حوله وقوّته، وخاصيته: ظهور القوة في الوجود، فما تلاه ذو همة ضعيفة إلا وجد القوة، ولا ذو جسم ضعيف إلا كان له ذلك، ولو ذكره مظلوم بقصد إهلاك الظالم ألف مرة.. كان له ذلك، وكفي أمره.

الإعراب

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٤﴾.

﴿حمٓ ۝١﴾ تقدم القول في إعراب فواتح السور، وأيسر ما فيها: أنها خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هذه السورة حم؛ أي: مسماة بـ﴿حمٓ ۝١﴾، والخبر؛ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بسكون الوقف على قراءة السكون، أو ضمة ظاهرة في آخره على قراءة الزهري، والجملة: مستأنفة

---

(١) المراغي.

استئنافاً نحوياً. ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: مبتدأ. ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور، خبره، والجملة: مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: صفة أولى للجلالة. ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾: صفة ثانية لها. ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾: صفة ثالثة. ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾: معطوف على ﴿غَافِرِ﴾. فإن قلت: لم زيدت الواو في هذه الصفة دون باقيها؟ قلت: زيدت هنا لإفادة الجمع بين رحمتي: مغفرة الذنب وقبول التوب. ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: صفة رابعة. ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾: صفة خامسة. ﴿لَآ﴾: نافية. ﴿إِلَٰهَ﴾: اسمها، وخبرها: محذوف، تقديره: موجود. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿هُوَ﴾: بدل من الضمير المستكن في خبر ﴿لَآ﴾، والجملة الاسمية: مستأنفة، أو حال لازمة من لفظ الجلالة. ﴿إِلَيْهِ﴾: خبر مقدم، ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة: في محل النصب حال من ضمير ﴿هُوَ﴾، أو مستأنفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿يُجَٰدِلُ﴾ فعل مضارع. ﴿فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: متعلق به. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: فاعل، والجملة: مستأنفة، وجملة ﴿كَفَرُوا۟﴾: صلة الموصول. ﴿فَلَا﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت أن المجادلين في آيات الله كفار.. فلا يغررك إمهالهم وتقلبهم في أسفارهم للتجارة المربحة، فإنهم مأخوذون بكفرهم. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿يَغْرُرْكَ﴾: فعل مضارع ومفعول به، مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية. ﴿تَقَلُّبُهُمْ﴾: فاعل. ﴿فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾: متعلق بـ﴿تَقَلُّبُهُمْ﴾ والجملة الفعلية: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ﴾: فعل ماض. ﴿قَبْلَهُمْ﴾: ظرف متعلق بمحذوف حال من ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾. ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾: فاعل. ﴿وَٱلْأَحْزَابُ﴾: معطوف على ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾. ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: حال من ﴿ٱلْأَحْزَابِ﴾، والجملة الفعلية: مستأنفة. ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿كَذَّبَتْ﴾. ﴿بِرَسُولِهِمْ﴾: متعلق بـ﴿همت﴾. ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل، ﴿يأخذوه﴾: فعل وفاعل ومفعول به منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، والجملة الفعلية مع أن المضمرة: في تأويل مصدر مجرور باللام، الجار والمجرور: متعلق بـ﴿همت﴾؛ أي: وهمت كل أمة برسولها إيقاعه

في الشر لأخذهم إياه وقتله. ﴿وَجَٰدَلُواْ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿همت﴾ ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾: متعلق بـ﴿جادلوا﴾. ﴿لِيُدْحِضُواْ﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل. ﴿يدحضوا﴾: فعل مضارع وفاعل منصوب بأن مضمرة بعد لام كي. ﴿بِهِ﴾: متعلق بـ﴿يدحضوا﴾. ﴿ٱلْحَقَّ﴾: مفعول به، والجملة في تأويل مصدر مجرور بـ﴿اللام﴾ الجار والمجرور متعلق بـ﴿جادلوا﴾؛ أي: جادلوا بالباطل لدحضهم الحق بالباطل. ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة ﴿أخذتهم﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿جادلوا﴾، ﴿فَكَيْفَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿كيف﴾: اسم استفهام في محل النصب خبر كان مقدم عليها وجوباً. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿عِقَابِ﴾: اسم كان مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة؛ اجتزاء عنها بالكسرة، وهو مضاف وياء المتكلم المحذوفة في محل الجر مضاف إليه، وجملة ﴿كَانَ﴾: معطوفة على جملة ﴿أخذتهم﴾. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف، تقديره: حقاً مثل ما حق قضاءه، وحكمه بالتعذيب على الأمم المكذبة المذكورة ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: فعل وفاعل، والجملة: مستأنفة ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ﴾: متعلق بـ﴿حَقَّتْ﴾، وجملة ﴿كَفَرُوٓاْ﴾: صلة الموصول. ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: ناصب واسمه وخبره، وجملة ﴿أنّ﴾: في تأويل مصدر مرفوع على كونه بدلاً من ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: بدل كل من كل؛ أي: حق على الذين كفروا كونهم من أصحاب النار.

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾ صلة الموصول. ﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾: معطوف على الموصول، ﴿حَوْلَهُۥ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة، وجملة ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: مستأنفة. ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه حال من فاعل ﴿يُسَبِّحُونَ﴾؛ أي: ملابسين بحمده تعالى. ﴿وَيُؤْمِنُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يُسَبِّحُونَ﴾، ﴿بِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿يؤمنون﴾، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف أيضاً على ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلق بـ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾، ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى مضاف

منصوب حذف منه حرف النداء للتخفيف، وجملة النداء: في محل النصب مقول لقول محذوف، وقع حالاً من فاعل ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾؛ أي: حال كونهم قائلين ﴿رَبَّنَا﴾، ﴿وَسِعْتَ﴾: فعل وفاعل، ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾: مفعول به. ﴿رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾: تمييزان محولان من فاعل ﴿وَسِعْتَ﴾؛ أي: وسعت رحمتك وعلمك كل شيء، والجملة الفعلية: في محل النصب مقول لذلك القول المحذوف. ﴿فَاغْفِرْ﴾: (الفاء): فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا كانت رحمتك واسعةً، وعلمك واسعاً.. فنقول لك: ﴿اغفر﴾، (اغفر): فعل دعاء وفاعل مستتر، ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلق به، والجملة الدعائية: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة: في محل النصب مقول للقول المحذوف، وجملة ﴿تَابُوا﴾: صلة الموصول. ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿تَابُوا﴾، ﴿وَقِهِمْ﴾: فعل دعاء وفاعل مستتر ومفعول به أول معطوف على ﴿فَاغْفِرْ﴾. ﴿عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾: مفعول ثان.

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨)﴾.

﴿رَبَّنَا﴾: منادى مضاف حذف منه حرف النداء، كرره للمبالغة في الجؤار. ﴿وَأَدْخِلْهُمْ﴾: فعل دعاء وفاعل مستتر يعود على الله ومفعول أول. ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾: مفعول ثان، والجملة: معطوفة على جملة ﴿قِهِمْ﴾ ﴿الَّتِي﴾: صفة لـ﴿جَنَّاتِ﴾. ﴿وَعَدْتَهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به صلة ﴿الَّتِي﴾، والعائد: محذوف، تقديره: إياها. ﴿وَمَنْ﴾، في قوله: ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾: اسم موصول في محل النصب معطوف على ضمير ﴿أدخِلْهُم﴾ أو على ضمير ﴿وَعَدْتَهُمْ﴾ والأول: أرجح، كما قاله الفراء. ﴿صَلَحَ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على ﴿مَنْ﴾، صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة. ﴿مِنْ آبَائِهِمْ﴾: جار ومجرور حال من فاعل ﴿صَلَحَ﴾. ﴿وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾: معطوفان على ﴿آبَائِهِمْ﴾. ﴿إِنَّكَ﴾: ناصب واسمه. ﴿أَنْتَ﴾: ضمير فصل. ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾: في محل النصب مقول للقول المحذوف.

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)﴾

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾: فعل دعاء وفاعل مستتر ومفعولان معطوف على ﴿وَأَدْخِلْهُمْ﴾. ﴿وَمَن﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَنْ﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر: جملة الشرط أو الجواب أو هما. ﴿تَقِ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر مجزوم بـ﴿مَن﴾ الشرطية، على كونها فعل شرط لها. ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾: مفعول به. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ﴿يَوْمَ﴾: منصوب على الظرفية الزمانية متعلق بـ﴿تَقِ﴾. ﴿يَوْمَ﴾: مضاف. ﴿إذٍ﴾: ظرف لما مضى من الزمان، في محل الجر مضاف إليه، مبني بسكون مقدر، منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة التخلص من التقاء الساكنين. ﴿فَقَدْ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿مَنْ﴾ الشرطية وجوباً. ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿رَحِمْتَهُۥ﴾: فعل وفاعل ومفعول في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ الشرطية، على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَنْ﴾ الشرطية: مقول للقول المحذوف. ﴿وَذَٰلِكَ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ، ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل. ﴿ٱلْفَوْزُ﴾: خبر. ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: صفة لـ﴿ٱلْفَوْزُ﴾ والجملة الاسمية: في محل النصب معطوفة على ما قبلها، على كونها مقولاً للقول المحذوف.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾: ناصب واسمه. ﴿كَفَرُوا۟﴾: صلة الموصول. ﴿يُنَادَوْنَ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة، ونائب فاعل، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾: مستأنفة. ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، أو لام قسم. ﴿مقت الله﴾: مبتدأ، ومضاف إليه، وهو من إضافة المصدر لفاعله، والمعفول به محذوف؛ أي: إياكم. ﴿أَكْبَرُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مِن مَّقْتِكُمْ﴾: متعلق بـ﴿أَكْبَرُ﴾ ﴿أَنفُسَكُمْ﴾: مفعول ﴿مَّقْتِكُمْ﴾: وهو من إضافة المصدر إلى فاعله، والجملة الاسمية: في محل النصب مفعول ثان لـ﴿يُنَادَوْنَ﴾ أو جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم: في محل النصب مفعول ثان لـ﴿يُنَادَوْنَ﴾. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان، متعلق بـ﴿مقت الله﴾. ﴿تُدْعَوْنَ﴾: فعل مضارع ونائب فاعل، والجملة: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾. ﴿إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ﴾: متعلق بـ﴿تُدْعَوْنَ﴾. ﴿فَتَكْفُرُونَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿تكفرون﴾: فعل وفاعل

معطوف على ﴿تَدْعُونَ﴾. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَمَتَّنَا﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة: في محل النصب مقول قالوا على كونها جواب النداء. ﴿اثْنَتَيْنِ﴾: منصوب على المفعولية المطلقة؛ لأنه مما ناب فيه العدد عن المصدر؛ أي: إماتتين اثنتين. ﴿وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾ منصوب على المفعولية المطلقة أيضاً؛ أي: إحياءتين اثنتين. ﴿فَاعْتَرَفْنَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿اعترفنا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أحييتنا﴾، ﴿بِذُنُوبِنَا﴾: متعلق به. ﴿فَهَلْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿هل﴾: حرف استفهام. ﴿إِلَى خُرُوجٍ﴾: خبر مقدم. ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾: ﴿من﴾ حرف جر زائد. ﴿سَبِيلٍ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية: معطوفة على جملة ﴿اعترفنا﴾ على كونها مقول ﴿قَالُوا﴾.

﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢)﴾.

﴿ذَلِكُمْ﴾: مبتدأ، ﴿بِأَنَّهُ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة: مستأنفة. ﴿أنه﴾: ناصب واسمه، ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿دُعِيَ اللَّهُ﴾: فعل ماض ونائب فاعل، ﴿وَحْدَهُ﴾: حال من الجلالة، والجملة الفعلة: في محل الجر مضاف إليه، على كونها فعل شرط لها، وجملة ﴿كَفَرْتُمْ﴾: جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إِذَا﴾: من فعل شرطها وجوابها: في محل الرفع خبر ﴿أن﴾: وجملة ﴿أن﴾ في تأويل مصدر مجرور بالباء، والتقدير: ذلكم كائن بسبب كفرانكم توحيد الله تعالى وقت دعائه. ﴿وَإِنْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿إِنْ﴾: حرف شرط، ﴿يُشْرَكْ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة مجزوم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه فعل شرط له. ﴿بِهِ﴾: جار ومجرور في محل الرفع نائب فاعل لـ﴿يُشْرَكْ﴾، ﴿تُؤْمِنُوا﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية معطوفة على جملة ﴿إذا﴾، ﴿فَالْحُكْمُ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة؛ لأن هذا الكلام من جملة ما يقال لهم. ﴿الحكم﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: خبره، ﴿الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾: صفتان للجلالة، والجملة معطوفة على جملة قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ...﴾ إلخ؛ لأنها من جملة ما يقال لهم في الآخرة.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ

﴿١٣﴾ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى﴾: مبتدأ وخبر. ﴿يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: فعل وفاعل ومفعولان؛ لأنه من رأي البصرية، تعدى بالهمزة إلى مفعولين، والجملة: صلة الموصول، والجملة الاسمية: مستأنفة مسوقة لتعليل كون الحكم لله تعالى. ﴿وَيُنَزِّلُ﴾: فعل مضارع، وفاعله: ضمير يعود على الموصول، والجملة: معطوفة على جملة ﴿يُرِيكُمْ﴾. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلق بـ﴿ينزل﴾ وكذلك ﴿لَكُم﴾. ﴿رِزْقًا﴾: مفعول به. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿يَتَذَكَّرُ﴾: فعل مضارع. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ ﴿مَنْ﴾ اسم موصول في محل الرفع فاعل، والجملة الفعلية: معطوفة على الجملة الاسمية أو حال من ضمير المخاطبين، وجملة ﴿يُنِيبُ﴾: صلة الموصول، ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم أن التذكر خاص بمن ينيب، وأردتم بيان ما هو اللازم لكم.. فأقول لكم ﴿ادعوا الله﴾. ﴿ادعو الله﴾: فعل وفاعل ولفظ الجلالة مفعول به. ﴿مُخْلِصِينَ﴾: حال من فاعل ﴿ادعوا﴾. ﴿لَهُ﴾: متعلق بـ﴿مُخْلِصِينَ﴾. ﴿ٱلدِّينَ﴾: مفعول ﴿مُخْلِصِينَ﴾ والجملة الفعلية: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة: مستأنفة. ﴿وَلَوْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لو﴾: حرف شرط. ﴿كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: فعل وفاعل ومفعوله محذوف، تقديره: إخلاصكم أو دعوتكم، والجملة: فعل شرط لـ﴿لو﴾ وجوابها محذوف دل عليه السياق، تقديره: ولو كره الكافرون فادعوه: وجملة ﴿لو﴾ الشرطية: معطوفة على جملة شرط محذوف، تقديرها: إن رضي الكافرون دعوتكم.. فادعوه وإن كره الكافرون.. فادعوه والجملة المحذوفة: في محل النصب حال من فاعل: فادعوا؛ أي: ﴿فَٱدْعُوهُ﴾ حال كونكم سواء عليكم رضاؤهم وكراهتهم. ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هو سبحانه رفيع الدرجات، والجملة: مستأنفة. ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾: خبر ثان، وجملة ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ خبر ثالث ﴿يُلْقِى﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله. ﴿ٱلرُّوحَ﴾: مفعول به، والمراد بـ﴿ٱلرُّوحَ﴾ هنا: الوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾: حال من ﴿ٱلرُّوحَ﴾؛ أي: حال كونه ناشئاً ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾. ﴿عَلَىٰ مَن﴾: متعلق بـ﴿يُلْقِى﴾، وجملة ﴿يَشَآءُ﴾: صلة ﴿مَن﴾ الموصولة، والعائد: محذوف، تقديره: على من يشاؤه

﴿مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾: حال من العائد المحذوف. ﴿لِيُنذِرَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل. ﴿ينذر﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله، أو على الرسول، ﴿يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾: مفعول به على التوسع ومضاف إليه، والجملة الفعلية مع أن المضمرة، في تأويل مصدر مجرور بـ﴿اللام﴾ تقديره: لإنذاره الناس عذاب ﴿يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾. والجار والمجرور: متعلق بـ﴿يُلۡقِي﴾.

﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾.

﴿يَوۡمَ﴾: بدل من ﴿يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾: بدل كل من كل منصوب على المفعولية. ﴿هُم بَٰرِزُونَۖ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية: في محل الجر بإضافة ﴿يَوۡمَ﴾ إليه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَخۡفَىٰ﴾: فعل مضارع. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلق به، ﴿مِنۡهُمۡ﴾: حال من ﴿شَيۡءٞۚ﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿شَيۡءٞۚ﴾: فاعل ﴿يَخۡفَىٰ﴾. والجملة الفعلية: في محل النصب حال من ضمير ﴿بَٰرِزُونَۖ﴾. ﴿لِّمَنِ﴾ ﴿اللام﴾: حرف جر. ﴿من﴾: اسم استفهام في محل الجر بـ﴿اللام﴾ الجار والمجرور: خبر مقدم. ﴿ٱلۡمُلۡكُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿ٱلۡيَوۡمَۖ﴾: ظرف متعلق بـ﴿ٱلۡمُلۡكُ﴾ والجملة من المبتدأ والخبر: في محل النصب مقول لقول محذوف تقديره: يقول الرب سبحانه لهم ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ وجملة القول المحذوف: مستأنفة، أو حال من الجلالة؛ أي: لا يخفي على الله منهم شيء حال كون الله قائلاً لهم: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ ﴿لِلَّهِ﴾: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: الملك كائن لله سبحانه. ﴿ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾: صفتان للجلالة، والجملة الاسمية: مقول لقول محذوف، تقديره: ويقول الرب أيضاً في الجواب: الملك ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ وجملة القول المحذوف: معطوفة على القول المحذوف قبله، وقال الزمخشري: ينادي منادٍ فيقول: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ فيجيبه أهل المحشر: ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾. ﴿ٱلۡيَوۡمَۖ﴾: منصوب على الظرفية متعلق بـ﴿تُجۡزَىٰ﴾، ﴿تُجۡزَىٰ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ﴾: نائب فاعل، والجملة الفعلية من تتمة المقول للقول المحذوف سابقاً. ﴿بِمَا﴾: ﴿الباء﴾: حرف جر وسبب. ﴿ما﴾: موصولة أو مصدرية، الجار والمجرور متعلق بـ﴿تُجۡزَىٰ﴾. ﴿كَسَبَتۡۚ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر، والجملة: صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة، والعائد: محذوف، تقديره: بما كسبته أو لـ﴿ما﴾ المصدرية؛ أي: بكسبها، ولكنه على تقدير مضاف؛ أي: جزاء ما

كسبته. ﴿لا﴾: نافية للجنس. ﴿ظُلْمَ﴾: اسمها. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف متعلق بمحذوف خبر ﴿لَا﴾، تقديره: لا ظلم كائن اليوم، وجملة ﴿لَا﴾: من اسمها وخبرها من تتمة القول المحذوف. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: ناصب واسمه وخبره، وجملة ﴿إِنَّ﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل عدم الظلم؛ أي: إنه تعالى لا يشغله حساب عن حساب، فهو سريع في حسابه، عادل في حكمه.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾.

﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿أنذرهم﴾: فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول أول. ﴿يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ﴾: مفعول ثان، والجملة الفعلية: مستأنفة. ﴿إِذِ﴾: بدل من ﴿يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ﴾: بدل كل من كل. ﴿ٱلْقُلُوبُ﴾: مبتدأ ﴿لَدَى﴾: منصوب على الظرفية بفتحة مقدرة. ﴿ٱلْحَنَاجِرِ﴾: مضاف إليه، والظرف: متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، تقديره: إذ القلوب مرتفعة لدى الحناجر، والجملة الاسمية: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذِ﴾، ﴿كَٰظِمِينَ﴾: حال من الضمير المستكن في الخبر، وعوملت ﴿ٱلْقُلُوبُ﴾ في جمعها بالياء والنون معاملة أصحابها؛ أي: حال كون أصحابها ﴿كَٰظِمِينَ﴾. ﴿مَا﴾: نافية، تميمية أو حجازية. ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾: خبر مقدم أو خبر لـ﴿مَا﴾ الحجازية مقدم على اسمها. ﴿مِنْ﴾: زائدة، ﴿حَمِيمٍ﴾: مبتدأ مؤخر أو اسمها مؤخر. ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾: معطوف على ﴿حَمِيمٍ﴾ وجملة ﴿يُطَاعُ﴾: صفة لـ﴿شَفِيعٍ﴾ والجملة الاسمية: في محل النصب حال من أصحاب ﴿ٱلْقُلُوبُ﴾ أيضاً، وقوله: ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ إظهار في مقام الإضمار؛ أي: حالة كونهم عادمي ﴿حَمِيمٍ﴾ ينفعهم وعادمي ﴿شَفِيعٍ﴾ يقبل في حقهم.

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿يَعْلَمُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله، ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾: مفعول به، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف؛ أي: الأعين الخائنة، والجملة الفعلية: خبر رابع للمبتدأ المحذوف الذي أخبر عنه بـ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ وما بعده، أو هو خبر من أخبار ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ﴾ أو حال لازمة من ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾. ﴿وَمَا﴾: اسم

موصول في محل النصب معطوف على ﴿خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾. ﴿تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾: فعل وفاعل، والجملة: صلة الموصول، والعائد: محذوف، تقديره: تخفيه الصدور ﴿وَٱللَّهُ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، أو استئنافية. ﴿اللهُ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿يَقۡضِي﴾: خبره. ﴿بِٱلۡحَقِّۖ﴾: متعلق بـ﴿يَقۡضِي﴾ أو حال من فاعل ﴿يَقۡضِي﴾. والجملة الاسمية مستأنفة، أو معطوفة على جملة ﴿يَعۡلَمُ﴾ عطف اسمية على فعلية. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿يَدۡعُونَ﴾: صلة الموصول، والعائد: محذوف، تقديره: يدعونهم. ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿يَدۡعُونَ﴾، وجملة ﴿لَا يَقۡضُونَ﴾: خبر المبتدأ. ﴿بِشَيۡءٍۗ﴾: متعلق بـ﴿يَقۡضُونَ﴾. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: ناصب واسمه. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل. ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾: خبران لـ﴿إِنَّ﴾. وجملة ﴿إِنَّ﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿۞ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾﴾.

﴿أَوَلَمۡ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التوبيخي، داخلة على محذوف، و﴿الواو﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أغفلوا عن انتقام الله سبحانه من الأمم المكذبة للرسل، ولم يسيروا في الأرض، والجملة المحذوفة، جملة إنشائية، لا محل لها من الإعراب. ﴿لَمۡ﴾: حرف نفي وجزم. ﴿يَسِيرُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَمۡ﴾، و﴿الواو﴾: فاعل ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: متعلق به. ﴿فَيَنظُرُواْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿ينظروا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يَسِيرُواْ﴾. ﴿كَيۡفَ﴾: اسم استفهام في محل النصب خبر مقدم لـ﴿كَانَ﴾. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ﴾: اسمها، وجملة ﴿كَانَ﴾: في محل النصب ساد مسد مفعول ﴿ينظروا﴾: معلق عنها باسم الاستفهام. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر ﴿كَانُواْ﴾: وجملة ﴿كَانَ﴾: صلة الموصول. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿هُمۡ﴾ ضمير فصل ﴿أَشَدَّ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿مِنۡهُمۡ﴾ متعلق بـ﴿أَشَدَّ﴾، ﴿قُوَّةٗ﴾: تمييز محول عن اسم ﴿كَانَ﴾، ﴿وَءَاثَارٗا﴾: معطوف على ﴿قُوَّةٗ﴾. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: صفة لـ﴿آثارا﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾: مستأنفة، وجاز دخول ضمير الفصل بين معرفة ونكرة، وهو لا يقع إلا بين معرفتين؛ لأن النكرة هنا وهي ﴿أَشَدَّ﴾ بمثابة المعرفة من حيث امتناع دخول أل عليها؛ لأن اسم التفضيل

المقرون بـ﴿مِنَ﴾ لا تدخل عليه أل. ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿أخذهم الله﴾: فعل ومفعول وفاعل، والجملة: معطوفة على جملة ﴿كَانُوٓاْ﴾. ﴿بِذُنُوبِهِمۡ﴾: متعلق بـ﴿أخذهم﴾ ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿لَهُم﴾: خبر كان مقدم. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿وَاقٖ﴾. ﴿مِن﴾: زائدة ﴿وَاقٖ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر، وجملة ﴿كَانَ﴾: معطوفة على جملة ﴿أخذ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ. ﴿بِأَنَّهُمۡ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: مستأنفة. ﴿أنهم﴾: ناصب واسمه. ﴿كَانَت﴾: فعل ناقص واسمها ضمير يعود على الرسل. ﴿تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم﴾: فعل ومفعول به وفاعل. ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: متعلق بـ﴿تَأۡتِيهِمۡ﴾ والجملة الفعلية: خبر ﴿كان﴾ وجملة ﴿كَانَ﴾: في محل الرفع خبر ﴿أَنَّ﴾، وجملة ﴿أن﴾: في تأويل مصدر مجرور بالياء، والتقدير: ذلك الأخذ والعذاب كائن بسبب إتيان رسلهم بالبينات وكفرهم بها. ﴿فَكَفَرُواْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿كفروا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿كَانَت﴾. ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾: معطوف على ﴿كَفَرُواْ﴾، ﴿إِنَّهُۥ قَوِيّٞ﴾: ناصب واسمه وخبره الأول، ﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾: خبر ثان لها، وجملة ﴿إن﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

التصريف ومفردات اللغة

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ والغافر: الساتر، والذنب: الإثم، يستعمل في كل فعل يضرّ في عقباه، اعتباراً بذنب الشيء؛ أي: آخره.

﴿قابل التوب﴾ والقابل: هو الذي يستقبل الدلو من البئر فيأخذها، والقابلة: التي تقبل الولد عند الولادة، وقبلتُ عذره وتوبته وغير ذلك، والتوب: مصدر، كالتوبة وهو ترك الذنب على أحد الوجوه كما مر. وفي «المختار»: التوبة: الرجوع عن الذنب، وبابه: قال، يقال: تاب يتوب توباً وتوبة أيضاً، وقال الأخفش: والتوب: جمع توبة، كدوم ودومة، اهـ.

﴿ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ والطول: الفضل والزيادة والإنعام الواسع، وفي «الصحاح»: والطول بالفتح: المن، يقال منه: طال يطول ـ من باب قال ـ إذا امتن عليه. وقال

الماوردي: الفرق بين المن والفضل: أن المن عفو عن ذنب، والتفضل إحسان غير مستحق، والطَّول: مأخوذ من الطَّول، كأنه طال بإنعامه على غيره، وقيل: لأنه طالت مدة إنعامه. اهـ.

﴿ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجع، وأصله: المصير، بوزن المفعل بكسر العين؛ لأنه من يفعِل المكسور العين، نقلت حركة الياء إلى الصاد فسكنت إثر كسرة فصارت حرف مد.

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله: من جدلت الحبل، أحكمت فتله، فإن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه.

﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ والغرة: غفلة في اليقظة، قال في «المفردات»: التقلب: التصرف، وقال الراغب: البلد: المكان المحدود، المتأثر باجتماع قطانه وإقامتهم فيه، وجمعه: بلاد وبلدان.

﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ قصدت، والهم: عقد القلب على فعل شيء قبل أن يفعل من خير أو شر.

﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ من الأخذ بمعنى الأسر، والأخيذ: الأسير؛ أي: ليأسروه ويحبسوه. كما مر.

﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾؛ أي: ليزيلوا الحق. ﴿حَقَّتْ﴾؛ أي: وجبت. ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾؛ أي: حكمه بالإهلاك. ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أمر من وقى يقي وقايةً، وهي حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، وفيه إعلالان، حذف فاء الكلمة وهي الواو، إذ قياس مضارعه: يوقي، حذفت الواو التي هي فاء الكلمة؛ لوقوعها بين عدوّتيها الياء والكسرة، وحذف لام الكلمة؛ لبناء الأمر على ما يجزم به مضارعه، فلم يبق إلا عين الكلمة. ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أصله: توقي، حذفت فاء الكلمة التي هي الواو للعلة السابقة، ثم حذفت لام الكلمة وهي الياء للجازم، فلم يبق من الكلمة إلا عينها فصار الفعل على وزن «تع».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ﴾ من المناداة، وهي وكذا النداء: الدعوة ورفع الصوت، أصله: ينادیون، قلبت الياء ألفاً لتحركها بعد فتح، فالتقىٰ ساكنان،

فحذفت الألف دالة عليها.

﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ والمقت: البغض الشديد لمن يراه متعاطياً لقبيح، والبغض: نفار النفس من الشيء ترغب عنه، وهو ضد الحب، وهو انجذاب النفس إلى الشيء الذي ترغب فيه، ومقت الله: غضبه وسخطه، وهو مصدر مضاف إلى فاعله، وحذف مفعوله؛ أي: مقت الله أنفسكم الأمارة بالسوء. ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ أصله: تدعوون، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، ثم حذفت لالتقاء الساكنين.

﴿أَمَتَّنَا﴾ من أمات الرباعي، أصله: أموت، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، فصار أمات، ثم أسند الفعل إلى تاء الفاعل فسكن آخره، وهو التاء لام الكلمة، فالتقىٰ ساكنان: الألف وآخر الفعل، فحذفت الألف لبقاء دالها، فصار أمتْتَنا، فأدغمت التاء الأولى التي هي لام الكلمة في تاء الفاعل فصارت ﴿أَمَتَّنَا﴾.

﴿إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ فيه إعلال بالقلب، أصله: دعو، قلبت الواو ياء لتطرفها إثر كسرة.

﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ أصله: العليو، اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما ساكنةً فقلبت الواو ياءً وأدغمت فيها الياء.

﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ فيه إعلال بالنقل والتسكين والقلب، أصله: ينوب، نقلت حركة الواو إلى النون فسكنت الواو إثر كسرة فقلبت ياءً حرف مد. ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ والرفيع: إما صفة مشبهة أضيفت إلى فاعلها بعد النقل إلى فعل بالضم، كما هو المشهور بمعنى عظيم الصفات، أو صيغة مبالغة محولة عن اسم الفاعل، فيصح فيه الوجهان. كما في «السمين».

﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ التلاقي: مصدر تلاقى الخماسي، وقياسه: أن يكون ما قبل آخره مضموماً، لكنه كسر لمناسبة الياء. ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾ يقال: برز بروزاً: خرج إلى البراز؛ أي: الفضاء، كتبرز وظهر بعد الخفاء كبرز بالكسر. ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ أصله: تجزى، بوزن تفعل، قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها.

﴿يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ هو يوم القيامة، سميت بذلك لأزوفها؛ أي: لقربها من أزف الرحيل؛ أي: قرب. وفي «المصباح»: أزف الرحيل أزفاً من باب تعب وأزوفاً: دنا وقرب، وأزفت الآزفة: القيامة. وفي «الأساس»: أزف الرحيل: دنا وعجل، ومنه

أقبل يمشي الأزفى بوزن الجمزى، وكأنه من الوزيف، و﴿الهمزة﴾: بدل عن واو. وفي «الروح»: الآزفة فاعلة من أزف الأمر على وزن علم: إذا قرب، والمراد: القيامة، ولذا أنث، ونظيره: ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ۝٥٧﴾؛ أي: قربت القيامة، وسميت بالآزفة لأزوفها، وهو القرب؛ لأن كل آت قريب، وإن استبعد اليائس أمده.

﴿لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ جمع حنجرة، وهي الحلقوم، وفي «القاموس»: والحنجور: السِقط الصغير، وقارورة للذريرة، والحلقوم كالحنجرة، والحناجر جمعه. ﴿كَٰظِمِينَ﴾ يقال: كظم غيظه؛ أي: رد غضبه وحبسه في نفسه بالصبر وعدم إظهار الأثر. ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ فيه إعلال بالنقل والتسكين والقلب، أصله: يطوع، نقلت حركة الواو إلى الطاء فسكنت، لكنها قلبت ألفاً لتحركها في الأصل وانفتاح ما قبلها الآن.

﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ فيه إعلال بالقلب، أصله: خاونة؛ لأنه من خان يخون، واوي العين، قلبت الواو في الوصف همزةً حملاً له في الإعلال على فعله خان، حيث أعل بقلب الواو عينه ألفاً لتحركها بعد فتح، ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: أصله يدعوون بواوين: الأولى لام الكلمة، والثانية واو الجماعة، فاستثقلت الضمة على الواو لام الكلمة فحذفت، فلما سكنت.. التقى ساكنان، فحذفت لام الكلمة وبقيت واو الجماعة، فوزنه يَفعون. ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ أصله: يقضيون، استثقلت الضمة على الياء، فحذفت، فلما سكنت.. التقى ساكنان فحذفت الياء، ثم ضمت الضاد لمناسبة الواو.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الطباق بين ﴿ٱلذَّنۢبِ﴾ و﴿ٱلتَّوْبِ﴾، وبين ﴿أَمَتَّنَا﴾ ﴿وَأَحْيَيْتَنَا﴾.

ومنها: الحصر في قوله: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

ومنها: المقابلة في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ۚ﴾ فقد قابل بين التوحيد والإشراك، والكفر والإيمان.

ومنها: إيراد ﴿إِذَا﴾ وصيغتي الماضي في الشرطية الأولى، و﴿إِنَّ﴾ وصيغتي المضارع في الشرطية الثانية؛ للدلالة على كمال سوء حالهم، كما في «أبي السعود».

ومنها: الإتيان بصيغة المضارع في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم...﴾ إلخ. في كلا الفعلين للدلالة على تجدد الإراءة والتنزيل واستمرارهما، كما في «أبي السعود».

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ فإنه من إطلاق المسبب وإرادة السبب؛ لأنه أطلق الرزق وأراد المطر؛ لأن الماء سبب في جميع الرزق.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ فإنه كناية عن الوحي؛ لأنه كالروح للجسد، فهو مجاز مرسل، علاقته: السببية، وجعله الزمخشري استعارة تصريحية، وليس ببعيد.

ومنها: الإسجال بغير مغالطة في قوله: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾ وهو فن طريف من فنون البلاغة، وهو أن يقصد المتكلم غرضاً من ممدوح، فيأتي بألفاظ تقرر بلوغه ذلك الغرض إسجالاً منه على الممدوح به، وبيان ذلك: أن يذكر شرطاً يلزم من وقوعه وقوع ذلك الغرض، ثم يخبر بوقوعه وإن لم يكن قد وقع بعد ليقع المشروط، اهـ «درويش».

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾؛ لأن المراد بالإماتتين الإثنتين: خلقهم أمواتاً أولاً، وإماتتهم عند انقضاء آجالهم ثانياً، وقد أوضح ذلك بقوله في آية أخرى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ ففي تسمية خلقهم أمواتاً إماتة مجاز مرسل؛ لأنه باعتبار ما كان، اهـ «درويش».

ومنها: الاستفهام بمعنى اليأس في قوله تعالى: ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ ففي هذا الاستفهام يأس مقنط، واستحالة مفرطة، كأنهم لفرط ما يكابدونه يتمنون الخروج من هذا الأسى المطبق من الهول المستحكم.

ومنها: تنكير ﴿خُرُوجٍ﴾ للدلالة على أي خروج كان، سواء أكان سريعاً أم بطيئاً، وإنما يقولون ذلك تعللاً وتحيراً.

ومنها: الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ لتجسيد الهول في ذلك اليوم الذي تكون فيه مشارفتهم للنار، فعند ذلك ترفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم، فلا هي تخرج فيموتوا ويستريحوا، ولا هي ترجع إلى مواطنها فيتنفسوا الصعداء ويتروّحوا، ولكنها معترضة كالشَّجا.

ومنها: عكس الظاهر في قوله: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ إذ لا شفيع لهم أصلاً، فضلاً عن أن يكون مطاعاً، وكان الظاهر أن يقال: ولا يطاع فيهم شفيع.

ومنها: الإسناد المجازي في قوله: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾؛ لأن إسناد الخيانة إلى النظرة مجاز؛ لأن الخائن هو الناظر.

ومنها: التهكم في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾؛ لأن هذا تهكم بهم؛ لأن الجماد لا يقال فيه: يقضي ولا يقضي.

ومنها: الاستفهام التوبيخي في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟...﴾ إلخ. وفيه تهديد للمشركين بذكر عاقبة من كانوا قبلهم من الأمم المكذبة للرسل.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات

لما قبلها: أن الله سبحانه لما سلى[1] رسوله ﷺ بذكر عاقبة الكفار الذين كذبوا الرسل قبله، بمشاهدة آثارهم.. سلاه أيضاً بذكر قصص موسى مع فرعون مع ما أوتي من الحجج الباهرة، كذبه فرعون وقومه، وأمروا بقتل أبناء بني إسرائيل، وأمر فرعون بقتل موسى خوفاً أن يبدل دينهم، أو يعيث في الأرض فساداً، فتعوذ موسى بربه ورب بني إسرائيل من كل جبار متكبر، لا يؤمن بالجزاء والحساب.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن ذلك المؤمن لما سمع رأي فرعون في موسى، وتصميمه على قتله، وإقامة البراهين على صحة رأيه، وأنه لا سبيل إلى العدول عن ذلك.. أعاد النصح مرةً أخرى لقومه، لعلهم يرعوون عن غيهم، ويتوبون إلى رشدهم، فذكرهم بأس الله سبحانه وسننه في المكذبين للرسل، وضرب لهم الأمثال بما حل بالأحزاب من قبلهم، كقوم نوح وعاد وثمود، ثم ذكرهم بأهوال يوم القيامة، يوم لا عاصم من عذاب الله، ثم أعقب ذلك بتذكيرهم بما فعل آباؤهم الأولون مع يوسف من قبل، من تكذيبهم برسالته ورسالة من بعده، فأحل الله بهم من البأس ما صاروا به مثلاً في الأخرين، وكأن لسان حاله يقول: هاأناذا قد أسمعت ونصحت فما قصرت، والأمر إليكم فيما تفعلون. اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر فيما سلف تكبر فرعون وجبروته.. أبان هنا أنه بلغ من عتوِّه وتمرده وافترائه في تكذيب موسى - عليه الصلاة والسلام - أن أمر وزيره هامان أن يبني له قصراً شامخاً من الآجر؛ ليصعد به إلى السماء ليطلع إلى إله موسى - عليه الصلاة والسلام -، ومقصده من ذلك الاستهزاء به، ونفي رسالته، وأكد ذلك بالتصريح بقوله: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ ثم أرشد إلى أن هذا وأمثاله صنيع المكذبين الضالين، وأن عاقبة تكذيبهم الهلاك والخسران.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ ... فِرْعَوْنَ﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما حكى[2] عن موسى أنه ما زاد حين سمع مقالة فرعون الداعية إلى قتله على أن استعاذ بالله من شره.. أردف ذلك ببيان أن الله

---

(١) المراغي.

(٢) المراغي.

قيض له من يدافع عنه من آل فرعون أنفسهم، ويذب عنه على أكمل الوجوه وأحسنها، ويبالغ في تسكين تلك الفتنة، ويجتهد في إزالة ذلك الشر.

التفسير وأوجه القراءة

ثم ذكر سبحانه قصة موسى وفرعون ليعتبروا بها، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ﴾؛ أي: وعزّتي وجلالي لقد أرسلنا موسى بن عمران حال كونه متلبساً ومؤيداً ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ وهي المعجزات التسع ﴿و﴾ بـ﴿سلطان مبين﴾؛ أي: وبحجةٍ قاهرةٍ ظاهرة واضحة، وهي العصا، وأفردها بالذكر مع اندراجها تحت الآيات، تفخيماً لشأنها، فهو من قبيل عطف الخاص على العام.

وقيل[1]: هو التوراة. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ أعظم عمالقة مصر ﴿وَهَـٰمَـٰنَ﴾ وزيره وخصهما بالذكر؛ لأن الإرسال إليهما إرسال إلى القوم؛ لكونهم تحت تصرف الملك والوزير تابعين لهما، والناس على دين ملوكهم. ﴿وَقَـٰرُونَ﴾ ابن عم موسى، خصه[2] بالذكر؛ لكونه بمنزلة الملك من حيث كثرة أمواله وكنوزه، ولا شك أن الإرسال إلى قارون متأخر عن الإرسال إلى فرعون وهامان، لأنه كان إسرائيلياً ابن عم موسى، مؤمناً في الأوائل، أعلم بني إسرائيل، حافظاً للتوارة، ثم تغير حاله بسبب الغنى، فنافق كالسامري، فصار ملحقاً بفرعون وهامان في الكفر والهلاك، فاحفظ هذا ﴿فَقَالُوا۟﴾؛ أي: قال هؤلاء الثلاثة وأتباعهم في حق ما أظهره موسى من المعجزات خصوصاً في أمر العصا: إنه ﴿سَـٰحِرٌ﴾ وقالوا فيما ادعاه عليه السلام من رسالة رب العالمين: إنه ﴿كَذَّابٌ﴾ والكذاب: الذي عادته الكذب، بأن يكذب مرة بعد أخرى، ولم يقولوا: سحار؛ لأنهم كانوا يزعمون أنه ساحر، وأن سحرتهم أسحرُ منه، كما قالوا: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾.

وفيه تسلية لرسول الله ﷺ، وبيان عاقبة من هو أشد من قريش، بطشاً، وأقربهم زماناً، ولما عجزوا عن مقارعة الحجة بالحجة.. لجؤوا إلى استعمال القوة، كما هو دأب المحجوج المغلوب على أمره، وإلى هذا أشار بقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ موسى ﴿بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا﴾ وهو ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة

---

(١) الشوكاني. (٢) روح البيان.

﴿قَالُوا﴾ لاستكمال شقاوتهم ﴿اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾؛ أي: تابعوه في الإيمان والتوحيد، والقائل فرعون وذوو الرأي من قومه، أو فرعون وحده؛ لأنه بمنزلة الكل، كما قال: سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم ﴿وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾؛ أي: أبقوا بناتهم أحياءً لخدماتنا فلا تقتلوهن.

والمعنى[1]: أعيدوا عليهم القتل، وذلك أنه قد أمر بالقتل قُبيل ولادة موسى عليه السلام بإخبار المنجمين بقرب ولادته، ففعله زماناً طويلاً ثم كف عنه؛ مخافة أن تفنى بنو إسرائيل، وتقع الأعمال الشاقة على القبط، فلمابعث موسى وأحسّ فرعون بنبوته.. أعاد القتل غيظاً وحنقاً، ظناً منهم أنه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملك فرعون على يده.

قال قتادة: هذا قتل غير القتل الأول، لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان بعد ولادة موسى، فلما بعث الله موسى.. أعاد القتل على بني إسرائيل عقوبةً لهم، فكان يأمر بقتل الذكور وترك الإناث ليمتنعوا من الإيمان، ولئلا يكثر جمعهم ويشتدّ عضدهم بالذكور من أولادهم، لكن الله شغلهم عن ذلك بما أنزل عليهم من أنواع العذاب، كالضفادع والقمل والدم والطوفان إلى أن خرج بنو إسرائيل من مصر، وإلى هذا أشار سبحانه بقوله: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ﴾ فرعون وقومه أو غيرهم؛ أي[2]: وما مكرهم وسوء صنيعهم بالأنبياء والمؤمنين ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾؛ أي: في ضياع وبطلان وخسران لا يغني عنهم شيئاً، وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم.

وفي «التأويلات النجمية»: عزم على إهلاك موسى وقومه، واستعان على ذلك بجنده وخيله ورجله، إتماماً لاستحقاقهم العذاب، ولكن من حفظ الحق تعالى كان كما قال: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾؛ أي: في ازدياد ضلالتهم بربهم، يشير إلى أن من حفر بئراً لولي من أوليائه.. ما يقع فيه إلا حافره، وبذلك أجرى الحق سنته. انتهى.

---

(١) روح البيان.
(٢) روح البيان.

والمعنى[1]: أي وما مكر الكافرين وقصدهم وهو تقليل عدد بني إسرائيل لئلا ينصروا عليهم إلا ذاهب سدًى وباطلاً، فالناس لا يمتنعون من الإيمان، وإن فعل بهم ما فعل، وأن القدر المقدور لا محالة نافذ، والقضاء المحتوم لا بد واقع، والنصر حليف المؤمنين، كما وعد في كتابه المكنون ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾.

والخلاصة: أن ما أظهروه من الإبراق والإرعاد سيضمحل لا محالة، ويذهب هباءً أمام تلك القوة القاهرة، وسيكون النصر للمتقين.

ثم ذكر أنه ما كفاهم قتل البنين واستحياء البنات من بني إسرائيل، بل أرادوا أن يجتثوا هذه الشجرة من أصلها، كما أشار إلى ذلك سبحانه بقوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ اللعين لملئه: ﴿ذَرُونِىٓ﴾؛ أي: اتركوني ﴿أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ إنما قال هذه لأنه كان في خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى؛ مخافة أن ينزل بهم العذاب، أو كانوا يكفونه عن قتله؛ تهويناً لأمره، واستصغاراً لشأنه؛ أي: اتركوني أقتله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ الذي يزعم أنه أرسله إلينا، فليمنعه من القتل إن قدر على ذلك؛ أي: لا يهولنكم شأنه؛ لأنه لا رب له حقيقة، بل أنا ربكم الأعلى، وكان إذا هم بقتله.. كفوه، وقالوا له: ليس هذا بالذي يخاف منه، وهو أضعف من ذلك شأناً، وما هو إلا ساحر يصاوله ساحر مثله، وإنك إن قتلته.. أدخلت الشبهة في نفوس الناس، واعتقدوا أنك عجزت عن مقابلة الحجة بالحجة، وما يزالون به هكذا يحاورونه ويدارونه حتى يكف عن قتله.

وربما يكون قد قال ذلك تمويهاً على قومه، وإيهاماً أن حاشيته هم الذين يكفونه عن قتله، وما يكفّه عن ذلك إلا ما في نفسه من هول الفزع الذي استحوذ عليه، كما يرشد إلى ذلك قوله: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ فإن ظاهره الاستعانة به بدعائه ربه سبحانه، كما يقال: ادع ناصرك فإني منتقم منك، وباطنه أن فرائصه كانت ترتعد من دعائه ربه، فلهذا تكلم بما تكلم به، مظهراً أنه لا يبالي بدعائه ربه، كما يقول القائل ذروني أفعل كذا وما كان فليكن.

---

(١) المراغي.

ثم ذكر العلة التي لأجلها أراد أن يقتله، فقال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ إن لم أقتله ﴿أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾؛ أي: أن يغير ما أنتم عليه من الدين الذي هو عبارة عن عبادة فرعون وعبادة الأصنام لتقربهم إليه، ويدخلكم في دينه الذي هو عبادة الله وحده ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: في أرض مصر ﴿ٱلْفَسَادَ﴾؛ أي: يوقع بين الناس ما يفسد دنياهم من التخالف والتجارب والتهارج، إن لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية.

فمعنى[1]: ﴿أو﴾ وقوع أحد الشيئين، جَعَلَ اللعين ظهور ما دعا إليه موسى - عليه الصلاة والسلام - وانتشاره في الأرض واهتداء الناس به فساداً، وليس الفساد إلا ما هو عليه هو ومن تابعه، وبدأ فرعون بذكر الدين أولاً لأنّ حبّ الناس لأديانهم فوق حبهم لأموالهم اهـ. «خطيب» وفي الآية إشارة إلى أن فرعون من عمى قلبه ظن أن الله يذره أن يقتل موسى بحوله وقوّته، أو يذره قومه، ولم يعلم أن الله يهلكه ويهلك قومه، وينجي موسى وقومه، وقد خاف من تبديل الدين أو الفساد في الأرض، ولم يخف هلاك نفسه وهلاك قومه وفساد حالهم في الدارين.

والمعنى: أي[2] إني أخاف أن يفسد موسى عليكم أمر دينكم الذي أنتم عليه من عبادة غير الله سبحانه، ويدخلكم في دينه الذي هو عبادة الله وحده، أو يوقع بين الناس الخلاف والفتنة، إذ يجتمع إليه الهمل الشرد، ويكثرون من الخصومات والمنازعات وإثارة القلاقل والاضطرابات، فتتعطل المزارع والمتاجر، وتعدم المكاسب.

والخلاصة: أنه يقول: إنّي أخاف أن يفسد عليكم أمر دينكم بالتبديل، أو يفسد عليكم أمر دنياكم بالتعطيل، وهما أمران أحلاهما مر.

وقرأ الكوفيون ويعقوب[3]: ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ﴾ بأو التي للإبهام وترديد الخوف بين تبديل الدين وظهور الفساد، وقرأ باقي السبعة ﴿وأن يظهر﴾ بدون ألف، على معنى وقوع الأمرين جميعاً، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: بفتح الياء من ﴿إِنِّيَ أَخَافُ﴾، وقرأ أنس بن مالك وابن المسيب ومجاهد وقتادة وأبو رجاء والحسن

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي. (٣) البحر والشوكاني.

والجحدري ونافع وأبو عمرو وحفص: ﴿يُظْهِرَ﴾ بضم الياء وكسر الهاء، من أظهر الرباعي، وفاعله: ضمير ﴿مُوسَىٰ﴾ و﴿ٱلْفَسَادَ﴾: منصوب على أنه مفعول به، وقرأ باقي السبعة والأعرج والأعمش وابن وثاب وعيسى: ﴿يَظهَر﴾ بفتح الياء والهاء من ظهر الثلاثي، مبنياً للفاعل ورفع ﴿الفساد﴾ على الفاعلية، وقرأ زيد بن علي: ﴿يُظهَر﴾ بضم الياء وفتح الهاء، مبنياً للمفعول ﴿الفساد﴾ رفعاً على النيابة عن الفاعل، وقرأ مجاهد: ﴿يظّهّر﴾ بشد الظاء والهاء ﴿الفساد﴾ رفعاً.

ولما سمع موسى عليه السلام بمقالة فرعون.. استعاذ بالله من شر كل متكبر عن الإيمان به منكر بالبعث والنشور، فصانه من كل بلية، وإلى ذلك أشار بقوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ عليه السلام لقومه حين سمع بما يقوله اللعين من حديث قتله عليه السلام: ﴿إِنِّى عُذْتُ﴾ واستجرت ﴿بِرَبِّى وَرَبِّكُم﴾.

قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي هنا وفي الدخان[1]: ﴿عذتُّ﴾ بإدغام الذال في التاء، وقرأ الباقون: بالإظهار، وخص[2] اسم الرب؛ لأن المطلوب هو الحفظ والتربية، وإضافته إليه وإليهم للحث على موافقته في العياذ به تعالى، والتوكل عليه، فإن في تظاهر النفوس تأثيراً قوياً. في استجلاب الإجابة، وهو السبب الأصلي في اجتماع الناس لأداء الصلوات الخمس والجمعة والأعياد والاستسقاء ونحوها.

﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾؛ أي: من شر كل متعظم عن الإيمان بالله سبحانه، والتكبر: تعاظم الإنسان في نفسه مع حقارته. ﴿لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ والجزاء صفة لما قبله، عقب به لأن طبع المتكبر القاسي وشأنه إبطال الحق، وتحقير الخلق، لكنه قد ينزجر إذا كان مقرًّا بالجزاء، وخائفاً من الحساب، وأما إذا اجتمع التكبر والتكذيب بالبعث.. كان أظلم وأطغى، فلا عظيمة إلا ارتكبها، فيكون بالاستعاذة أولى وأحرى.

وصدر[3] الكلام بـ﴿إِنّ﴾ تأكيداً وإشعاراً على أن السبب المؤكد في دفع الشر هو العياذ بالله تعالى، والمسلم إذا قال عند القراءة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. فالله تعالى يصون دينه وإخلاصه عن وساس شياطين الجن، فكذلك إذا

---

(١) البحر المحيط. (٢) روح البيان. (٣) البيضاوي.

قال: أعوذ بالله عند توجه الآفات والمخافات، فالله يصونه عن كل الآفات والمخافات من شياطين الإنس.

والمعنى[1]: أي إني استجرت بالله ربي وربكم، واستعصمت به من شر كل مستكبر لا يذعن للحق، ولا يؤمن بيوم يحاسب الله فيه الخلائق، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بما أساء، وإنما خص الاستعاذة بمن جمع بين الاستكبار والتكذيب بالجزاء؛ لأنهما عنوان قلة المبالاة بالعواقب، وعنوان الجرأة على الله وعلى عباده، فمن لم يؤمن بيوم الحساب.. لم يكن للثواب على الإحسان راجياً، ولا من العقاب على الإساءة وقبيح ما يأتي من الأفعال خائفاً، وإنما لم يسم فرعون باسمه، بل ذكره بوصف يعمه وغيره من جبابرة أركانه وغيرهم؛ لتعميم الاستعاذة والإشعار بعلة القساوة والجرأة على الله، وهي التكبر وما يليه من عدم الإيمان بالبعث، وإنما قال: ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ ولم يقل منه سلوكاً لطريق التعريض، وتحاشياً مما قد يعرض له من الأذى إذا هو سمع كلامه، فهو واف بالغرض، ومبين للعلة التي لأجلها أبى واستكبر.

فائدة: سئل أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ أي ذنب أخوف على سلب الإيمان؟ قال: ترك الشكر على الإيمان، وترك خوف الخاتمة، وظلم العباد، فإن من كان فيه هذه الخصال الثلاث.. فالأغلب أن يخرج من الدنيا كافراً إلا من أدركته السعادة.

وفي الخبر: «إن الله سخر الريح لسليمان عليه السلام فحملته وقومه على السرير، حتى سمعوا كلام أهل السماء، فقال ملك ـ لآخر إلى جنبه ـ: لو علم الله في قلب سليمان مثقال ذرة من كبر.. لأسفله في الأرض مقدار مارفعه مِنَ الأرض إلى السماء».

وفي الحديث: «ما من أحد إلا وفي رأسه سلسلتان: إحداهما إلى السماء السابعة، والأخرى إلى الأرض السابعة، فإذا تواضع.. رفعه الله بالسلسلة التي في السماء السابعة، وإذا تكبر.. وضعه الله بالسلسلة التي في الأرض السابعة» فالمتكبر

---

(١) المراغي.

أياً كان مقهور لا محالة، كما يقال[1]: إن أول ما خلق درة بيضاء، فنظر إليها بالهيبة فذابت وصارت ماء، وارتفع زبدها، فخلق الله منه الأرض فافتخرت الأرض وقالت: من مثلي، فخلق الله الجبال فجعلها أوتاداً في الأرض، فقهر الأرض بالجبال، فتكبرت الجبال فخلق الحديد، وقهر الجبال به، فتكبر الحديد فقهره بالنار، فتكبرت النار فخلق الماء فقهرها به، فتكبر الماء فخلق السحاب، ففرق الماء في الدنيا فتكبر السحاب فخلق الرياح، ففرقت السحاب فتكبرت الرياح، فخلق الآدمي حتى جعل لنفسه بيتاً وكناً من الحر والبرد والرياح، فتكبر الآدمي فخلق النوم فقهره به، فتكبر النوم فخلق المرض فقهره به، فتكبر المرض فخلق الموت فقهره به، فتكبر الموت فقهره بالذبح يوم القيامة، حيث يذبح بين الجنة والنار، كما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾؛ يعني إذا ذبح الموت.. فالقاهر فوق الكل هو الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ ثم إن الكبر من أشد صفات النفس الأمارة بالسوء، فلا بد من إزالته

ولما استعاذ موسى عليه السلام بالله، واعتمد على فضله ورحمته.. فلا جرم صانه الله تعالى من كل بلية، وأوصله إلى كل أمنية، وقيض له إنساناً أجنبياً، حتى ذب عنه بأحسن الوجوه في تسكين تلك الفتنة، كما حكى الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ﴾ كائن ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ فهو صفة ثانية لـ﴿رَجُلٌ﴾ وقوله: ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾: صفة ثالثة، قدم الأول؛ أعني مؤمن، لكونه أشرف الأوصاف، ثم الثاني لئلا يتوهم خلاف المقصود، وذلك لأنه لو أخر عن ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾.. لتوهم أن ﴿من﴾ صلته، فلم يفهم أن ذلك الرجل كان من آل فرعون، وآل الرجل خاصته الذين يؤول إليه أمرهم للقرابة أو الصحبة أو الموافقة في الدين، وكان ذلك الرجل المؤمن من أقارب فرعون؛ أي: ابن عمه، وهو منذر موسى عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾، كما سبق في سورة القصص، واسمه شمعان بالشين المعجمة بوزن سلمان، وهو أصح ما قيل فيه، قاله الإمام السهيلي.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿رَجُلٌ﴾ بضم الجيم، وقرأ عيسى وعبد الوارث وعبيد بن عقيل، وحمزة بن القاسم عن أبي عمرو: بسكون الجيم، وهي لغة تميم ونجد،

---

(١) روح البيان. (٢) البحر المحيط.

وقرىء: بكسر الجيم، وفي «تاريخ الطبري»: اسمه جبر، وقيل: حبيب النجار، وهو الذي عمل تابوت موسى حين أرادت أمه أن تلقيه في اليم، وهو غير حبيب النجار صاحب يس، وقيل: خربيل بن نوحائيل أو حزقيل، ويدل عليه قوله ﷺ: «سبّاق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: حزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾، وحبيب النجار صاحب ياسين، وعلي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وهو ـ رضي الله عنه ـ أفضلهم» كما في «إنسان العيون» نقلاً عن «العرائس».

وقال ابن الشيخ في «حواشيه»: روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل يس، ومؤمن آل فرعون، والثالث: أبو بكر الصديق وهو أفضلهم» انتهى. وقال صاحب «روح البيان»: يمكن أن يقال لا مخالفة بين هاتين الروايتين لما أن المراد تفضيل أبي بكر في الصديقية، وتفضيل علي في السبق، وعدم صدور الكفر عنه، ولو لحظةً، فأفضلية كل منهما من جهة أخرى.

ثم إن الروايتين دلتا على كون ذلك الرجل قبطياً، لا إسرائيلياً، وأيضاً أن فرعون أصغى إلى كلامه واستمع منه، ولو كان إسرائيلياً لكان عدواً له، ولم يكن ليصغي إليه.

قال في «التكملة»: فإن قلت: الآل قد يستعمل في غير القرابة بدليل قوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ ولم يرد إلا كل من كان على دينه من ذوي قرابته وغيرهم؟

فالجواب: أن هذا الرجل لم يكن من أهل دين فرعون وإنما كان مؤمناً، فإذا لم يكن من أهل دينه.. فلم يبق لوصفه بأنه من آله إلا أن يكون من عشيرته. انتهى، وقيل: كان إسرائيلياً ابن عم قارون، أو أبوه من آل فرعون وأمه من بني إسرائيل، وقيل: كان عربياً موحداً ينافقهم لأجل المصلحة، ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾؛ أي: يستره ويخفيه من فرعون وملئه، لا خوفاً بل ليكون كلامه بمحل من القبول، وقيل: خوفاً، وكان قد آمن بعد مجيء موسى أو قبله بمئة سنة، وكتمه، فلما بلغه خبر قصد فرعون بموسى.. قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾؛ أي: أتقصدون قتله ظلماً بلا دليل، والاستفهام إنكاري، ﴿أَن يَقُولَ﴾؛ أي: لأن يقول أو كراهة أن يقول: ﴿رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾

وحده لا شريك له، وهو في موضع نصب بنزع الخافض، والحصر مستفاد من تعريف طرفي الجملة، مثل: صديقي زيد لا غير ﴿و﴾ الحال أنه ﴿قد جاءكم بالبينات﴾ والمعجزات الظاهرة الواضحة التي شاهدتموها ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ لم يقل من ربه، لأنهم إذا سمعوا أنه جاءهم بالبينات من ربهم.. دعاهم ذلك إلى التأمل في أمره، والاعتراف به وترك المكابرة معه؛ لأن ما كان من قِبَلِ رَبِّ الجميع يجب اتباعه وإنصاف مبلغه.

وعن عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -: حدثني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ، قال: أقبل عقبة بن أبي معيط، ورسول الله يصلي عند الكعبة، أو لقيه في الطواف، فأخذ بمجامع ردائه ﷺ، فلوى ثوبه على عنقه وخنقه خنقاً شديداً، وقال له: أنت الذي تنهانا عما يعبد آباؤنا، فقال النبي ﷺ: «أنا ذاك»، فأقبل أبو بكر - رضي الله عنه - فأخذ بمنكبيه ﷺ والتزمه من ورائه، ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ رافعاً صوته، وعيناه تسفحان دمعاً أي: تجريان حتى أرسلوه، أخرج البخاري بمعناه. وفيه بيان أن ما تولى أبو بكر من رسول الله كان أشد مما تولاه الرجل المؤمن من موسى، لأنه كان يظهر إيمانه، وكان بمجمع طغاة قريش، وحكى ابن عطية في «تفسيره» عن أبيه: أنه سمع أبا الفضل بن الجوهري على المنبر، وقد سئل أن يتكلم في شيء من فضائل الصحابة - رضي الله عنهم - فأطرق قليلاً ثم رفع رأسه، فقال:

عَنِ ٱلْمَرْءِ لاَ تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ   فَكُلُّ قَرِينٍ بِٱلْمُقَارَنِ يَقْتَدِيْ

ماذا ترون من قوم قرنهم الله تعالى بنبيه، وخصهم بمشاهدته، وتلقى الروح عنه؟ وقد أثنى الله تعالى على رجل مؤمن من آل فرعون كتم إيمانه وأَسرَّهُ، فجعله في كتابه، وأثبت ذكره في المصاحف لكلام قاله في مجلس من مجالس الكفر، وأين هو من عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -! إذ جرد سيفه بمكة وقال: والله لا أعبد الله سراً بعد اليوم، فكان ما كان من ظهور الدين بسيفه.

والمعنى[1]: أي وقال رجل من آل فرعون بكتم إيمانه منهم، خوفاً على

(١) المراغي.

نفسه: أينبغي لكم أن تقتلوا رجلاً ما زاد على أن قال: ربي الله، وقد جاءكم بشواهد دالة على صدقه، ومثل هذه المقالة لا تستدعي قتلاً، ولا تستحق عقوبةً، فاستمع فرعون لكلامه، وأصغى لمقاله، وتوقف عن قتله.

وخلاصة ذلك: أترتكبون هذه الفعلة، القبيحة الشنعاء وهي قتل النفس المحرمة من غير روية ولا تأمل ولا اطلاع على سبب يوجب قتله، وما لكم علة في ارتكابها إلا كلمة الحق، وهي قوله: ربي الله، ثم أخذهم الرجل المؤمن بالاحتجاج من باب الاحتياط، بإيراده في صورة الاحتمال من الظن بعد القطع يكون قتله منكراً، فقال: ﴿وَإِن يَكُ﴾ الرجل الذي تريدون قتله ﴿كَٰذِبًا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ﴾ لا يتخطاه وبال كذبه وضرره، فيحتاج في دفعه إلى قتله؛ يعني: أن الكاذب إنما يقتل إذا تعدى ضرر كذبه إلى غيره، كالزنديق الذي يدعو الناس إلى زندقته، والمبتدع الذي يدعو الناس إلى بدعته، وهذا لا يقدر على أن يحمل الناس على قبول ما أظهره من الدين، لكون طباع الناس آبية عن قبوله، ولقدرتكم على منعه من إظهار مقالته ودينه ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا﴾ في قوله فكذبتموه وقصدتم له بسوء ﴿يُصِبۡكُم﴾ ويحل بكم ﴿بَعۡضُ﴾ العذاب ﴿ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ﴾ ويخبركم بوقوعه عليكم، وهو عذاب الدنيا، فكان الأولى على كلا التقديرين إبقاءه حياً.

والحاصل: أن المقصود بيان أنه لا حاجة إلى قتله، بل يكفيكم أن تعرضوا عنه، وأن تمنعوه عن إظهار دينه.

أي[1]: إن لم يصبكم كله فلا أقل من إصابة بعضه، وفي بعض ذلك كفاية لهلاكهم، فذكر البعض ليوجب الكل، لا أن البعض هو الكل، وحذفت النون من يكن في الموضعين؛ تخفيفاً لكثرة الاستعمال، كما قاله سيبويه، وهذا كلام صادر عن غاية الإنصاف وعدم التعصب، ولذلك قدم من شِقَّي الترديد كونه كاذباً، وصرح بإصابة البعض دون الجميع، مع أن الرسول صادق في جميع ما يقوله، وإنما الذي يصيب بعض ما يعده دون بعض هم الكهان والمنجمون، ويجوز أن يكون المعنى: يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا، وهو بعض ما يعدهم، لأنه كان يتوعدهم بعذاب الدنيا والآخرة، كأنه خوّفهم بما هو ظهر احتمالاً عندهم. وفي «عين المعاني»:

---

(١) روح البيان.

لأنه وعد النجاة بالإيمان والهلاك بالكفر، وقد يكون البعض بمعنى الكل، كما في قوله:

قَدْ يُدَرِكُ ٱلْمُتَأَنِّيْ بَعْضَ حَاجَتِهِ   وَقَدْ يَكُوْنُ مَعَ ٱلْمُسْتَعْجِلِ ٱلزَّلَلُ

وقول الآخر:

إِنَّ الأُمُوْرَ إِذَا ٱلأَحْدَاثُ دَبَّرَهَا   دُوْنَ ٱلشُّيُوْخِ تَرَىٰ فِيْ بَعْضِهَا خَلَلاَ

وكما في قوله تعالى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾؛ أي: جميعه، وفي قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾؛ أي: بكلها، كما في «كشف الأسرار» وقال أبو الليث: ﴿بَعْضُ﴾ هنا: صلة يريدُ يُصِبْكم الذي يعدكم.

وعبارة «فتح الرحمن» هنا: وإن قلت: كيف قال المؤمن ذلك في حق موسى عليه السلام، مع أنه صادق عنده وفي الواقع، ويلزم منه أن يصيبهم جميع ما وعدهم لا بعضه فقط؟.

قلت: كلمة ﴿بَعْضُ﴾: صلة، أو هي بمعنى كل، كما قيل به في البيتين السابقين وفي الآيتين، أو ذكر البعض تنزلاً وتلطفاً بهم، مبالغاً في نصحهم، لئلا يتهموه بميل ومحاباة، أو هي باقية على معناها، لأنه وعدهم على كفرهم الهلاك في الدنيا، والعذاب في الآخرة، فهلاكهم في الدنيا بعض ما وعدهم به.

والمعنى: أي إن كان كاذباً في قيله: أن الله أرسله إليكم ليأمركم بعبادته، وترك دينكم الذي أنتم عليه.. فإنما إثم كذبه عليه دونكم، وإن يك صادقاً في قيله ذلك.. أصابكم الذي أوعدكم به من العقوبة على مقامكم على الدين الذي أنتم عليه مقيمون، فلا حاجة بكم إلى قتله فتسخطوا ربكم سخطين: سخطاً على الكفر، وسخطاً على قتل رسوله، وفي قوله: ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ مبالغة في التحذير، فإنه إذ حذرهم من بعض العذاب.. أفاد أنه مهلك مخوف، فما بال كله إلى ما فيه من الإنصاف وإظهار عدم التعصب. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ وهذا من تمام كلام الرجل المؤمن، والمسرف: هو الذي يتجاوز الحد في المعصية، أو هو السفاك للدم بغير حق، والكذاب: هو الذي يكذب مرةً بعد أخرى، وقيل: هو الكذاب على الله سبحانه، لأن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره، وهو احتجاج آخر ذو وجهين:

أحدهما: أنه لو كان مسرفاً كذاباً.. لما هداه الله تعالى إلى البينات، ولما أيده بتلك المعجزات.

وثانيهما: أنه إن كان كذلك.. خذله الله تعالى وأهلكه، فلا حاجة لكم إلى قتله، ولعله أراهم وهو عاكف على المعنى الأول لتلين شكيمتهم، وقد عرّض به لفرعون، لأنه ﴿مُسْرِفٌ﴾ حيث قتل الأبناء بلا جرم ﴿كَذَّابٌ﴾ حيث ادعى الألوهية، لا يهديه الله سبيل الصواب، ومنهاج النجاة، بل يفضحه ويهدم أمره، ولما أقام مؤمن آل فرعون أنواع الدلائل على أنه لا يجوز الإقدام على قتل موسى.. خوفهم في ذلك بعذاب الله تعالى فقال: ﴿يَٰقَوْمِ﴾؛ أي: يا قومي ﴿لَكُمُ ٱلْمُلْكُ﴾ والسلطان ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ حال كونكم ﴿ظَٰهِرِينَ﴾ أي غالبين عالين على بني إسرائيل والعامل في الحال وفي قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ ما تعلق به لكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: أرض مصر، لا يقاومكم أحد في هذا الوقت، ومعنى الظهور: الاستعلاء على الناس والغلبة عليهم.

﴿فَمَن يَنصُرُنَا﴾ ويمنعنا ويحفظنا ﴿مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من سطوته وأخذه وعذابه، ويحول بيننا وبينه﴿إِن جَآءَنَا﴾ وحل بنا، وفي هذا[1] تحذير منه لهم من نقمة الله بهم، وإنزال عذابه عليهم، والاستفهام فيه: إنكاري؛ أي: لا ناصر لنا؛ أي: فلا تفسدوا أمركم، ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله، فإنه إن جاءنا.. لم يمنعنا منه أحد.

وإنما نسب ما يسرهم من الملك والظهور في الأرض إليهم خاصةً، ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوءُهم من مجيء بأس الله سبحانه؛ تطييباً لقلوبهم، وإيذاناً بأنه ناصح لهم، ساع في تحصيل ما يجديهم، ودفع ما يرديهم سعيه في حق نفسه، ليتأثروا بنصحه.

ولما سمع فرعون ما قاله هذا الرجل من النصح.. جاء بمراوغة يوهم بها قومه أنه لهم من النصيحة والرعاية بمكان مكين، وأنه لا يسلك بهم إلا مسلكاً يكون فيه جلب النفع لهم، ودفع الضر عنهم، كما حكى سبحانه عنه بقوله: ﴿قَالَ

(١) روح البيان.

﴿فِرْعَوْنُ﴾ بعدما سمع نصحه، إضراباً عن المجادلة ﴿مَآ أُرِيكُمْ﴾؛ أي: ما أشير عليكم ﴿إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ وأستصوبه من قتله، قطعاً لمادة الفتنة ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ﴾ بهذا الرأي ﴿إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ وطريق الصواب، فهو من الرأي، ويجوز أن يكون من الرؤية بمعنى العلم؛ أي: لا أعلمكم إلا ما أعلم، ولا أسر عنكم خلاف ما أظهره، ولقد كذب حيث كان مستشعراً للخوف الشديد، ولكنه كان يظهر الجلادة وعدم المبالاة، ولولاه لما استشار أحداً.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿ٱلرَّشَادِ﴾ بتخفيف الشين، وقرأ معاذ بن جبل: بتشديدها، على أنه صيغة مبالغة، كضراب، وقال النحاس: هي لحن ولا وجه لذلك، وقال أبو الفتح: هو اسم فاعل في بنية مبالغة من الفعل الثلاثي، يقال: رشد فهو رشّاد كعبّاد من عبد، وقال الزمخشري: أو من رشد، كعلام من علم.

والمعنى[2]: أي قال فرعون مجيباً هذا المؤمن الناهي عن قتل موسى: لا أشير عليكم برأي سوى ما ذكرته، من وجوب قتله حسماً للفتنة، وإني لأرى أن هذا هو سبيل الرشاد والصلاح، ولا أعدُّ غير هذا صواباً.

ثم كرر ذلك الرجل المؤمن تذكيرهم، وحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم، فقال الله حاكياً عنه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ﴾ من آل فرعون، مخاطباً لقومه واعظاً لهم.

وفي الحديث: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»، وذلك من أجل علة الخوف والقهر، ولأن الجهاد بالحجة والبرهان أكبر من الجهاد بالسيف والسنان ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم﴾ في تكذيب موسى عليه السلام، والتعرض له بسوء، كالقتل والأذى ﴿مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾؛ أي: مثل عذاب أيام الأمم الماضية، يعني وقائعهم العظيمة، وعقوباتهم الهائلة، على طريق ذكر المحل وإرادة الحال.

فإن قلت: الظاهر أن يقال: مثل أيام الأحزاب، إذ لكل حزب يوم على حدة.

قلت: جمع الأحزاب مع تفسيره بالطوائف المختلفة المتباينة الأزمان

---

(١) البحر المحيط.
(٢) المراغي.

والأماكن، أغنىٰ عن جمع اليوم، إذ بذلك ارتفع الالتباس، وتبين أن المراد الأيام لا اليوم الواحد، ثم فسر الأحزاب فقال: ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ بدل من المثل الأول، والمراد بالدأب واليوم واحد، إذ المعنى: إني أخاف عليكم مثل حال قوم نوح وشأنهم في العذاب، حيث أغرقوا بالطوفان الذي استأصل كل ما على وجه الأرض؛ أي: أخاف عليكم مثل عذاب قوم نوح ﴿و﴾ مثل عذاب ﴿عاد﴾ قوم هود، حيث أهلكوا بريح صرصر عاتية ﴿و﴾ مثل عذاب ﴿ثمود﴾ قوم صالح، حيث أهلكوا بالصيحة الطاغية ﴿و﴾ مثل عذاب الأقوام ﴿الذين﴾ كانوا ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾؛ أي: من بعد هؤلاء المذكورين من كفار الأمم المكذبة لرسلها، كقوم لوط وشعيب عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام.

والحاصل: أن حزقيل خوفهم بعذاب معجل في الدنيا.

والمعنى: أي وقال ذلك المؤمن ناصحاً لقومه: يا قوم إني أخاف عليكم إن كذبتم موسى، وتعرضتم له بسوء أن يحل بكم مثل ما حل بالذين تحزبوا على أنبيائهم من الأمم الماضية وكذبوهم، كقوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم، فقد نزل بهم من بأس الله وعذابه ما لم يجدوا له واقياً ولا عاصماً، وهذه سنة الله في المكذبين جميعاً، فحذار حذار أيها القوم، إني لكم ناصح أمين، وما أهلكهم إلا بسوء أفعالهم، وعظيم ما اجترحوا من الآثام والمعاصي، وما ظلمهم الله سبحانه ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، وإلى هذا أشار بقوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ فلا يهلكهم قبل ثبوت الحجة عليهم، ولا يعاقبهم بغير ذنب، ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام؛ أي: وما أهلك الله سبحانه هذه الأمم المذكورة ظلماً لهم بغير جرم اجترموه، بل أهلكهم بإجرامهم وكفرهم وتكذيبهم رسله، بعد أن جاؤوهم بالبينات، فأنفذ فيهم قدره وحكمه، وأحلّ بهم وعيده وانتقامه، حيث استأصلهم وقطع دابرهم كالأمس الدابر.

وبعد أن خوفهم العذاب الدنيوي، خوفهم العذاب الأخروي فقال: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾﴾؛ أي: عذاب يوم التناد، وهو يوم القيامة، لما فيه من العذاب على المصرين والمؤذين للرسل والأنبياء، فهو منصوب على المفعولية به، ولكنه على حذف مضاف كما قدرنا، سمي يوم التناد؛ لأنه ينادي فيه بعضهم بعضاً للاستغاثة، كقولهم: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟﴾ أو يتصايحون بالويل

والثبور، بنحو قولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَآ﴾ أو يتنادى أصحاب الجنة وأصحاب النار: أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا من الجنة والنعيم المقيم حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم من عذاب النار حقاً؟ قالوا: نعم، ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة: أن أفيضوا علينا من الماء، أو مما رزقكم الله.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿ٱلتَّنَادِ﴾ بتخفيف الدال وحذف الياء، والأصل: التنادي، وهو التفاعل من النداء، يقال: تنادى القوم؛ أي: نادى بعضهم بعضاً، وقرأ الحسن وابن السميفع ويعقوب وابن كثير ومجاهد: بإثبات الياء على الأصل، وقرأ ابن عباس والضحَّاك وعكرمة: بتشديد الدال؛ أي: يوم فرار بعضهم من بعض، قال بعض أهل اللغة: هو لحن؛ لأنه من ند يندّ: إذا مرّ على وجهه هارباً، قال النحاس: وهذا غلط، والقراءة حسنةٌ على معنى التنافي، قال الضحاك: معناه: أنهم إذا سمعوا بزفير جهنم.. ندّوا هرباً فلا يأتون قطراً من أقطار الأرض إلا وجدوا صفوفاً من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾.

والمعنى على قراءة الجمهور: يوم ينادي بعضهم بعضاً، أو ينادي أهل النار أهل الجنة، وأهل الجنة أهل النار، أو ينادى فيه بسعادة السعداء، وشقاوة الأشقياء، أو يوم ينادى فيه: كل أناس بإمامهم، ولا مانع من الحمل على جميع هذه المعاني.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ﴾ بدل من يوم التناد، أي: إني أخاف عليكم عذاب يوم يولّي بعضكم بعضاً دبره، حال كونكم ﴿مُدْبِرِينَ﴾؛ أي: منصرفين من الموقف إلى النار، أو فارّين منها، لأنهم إذ سمعوا زفير النار.. ندّوا هاربين، فلا يأتون قطراً من الأقطار إلا وجدوا ملائكةُ صفوفاً، فبينما هم يموج بعضهم في بعض.. إذا سمعوا منادياً: أقبلوا إلى الحساب، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، وحال كونكم ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ﴾؛ أي: ما لكم من عاصم يعصمكم من عذابه تعالى، ويحفظكم في فراركم حتى تعذَّبوا في النار، والجملة: حال أخرى من ضمير ﴿تُوَلُّونَ﴾.

---

(١) الشوكاني.

والمعنى: أي إني أخاف عليكم عذاب يوم القيامة، حين ينادي بعضكم بعضاً ليستغيث به من شدّة الهول، أو حين ينادي أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم، وينادي أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ قالوا: نعم، وينادي أصحاب النار أصحاب الجنة: أن أفيضوا علينا من الماء، أو مما رزقكم الله، قالوا: إن الله حرّمهما على الكافرين يوم تولّون مدبرين هرباً من زفير النار وشهيقها، فلا يُجْديكم ذلك شيئاً، ولا تجدون من يعصمكم من العذاب فتردّون إليه، ونالكم منه ما قدّر لكم وكتب عليكم.

ولما يئس الرجال المؤمن من إيمانهم.. نبّه إلى شدّة ضلالتهم وعظيم جهالتهم، فقال: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: ومن يخذله الله ولا يلهمه رشده ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ يهديه إلى طريق النجاة، ويوفّقه إلى الخلاص، وفي هذا إيماء إلى أنه يئس من قبولهم نصحه.

وفي الآيات[1]: إشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى إذا شاء بكمال قدرته إظهاراً لفضله ومنته، يخرج الحيّ من الميّت، كما أخرج من آل فرعون مؤمناً حيّاً قلبه بالإيمان، من بين كفارٍ أموات قلوبهم بالكفر، ليتحقق قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ وإذا شاء إظهاراً لعزته وجبروته يعمي ويصمّ الملوك، والعقلاء مثل: فرعون وقومه، لئلاّ يبصروا آيات الله الظاهرة، ولا يسمعوا الحجج الباهرة، مثل: ما ناصحهم بها مؤمن آل فرعون ليتحقّق قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ قوله: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى...﴾ الآية. كما في «التأويلات النجمية».

وأسند الإضلال إلى الله تعالى؛ لأنه خالق الضلالة، وإنما الشيطان ونحوه من الوسائط، فالجاهل يرى القلم مسخّراً للكاتب، والعارف أنه مسخر في يده لله تعالى؛ لأنه خالق الكاتب والقلم وكذا فعل الكاتب.

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ إشارة[2] إلى أنّ التوفيق والاختيار للواحد القهار، فلو كان لآدم.. لاختار قابيل، ولو كان لنوح.. لاختار كنعان، ولو كان لإبراهيم.. لاختار آزر، ولو كان لموسى.. لاختار فرعون، ولو كان لمحمد ﷺ..

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

لاختار عمّه أبا طالب.

ويقال: سبعة أمور عامة، وسبعة في جنبها خاصة، الأمر عام والتوفيق خاص، والنهي عام والعصمة خاص، والدعوة عام والهداية خاص، والموت عام والبشارة خاص، والحشر يوم القيامة عام والسعادة خاص، وورود النار عام والنجاة منها خاص، والخلق عام والاختيار خاص؛ يعني: ليس كل من خلقه الله تعالى اختاره، بل خص منه قوماً، وكذا خلق أموراً وأشياء فخصّ منها البعض ببعض الخواص.

ثم العجب أنّ مثل موسى عليه السلام يكون وسط قومه لا يهتدون به، وذلك لأنّ صاحب المُرة لا يجد حلاوة العسل، والضرير لا يرى الشمس، وليس ذلك إلا من سوء المِزاج وفساد الحال وفقدان الاستعداد.

ثم قال مؤمن آل فرعون موبّخاً لهم بأنهم ورثوا التكذيب بالرسل من آبائهم الأولين، وأسلافهم الغابرين ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ﴾؛ أي: وعزة الله وجلاله لقد جاءكم يا أهل مصر ﴿يُوسُفُ﴾ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام، وكان قد أقام فيهم نبياً عشرين سنةً، وقيل: المراد بيوسف هنا: يوسف بن إفرائيم بن يوسف بن يعقوب، وحكى النقاش عن الضحاك: أن الله بعث إليهم رسولاً من الجن، يقال له: يوسف، والأول أولى.

أي: ولقد جاء أيها القبطيون آباءَكم الأقدمين يوسف بن يعقوب ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل موسى ﴿بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾؛ أي: بالمعجزات الواضحة التي من جملتها تعبير الرؤيا وشهادة الطفل على براءة ذمته، وقد كان بعث إلى القبط قبل موسى بعد موت الملك، وكان فرعون موسى قد أدرك أيام يوسف بن يعقوب، فعاش إلى زمانه، وذلك لأنّ فرعون موسى قد عُمّر أكثر من أربع مئة سنة.

وكان[1] بين إبراهيم وموسى تسع مئة سنة على ما رواه ابن قتيبة في كتابه «المعارف»، فيجوز أن يكون بين يوسف وموسى مدة عمر فرعون تقريباً، فيكون الخطاب لفرعون، وجُمع لأنّ المجيء إليه بمنزلة المجيء إلى قومه، وإلا فأهل

---

(١) روح البيان.

عصر موسى لم يروا يوسف بن يعقوب، والأظهر أنه على نسبة أحوال الآباء إلى الأبناء، وتوبيخ المعاصرين بحال الماضين ﴿فَمَا زِلْتُمْ﴾؛ أي: فما برحتم مستمرين ﴿فِي شَكٍّ﴾ وريب ﴿مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾؛ أي: في حقية الذي جاءكم به من الدين الحق، الذي هو التوحيد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ ومات يوسف ﴿قُلْتُمْ﴾ ضمًّا إلى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده ﴿لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾؛ أي: من بعد موت يوسف ﴿رَسُولًاۚ﴾ أصلاً فكفرتم به في حياته، وكفرتم بمن بعده من الرسل بعد موته، وظنوا أنَّ ذلك لا يحدد عليهم الحجة، وقرىء[1]: ﴿ألن يبعث﴾ بإدخال همزة الاستفهام على حرف النفي، كأن بعضهم يقرر بعضاً على نفي البعثة.

والمعنى[2]: أي ولقد جاء آباءَكم يوسفُ من قبل موسى بالآيات الواضحات، والمعجزات الباهرات، فلم يزالوا في ريب من أمره، وشك من صدقه، فلم يؤمنوا به، حتى إذا مات قالوا: لن يبعث الله رسولاً من بعده يدعو إليه، ويحذّر بأسه، ويخوّف من عقابه، فالتكذيب متوارث، والعناد قديم، والريب دأب آبائِكم الغابرين، وقد نسب تكذيب الآباء إليهم لما تقدم من أنّ الأمم متكافلة فيما بينها، فينسب ما حدث من بعضها إلى جميعها إذا تواطؤوا واتفقوا عليه، كما جاء في قصص ثمود حين كذب قدار فعقر الناقة، فنسب التكذيب والعقر إلى ثمود جميعها، كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾. وقد قالوا هذه المقالة على سبيل التشهّي والتمنّي من غير حجة ولا برهان، ليكون لهم أساس في تكذيب من بعده، وليس إقراراً منهم برسالته، بل هو ضمّ إلى الشك في رسالته التكذيب برسالة من بعده.

وفي الآية[3]: إشارة إلى أنَّ في الإنسان ظلوميةً وجهوليةً لو خلّي وطبعه.. لا يؤمن بنبّي من أنبياء الله ولا بمعجزاتهم أنها آيات الحق تعالى، وهذه طبيعة المتقدّمين والمتأخرين منهم، وإنما المهتدي من يهديه الله تعالى بفضله وكرمه، ومن إنكارهم الطبعيّ: أنهم ما آمنوا بنبوّة يوسف، فلما هلك.. أنكروا أن يكون بعده رسول الله، وذلك من زيادة شقاوة الكافرين، كما أن من كمال سعادة المؤمنين أن

(١) البحر المحيط. (٢) المراغي. (٣) روح البيان.

يؤمنوا بالأنبياء قبل نبيهم.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: أضلالاً مثل ذلك الإضلال الفظيع الواقع لهم ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ﴾ سبحانه ويصد عن سبيل الحق وقصد السبيل ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ منهمك في المعاصي متجاوز الحد فيها، مستكثر منها ﴿مُّرْتَابٌ﴾ شاك في وحدانيته ووعده ووعيده؛ لغلبة الوهم عليه وانهماكه في التقليد.

والموصول في قوله[1]: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: بدل من ﴿مَنْ﴾ الموصولة، والجمع باعتبار معناها؛ إذ لا يريد مسرفاً واحداً بل كل مسرف، أو عطف بيان لها، أو في محل نصب بإضمار أعني، أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هم الذين، أو مبتدأ وخبره ﴿يَطْبَعُ﴾. والمراد بالمجادلة: ردّ الآيات والطعن فيها ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ متعلق بـ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾؛ أي: بغير حجة وبرهان صالحة للتمسك بها ﴿أَتَىٰهُمْ﴾ صفة لسلطان ﴿كَبُرَ﴾؛ أي: عظم من هو مسرف مرتاب أو الجدال، ففاعله: ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾. وقيل: ضمير يعود على الجدال المفهوم من يجادلون، وهذا أولى كما في «الشوكاني»؛ أي: عظم الجدال ﴿مَقْتًا﴾؛ أي: من جهة البغض الشديد والنفور القوي ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ سبحانه، متعلق بـ﴿كَبُرَ﴾ وكذلك قوله: ﴿وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يمقتهم الذين آمنوا بذلك الجدال، قيل: هذا من كلام الرجل المؤمن، يحتمل أن يراد به التعجب، وأن يراد به الذم كبئس، وقيل: ابتداء كلام من الله سبحانه.

والمعنى[2]: أي إنّ هؤلاء المسرفين المرتابين هم الذين يخاصمون في حجج الله التي أتتهم بها رسله ليدحضوها بالباطل من الحجج التي لا مستساغ لها من عقل ولا نقل، فيتمسّكون بتقليد الآباء والأجداد ويتمسَّكون بترّهات الأباطيل التي لا يتقبلها ذوو الحصافة والرأي، كبر ذلك الجدال بغضاً لدى الله والمؤمنين، فمقت الله إياهم يكون بما يستتبعه من سوء العذاب، ومقت المؤمنين تظهر آثاره في هجرهم إياهم، والاحتراس من التعامل معهم، وعدم الركون إليهم في الدين والدنيا.

---

(١) الشوكاني. (٢) المراغي.

ثم بيَّن أنّ هذه سنة الله فيهم وفي أمثالهم فقال: ﴿كَذَلِكَ﴾؛ أي: كما طبع الله سبحانه على قلوب المسرفين الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم وختم عليها ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ﴾ سبحانه، ويختم ﴿عَلَى كُلِّ قَلْبِ﴾ شخص ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾ عن الإيمان ﴿جَبَّارٍ﴾ عن قبول الحق والهدى، فيصدر عنه أمثال ما ذكر من الإسراف والارتياب والمجادلة بالباطل.

أي[1]: يطبع على قلوب جميع المتكبرين الجبارين الذين أبو أن يوحدوا الله تعالى ويصدقوا رسله، واستعظموا عن اتباع الحق، فيصدر عنهم أمثال ما ذكر من الإسراف وغيره مما مرّ قريباً.

قال صاحب «الروح»: واعلم[2]: أنّ الطابع هو الله تعالى، والمطبوع هو القلب، وسبب الطبع هو التكبّر والجبارية، وحكمه أن لا يخرج من القلب ما فيه من الكفر والنفاق والزيغ والضلال، فلا يدخل فيه ما في الخارج من الإيمان والإخلاص والسداد والهدى، وهو أعظم عقوبة من الله سبحانه، فعلى العاقل أن يتشبّث بالأسباب المؤدّية إلى شرح الصدر لا إلى طبع القلب، قال إبراهيم الخوَّاص: ـ رحمه الله ـ: دواء القلب خمسة: قراءة القرآن بالتدبّر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرّع إلى الله عند السحر، ومجالسة الصالحين.

وقرأ الجمهور[3]: بإضافة ﴿قَلْبِ﴾ إلى ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾ واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم، وعليها ففي الكلام حذف تقديره: كذلك يطبع الله على كل قلب كل شخص متكبر جبار، فحذف كل الثاني لدلالة الأول عليه.

والمعنى: أنه سبحانه يطبع على قلوب جميع المتكبرين الجبارين.

وقرأ أبو عمرو وابن محيصن وابن ذكوان عن أهل الشام، والأعرج بخلاف عنه: بتنوين ﴿قلب﴾ على أنّ ﴿متكبّر﴾ صفة له فيكون القلب مراداً به الجملة، ونسب التكبر إلى القلب؛ لأنه هو الذي يتكبَّر وسائر الأعضاء تبع له، ولهذا قال النبي ﷺ: «إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.
(٣) الشوكاني.

الجسد كله ألا وهي القلب». وقال مقاتل: المتكبّر: المعاند في تعظيم أمر الله تعالى، والجبّار: المسلّط على خلق الله، وقال قتادة: آية الجبابرة القتل بغير حق.

قال في «الكواشي»: وكل على كلا القراءتين لعموم الطبع جميع القلب لا لعموم جميع القلوب. انتهى. وقرأ ابن مسعود: (على قلب كل متكبر). وفي الآية ذم للمتكبر والجبار، وقال ﷺ: «يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صورة الذرّ يطأهم الناس لهوانهم على الله» وذلك لأنّ الصورة المناسبة لحال المتكبر الجبار صورة الذر، كما لا يخفى على أهل القلب.

ثمّ لمّا سمع فرعون هذا.. رجع إلى تكبّره وتجبّره، معرضاً عن الموعظة، نافراً من قبولها ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ اللعين لوزيره، قصداً إلى صعود السموات لغاية تكبره وتجبره: ﴿يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى﴾ أمر من بنى يبني بناء، ﴿صَرْحًا﴾؛ أي: قصراً مشيداً بالآجر؛ أي: بناء عالياً رفيعاً مكشوفاً ظاهراً لا يخفى على الناظرين، وإن بعد من الآجر وهو الطوب المحروق، كما قال في سورة القصص: ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾ ولهذا كره الآجر في القبور، كما في «عين المعاني»؛ أي: لأنّ فرعون أول من اتخذه.

قال في «كشف الأسرار»: كان هامان وزير فرعون، ولم يكن من القبط ولا من بني إسرائيل؛ يقال: إنه لم يغرق مع فرعون وعاش بعده زماناً شقياً محزوناً يتكفف الناس. ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ﴾ وأصعد من ذلك الصرح ﴿ٱلْأَسْبَـٰبَ﴾ والطرق العلوية ﴿أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾؛ أي: طرقها وأبوابها، وهو بيان للأسباب؛ لأن الشيء إذا أبهم ثم فسّر.. كان أوقع في النفوس، وأنشد الأخفش عند تفسيره للآية بيت زهير:

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ ٱلْمَنَايَا يَنَلْنَهُ ... وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ ٱلسَّمَاءِ بِسُلَّمِ

وقيل: أسباب السموات: الأمور التي يستمسك بها، وفي «فتح الرحمن»: فإن قلت: ما فائدة التكرار هنا؟.

قلت: فائدته: أنه إذا أبهم ثم أوضح.. كان تفخيماً لشأنه، فلما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السموات.. أبهمها ثم أوضحها. اهـ.

﴿فأطلع﴾ وأنظر ﴿إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ﴾ بفتح الهمزة ونصب العين على جواب الترجي، وقرأ الجمهور ﴿فأطلع﴾ بالرفع عطفاً على ﴿أبلغ﴾، فهو على هذا داخل

في حيّز الترجي، وقرأ الأعرج والسلمي وعيسى بن عمر وحفص وأبو حيوة وزيد بن علي والزعفراني وابن مقسم ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ بالنصب على جواب الترجي، كما قاله أبو عبيد وغيره، أو على جواب الأمر في قوله: ﴿ٱبْنِ لِي صَرْحًا﴾ نظير قوله:

يَا نَاقُ سِيْرِيْ عَنَقاً فَسِيْحَا إِلَىٰ سُلَيْمَانَ فَنَسْتَرِيْحَا

قال النحاس: ومعنى النصب خلاف معنى الرفع، لأنّ معنى النصب متى بلغت الأسباب اطلعت، ومعنى الرفع ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ ولعلي أطلع بذلك، وفي هذا دليل على أنّ فرعون كان بمكان من الجهل عظيم، وبمنزلة من فهم حقائق الأشياء سافلة جدّاً ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ﴾؛ أي: أظن موسى ﴿كَٰذِبًا﴾ في ادعائه بأن له إلٰهاً، أو فيما يدّعيه من الرسالة.

يقول الفقير: لم يقل: كذّاباً، كما قال عند إرساله إليه لأن القائل هنا هو فرعون وحده وحيث قال كذّاب. رجعت المبالغة إلى فرعون وهامان وقارون، فافهم.

والمعنى: أي وقال فرعون بعد سماعه عظة المؤمن، وتحذيره له من بأس الله إذا كذب بموسى وقتله: يا هامان، ابن لي قصراً منيفاً عالي الذرا، رفيع العماد، علّني أبلغ أبواب السماء وطرقها، حتى إذا وصلت إليها.. رأيت إله موسى، ولا يريد بذلك إلا الاستهزاء والتهكّم وتكذيب دعوى الرسالة من رب السموات والأرض.

والخلاصة: أن هذا نفي لرسالته من عند ربه، ثم أكّد هذا النفي الضمني بالتصريح به بقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ﴾ فيما يقول ويدعي من أنّ له في السماء ربّاً أرسله إلينا، وقد قال هذا[1] تمويهاً وتلبيساً على قومه، توصلاً بذلك إلى بقائهم على الكفر، وإلا فهو يعلم أنّ الإله ليس في السماء فحسب، وكأنه يقول: لو كان الإله موجوداً لكان له محل، ومحله إما الأرض، وإما السماء، ولم نره في الأرض فإذاً هو في السماء، والسماء لا يتوصّل إليها إلا بسلّم، فيجب أن يبني الصرح لنصل إليه.

---

(١) روح البيان.

ثم بين السبب الذي دعاه إلى ما صنع، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾؛ أي: ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط ﴿زُيِّنَ﴾ وحسّن ﴿لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾؛ أي: عمله السيىء فانهمك فيه انهماكاً بليغاً لا يرعوي عنه بحال ﴿وَصُدَّ﴾؛ أي: صرف فرعون ومنع ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ أي: عن سبيل الرشاد، والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى، وبالتوسط هو الشيطان، ولذا قال في آية أخرى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ وهذا عند أهل السنة، وأما عند المعتزلة فالمزيّن والصاد هو الشيطان.

أي[1]: ومثل ذلك التزيين المذكور من بناء الصلاح والإطلاع إلى إله موسى، زيّن الشيطان لفرعون عمله السيىء من الشرك والتكذيب، فتمادى في غيّه واستمرّ في طغيانه، ولم يرعو عنه بحال، وصدّ عن سبيل الرساد بأمثال هذه التمويهات والشبهات، وما كان ذلك إلا بسوء استعداده وتدسيته نفسه، والسير بها قدماً في شهواتها، دون أن يكون لها وازع يصدها عن غيّها، ويثوب بها إلى رشدها.

والنفسُ كالطِّفلِ إنْ تهملْهُ شبَّ على   حُبِّ الرضاعِ وإنْ تفطمْهُ ينفطِمِ

وقرأ الجمهور[2]: ﴿وَصَدَّ﴾ بفتح الصاد والدال؛ أي: صد فرعون الناس عن السبيل، وقرأ الكوفيون: ﴿وصُدَّ﴾ بضم الصاد مبنياً للمفعول، واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم، ولعل وجه الاختيار لها منهما كونها مطابقة لما أجمعوا عليه في ﴿زُيِّنَ﴾ من البناء للمفعول، وقرأ يحيى بن وثّاب وعلقمة: ﴿صِدّ﴾ بكسر الصاد وقرأ ابن أبي إسحاق وعبد الرحمن بن أبي بكرة بفتح الصاد وضم الدال منوّناً على أنه مصدر معطوف على ﴿سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾؛ أي: زين له الشيطان سوء العمل والصدّ.

ثم ذكر عاقبة مكره وتدليسه وأنه ذاهب سدىً، وأنّ الله ناصرٌ أولياءَهُ ومهلكٌ أعداءَهُ، متبّرٌما هم فيه وباطلٌ ما كانوا يعملون، وإلى هذا أشار بقوله: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ واحتياله الذي يحتال به ليطلع على إله موسى ﴿إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾؛ أي: إلا في خسار وهلاك وذهاب مال؛ لأنها نفقة تذهب باطلاً سُدىً، دون أن يصل إليه شيء مما أراده من القضاء على دعوة موسى، فالنصر في العاقبة له ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

---

(١) المراغي.   (٢) الشوكاني.

ثم إنّ ذلك الرجل المؤمن أعاد التذكير والتحذير، كما حكى الله عنه بقوله: ﴿وَقَالَ﴾ الرجل ﴿ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ﴾ من آل فرعون ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ﴾ فيما دلَلْتكم عليه، أصله: يا قومي اتبعوني ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾؛ أي: أدلُّكم سبيلاً يصل إلى المقصود والرشد، والرشاد: الاهتداء لمصالح الدين والدنيا، وفيه تعريض بأن ما سلكه فرعون وقومه سبيل الغيّ والضلال، وفيه إشارة إلى أن الهداية مودعة في اتباع الأنبياء والأولياء، وللوليّ أن يهدي سبيل الرشاد بتبعيّة النبي عليه السلام، كما يهدي النبي إليه؛ أي: اقتدوا بي في الدين، أهدكم سبيل الرشاد وهو الجنة.

وقرأ معاذ بن جبل[1]: ﴿الرشّاد﴾ بتشديد الشين، كما تقدم قريباً الكلام على هذه القراءة، والرد على من جعلها في كلام فرعون، ووقع في المصحف ﴿اتبعون﴾ بدون ياء، كذلك قرأ أبو عمرو ونافع: بحذفها في الوقف، وإثباتها في الوصل، وقرأ يعقوب وابن كثير: بإثباتها وصلاً ووقفاً، وقرأ الباقون: بحذفها وصلاً ووقفاً، فمن أثبتها فعلى ما هو الأصل، ومن حذفها فلكونها حذفت في المصحف.

والمعنى[2]: أي يا قوم إن اتبعتموني فقبلتم منّي ما أقول لكم.. سلكتم الطريق الذي به ترشدون باتباعكم دين الله الذي ابتعث به موسى، ثم زهّدهم في الدنيا التي قد آثروها على الآخرة، فصدّوا عن التصديق برسول الله فقال: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ يتمتّع بها أياماً، ثم تنقطع وتزول؛ أي: تمتّع يسيرٌ وانتفاعٌ قليل لسرعة زوالها؛ لأنَّ الدنيا بأسرها ساعة، فكيف عمر إنسان واحدٍ، قال محمد بن علي الترمذي - رحمه الله -: لم تزل الدنيا مذمومة في الأمم السالفة عند العقلاء منهم، ولم يزل طالبوها مهانين عند الحكماء الماضية، وما قام داع في أُمة إلا حذّر متابعة الدنيا وجمعها والحب لها، ألا ترى إلى مؤمن آل فرعون كيف قال: ﴿ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾، كأنهم قالوا: وما سبيل الرشاد؟، فقال: ﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ...﴾ إلخ. يعني: لن تصل إلى سبيل الرشاد وفي قلبك محبّة للدنيا وطلب لها ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾؛ أي: الاستقرار؛ لكونها دائمة لا تنقطع ومستمرّة لا تزول لخلودها ودوام ما فيها، فالدائم خير من المنقضي، قال بعض العارفين: لو كانت الدنيا ذهباً فانياً، والآخرة خزفاً باقياً.. لكانت الآخرة خيراً من

---

(١) الشوكاني. (٢) المراغي.

الدنيا، فكيف والدنيا خزفٌ فانٍ، والآخرة ذهب باقٍ.

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ نام على حصير، فقام وقد أثر في جسده، فقال ابن مسعود: يا رسول الله لو أمرتنا أن نبسط لك لنفعل، فقال: «ما لي وللدنيا، وما أنا والدنيا إلا كراكب استظلّ تحت شجرة ثمّ راح وتركها» وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا...﴾ الآية. قال: الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة، وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الحياة الدنيا متاع، وليس من متاعها شيء أفضل من المرأة الصالحة، التي إذا نظرت إليها.. سرّتك، وإذا غبت عنها.. حفظتك في نفسها ومالها». وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنّ النبي ﷺ قال: «يا بنيّ أكثر ذكر الموت، فإنك إذا أكثرت ذكر الموت.. زهدت في الدنيا، ورغبت في الآخرة، وإنّ الآخرة دار قرار، والدنيا غرّارة، والمغرور من اغْترّ بها.

والمعنى[1]: أي يا قوم ما هذا النعيم الذي عجّل لكم في هذه الحياة الدنيا إلا قليل المدى، تستمتعون به إلى أجل أنتم بالغوه ثم تموتون، وإن الآخرة هي دار الاستقرار التي لا زوال لها، ولا انتقال منها، ولا ظعن عنها إلى غيرها، وفيها إما نعيم مقيمْ وإما عذاب أليم.

ثم بيّن كيف تحصل المجازاة في الآخرة، وأشار إلى أنّ جانب الرحمة فيها غالب على جانب العقاب، فقال: ﴿مَنْ عَمِلَ﴾ في هذه الدار الدنيا ﴿سَيِّئَةً﴾؛ أي: معصيةً من المعاصي كائنةً ما كانت ﴿فَلَا يُجْزَىٰٓ﴾ في الآخرة ﴿إِلَّا مِثْلَهَا﴾ ولا يعذب إلا بقدرها، عدلاً من الله سبحانه، فخلود الكافرين في النار مثل لكفره ولو ساعةً لأبديّة اعتقاده، وأما المؤمن العاصي فعقابه منقطع، إذ ليس على عزم أن يبقى مصرّاً على المعصية.

والظاهر: شمول الآية لكل ما يطلق عليه اسم السيئة، وقيل: هي خاصة بالشرك، ولا وجه لذلك، وفي الآية دليل على أنّ الجنايات سواء كانت في النفوس

---

(١) المراغي.

أو الأعضاء أو الأموال تغرم بأمثالها، والزائد على الأمثال غير مشروع ﴿وَمَنْ عَمِلَ﴾ عملاً ﴿صَٰلِحًا﴾ وهو[1] كل ما طلب به رضى الله تعالى أيّ عملٍ كان من الأعمال المشروعة، سواء كان ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ﴾ كان من ﴿أُنثَىٰ﴾ ذكرهما ترغيباً لهما في الصالحات ﴿وَهُوَ﴾؛ أي: والحال أنه ﴿مُؤْمِنٌ﴾ بالله وبما جاءت به رسله جعل العمل عمدة، والإيمان حالاً للإيذان بأنه لا عبرة بالعمل بدون الإيمان، إذ الأحوال مشروطة على ما تقرّر في علم الأصول ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين جمعوا بين العمل الصالح والإيمان ﴿يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ حالة كونهم ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا﴾؛ أي: يُعطَون فيها من نعيمها ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؛ أي: بغير تقدير وموازنة بعملهم، بل أضعافاً مضاعفة، فضلاً من الله ورحمة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؛ أي: مما لم يكن في حساب العبد أن يرزق مثله، قال مقاتل: يقول لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير، وقيل: العمل الصالح هو لا إله إلا الله، وقرأ أبو رجاء وشيبة والأعمش والأخوان ـ حمزة والكسائي ـ والصاحبان نافع وابن عامر وحفص[2]: ﴿يَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء مبنياً للفاعل، وباقي السبعة ابن كثير وأبو عمرو وابن محيصن ويعقوب وأبو بكر عن عاصم والأعرج والحسن وأبو جعفر وعيسى: بضمها مبنياً للمفعول.

والمعنى: أي من عمل في دار الدنيا معصية من المعاصي، كائنةً ما كانت فلا يعذب إلا بقدرها من غير مضاعفة للعقاب، ومن عمل بطاعة الله وائتمر بأمره وانتهى عمّا نهى عنه، ذكراً كان أو أنثى وهو مؤمن بربّه، مصدق بأنبيائه ورسله.. فأولئك يدخلون الجنة، ويمتعون بنعيمها بلا تقدير ولا موازنة للعمل، بل يجازون أضعافاً مضاعفةً بلا انقضاء ولا نفاد.

الإعراب

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾.

(١) روح البيان.
(٢) البحر المحيط.

﴿وَلَقَدْ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿مُوسَىٰ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية، جواب لقسم محذوف، تقديره: والله لقد أرسلنا موسى، وجملة القسم: مستأنفة. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: جار ومجرور، ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من ﴿مُوسَىٰ﴾؛ أي: حالة كونه مؤيّداً بآياتنا التكوينية والتنزيلية ﴿وَسُلْطَٰنٍ﴾: معطوف على ﴿آياتنا﴾ ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة ﴿وَسُلْطَٰنٍ﴾. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَرْسَلْنَا﴾ ﴿وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ﴾: معطوفان على ﴿فِرْعَوْنَ﴾ وكل من الثلاثة مجرور بالفتحة، لأنها من الأسماء الأعجمية. ﴿فَقَالُوا۟﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿قالوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أَرْسَلْنَا﴾. ﴿سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾: خبران لمبتدأ محذوف؛ أي: هو ساحر كذاب، والجملة الاسمية: في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾. ﴿فَلَمَّا﴾ ﴿الفاء﴾: استئنافية. ﴿لما﴾: اسم شرط غير جازم في محل نصب على الظرفية الزمانية. ﴿جَآءَهُم﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾. ومفعول به، والجملة: فعل شرط لـ﴿لما﴾ في محل جر بالإضافة ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلق بجاءهم. ﴿مِنْ عِندِنَا﴾: متعلق بمحذوف حال من الحق. ﴿قَالُوا۟﴾: فعل وفاعل جواب ﴿لما﴾، لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لما﴾: مستأنفة. ﴿ٱقْتُلُوٓا۟﴾: فعل أمر وفاعل، ﴿أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به، ومضاف إليه، والجملة الفعلية: في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾. ﴿ءَامَنُوا۟﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿مَعَهُۥ﴾ ظرف متعلق بـ﴿ءَامَنُوا۟﴾ ﴿وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ﴾: فعل أمر وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿ٱقْتُلُوٓا۟﴾. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: حالية ﴿مَا﴾: نافية ﴿كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: مبتدأ ومضاف إليه، وهو إظهار في مقام الإضمار؛ أي: وما كيدهم بموسى عليه السلام. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرّغ. ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: في محل النصب حال من فاعل ﴿قَالُوا۟﴾ والرابط اسم الظاهر القائم مقام الضمير؛ لأنّ الأصل أن يقال: وما كيدهم.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿وَقَالَ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿قَالُوا۟﴾ ﴿ذَرُونِىٓ﴾: فعل أمر وفاعل، ونون وقاية، ومفعول به، والجملة: في محل النصب

مقول قال. ﴿أَقْتُلْ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾، مجزوم بالطلب السابق. ﴿مُوسَىٰ﴾: مفعول به، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿وَلْيَدْعُ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿واللام﴾: حرف جزم وطلب. ﴿يدع﴾: فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿رَبَّهُۥٓ﴾: مفعول به، والجملة: معطوفة على جملة ﴿ذَرُونِيٓ﴾، والمقصود بالأمر هنا: التعجيز بزعمه. ﴿إِنِّيٓ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿أَخَافُ﴾: من الفعل المضارع، والفاعل المستتر: في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾: في محل النصب مقول ﴿قال﴾، على كونها مسوقة لتعليل القتل ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر، ﴿يُبَدِّلَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ﴿أن﴾، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، ﴿دِينَكُمْ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مع أن المصدرية: في تأويل مصدر منصوب على المفعولية، تقديره: إني أخاف تبديله دينكم الذي أنتم عليه، ﴿أَوْ﴾ حرف عطف. ﴿أَن يُظْهِرَ﴾: معطوف على ﴿أَن يُبَدِّلَ﴾، ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلق بـ﴿يُظْهِرَ﴾. ﴿ٱلْفَسَادَ﴾: مفعول ﴿يُظْهِرَ﴾، والتقدير: أو إظهاره الفساد في الأرض.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿وَقَالَ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿قال موسى﴾: فعل وفاعل معطوف على قالوا أيضاً. ﴿إِنِّيٓ﴾: ناصب واسمه. ﴿عُذْتُ﴾: فعل وفاعل في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾: في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿بِرَبِّي﴾ متعلق بـ﴿عُذْتُ﴾، ﴿وَرَبِّكُم﴾: معطوف على ﴿ربي﴾. ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿عُذْتُ﴾ وجملة ﴿لَّا يُؤْمِنُ﴾: صفة لـ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾. ﴿بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ متعلق بـ﴿يُؤْمِنُ﴾.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾.

﴿وَقَالَ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿قال رجل﴾: فعل وفاعل. ﴿مُّؤْمِنٌ﴾: صفة أولى لـ﴿رَجُلٌ﴾. ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ نعت ثان له. ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على ﴿رَجُلٌ﴾ ومفعوله، والجملة: في محل الرفع صفة ثالثة

لـ﴿رَجُلٌ﴾، وجملة ﴿قال﴾: مستأنفة مسوقة لإيراد الحل الملائم للعقدة القصصية بعد أن عاذ موسى بربه ليكفيه شر هذا اللعين. ﴿أَتَقۡتُلُونَ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري، ﴿تقتلون رجلاً﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة: في محل النصب مقول قال ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿يَقُولَ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على ﴿رَجُلًا﴾ والجملة الفعلية مع أن المصدرية: في تأويل مصدر منصوب على كونه مفعولاً لأجله؛ أي: أتقتلونه لأجل قوله: ﴿رَبِّيَ﴾: مبتدأ، ﴿ٱللَّهُ﴾: خبره أو بالعكس والجملة الاسمية: في محل النصب مقول لـ﴿يَقُولَ﴾، ﴿وَقَدۡ﴾: ﴿الواو﴾: حالية. ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿جَآءَكُم﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: متعلق بـ: جاء. ﴿مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾: حال من ﴿البينات﴾ والجملة الفعلية: في محل النصب حال من ﴿رَجُلًا﴾ فإن قيل: هو نكرة.. فالجواب: أنه في حيز الاستفهام، وكل ما سَوّغ الابتداء بالنكرة سوغ انتصاب الحال منها، ويجوز أن يكون حالاً من فاعل ﴿يَقُولَ﴾. اهـ «سمين».

﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾.

﴿وَإِن﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إن﴾: حرف شرط جازم. ﴿يَكُ﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم بـ﴿إن﴾ الشرطية، وعلامة جزمه السكون الظاهر على النون المحذوفة للتخفيف، واسمها: ضمير مستتر يعود على ﴿رَجُلًا﴾. ﴿كَٰذِبٗا﴾: خبرها. ﴿فَعَلَيۡهِ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية وجوباً. ﴿عليه﴾: خبر مقدم. ﴿كَذِبُهُۥ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية: في محل الجزم جواب ﴿إن﴾ الشرطية، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية معطوفة على جملة ﴿أَتَقۡتُلُونَ﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قال﴾ ﴿وَإِن يَكُ﴾: جازم ومجزوم. ﴿صَادِقٗا﴾: خبر ﴿يَكُ﴾. ﴿يُصِبۡكُم﴾: فعل مضارع ومفعول به مجزوم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه جواباً لها. ﴿بَعۡضُ ٱلَّذِي﴾: فاعل ومضاف إليه، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية: معطوفة على جملة ﴿إن﴾ الأولى، وجملة ﴿يَعِدُكُمۡۖ﴾: صلة الموصول، والعائد: محذوف، تقديره: يعدكموه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿لَا يَهۡدِي﴾: خبره وجملة ﴿إِنَّ﴾: في محل النصب مقول ﴿قال﴾ على كونها مسوقة لتعليل ما قبلها. ﴿مَنۡ﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿يَهۡدِي﴾. ﴿هُوَ مُسۡرِفٞ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿كَذَّابٞ﴾: خبر ثان،

والجملة الاسمية: صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة.

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿يَٰقَوْمِ﴾: ﴿يا﴾ حرف نداء. ﴿قوم﴾: منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، وجملة النداء، في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، لأنه من تتمة كلام الرجل المؤمن. ﴿لَكُمُ﴾: خبر مقدم. ﴿ٱلْمُلْكُ﴾: مبتدأ مؤخر، ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف متعلق بما تعلق به الخبر. ﴿ظَٰهِرِينَ﴾: حال من الضمير في ﴿لَكُمُ﴾ والعامل فيها وفي اليوم ما تعلق به لكم. اهـ «سمين». ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلق بـ﴿ظَٰهِرِينَ﴾؛ أي: غالبين في الأرض، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَمَن﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم ما قلت لكم، وأردت النصيحة لكم.. فأقول لكم ﴿من ينصرنا من بأس الله﴾. ﴿مَنْ﴾: اسم استفهام في محل الرفع مبتدأ. ﴿يَنصُرُنَا﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به. ﴿مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَنصُرُنَا﴾، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ويصح أن تكون ﴿الفاء﴾: عاطفة ما بعدها على جملة قوله: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ وإن طال الفصل، ﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿جَآءَنَا﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على الـ﴿بَأْسِ﴾ ومفعول به، والجملة: في محل الجزم بـ﴿إِنْ﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها، وجوابها معلوم مما قبلها، تقديره: إن جاءنا بأس الله فمن ينصرنا منه، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾: فعل وفاعل، والجملة: مستأنفة. ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿أُرِيكُمْ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول أول. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ، ﴿مَآ﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ثان لـ﴿أُرِيكُمْ﴾. والجملة الفعلية: في محل النصب، مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَرَىٰ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾، والجملة: صلة لـ﴿مَآ﴾الموصولة والعائد: محذوف، تقديره: إلا ما أراه لنفسي. ﴿وَمَآ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿ما﴾: نافية. ﴿أَهْدِيكُمْ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به أول. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾: مفعول ثان لـ﴿أَهْدِيكُمْ﴾ والجملة الفعلية: في محل

النصب معطوفة على جملة ﴿مَآ أُرِيكُمْ﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قَالَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾.

﴿وَقَالَ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿قال الذي﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾، وجملة ﴿ءَامَنَ﴾: صلة الموصول، وجملة النداء. في قوله﴿يَٰقَوْمِ﴾: في محل النصب مقول ﴿قال﴾، ﴿إِنِّىٓ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿أَخَافُ﴾: خبره. ﴿عَلَيْكُم﴾: متعلق بـ﴿أَخَافُ﴾، ﴿مِّثْلَ﴾: مفعول به لـ﴿أَخَافُ﴾. ﴿مِّثْلَ﴾: مضاف. ﴿يَوْمِ﴾: مضاف إليه. ﴿يَوْمِ﴾: مضاف. ﴿ٱلْأَحْزَابِ﴾: مضاف إليه، وكثرة الإضافة لا تخرج الكلام عن الفصاحة، لورودها في الكتاب والسنة. ﴿مِّثْلَ﴾: بدل عن ﴿مِّثْلَ﴾ الأول، أو عطف بيان له وهو مضاف، ﴿دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ مضاف إليه. ﴿وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾: معطوفان على ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: في محل الجر معطوف على ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ أيضاً. ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: جار ومجرور صلة الموصول، ﴿وَمَا ٱللَّهُ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿ما﴾: حجازية: ﴿ٱللَّهُ﴾ اسمها، وجملة ﴿يُرِيدُ﴾: خبرها، ﴿ظُلْمًا﴾: مفعول به لـ﴿يُرِيدُ﴾. ﴿لِّلْعِبَادِ﴾: متعلق بـ ﴿ظُلْمًا﴾ وجملة ﴿ما﴾ الحجازية: معطوفة على جملة ﴿يَٰقَوْمِ﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قال﴾.

﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿وَيَٰقَوْمِ﴾: معطوف على جملة النداء الأول، ﴿إِنِّىٓ﴾: ناصب واسمه. ﴿أَخَافُ﴾: خبره، وجملة ﴿إن﴾: معطوفة على جملة ﴿إن﴾ الأولى على كونها مقولاً لـ﴿قال﴾ ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلق بـ﴿أَخَافُ﴾ ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾: مفعول به لـ﴿أَخَافُ﴾. ﴿يَوْمَ﴾: مضاف، ﴿ٱلتَّنَادِ﴾: مضاف إليه مجرور بالمضاف، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء المحذوفة تبعاً لرسم المصحف، منع من ظهورها الثقل؛ لأنه اسم منقوص. ﴿يَوْمَ﴾: بدل من ﴿يَوْمَ﴾ الأول. ﴿تُوَلُّونَ﴾: فعل وفاعل مرفوع بثبات النون. ﴿مُدْبِرِينَ﴾: حال من فاعل ﴿تُوَلُّونَ﴾، والجملة الفعلية: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿يَوْمَ﴾. ﴿مَا﴾: نافية حجازية. ﴿لَكُم﴾: خبرها مقدم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿عَاصِمٍ﴾ ﴿مِنْ﴾: زائدة. ﴿عَاصِمٍ﴾: اسمها مؤخر، وجملة ﴿مَا﴾ الحجازية: في محل النصب

حال ثانية من فاعل ﴿تُوَلُّونَ﴾، ولك أن تهمل ﴿مَا﴾؛ لتقدم خبرها، ﴿وَمَن﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر: جملة الشرط أو الجواب أو هما. ﴿يُضْلِلِ اللَّهُ﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿من﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها. ﴿فَمَا﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة. ﴿ما﴾: تميمية أو حجازية. ﴿لَهُ﴾: خبرها مقدم أو خبر مقدم ﴿مِنْ﴾: زائدة. ﴿هَادٍ﴾: اسمها مؤخر أو مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية: في محل الجزم بـ﴿مَن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَن﴾ الشرطية في محل النصب معطوفة على ما قبلها على كونها مقولاً لـ﴿قال﴾.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية أو عاطفة، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم. ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿جَاءَكُمْ يُوسُفُ﴾: فعل ماض ومفعول به وفاعل، والجملة: جواب القسم لا محلِ لها من الإعراب، وجملة القسم: مستأنفة أو معطوفة على ما قبلها. ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: جار ومجرور حال من ﴿يُوسُفُ﴾؛ أي: من قبل موسى، فبناء الظرف على الضم؛ لأن المضاف إليه منوي معناه ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: متعلق بـ﴿جَاءَكُمْ﴾ ﴿فَمَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿ما﴾: نافية. ﴿زِلْتُمْ﴾: فعل ماض ناقص و﴿التاء﴾: اسمها. ﴿فِي شَكٍّ﴾: خبرها، وجملة ﴿زال﴾ معطوفة على جملة ﴿جَاءَكُمْ﴾ ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿شَكٍّ﴾ وجملة ﴿جَاءَكُمْ﴾: صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة. ﴿بِهِ﴾: متعلق بـ﴿جَاءَكُمْ﴾ ﴿حَتَّى﴾: حرف جر وغاية لقوله: ﴿ما زلتم﴾، ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿هَلَكَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿يُوسُفُ﴾. والجملة: في محل الخفض بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها، والظرف: متعلق بالجواب. ﴿قُلْتُمْ﴾: فعل وفاعل جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إِذَا﴾ من فعل شرطها وجوابها: في محل الجر بـ﴿حَتَّى﴾ تقديره: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ إلى قولكم وقت هلاكه: ﴿لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾: الجار والمجرور صفة ثانية لـ﴿شَكٍّ﴾ أو متعلق بـ﴿زال﴾ ﴿لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ﴾ ناصب وفعل وفاعل ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ جار ومجرور حال من ﴿رَسُولًا﴾ لأنه صفة نكرة قدمت عليها، ﴿رَسُولًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: في محل النصب مقول

﴿قُلْتُمْ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف. ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل، ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿يُضِلُّ﴾. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾: خبرانِ لَهُ، والجملة الاسمية: صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة، والتقدير: ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ﴾ سبحانه ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾: إضلالاً مثل الإضلال الفظيع الواقع لفرعون وقومه، والجملة الاسمية: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مبتدأ، ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾، ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾: متعلق به أيضاً، وجملة ﴿أَتَىٰهُمْ﴾: في محل الجر صفة لـ﴿سُلْطَٰنٍ﴾. ﴿كَبُرَ﴾: فعل ماض دال على التعجب والاستعظام لجدالهم، وفاعله: ضمير مستتر يعود على المصدر المفهوم من ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾. ﴿مَقْتًا﴾: تمييز محول عن الفاعل؛ أي: كبر مقت جدالهم؛ أي: المقت المرتب على جدالهم. ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ متعلق بـ﴿كَبُرَ﴾، ﴿وَعِندَ ٱلَّذِينَ﴾: معطوف على ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾، وجملة ﴿ءَامَنُوا۟﴾: صلة ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وجملة ﴿كَبُرَ﴾: من الفعل والفاعل في محل الرفع خبر المبتدأ، والتقدير: الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم، كبر جدالهم وعظم عند الله وعند الذين آمنوا من جهة كونه ممقوتاً، والجملة الاسمية: مستأنفة؛ لأنه ابتداء كلام من الله تعالى. قال أبو حيان في «النهر»: والأولى في إعراب هذا الكلام أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مبتدأ، وخبره ﴿كَبُرَ﴾ والفاعل: ضمير المصدر المفهوم من ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾، وهذه الصفة موجودة في فرعون وقومه، ويكون الواعظ لهم قد عدل عن مخاطبتهم إلى الاسم الغائب لحسن مجاورته لهم واستجلاب قلوبهم، وهنا أوجه عن الإعراب، أوصلها بعضهم إلى عشرة لا طائل تحتها، وأولاها بالذكور، وأقربها إلى المعقول ما ذكرناه، وقال أبو البقاء: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ فيه أوجه:

أحدها: أن يكون خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هم الذين، وهم يرجع على قوله: ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾، لأنه في معنى الجمع.

والثاني: أن يكون مبتدأ، والخبر ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾ والعائد: محذوف؛ أي: على كل قلب متكبر منهم. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: خبر مبتدأ محذوف؛ أي: الأمر كذلك، وما بينهما معترض.

الثالث: أن يكون الخبر ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾؛ أي: كبر قولهم مقتاً.

والرابع: أن يكون الخبر محذوفاً؛ أي: معاندون، ونحو ذلك.

والخامس: أن يكون منصوباً بإضمار أعني. وقال الزمخشري: الذين يجادلون بدل من ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ نظراً لمعنى مَنْ لا للفظ بها، لأنها جمع في المعنى لأنه لا يريد مسرفاً واحداً، فكأنه قال: كل مسرف، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ صفة لمصدر محذوف؛ أي: طبعاً مثل ذلك الطبع. ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلق بـ﴿يطبع﴾، ﴿كُلِّ﴾: مضاف. ﴿قَلْبِ﴾: مضاف إليه. ﴿قَلْبِ﴾: مضاف. ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾: مضاف إليه. ﴿جَبَّارٍ﴾: صفة ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾ أو ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾ على تنوين ﴿قَلْبٍ﴾ صفة أولى له، ﴿جَبَّارٍ﴾: صفة ثانية له.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿وَقَالَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿قال فرعون﴾: فعل وفاعل معطوف على الجمل التي قبلها، أو مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿يَٰهَٰمَٰنُ﴾: منادى مفرد العلم في محل النصب مبني على الضم، وجملة النداء، في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿ٱبْنِ﴾: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وفاعله: ضمير مستتر يعود على ﴿هامان﴾، تقديره: أنت، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قال﴾ على كونها جواب النداء. ﴿لِي﴾: متعلق بمحذوف حال من ﴿صَرْحًا﴾ لأنه صفة نكرة قدمت عليه. ﴿صَرْحًا﴾: مفعول به، ﴿لَّعَلِّيٓ﴾: ناصب واسمها، وجملة ﴿أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾: خبر ﴿لعل﴾، وجملة ﴿لعل﴾ في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: بدل من الأسباب بدل كل من كل، وفائدة الإبدال: أن الشيء إذا أبهم ثم أوضح.. كان تفخيماً لشأنه، وهذا هو مراد فرعون. ﴿فَأَطَّلِعَ﴾: بالنصب ﴿الفاء﴾: عاطفة سببية. ﴿أطلعَ﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد ﴿الفاء﴾ السببية

الواقعة في جواب الأمر، وهو ﴿ٱبۡنِ﴾ أو في جواب الترجي وهو ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ﴾ وفاعله: ضمير مستتر يعود على ﴿فِرۡعَوۡنَ﴾ تقديره: أنا، والجملة الفعلية، صلة أن المضمرة وأن مع صلتها: في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الجملة التي قبلها من غير سابك لإصلاح المعنى، تقديره: ليكن بناؤك صرحاً لي فاطلاعي إلى إله موسى، أو ليكن بلوغي الأسباب أسباب السموات، فاطلاعي على إله موسى، وقرىء ﴿فأطلع﴾ بالرفع، على أن ﴿الفاء﴾: عاطفة مجردة عن معنى السبب على ﴿أَبۡلُغُ﴾ فهو داخل في حيز الترجي، ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أطلع﴾ ﴿وَإِنِّي﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿إني﴾: ناصب واسمه، ﴿لَأَظُنُّهُۥ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿أظنه﴾: فعل مضارع ناسخ، وفاعل مستتر، ومفعول أول. ﴿كَٰذِبٗا﴾: مفعول ثان، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾: معطوفة على جملة ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قال﴾، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: ﴿الكاف﴾: صفة لمصدر محذوف تقديره: تزييناً مثل ذلك التزيين المذكور؛ أي: كتزيين القول المذكور له، ﴿زُيِّنَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة. ﴿لِفِرۡعَوۡنَ﴾: متعلق به، ﴿سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾: نائب فاعل لـ﴿زُيِّنَ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة. ﴿وَصُدَّ﴾: فعل ماض مغير الصيغة معطوف على ﴿زُيِّنَ﴾، ونائب فاعله: ضمير يعود على ﴿فِرۡعَوۡنَ﴾، ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ متعلق بـ﴿صُدَّ﴾ ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة أو حالية. ﴿ما﴾: نافية. ﴿كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ﴾: مبتدأ ومضاف إليه، ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ، ﴿فِي تَبَابٖ﴾: خبر المبتدأ، والجملة، معطوفة على جملة ﴿زُيِّنَ﴾: أو حال من نائب فاعل ﴿زُيِّنَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ﴾، ﴿ءَامَنَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر صلة ﴿ٱلَّذِي﴾ ﴿يَٰقَوۡمِ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء: في محل النصب مقول ﴿قال﴾، ﴿ٱتَّبِعُونِ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، و﴿الواو﴾: فاعل، و﴿النون﴾: للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة اجتزاء عنها بكسرة نون الوقاية: في محل النصب مفعول به، وقرىء: بإثباتها وحذفها وصلاً ووقفاً، هذا بالنظر للفظ، وأما في الرسم فهي محذوفة لا غير، لأنها من ياءات الزوائد، والجملة

الفعلية: في محل النصب مقول ﴿قال﴾ على كونها جواب النداء. ﴿أَهْدِكُمْ﴾: فعل مضارع مجزوم بالطلب السابق، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وهي الياء، وفاعله: ضمير مستتر وجوباً، تقديره: أنا و﴿الكاف﴾: مفعول به، ﴿سَبِيلَ﴾: مفعول به ثان أو منصوب بنزع الخافض، ﴿ٱلرَّشَادِ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية: جملة جوابية لا محل لها من الإعراب، ولكنها في محل النصب مقول ﴿قال﴾.

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿يَٰقَوْمِ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء: في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر، بمعنى ما النافية وإلا المثبتة، ﴿هَٰذِهِ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾ بدل، ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: نعت ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾ ﴿مَتَٰعٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿وَإِنَّ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إنّ﴾: حرف نصب. ﴿ٱلْءَاخِرَةَ﴾: اسمها ﴿هِىَ﴾: ضمير فصل أو مبتدأ. ﴿دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾: خبر ﴿إنّ﴾ أو خبر ﴿هِىَ﴾، والجملة خبر ﴿إنّ﴾، وجملة ﴿إنّ﴾: في محل النصب معطوفة على ما قبلها على كونها مقول ﴿قال﴾، ﴿مَنْ﴾ اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر: جملة الشرط أو الجواب أو هما، ﴿عَمِلَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر في محل الجزم بـ﴿مَنْ﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها. ﴿سَيِّئَةً﴾: مفعول به ﴿فَلَا﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿مَنْ﴾ الشرطية جوازاً. ﴿لا﴾: نافية. ﴿يُجْزَىٰٓ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة، ونائب فاعله: ضمير مستتر تقديره: هو يعود على ﴿مَنْ﴾. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿مِثْلَهَا﴾: مفعول ثان لـ﴿يُجْزَىٰٓ﴾ والجملة الفعلية: في محل الجزم بـ﴿مَنْ﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَنْ﴾ الشرطية: في محل النصب مقول ﴿قال﴾، ﴿ومن﴾: ﴿الواو﴾: عاطفه. ﴿مَنْ﴾: اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر: جملة الشرط أو الجواب أو هما، ﴿عَمِلَ﴾: فعل ماض في محل الجزم بـ﴿مَنْ﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها، وفاعله: ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾، ﴿صَٰلِحًا﴾: مفعول به، أو نعت لمصدر محذوف؛ أي: عملاً صالحاً. ﴿مِّن ذَكَرٍ﴾: حال من فاعل ﴿عَمِلَ﴾. ﴿أَوْ أُنثَىٰ﴾: معطوف على ﴿ذَكَرٍ﴾. ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة: في محل

النصب حال من فاعل ﴿عَمِلَ﴾. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿مَنْ﴾ الشرطية وجوباً. ﴿أولئك﴾: مبتدأ. ﴿يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة: في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: في محل الجزم بـ﴿مَنْ﴾ على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَنْ﴾ الشرطية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿مَنْ﴾ الأولى. ﴿يُرْزَقُونَ﴾: فعل ونائب فاعل. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور حال من ﴿واو﴾: ﴿يُرْزَقُونَ﴾ أو متعلق به ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه صفة لمفعول به محذوف، تقديره: ﴿يُرْزَقُونَ﴾ رزقاً واسعاً بلا حساب ولا تبعة، وجملة ﴿يُرْزَقُونَ﴾: في محل النصب حال من ﴿واو﴾ ﴿يَدْخُلُونَ﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿وَسُلْطَٰنٍ﴾ والسلطان: الحجة والبرهان. ﴿فِرْعَوْنَ﴾: ملك القبط بالديار المصرية. ﴿وَهَٰمَٰنَ﴾: وزيره. ﴿وَقَٰرُونَ﴾: كان أكثر الناس في زمانه تجارةً ومالاً. ﴿كَذَّابٌ﴾ والكذاب: هو الذي عادته الكذب، بأن يكذب مرةً بعد أخرى، ولم يقولوا: سحار؛ لأنهم كانوا يزعمون أنه ساحر، وأن سحرتهم أسحر منه، كما قالوا: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ كما مر في مبحث التفسير.

﴿أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾: ﴿الهمزة﴾: فيه مبدلة من واو أصله أبناو أبدلت الواو همزة لتطرفها إثر ألف زائدة. ﴿واستحيوا﴾: أصله استحييوا: أمر من استحيي من باب استفعل، ومضارعه: يستحييون استثقلت الضمة على الياء الثانية، فنقلت إلى الأولى بعد سلب حركتها، ثم حذفت الياء الثانية لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة؛ لأنها لما سلبت حركتها.. سكنت فوزنه استفعوا.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي﴾ من عاذ يعوذ، كقال يقول، أصله: عوذ، قلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، فصار عاذ، كقال، ثم لما أسند الفعل إلى ضمير الرفع المتحرك.. سكن آخره، فالتقى ساكنان: الألف والذال الساكنة، فحذفت الألف ثم سلبت حركة الفاء وعوض عنها شكلة مجانسة للعين المحذوفة التي هي الواو، والمجانس لها هو الضمة، فقيل: عذت بوزن فلت بضم الفاء، والعوذ: الالتجاء إلى الغير والتعلق به.

﴿ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾؛ أي: اتركوني، يقال: ذره؛ أي: دعه، يذره تركاً ولا

تقل وذراً، وأصله: وذره يذره، كوسعه يسعه، لكن ما نطقوا بماضيه ولا بمصدره ولا باسم الفاعل كما في «القاموس».

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ﴾ والرجل المؤمن: هو ابن عم فرعون، وولي عهده وصاحب شرطته، وهو الذي نجا مع موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وهو المراد بقوله: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾. ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ وآل الرجل، خاصته الذي يؤول إليه أمرهم للقرابة أو الصحبة أو الموافقة في الدين، واسمه: شمعان، بالمعجمة على وزن سلمان، كما مر. وأصله: أهل أبدلت الهاء همزةً توصلاً لإبدالها ألفاً، ثم أبدلت ألفاً حرف مد مجانساً لحركة الهمزة المفتوحة قبلها، وقيل: إن أصله أول، قلبت الواو همزةً لتحركها وانفتاح ما قبلها.

قال الشاطبي ـ رحمه الله تعالى ـ مبيناً الخلاف في كلمة آل:

فإبدالُهُ من هَمزةٍ هاءٌ اصْلُها وقد قالَ بعضُ النَّاسِ مِنْ واوٍ ابْدِلا

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ وهي الشواهد الدالة على صدقه. ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا﴾: ﴿يَكُ﴾: مضارع كان، وأصله: يكون بوزن يفعل، نقلت حركة الواو إلى الكاف فسكنت إثر ضم فصارت حرف مد، ولما دخل الجازم ﴿إِنْ﴾ الشرطية على الفعل.. سكن آخره فصار اللفظ يكونْ، فالتقى ساكنان فحذفت الواو لذلك، ثم حذفت النون أيضاً حذفاً غير مطرد، كما ذكره في «الخلاصة» بقوله:

وَمِنْ مُضَارِعٍ لِكَانَ مُنْجَزِمْ تُحْذَفُ نُوْنٌ وَهُوَ حَذْفٌ مَا ٱلْتُزِمْ

﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ المسرف: المقيم على المعاصي المستكثر منها، والكذاب: المفتري. ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ هو يوم القيامة، تَسَمَّىٰ بذلك لأن الناس ينادي فيه بعضهم بعضاً للاستغاثة. قال أمية بن أبي الصلت:

وَبَثَّ ٱلْخَلْقَ فِيْهَا إِذْ دَحَاهَا فَهُمْ سُكَّانُهَا حَتَّىٰ ٱلتَّنَادِ

وأصله: يوم التنادي بالياء، على أنه مصدر تنادى القوم بعضهم بعضاً تنادياً بضم الدال، ثم كسر لأجل مناسبة الياء المحذوفة لتناسب الفواصل، وأصل هذه الياء واو من الندوة، وهو مكان الالتقاء. ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ﴾ أصله: توليون استثقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان فحذفت الياء وضمت اللام لمناسبة الواو.

﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ الدأب: العادة المستمر عليها والشأن. ﴿فَمَا زِلْتُمْ﴾ من زال يزال، كخاف يخاف أصل زال: زول، كخاف أصله: خوف قلبت الواو ألفاً لتحركها بعد فتح ثم لما أسند الفعل إلى ضمير الرفع المتحرك، سكن آخره فالتقى ساكنان: الألف وآخر الفعل، فحذفت الألف فصار اللفظ: زلتم فحذفت حركة الفاء، ونقلت إليه شكلة العين المحذوفة، وهي الكسرة لأن ماضيه من باب فعل بكسر العين، فقيل ﴿زِلْتُمْ﴾ بوزن فِلتم.

﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ﴾ أصله: يضلل نقلت حركة اللام الأولى إلى الضاد فسكنت، فأدغمت في اللام الثانية. ﴿مُّرْتَابٌ﴾ فيه إعلال بالقلب، أصله: مرتيب بصيغة اسم الفاعل، قلبت الياء ألفاً لتحركها بعد فتح. ﴿صَرْحًا﴾ والصرح: القصر الشامخ المنيف. وفي «المصباح»: الصرح بيت واحد يبنى مفرداً طويلاً ضخماً. وفي «الكشاف»: الصرح: البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر، وإن بعد اشتقوه من صرح الشيء بالتشديد إذا ظهر، فإنه يكون لازماً أيضاً، وفي «السمين» في سورة النمل: الصرح: القصر أو صحن الدار أو بلاط يتخذ من زجاج، وأصله: من التصريح، وهو: الكشف. اهـ.

وهذه المادة عجيبة في مدلولها، لإنها تدل في جميع مشتقاتها على الظهور والإبانة، قالوا: لبن صريح: إذا ذهبت رغوته وخلص، وعربي صريح، من عرب صرحاء غير هجناء، ونسب صريح، وكأس صراح: لم تمزج، وصرحت الخمرة: ذهب عنها الزبد، ولقيته مصارحةً؛ أي: مجاهرةً، وصرح النهار: ذهب سحابه وأضاءت شمسه، وصرح بما في نفسه وبنى صرحاً وصروحاً وقعد في صرحة داره؛ أي: في ساحتها.

﴿ٱلْأَسْبَٰبَ﴾: جمع سبب، وهو ما يتوصل به إلى شيء من حبل وسلم وطريق، والمراد هنا: الأبواب، قال زهير بن أبي سلمى:

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ ٱلْمَنَايَا يَنَلْنَهُ ... وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ ٱلسَّمَاءِ بِسُلَّمِ

والسبب أيضاً: من مقطعات الشعر حرف متحرك وحرف ساكن، أو حرفان متحركان، والأول يسمى خفيفاً، والثاني ثقيلاً. ﴿إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ والتباب: الخسران والهلاك، ومنه قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾. ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ أصله:

فأطتلع، أبدلت تاء الافتعال طاءً وأدغمت فيها الطاء. ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾ أصله: أظننه بوزن أفعله، نقلت حركة النون الأولى إلى الظاء فسكنت فأدغمت في الثانية. ﴿سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ والرشد والرشاد: الاهتداء لمصالح الدنيا والدين. ﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ والمتاع: اسم مصدر من تمتّع بمعنىٰ المتعة، وهي التمتع والانتفاع، لا بمعنى السلعة؛ لأنّ وقوعه خبراً عن الحياة الدنيا يمنع منه. اهـ من «الروح».

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: عطف الخاص على العام في قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾؛ تفخيماً لشأن الخاص.

ومنها: تخصيص فرعون وهامان بالذكر؛ لأنّ الإرسال إليهما إرسال إلى القوم كلهم.

ومنها: المبالغة في قوله: ﴿كَذَّابٌ﴾، وفي قوله: ﴿سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

ومنها: المقابلة بين القتل والاستحياء في قوله: ﴿ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ﴾.

ومنها: إطلاق الجمع على الواحد في قوله: ﴿قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ﴾ لأنّ القائل هو فرعون وحده؛ لأنه بمنزلة الكل، كما في قوله: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾.

ومنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ إشعاراً بعلة الحكم، وذمًّا لهم بالكفر، وحق العبارة أن يقال: وما كيدهم.

ومنها: الاعتراض بهذه الجملة في تضاعيف ما حكي عنهم من الأباطيل للمسارعة إلى بيان بطلان ما أظهروه، وإضمحلاله بالمرة، اهـ «أبو السعود».

ومنها: الإتيان بلام الأمر في قوله: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ للتعجيز؛ لأنه أمر تعجيز بزعمه أنّ موسى لا يمنعه ربّه منه.

ومنها: الاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾.

ومنها: الطباق بين قوله: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا﴾ وقوله: ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا﴾.

ومنها: إعادة النكرة نكرة في قوله تعالى: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ بعد قوله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ لأنّ المراد بالنكرة الثانية غير الأولى، لأنّ المراد بالأولى شمعان ابن عمّ فرعون، وبالثانية موسى جرياً على القاعدة المشهورة عندهم المذكورة في قول بعضهم:

ثُمَّ مِنَ ٱلْقَوَاعِدِ ٱلْمُشْتَهَرَهْ إِذَا أَتَتْ نَكِرَةً مُكَرَّرَهْ
تَغَايَرَتْ وَإِنْ يُعَرَّفْ ثَانِي تَوَافَقَا كَذَا ٱلْمُعَرَّفَانِ

ومنها: الحصر المستفاد من تعريف طرفي الجملة في قوله: ﴿رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ مثل: صديقي زيد لا غير.

ومنها: الإتيان بضمير المخاطبين في قوله: ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ حيث لم يقل من ربه، تهييجاً لهم على التأمل في أمره، والاعتراف به، وترك المكابرة معه؛ لأنّ ما كان من قبل رب الجميع يجب اتباعه، وإنصاف مبلغه. اهـ من «الروح».

ومنها: التعريض في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ لأنه عرّض به لفرعون؛ لأنه ﴿مُسْرِفٌ﴾ حيث قتل الأبناء بلا جرم ﴿كَذَّابٌ﴾ حيث ادّعى الألوهية، لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة، بل يفضحه ويهدم أمره.

ومنها: الإجمال ثم التفصيل في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ ...﴾ إلخ.

ومنها: التشبيه في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ﴾، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾ وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ﴾.

ومنها: الإسناد العقلي في قوله: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى﴾ لما فيه من إسناد ما للعَمَلَةِ إلى الآمر.

ومنها: الإبهام ثم الإيضاح في قوله: ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ لأنّ في إبهامها أولاً، ثم إيضاحها تفخيماً لشأنها، وتشويقاً للسامع إلى معرفتها.

ومنها: المقابلة بين قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ﴾ وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ فقد قابل بين الدنيا والآخرة، وهي من المحسنات البديعية.

ومنها: التنوين في قوله: ﴿مَتَٰعٞ﴾ إفادة للتقليل.

ومنها: التعريض في قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ فإن فيها تعريضاً بأن ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الغي والضلال.

ومنها: المقابلة في قوله: ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ﴾، وقوله: ﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا﴾.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلّ وعلا :

﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ . . .﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن[1] هذا المؤمن لما رأى تمادي قومه في تمردهم وطغيانهم. . أعاد إليهم النصح مرةً أخرى، فدعاهم أولاً إلى قبول هذا الدين الذي هو سبيل الخير والرشاد، ثم بيّن لهم حقارة الدنيا وعظم شأن الآخرة، وأنها هي الدار التي لا زوال لها، ثم ذكر أنه يدعوهم إلى الإيمان بالله، الذي يوجب النجاة والدخول في الجنات، وهم يدعونه إلى الكفر الذي يوجب الدخول في النار، ثم أردف هذا ببيان أنْ الأصنام لا تستجاب لها دعوه، فلا فلائدة في عبادتها، ومردُّ الناس جميعاً إلى الله العليم بكل الأشياء، وهو الذي يجازي كل نفس بما كسبت، وأن المسرفين في المعاصي هم أصحاب النار، ثم ختم نصحه بتحذيرهم من بأس الله، وتفويض أمره إلى الله الذي يدفع عنه كل سوء يراد به، ثم أخبر سبحانه بأنه استجاب دعاءه فوقاه السوء الذي دبّروه له، وحفظه مما أرادوه به من اغتياله، وأحاط بآل فرعون سوء العذاب فغرقوا في البحر، ويوم القيامة يكون لهم أشد العذاب في النار.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ . . .﴾ الآيات، مناسبتها لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر في أول السورة أنه لا يجادل في آيات الله إلا القوم الكافرون، ثم ردّ على أولئك المبطلين المجادلين، تسليةً لرسوله، وتصبيراً له على تحمل أذى قومه. . أردف ذلك وعده له بالنصرة على أعدائه في الدنيا والآخرة، وتلك سنة الله تعالى، فهو ينصر الأنبياء والرسل، ويقيّض لهم من ينصرهم على أعدائهم، ويملأ قلوبهم بنور اليقين، ويلهمهم أنّ النصرة لهم آخراً مهما تقلبت بهم الأمور.

وعبارة أبي حيان هنا قوله: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ. . .﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها: أنه سبحانه لما ذكر[2] ما حل بآل فرعون، واستطرد من ذلك إلى ذكر شيء من أحوال الكفار في الآخرة. . عاد إلى ذكر ما منح رسوله موسى عليه

---

(١) المراغي. (٢) البحر المحيط.

السلام، فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ﴾ تأنيساً لمحد ﷺ، وتذكيراً لما كانت العرب تعرفه من قصة موسى عليه السلام. انتهى.

قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ الآيات، مناسبتها لما قبلها: أن الله[1] سبحانه لما ذكر[2] فيما سلف أنهم يجادلون في آيات الله بغير سلطان، وكان من جدلهم أنهم ينكرون البعث، ويعتقدون استحالته، ويعملون أقْبسة وَهْميّة وقضايا جدلية، كقولهم: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾ وقولهم: ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾.. ذكر هنا برهاناً يؤيد إمكان حدوثه، ويبعد عن أذهانهم استحالته، وهو خلقه للسموات والأرض ابتداءً على عِظم أجرامهما، ومن قدر على ذلك.. فهو قادر على إعادتكم، كما جاء في الآية الأخرى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾ الآيات، مناسبتها لما قبلها: أن الله سبحانه لما أثبت أن يوم القيامة حق، وكان المرء لا ينتفع فيه إلاّ بطاعة الله، والتضرع له، وأشرف أنواع الطاعات الدعاء؛ أي العبادة لا جرم، أمر الله تعالى بها في هذه الآية، ولما كانت العبادة لا تنفع إلا إذا أقيمت الأدلة على وجود المعبود.. ذكر من ذلك تعاقب الليل والنهار، وخلق السموات والأرض، وخلق الإنسان في أحسن صورة، ورزقه من الطيبات.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ...﴾ الآية، سبب نزولها[3]: ما أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم، قال السيوطي بسند صحيح عن أبي العالية: إن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: إن الدجال يكون منّا في آخر الزمان، ويكون من أمره كذا وكذا، فعظّموا أمره وقالوا: نصنع كذا وكذا، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾، قال: لا يبلغ الذي يقول: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ فأمر نبيّه

---

(١) المراغي. (٢) المراغي. (٣) الشوكاني.

أن يتعوّذ من فتنة الدجال، لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الدجال. وأخرج ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار في الآية. قال: هم اليهود نزلت فيهم فيما ينتظرونه من أمر الدجال، وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد في قوله: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ قال عظمة قريش.

التفسير وأوجه القراءة

ثم كرّر ذلك المؤمن دعاءَهم إلى الله، وصرّح بإيمانه، ولم يسلك المسالك المتقدمة، من إبهامه لهم أنه منهم، وأنه إنما تصدى لتذكيرهم، كراهة أن يصيبهم بعض ما توعدهم به موسى، كما يقول الرجل المحب لقومه تحذيراً لهم من الوقوع فيما يخاف عليهم من مواضع الهلكة، فقال: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ﴾ الاستفهام فيه: للتوبيخ المضمن للتعجب؛ أي: أي شيء ثبت لي من المصالح حال كوني ﴿أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾؛ أي: إلى الإيمان الذي يوجب لكم النجاة من النار، شفقةً عليكم، واعترافاً بحقكم. ﴿و﴾ أيّ شيء ثبت لكم من المصالح في أنكم ﴿تدعونني إلى﴾ الكفر الذي يوجب لي الهلاك في ﴿ٱلنَّارِ﴾. وفي «روح البيان» قوله: ﴿أَدْعُوكُمْ﴾ في موضع[1] الحال من المنويّ في الخير، وتدعونني عطف عليه، ومدار التعجب دعوتهم إياه إلى النار لا دعوته إياهم إلى النجاة، كأنه قيل: أخبروني كيف هذا الحال، أدعوكم إلى الخير وتدعونني إلى الشر، وقال بعضهم: معنى ﴿مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ﴾ ما لكم أدعوكم. إلخ. فهو من قبيل ما لي أراك حزيناً؟ أي: ما لك تكون حزيناً؟

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: لِمَ جاء بالواو في النداء الأول والثالث دون الثاني؟.

قلت: لأنّ الثاني داخل في كلام هو بيان للمجمل وتفسير له، فأعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو، وأما الثالث: فداخل على كلام ليس بتلك المثابة. اهـ «سمين». وعبارة الكرخي: ترك العطف في النداء الثاني؛ لأنه تفصيل لإجمال الأول، وهنا عطف لأنه ليس بتلك المثابة؛ لأنه كلام مباين للأول والثاني،

---

(١) روح البيان. (٢) الكشاف.

فحسن إيراد الواو العاطفة فيه. اهـ.

والمعنى: أي أخبروني كيف أنتم وما حالكم أدعوكم إلى النجاة من عذاب الله بإيمانكم بالله، وإجابة رسوله، وتصديق ما جاء به من عند ربه، وتدعونني إلى عمل أهل النار بما تريدون مني من الشرك؟

ثم فسّر الدعوتين على سبيل اللف والنشر المشوّش بقوله: ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ﴾ أي: بوحدانيته ﴿وَ﴾ لـ﴿أشرك به﴾ سبحانه ﴿مَا﴾؛ أي: مخلوقاً ﴿لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾؛ أي: ليس لي علم بشركته مع الله في المعبودية، وقيل: علم بربوبيته، والمراد: نفي المعلوم رأساً، وهو المعبود، فضلاً عن عبادته.

وهذه الجملة[1]: بدل من ﴿تَدْعُونَنِي﴾ الأول على جهة البيان والتعليل لها والدعاء، كالهداية في التعدية بإلى واللام، وأتي في قوله: ﴿تَدْعُونَنِي﴾ بجملة فعلية؛ ليدل على أن دعوتهم باطلة لا ثبوت لها، وأتي في قوله: ﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ﴾ إلخ. بجملةٍ اسمية؛ ليدل على ثبوت دعوته وتقويتها. اهـ «سمين».

أي: وأنا أدعوكم ﴿إِلَى﴾ توحيد ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في انتقامه ممن أشرك به، وإلى عبادة ﴿ٱلْغَفَّٰرِ﴾ لذنب من آمنَ بِهِ؛ أي: أدعوكم إلى الإيمان بالعزيز الذي لم يكن له كفواً أحد، وأما المخلوقات فبعضها أكفاء بعض، وأيضاً إلى القادر على تعذيب المشركين به، الغفار لمن تاب ورجع إليه، القادر على غفران ذنوب المذنبين.

والمعنى: أي تدعونني إلى الكفر بالله والإشراك به في عبادته ما لم يقم دليل على ألوهيته، وأنا أدعوكم إلى من استجمع صفات الألوهية من كمال القدرة والغلبة والعلم والإرادة والتمكن من المجازاة، والقدرة على التعذيب والغفران.

ثم أكّد ما سلف بقوله: ﴿لَا جَرَمَ﴾ ﴿لَا﴾: كلمة[2] نفي ورد لما ادعوه وزعموه من الكفر والإشراك، و﴿جَرَمَ﴾: فعل ماض بمعنى حق: وثبت، وفاعله: قوله تعالى: ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلى عبادته وإشراكه من الأوثان والأصنام ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ للناس ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ إلى عبادته ﴿وَلَا﴾ استجابة دعوة أحدٍ لها ﴿فِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ للشفاعة.

---

(١) الفتوحات.

(٢) روح البيان.

والمعنى: لا أكفر بالله ولا أشرك به ما ليس لي به علم، لأنه قد حق ووجب وثبت عدم دعوة آلهتكم إلى عبادة نفسها أصلاً، ومن حق المعبود أن يدعو الناس إلى عبادته بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وهذا الشأن منتفٍ عن الأصنام بالكلية، لأنها في الدنيا جمادات لا تستطيع دعاء غيرها، وفي الآخرة إذا أنشأها الله حيواناً ناطقاً.. تتبرأ من عبدتها. أو المعنى: حتى وثبت عدم استجابة دعوة أحد من الناس لها؛ أي: ليس لها استجابة دعوة أحد من الناس، لا في الدنيا بالبقاء والصحة والغنى ونحوها، ولا في الآخرة بالنجاة ورفعة الدرجات وغيرهما، كما قال تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ﴾ فكيف تكون الأصنام ربًّا وليس لها قدرة على إجابة دعاء الداعين، ومن شأن الرب استجابة الدعوات وقضاء الحاجات.

وقيل: ﴿جَرَمَ﴾ بمعنى: كسب وفاعله: مستكن فيه؛ أي: لا أكفر بالله ولا أشرك به شيئاً لدعوتكم إيّاي إلى ذلك، بل كسب ذلك الدعاء إلى الكفر والإشراك، وأفاد وأثبت بطلان دعوته؛ أي: بطلان دعوة المدعو إليه بمعنى ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته؛ كأنه قيل: إنكم تزعمون أن دعاءكم إلى الإشراك يبعثني على الإقبال عليه، وأنه سبب الإعراض وظهور بطلانه، وقال: ﴿جَرَمَ﴾: فعل من الجرم، وهو القطع، كما أن بد من لا بد، فعل من التبديد، وهو التفريق.

والمعنى: لا قطع؛ أي: لا انقطاع لبطلان ألوهية الأصنام؛ أي: لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقاً، فيكون ﴿جَرَمَ﴾ اسم لا مبنياً على الفتح لا فعلاً ماضياً، كما هو على الوجهين الأولين.

وفي «القاموس»: ﴿لَا جَرَمَ﴾؛ أي: لا بدّ أو حقاً أو لا محالة، أو هذا أصله، ثم كثر حتى تحول إلى معنى القسم، فلذلك يجاب عنه باللام فيقال: لا جرم لآتينّك. انتهى. وفي «المختار»: وقولهم لا جرم، قال الفراء: هي كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد ولا محالة، فجرَت على ذلك وكثرت، حتى تحولت إلى معنى القسم، وصارت بمنزلة حقًّا، فلذلك يجاب عنه باللام كما يجاب بها عن القسم، ألا تراهم يقولون: لا جرم لآتينك. اهـ.

والخلاصة: حقاً إن ما تدعونني إليه من الأصنام لا يجب دعوة من يدعوه،

فهو لا ينفع ولا يضرّ في الدنيا ولا في الآخرة.

وقوله: ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ﴾؛ أي: مرجعنا ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى؛ أي: بالموت ومفارقة الأرواحِ الأجسادَ: معطوف على قوله: ﴿إنما تدعونني﴾ داخل في حكمه، وكذا قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾؛ أي: المجاوزين الحدّ في الضلال والطغيان، كالإشراك وسفك الدماء ﴿هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: ملازموها وخالدون فيها.

والمعنى: وحق أن مرجعنا ومصيرنا إليه سبحانه بالموت أولاً، وبالبعث آخراً، فيجازي كل أحد بما يستحقه من خير أو شر، وحق أن المسرفين؛ أي: المستكبرين من معاصي الله هم أصحاب النار، قال قتادة وابن سيرين: يعني المشركين، وقال مجاهد والشعبيُّ: هم السفهاء السفّاكون للدماء بغير حقها، الذين ركبوا أهواءَهم ودسّوا أنفسهم بصنوف المعاصي، ثم ختم نصحه بكلمة فيها تحذير ووعيد لهم؛ ليتفكروا في عاقبة أمرهم لعلهم يرعوون عن غيهم، فقال: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾؛ أي: فسيذكر بعضكم بعضاً عند معاينة العذاب ﴿مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ من النصائح وتعلمون أني قد بالغت في نصحكم وتذكيركم بما لم يبق بعده مستزاد لمستزيد، فتندمون حيث لا ينفع الندم، وفي هذا الإبهام من التهديدوالتخويف ما لا يخفي.

ثمّ ابتدأ كلاماً آخر يبيِّن به اطمئنانه إلى ما يجري به القدر، ويخبئه له الغيب، كما هو دأب المؤمنين الصادقين، فقال: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ﴾؛ أي: أرد أمري وشأني ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى، وأسلمه إليه وأتوكل عليه ليعصمني من كل سوء، قاله؛ لما أنهم كانوا توعّدوه بالقتل. قال مقاتل: هرب هذا المؤمن إلى الجبل، فطلبوه فلم يقدروا عليه، وقيل[1]: القائل هو موسى عليه السلام، والأول أولى.

وحقيقة التفويض: تعطيل الإرادة في تدبير الله تعالى، كما في «عين المعاني»: وكمال التفويض أن لا يرى لنفسه ولا للخلق جميعاً قدرةً على النفع والضرّ، كما في «عرائس» البقلي: قال بعضهم: التفويض قبل نزول القضاء، والتسليم بعد نزوله.

ثم ذكر ما هو كالعلة لذلك فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ يعلم المحق من المبطل، فيحرس من يلوذ به من المكاره ويتوكل عليه؛

(١) الشوكاني.

أي: إن الله سبحانه خبير بهم، فيهدي من يستحق الهداية، ويضل من يستحق الإضلال لسوء استعداده وتدسيته نفسه، وله الحجة الدامغة، والحكمة البالغة، والقدرة النافذة.

ودلت الآية[1]: على أن الله تعالى مطلع على العباد وأحوالهم، فلا بد من تصحيح الحال ومراقبة الأحوال، وروي أنّ نبيًّا من الأنبياء كان يتعبّد في جبل وكان في قرية عين جارية، فجاز بها فارس، وشرب منها ونسي عندها صرّة فيها ألف دينار، فجاء آخر فأخذ الصرة، ثم جاء رجل فقير على ظهره حزمة حطب، فشرب واستلقى ليستريح، فرجع الفارس لطلب الصرة فلم يرها، فأخذ الفقير فطلبها منه فلم يجدها عنده، فعذبه حتى قتله، فقال ذلك النبي: إلهي، ما هذا أخذ الصرة، بل أخذها ظالم آخر، وسلّطت هذا الظالم عليه حتى قتله، فأوحى الله تعالى إليه أن اشتغل بعبادتك، فليس معرفة مثل هذا من شأنك، إن هذا الفقير قد قتل أبا الفارس، فمكّنته من القصاص، وأنّ أبا الفارس قد كان أخذ ألف دينار من مال آخذ الصرة فرددته إليه من تركته، ذكره الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ.

ثم أخبر سبحانه أنه قد كانت النصرة له والهلاك لعدوة، فقال: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى؛ أي: فوّض ذلك المؤمن أمره إلى الله تعالى، فوقاه الله تعالى؛ أي: حفظه الله سبحانه وتعالى ﴿سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾؛ أي: حفظه الله تعالى من شدائد مكرهم، وما همُّوا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم؛ أي: حفظه الله مما أرادوا به من المكر السيىء في الدنيا، إذ نجّاه مع موسى عليه السلام، وفي الآخرة بإدخاله دار النعيم. ﴿وَحَاقَ﴾؛ أي: أحاط ونزل بـ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ وقومه ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾؛ أي: العذاب السيء في الدنيا بالغرق في اليمّ.

والمراد بآل فرعون: فرعون وقومه، وترك التصريح به[2] للاستغناء بذكرهم عن ذكره؛ لكونه أولى منهم بذلك من حيث كونه متبوعاً لهم، ورئيساً ضالاً، أو المراد بآل فرعون: نفسه، والأول أولى، وفي هذا إيماء إلى أنهم قصدوا بالسوء، وقد روي عن ابن عباس أنه لما ظهر إيمانه.. قصد فرعون قتله فهرب ونجا، وهذا عذا بهم في الدنيا.

---

(١) روح البيان. (٢) روح البيان.

ثم بيَّن عذابهم في البرزخ بقوله: ﴿ٱلنَّارُ﴾؛ أي: نار جهنم، وهو مبتدأ، خبره: ﴿يُعْرَضُونَ﴾؛ أي: يعرض فرعون وآله ﴿عَلَيْهَا﴾؛ أي: على النار، ومعنى عرضهم على النار: إحراق أرواحهم وتعذيبهم بها ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾؛ أي: في أول النهار وآخره، وذكر الوقتين: إما للتخصيص، وإما فيما بينهما، فالله تعالى أعلم بحالهم إما أن يعذّبوا بجنس آخر، أو بنفس عنهم، وإما للتأبيد كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾؛ أي: على الدوام، فارتفاع ﴿ٱلنَّارِ﴾[1] على أنها بدل من ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ وقيل: على أنها خبر مبتدإٍ محذوف، أو مبتدأ، خبره: ﴿يُعْرَضُونَ﴾ كما مر، ويقوي هذا الوجه قراءة من نصب، وهي على تقدير فعل يفسره ﴿يُعْرَضُونَ﴾ من حيث المعنى؛ أي: يدخلون النار، يعرضون عليها، أو على الاختصاص، وأجاز الفراء الخفض على البدل من ﴿ٱلْعَذَابِ﴾.

قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: إن أرواح آل فرعون في أجواف طير سود، يعرضون على النار مرتين، فيقال: يا آل فرعون هذه داركم، قال ابن الشيخ في «حواشيه»: وهذا يؤذن بأنّ العرض ليس بمعنى التعذيب والإحراق بل بمعنى الإظهار والإبراز، وأنّ الكلام على القلب، كما في قولهم: عرضت الناقة على الحوض، فإن أصلح: عرضت الحوض على الناقة بسوقها إليه، وإيرادها عليه[2]، فكذا هنا أصل الكلام: تعرض عليهم؛ أي: على أرواحهم، بأن يساق الطير التي أرواحهم فيها؛ أي: في أجوافها إلى النار، وفي الحديث: إن أحدكم إذا مات.. عرض عليه مقعده بالغداة والعشيّ، إن كان من أهل الجنة.. فمن الجنة، وإن كان من أهل النار.. فمن النار، يقال: هذا مقعدك حين يبعثك الله يوم القيامة. أخرجه البخاري ومسلم.

يقول الفقير: أما كون أرواحهم في أجواف طير سود.. فليس المراد ظرفية الأجواف للأرواح حتى لا يلزم التناسخ، بل هو تصوير لصور أرواحهم البرزخية، وأما العرض بمعنى الإظهار.. فلا يقتضي عدم التعذيب، فكل روح إما معذَّب أو منعم، وللتعذيب والتنعيم مراتب، ولأمر ما ذكر الله تعالى عرض أرواح آل فرعون على النار، فإنّ عرضها ليس كعرض سائر الأرواح الخبيثة.

---

(١) الشوكاني. (٢) روح البيان.

وهذا العرض ما دامت الدنيا ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ وتعود الأرواح إلى الأبدان، يقال للملائكة: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: فرعون وقومه ﴿أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ وأغلظه؛ أي: عذاب جهنم، فإنه أشد مما كانوا فيه، فإنه للروح والجسد جميعاً، وهو أشد مما كان للروح فقط، كما في البرزخ، وذلك أن الأرواح بعد الموت ليس لها نعيم ولا عذاب حسي جسماني، ولكن ذلك نعيم أو عذاب معنوي روحاني، حتى تبعث أجسادها فترد إليها، فتعذب عنه ذلك حساً ومعنًى أو تنعم.

ويجوز أن المعنى[١]: أدخلوا آل فرعون أشد عذاب جهنم، فإن عذابها ألوان بعضها أشد من بعض، وفي الحديث: «أهون أهل النار عذاباً رجل في رجليه نعلان من نار، يغلي منهما دماغه».

ومعنى الآية[٢]: أي تعرض أرواحهم من حين موتهم إلى قيام الساعة على النار بالغداة والعشي، وينفس عنهم فيما بين ذلك، ويدوم هذا إلى يوم القيامة، وحينئذ يقال لخزنة جهنم: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنَّارُ﴾.

قال بعض العلماء: وفي الآية دليل على عذاب القبر، ويؤيده ما رواه البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات.. عرض عليه مقعده بالغداة والعشي»... الحديث. كما مر ثم قرأ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾.

قال العلماء[٣]: عذاب القبر هو عذاب البرزخ، أضيف إلى القبر؛ لأنه الغالب، وإلا فكل ميت أراد الله تعذيبه ناله ما أراد به، قبر أو لم يقبر، بأن صلب أو غرق في البحر، أو أحرق حتى صار رماداً، وذري في الجو، قال إمام الحرمين: من تفرقت أجزاؤه يخلق الله الحياة في بعضها أو كلها، ويوجه السؤال عليها، ومحل العذاب والنعيم؛ أي: في القبر هو: الروح والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة، قال اليافعي: وتختص الأرواح دون الأجساد بالنعيم والعذاب ما دامت في علّيين أو سجين، وفي القبر يشترك الروح والجسد.

قال الفقيه أبو الليث: الصحيح عندي أن يقر الإنسان بعذاب القبر ولا يشتغل بكيفيته، وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «ما أحسن محسن مسلم أو كافر..

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي. (٣) روح البيان.

إلا أثابه الله» قلنا يا رسول الله: ما إثابة الكافر؟ قال: «المال والولد والصحة وأشباه ذلك» قلنا: وما إثابته في الآخرة؟ قال: «عذاباً دون العذاب» وقرأ: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾.

وقد أثبت علماء الأرواح حديثاً[1]: نعيم الروح وعذابها، وشبهوا ذلك بما يراه النائم حين نومه، فقد نرى نائمين في سرير واحد، يقوم أحدهمامذعوراً كئيباً وجلاً مما شاهد في نومه بينما نرى الثاني مستبشراً فرحاً بما لاقى من المسرة والنعيم، فيروي أنه كان في حديقةً غناء، وشاهد كذا وكذا مما فيها من بهجة وبهاء وجمال ورواء.

وقرأ الأعرج وأبو جعفر وشيبة والأعمش وابن وثاب وطلحة ونافع وحمزة والكسائي وحفص[2]: ﴿أَدْخِلُوٓاْ﴾ أمراً للخزنة، من أدخل الرباعي، وهو على تقدير القول كما ذكرنا، وقرأ علي والحسن وقتادة وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر: ﴿ادخلوا﴾ بهمزة وصل من دخل الثلاثي، أمراً لآل فرعون بالدخول، بتقدير حرف النداء؛ أي: ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب.

والظرف في قوله: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ﴾ متعلق[3] بمحذوف، تقديره: واذكر يا محمد لقومك وقت محاجة ومخاصمة أهل النار في النار، سواء كانوا آل فرعون أو غيرهم، وهذا ابتداء قصص لا يختص بآل فرعون، ثم شرح مخاصمتهم بقوله: ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ منهم في القدر والمنزلة والحال في الدنيا ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ عن الانقياد للأنبياء والاتباع لهم، أي: أظهروا الكبر باطلاً، وهم رؤساؤهم، ولذا لم يقل الكبراء؛ لأنه ليس الكبرياء صفتهم في نفس الأمر ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ﴾ في الدنيا ﴿تَبَعًا﴾؛ أي: أتباعاً في كل حال خصوصاً فيما دعوتمونا إليه من الشرك والتكذيب، جمع تابع، كخدم جمع خادم، كما سيأتي البحث عنه في المفردات. ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾ ونافعون لنا اليوم ودافعون ﴿عَنَّا نَصِيبًا﴾؛ أي: بعضاً وجزءاً ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ باتباعنا إياكم، فقد كنا في الدنيا ندفع المؤونة عنكم، يقال: ما يغني عنك هذا؛ أي: ما يجزيك وينفعك، و﴿نَصِيبًا﴾: منصوب بمضمر يدل عليه ﴿مُّغْنُونَ﴾ فإن أغنى إذا عدي بكلمة عن.. لا يتعدى إلى مفعول آخر

---

(١) المراغي. (٢) البحر المحيط. (٣) روح البيان.

بنفسه، كما سيأتي. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾؛ أي: تكبروا وتعظموا عن الإيمان، وهم القادة للسفلة ﴿إِنَّا كُلٌّ﴾؛ أي: كلنا نحن وأنتم، وبهذا صح وقوعه مبتدأ خبره: ﴿فِيهَآ﴾؛ أي: في النار، فكيف نغني عنكم، ولو قدرنا.. لأغنينا عن أنفسنا.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿كُلٌّ﴾ بالرفع على الابتداء، وخبره: ﴿فِيهَآ﴾ والجملة: خبر ﴿إِنَّ﴾ وقرأ ابن السميقع وعيسى بن عمر ﴿إنا كلاً﴾ بنصب كل. قال الزمخشري وابن عطية: على التوكيد لاسم ﴿إن﴾ وهو معرفة، والتنوين عوض عن المضاف إليه، فكأنه قال: إنا كلنا فيها، وخبر ﴿إن﴾ هو ﴿فِيهَآ﴾. قال أبو حيان: والذي أختاره في هذه القراءة: أن ﴿كلا﴾: بدل من اسم ﴿إن﴾ لأن ﴿كلاً﴾ يتصرف فيها بالابتداء ونواسخه، فكأنه قال: إنّ كلاً فيها، وقيل: حال من الضمير المستكن في خبر ﴿إن﴾ أعني فيها؛ أي: إنا كائنون فيها، حال كوننا كلاً.

ومعنى الآية[2]: أي واذكر أيها الرسول لقومك وقت حجاج أهل النار وتخاصمهم وهم في النار، فيقول الأتباع للقادة السادة: إنا أطعناكم فيما دعوتمونا إليه في الدنيا من الكفر والضلال، فتكبرتم على الناس بنا، فهل تقدرون أن تحملوا عنا قسطاً من العذاب فتخففوه عنا؟ فقد كنا نسارع إلى محبتكم في الدنيا، ومن قبلكم جاءنا العذاب، ولولا أنتم.. لكنا مؤمنين، ومقصدهم من هذا المقال: تخجيلهم وإيلام قلوبهم، وإلا فهم يعلمون أنهم لا قدرة لهم على ذلك التخفيف، فرد عليهم أولئك الرؤساء بما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾ الخ؛ أي: قال: رؤساؤهم الذي أبو الانقياد للأنبياء: إنا جميعاً واقعون في العذاب، فلو قدرنا على إزالته عن أنفسنا.. لدفعناه عنكم.

وخلاصة مقالهم: إنا وأنتم في العذاب سواء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿قَدْ حَكَمَ﴾ وقضى ﴿بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ بماهية[3] كل أحد، فأدخل المؤمنين الجنة على تفاوتهم في الدركات، والكافرين النار على طبقاتهم في الدرجات، ولا معقب لحكمه؛ أي: حكم بينهم بفصل قضائه، فلا

---

(١) البحر المحيط. (٢) المراغي. (٣) روح البيان.

يؤاخذ أحداً بذنب غيره، وكل منا كافر وكل منا يستحق العقاب، ولا يغني أحد عن أحد شيئاً.

ولما يئس الأتباع من المتبوعين.. رجعوا إلى خزنة جهنم يطلبون منهم الدعاء، كما حكى الله عنهم بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ﴾ من الضعفاء والمستكبرين جميعاً لما ذاقوا شدة العذاب، وضاقت حيلهم. ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: للقوام بتعذيب أهل النار، جمع خازن من الخزن وهو: حفظ الشيء في الخزانة، ثم يعبر به عن كل حفظ، كحفظ السر ونحوه، ووضع ﴿جَهَنَّمَ﴾ موضع الضمير؛ للتهويل والتفظيع، وهي اسم لنار الله الموقدة: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ شافعين لنا ﴿يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾؛ أي: في مقدار يومٍ واحدٍ من أيام الدنيا ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾؛ أي: شيئاً منه، فقوله: ﴿يَوْمًا﴾: ظرف لـ﴿يُخَفِّفْ﴾ ومفعوله: محذوف و﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾: بيان لذلك المحذوف، واقتصارهم[1] في الاستدعاء على تخفيف قدر يسير من العذاب في مقدار قصير من الزمان دون رفعه رأساً، أو تخفيف قدر كثير منه في زمان مديد لعلمهم بعدم كونه في حيز الإمكان.

والمعنى[2]: أي وقال أهل جهنم لخدمها وقوامها مستغيثين بهم من عظيم ما هم فيه من البلاء، رجاء أن يجدوا لديهم فرجاً من ذلك الكرب الذي هم فيه: ادعوا ربكم أن يخفف عنا مقدار يوم شيئاً من العذاب.

فرد عليهم الخزنة موبخين لهم على سوء ما كانوا يصنعون مما استحقوا عليه شديد العذاب، فـ﴿قَالُوٓا۟﴾؛ أي: الخزنة لهم بعد مدة ﴿أَوَلَمْ تَكُ﴾: ﴿الهمزة﴾ فيه: للاستفهام التوبيخي التقريعي، داخلة على محذوف، و﴿الواو﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، تقديره: ألم تنبهوا على هذا ولم تك ﴿تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم﴾ في الدنيا على الاستمرار ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: بالحجج الواضحة الدالة على سوء عاقبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصي، أرادوا بذلك إلزامهم وتوبيخهم على إضاعة أوقات الدعاء، وتعطيل أسباب الإجابة؛ أي: أو ما جاءتكم الرسل بالحجج على توحيد الله لتؤمنوا به، وتبرؤوا مما دونه من الآلهة، فأجابوهم فـ﴿قَالُوا۟﴾ أي الكفرة في جواب الخزنة ﴿بَلَىٰ﴾ أي أتونا بها فكذبناهم كما في سورة المُلك أي قالوا أتونا بها فكذبناهم ولم

---

(1) روح البيان.	(2) المراغي.

نؤمن بهم ولا بما جاؤوا به من البينات الواضحة والبراهين الساطعة وحينئذ، تهكم بهم خزنة جهنم فـ﴿قَالُواْ﴾ لهم: إذا كان الأمر كذلك. ﴿فَٱدْعُواْ﴾ أنتم بأنفسكم، فإن الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره منا، ولم يريدوا بأمرهم بالدعاء إطماعهم في الإجابة، بل إقناطهم منها، وإظهار حقيقتهم حسبما صرحوا به في قولهم ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ لأنفسهم، فالمصدر مضاف لفاعله، أو وما دعاء غيرهم لهم بتخفيف العذاب عنهم، فالمصدر مضاف إلى مفعوله ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾؛ أي: إلا في ضياع وبطلان لا يجاب، لأنهم دعوا في غير وقته.

والمعنى[1]: أي قالوا لهم؛ أي: قالت الخزنة لهم: إذا كان الأمر كما ذكرتم.. فادعوا أنتم وحدكم، فإنا لا نعدو لمن كفر بالله، وكذب رسله، وإن دعاءكم لا يفيدكم شيئاً، فما هو إلا في خسران وتبار، وسواء دعوتم أو لم تدعوا، فإنه لا يستجاب لكم، ولا يخفف عنكم.

روى الترمذي وغيره، عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: يلقى على أهل النار الجوع، حتى يعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون منه، فيغاثون بالضريع، لا يسمن ولا يغني من جوع، فيأكلون لا يغني عنهم شيئاً، فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة، فيغصون به، فيذكرون أنهم كانوا في الدنيا يجيزون الغصص بالماء، فيستغيثون بالشراب فيرفع لهم الحميم بالكلاليب، فإذا دنا من وجوههم.. شواها، فإذا وقع في بطونهم.. قطع أمعاءهم وما في بطونهم، فيستغيثون بالملائكة يقولون: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ فيجيبونهم ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾.

وقد اختلف العلماء[2] في أنه هل يجوز أن يقال: يستجاب دعاء الكافرين فمنعه الجمهور لقوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ ولأن الكافر لا يدعو الله، لأنه لا يعرفه، لأنه وإن أقر به لما وصفه بما لا يليق به نقض إقراره، وما روي في الحديث: «إن دعوة المظلوم وإن كان كافراً تستجاب». فمحمول على كفران النعمة، وجوزه بعضهم لقوله تعالى حكايةً عن إبليس: ﴿رب أنظرني﴾؛ أي: أمهلني ولا تمتني سريعاً، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ فهذه إجابة لدعائه.

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.

فإذا ثبت أن الله تعالى يجيب الدعوات، لا ما سواه من الأصنام ونحوها.. فلا بد من توحيده، وإخلاص الطاعة والعبادة له، وعرض الافتقار إليه، إذ لا ينفع الغير لا في الدنيا ولا في الآخرة، جعلنا الله سبحانه وإياكم من التابعين للهدى، المحفوظين من الهوى، آمين.

وجملة قوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾: مستأنفة من جهته تعالى، والإتيان بالنون دلالةً على استحقاقه العظمة، أو باعتبار الصفات أو المظاهر، والنصر: العون؛ أي: نجعلهم الغالبين لأعدائهم القاهرين لهم، والموصول في قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: معطوف على ﴿رُسُلَنَا﴾؛ أي: لننصر رسلنا وننصر الذين آمنوا معهم واتبعوهم ﴿في الحياة الدنيا﴾ بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستئصال والقتل والسبي وغير ذلك من العقوبات، ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق لهم من صورة المغلوبية امتحاناً، إذ العبرة إنما هي بالعقوبات وغالب الأمر، وأيضاً ما يقع في بعض الأحيان من الانهزام إنما كان يعارض كمخالفة أمر القائد، كما في غزوة أحد، وكطلب الدنيا والعجب والغرور كما في بعض وقائع المؤمنين، وأيضاً أن الله تعالى ينتقم من الأعداء ولو بعد حين، كما بعد الموت؛ ألا ترى أن الله انتقم ليحيى عليه السلام بعد استشهاده من بني إسرائيل، بتسليط بختنصر عليهم حتى قُتل منهم سبعون ألفاً.

والظاهر[1] في دفع التعارض بين قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ وبين قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ ما قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ والحسن ـ رحمه الله تعالى ـ من أنه: لم يقتل من الأنبياء إلا من لم يؤمر بقتال، وكل من أمر بقتال نصر كما في «تفسير القرطبي» في سورة البقرة، وكان زكريا ويحيى وشعيب ونحوهم عليهم السلام ممن لم يؤمر بقتال ﴿و﴾ ننصرهم ﴿يوم يقومُ الأشهاد﴾ وهو يوم القيامة؛ أي: لننصرنهم في الدنيا والآخرة، وعبّر عن يوم القيامة بذلك للاشعار بكيفية النصرة، وإنها تكون عند جمع الأولين والآخرين بشهادة الأشهاد للرسل بالتبليغ، وعلى الكفرة بالتكذيب، وهم الملائكة والمؤمنون من أمة محمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾.

---

(١) روح البيان.

وقرأ الجمهور: ﴿يَقُومُ﴾ بالياء، وابن هرمز وإسماعيل والمنقري عن أبي عمرو: بتاء تأنيث الجماعة. ذكره أبو حيان. قال الزجاج: الأشهاد: جمع شاهد مثل: صاحب وأصحاب. قال النحاس: ليس لباب فاعل أن يجمع على أفعال، ولكن ما جاء منه مسموعاً أدي على ما سمع و لا يقاس عليه، فهو على هذا جمع شهيد مثل: شريف وأشراف.

والمعنى[1]: أي إنا لنجعل رسلنا هم الغالبين لأعدائهم، القاهرين لهم، وننصر معهم من آمن بهم في الحياة الدنيا، إما بإعلائهم على من كذبوهم كما فعلنا بداود وسليمان فأعطيناهما من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر، وكما فعلنا بمحمد ﷺ بإظهاره على من كذبه من قومه، وإما بانتقامنا ممن حادهم وشاقهم بإهلاكهم وإنجاء الرسل، كما فعلنا بنوح وقومه، من إغراقهم وإنجائه، وكما فعلنا بموسى وفرعون وقومه، إذ أهلكناهم غرقاً ونجينا موسى ومن آمن معه من بني إسرائيل، وإما بانتقامنا منهم بعد وفاة رسلنا، كما نصرنا شعيباً بعد مهلكِه، بتسليطنا على من قَتلهُ مَنْ سلطنا حتى انتصرنا بهم ممن قَتله.

وكذلك ننصرهم عليهم يوم القيامة يوم يقوم الأشهاد من الملائكة والأنبياء والمؤمنين على الأمم المكذبة لرسلها بالشهادة، بأن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم، وأن الأمم قد كذبتهم، فيجازيهم الله بأعمالهم، فيدخلهم الجنة ويكرمهم بكراماته، ويجازي الكفار بأعمالهم، فيلعنهم ويدخلهم النار، وهو معنى قوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ بدل من اليوم الأول، والمعذرة: مصدر ميمي بمعنى العذر؛ أي: يوم لا ينفع الظالمين عذرهم عن كفرهم لو اعتذروا في بعض الأوقات؛ لأن معذرتهم باطلة، فيقال لهم: اخسؤُوا ولا تكلمون، ويجوز أن يكون عدم نفع المعذرة لأنه لا يؤذن لهم فيعتذرون، فيكون من نفي المقيد والقيد لا معذرة ولا نفع يومئذ، وفي «عرائس البيان» ظلمهم عدولهم عن الحق إلى الخلق، واعتذارهم في الآخرة لا في الدنيا.

وقرأ الجمهور: ﴿تنفع﴾ بالفوقية، وقرأنافع والكوفيون بالتحتية، والكل جائز

---

(١) المراغي.

في اللغة. ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾؛ أي: البعد عن الرحمة ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾؛ أي: الدار السيء، والمقر الفظيع، وهي جهنم بخلاف المؤمنين العارفين، فإنهم تنفعهم معذرتهم لتنصلهم، فلهم من الله الرحمة ولهم حسن الدار، وإنما قال: ﴿سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[1]: فإن جهنم حرها شديد، وقعرها بعيد، وحليها حديد، وشرابها صديد، وكلامها هل من مزيد، وأسوأ الظالمين المشركون كما قال تعالى حكايةً عن لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ وأسوأ المشركين المنافقون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ لاستهزائهم بالمؤمنين.

فليحذر العاقل عن الظلم سواء كان لنفسه بالإشراك والمعصية، أو لغيره بكسر العرض وأخذ المال ونحوهما، وليتذكر الإنسان يوماً يقول فيه الظالمون: ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾. وروي أن أهل النار يبكون بكاءً شديداً حتى الدم، فيقول مالك: ما أحسن هذا البكاء لو كان في الدنيا.

فعلم: أنه لا تنفع المعذرة والبكاء في الآخرة، فليتدارك العاقل تقصيره في الدنيا بالندامة والصلاح والتقوى، ليستريح في الآخرة، ويصل إلى الدرجات العلى، مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، فمن أراد اللحوق بزمرتهم فليكن على حالهم وسيرتهم، فإن الله ينصرهم في دنياهم وآخرتهم، فإن طاعة الله وطاعة الرسول توصل العبد إلى المراد وإلى حيز القبول.

والمعنى[2]: أي إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا يوم لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم، لأنهم لا يعتذرون إلا بباطل، كما حكى سبحانه عنهم من قولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ ﴿وَلَهُمُ﴾ في هذا اليوم طرد من رحمة الله تعالى، ولهم شر ما في الآخرة من العذاب الأليم، والقرار في سواء الجحيم.

ولما بين سبحانه أنه ينصر الأنبياء والمرسلين في الدنيا والآخرة.. ذكر نوعاً

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

من تلك النصرة في الدنيا فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾؛ أي: وعزتي وجلالي فقد أعطينا بمحض فضلنا ﴿مُوسَى﴾ بن عمران ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾؛ أي: ما يهتدي به من الضلالة إلى الحق من المعجزات والصحف والشرائع والتوراة ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: وأبقينا في بني إسرائيل من بعد موت موسى من الهدى المذكور ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: التوراة فإن معجزاته انقرضت بموته.

والإيراث[1]: ميراث الدين، والمراد بالكتاب: التوراة، ولما كان الإيراث الحقيقي إنما يتعلق بالمال.. تعذّر حمله على معناه هنا، فأريد به الترك مجازاً، إشعاراً بأن ميراث الأنبياء ليس إلا العلم والكتاب في باب الدين.

والمعنى: وتركنا عليهم من بعد موسى التوراة، إذ سائر ما اهتدى به في أمر الدين قد ارتفع بموت موسى عليه السلام، وبقيت فيهم التوراة، وتوارثوها خلفاً عن سلف، وقرناً بعد قرن، وقيل: المراد بالكتاب سائر الكتب المنزلة على أنبياء بني إسرائيل بعد موت موسى من الزبور والإنجيل.

وقوله: ﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ﴾: منصوبان على أنه مفعولان لأجله؛ أي: أورثناهم الكتاب لأجل هدايتهم من الضلالة إلى الحق، ولأجل البيان لهم أحكام شريعتهم وعظةً وتذكرةً ﴿لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾؛ أي: لأصحاب العقول السليمة، العاملين بما في تضاعيف ذلك الكتاب دون الذين لا يعقلون، أو حالان من ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ على أنهما مصدران بمعنى اسم الفاعل؛ أي: أبقينا فيهم الكتاب حال كونه هادياً لهم من الضلالة والجهالة، وحال كونه مذكراً وواعظاً لأصحاب العقول الكاملة منهم.

والفرق بين الهدى والذكر[2]: أن الهدى ما يكون دليلاً على شيء آخر، وليس من شرطه أن يذكر شيئاً آخر كان معلوماً ثم صار منسياً، وأما الذكرى فليس من ذلك، وكتب الأنبياء مشتملة على هذين القسمين، فإن بعضها دلائل في أنفسها، وبعضها مذكرات لما ورد في الكتب الإلهية المتقدمة.

والمعنى[3]: أي ولقد أعطينا موسى من المعجزات والشرائع ما يهتدي به

---

(١) روح البيان. (٢) روح البيان. (٣) المراغي.

الناس في الدنيا والآخرة، وأنزلنا عليه التوراة هدى لقومه، فتوارثوها خلفاً عن سلف، وصارت هدايةً لهم، وتذكرةً لأصحاب العقول السليمة، التي بعدت من شوائب التقليد والوهم.

وبعد أن بين سبحانه أنه ينصر رسله والمؤمنين، وضرب لذلك مثلاً بحال موسى.. خاطب نبيه محمداً ﷺ بقوله: ﴿فَٱصْبِرْ﴾ وهذا كلام مرتب على قوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾ إلخ جملة معترضة سيقت للبيان والتأكيد لنصرة الرسل، و﴿الفاء﴾ فيه: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا سمعت يا محمد ما وعدت به من نصرة الرسل، وما فعلناه بموسى، وأردت بيان ما هو اللازم لك.. فأقول لك: اصبر على ما أصابك من أذية المشركين، فهو غير منسوخ بآية السيف، إذ الصبر محمود في كل المواطن، وقال الكلبي: نسخ هذا بآية السيف ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ سبحانه إياك بالنصرة، وظهور الإسلام على الأديان كلها، وفتح مكة ونحوها ﴿حَقٌّ﴾ لا يحتمل الإخلاف أصلاً، واستشهد بحال موسى وفرعون ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ تداركاً لما فرط منك من ترك الأولى في بعض الأحيان، فإنه تعالى كافيك في نصرة دينك وإظهاره على الدين كله، وفي «عين المعاني»: واستغفر من ذنب إن كان منك، وقيل: هذا تعبد من الله لرسوله؛ ليزيد به درجة، لأنه قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، أو ليصير ذلك سنة لمن بعده، وفي «عرائس البقلي»: واستغفر لما جرى على قلبك من أحكام البشرية. اهـ. وقيل: المراد ذنب أمتك، فهو على حذف مضاف. وقيل المراد: الصغائر عند من يجوزها على الأنبياء. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾؛ أي: ودم على اعتقاد تنزيه ربك عن كل ما لا يليق به، حال كونك متلبساً بحمده بلسانك، أو المعنى: دم على قولك: سبحانه الله وبحمده ﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾؛ أي: في آخر النهار وأوله. وقيل المراد: صل في الوقتين: صلاة العصر وصلاة الفجر: قاله الحسن وقتادة، وقيل: هما صلاتان: ركعتان غدوة وركعتان عشية، وذلك قبل أن تفرض الصلوات الخمس.

فالمقصود من ذكر العشي والإبكار: الدلالة على المداومة عليهما في جميع الأوقات، بناءً على أن الإبكار عبارة: عن أول النهار إلى نصفه، والعشي عبارة: عن نصف النهار إلى أول النهار من اليوم الثاني، فيدخل فيهما كل الأوقات.

والمعنى[1]: أي فاصبر أيها الرسول لأمر ربك، وبلغ قومك ومن أمرت بإبلاغه ما أنزل إليك، وأيقن بأن الله منجز وعده، وناصرك وناصر من صدقك وآمن بك على من كذبك، وأنكر ما جئت به من عند ربك، وسل غفران ذنبك وعفوه عنك، وصلّ شكراً له طرفي النهار كما جاء في الآية الأخرى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾.

وقد يكون المراد من ذلك المواظبة على ذكر الله، وأن لا يفتر اللسان عنه، ولا يغفل القلب، حتى يدخل في زمرة الملائكة الذين قال سبحانه في وصفهم: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

ولما ابتدأ سبحانه بالرد على الذين يجادلون في آيات الله، واتصل الكلام بعضه ببعض، على النسق المتقدم.. نبه هنا إلى السبب الذي يحملهم على تلك المجادلة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ ويخاصمون ﴿فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ سبحانه ويجحدون بها ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ وحجة قاهرة ﴿أَتَىٰهُمْ﴾ في ذلك من جهته تعالى؛ أي: جادلوا في ردها بغير حجة ظاهرة واضحة جاءتهم من جهته تعالى، وتقييد[2] المجادلة بذلك مع استحالة إتيانه؛ للإيذان بأن التكلم في أمر الدين لا بد من استناده إلى سلطان مبين البتة ﴿إِنَّ﴾: نافية ﴿فِى صُدُورِهِمْ﴾؛ أي: في قلوبهم، عبر بالصدر عن القلب؛ لكونه موضع القلب ﴿إِلَّا كِبْرٌ﴾ وحسد، وفي الحصر إشعار بأن قلوبهم قد خلت عن كل شيء سوى الكبر؛ أي: ما في قلوبهم إلا تكبر عن الحق، وتعظم عن التكبر والتعليم، أو إلا إرادة الرياسة والتقدم على النبي والمؤمنين، أو إلا إرادة أن تكون النبوة لهم دونك يا محمد، حسداً وبغياً، ولذلك يجادلون فيها، لأن فيها موقع جدال ما، أو أن لهم شيئاً يتوهم أن يصلح مداراً لمجادلتهم في الجملة، واعتبرت الإرادة في هذين الوجهين؛ لأن نفي الرياسة والنبوة ليستا في قلوبهم. وجملة قوله: ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾: صفة ﴿كِبْرٌ﴾ فالضمير راجع إلى الكبر، بتقدير مضاف؛ أي: ما هم ببالغي مقتضى كبرهم، وهو دفع الآيات، فإني أنشر أنوارها في الآفاق، وأعلي قدرك، أو ما هم بمدركي مقتضى ذلك الكبر، وهو ما أرادوه من الرياسة والنبوة، وقال ابن قتيبة: المعنى: إن

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

في صدورهم إلا كبر؛ أي: تكبر على محمد ﷺ، وطمع أن يغلبوه وما هم ببالغي ذلك.

والمعنى[1]: أي إن الذين يخاصمونك أيها الرسول فيما أتيتهم به من عند ربك من الآيات بغير حجة، وهم المشركون أو اليهود، ما يحملهم على هذا الجدال إلا كبر في صدورهم يمنعهم عن اتباعك، وعن قبول الحق الذي جئتهم به، إذ لو سلموا بنبوّتك.. لزمهم أن يكونوا تحت لوائك، وطوع أمرك ونهيك، لأن النبوة ملك ورياسة، وهم في صدورهم كبر لا يرضون معه أن يكونوا في خدمتك، وما هم ببالغي موجب الكبر، وهو دفع الرياسة والنبوة عنك، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وليس ذلك بالذي يدرك بالأماني.

والخلاصة: أنه ما يحملهم على تكذيبك إلا ما في صدورهم من الكبر والحسد لك، وما هم ببالغي إرادتهم فيه، فإن الله قد أذلّهم.

قال المفسرون: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ﴾ الآية، وإن نزل في مشركي مكة، لكنه عام لكل مجادل مبطل، فإن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب.

ثم أمر رسوله أن يستعيذ من هؤلاء المجادلين المستكبرين، فيقيه من أذاهم وشرهم، ويكلؤه ويحفظه منهم، فقال: ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾ يا محمد ﴿بِٱللَّهِ﴾ سبحانه والتجىء إليه من شرهم وكيدهم وبَغيهِمْ عليك، واطلب السلامة منه من كيد كل من يحسدك ويبغي عليك ﴿إِنَّهُۥ﴾ سبحانه ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ لأفعالهم، لا تخفى عليه من ذلك خافية.

وقيل[2]: المجادلون هم اليهود كما مرت الإشارة إليه، وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ: لست صاحبنا المذكور في التوراة، بل هو المسيح بن داود، يريدون أن الدجال يخرج في آخر الزمان، ويبلغ سلطانه البر والبحر، وتسير معه الأنهار، وهو آية من آيات الله تعالى، فيرجع إلينا الملك، فسمى الله تمنيهم ذلك كبراً، ونفى أن يبلغوا متمنّاهم، فإن الدجال وإن كان يخرج في آخر الزمان، لكنه

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.

ومن تبعه من اليهود يقتلهم عيسى والمؤمنون، بحيث لا ينجو منهم واحد، فمعنى قوله: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: من فتنة الدجال، فإنه ليس فتنة أعظم من فتنة الدجال.

وقوله: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تحقيق للحق وتبيين لأشهر ما يجادلون فيه، وهو أمر البعث؛ أي: لخلق السموات والأرض ابتداءً من غير مثال سابق مع عظمهن ﴿أَكْبَرُ﴾؛ أي: أعظم في النفوس، وأجل في الصدور ﴿مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ مرةً ثانيةً، وهي الإعادة لعظم أجرامهما واستقرارهما من غير عمد وجريان الأفلاك بالكواكب من غير سبب، فمن قدر على خلق الأعظم الأقوى بلا أصل ولا مادة.. وجب أن يقدر على خلق الأذل الأضعف من الأصل والمادة بطريق الأولى، فكيف يقرون بأن الله خلق السموات والأرض، وينكرون الخلق الجديد يوم البعث؟ وقد جرت العادة في مزاولة الأفعال أن علاج الشيء الكبير أشقّ من علاج الشيء الصغير، فمن قدر على ذلك.. قدر على ما دونه، كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ وقال أيضاً: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنّ الإعادة أهون من البداية، لقصورهم في النظر والتأمل، لفرط غفلتهم واتباعهم لأهوائهم؛ أي: ولكن هؤلاء المشركين لا يتدبّرون هذه الحجة ولا يتأملونها، ولا يعلمون أنّ الله سبحانه لا يعجزه شيء.

قال أبو العالية: المعنى: لخلق السموات والأرض أعظم من خلق الدجال حين عظّمته اليهود، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، يعني اليهود الذين يخاصمون في أمر الدجال.

فصل في ذكر الأحاديث الواردة في الدجال

وعن هشام بن عروة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة، خلق أكبر من الدجال» أخرجه مسلم، معناه: أكبر فتنةً، وأعظم شوكة من الدجال.

وعن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن النبي ﷺ ذكر الدجال فقال: «إنه

أعور العين اليمنى، كأنها عنبة طافية» متفق عليه. ولأبي داود والترمذي عنه قال: قام النبي ﷺ في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: إني أنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذر قومه، لقد أنذر نوح قومه، لكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، تعلمون أنه أعور، وأنّ الله ليس بأعور.

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر» متفق عليه. وفي رواية لمسلم: «بين عينيه كافر، ثم تهجّي ك ف ر، يقرؤه كل مسلم».

وعن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت: كان رسول الله ﷺ في بيتي، فذكر الدجال فقال: «إن بين يديه ثلاث سنين: سنة تمسك السماء ثلث قطرها، والأرض ثلث نباتها، والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها، والأرض ثلثي نباتها، والثالث تمسك السماء قطرها، والأرض نباتها كله، فلا تبقى ذات ظلف ولا ضرس من البهائم إلا هلكت، ومن أشد فتنته أنه يأتي الأعرابي فيقول: أرأيت إن أحييت لك إبلك، ألست تعلم أني ربك، قال: فيقول: بلى، فيتمثل له الشيطان نحو إبله كأحسن ما تكون ضروعاً، وأعظمه أسمنةً، ويأتي الرجل قد مات أخوه ومات أبوه، فيقول: أرأيت إن أحييت لك أخاك وأباك.. ألست تعلم أني ربك، فيقول: بلى، فيتمثل له الشيطان نحو أخيه ونحو أبيه» قالت: ثم خرج رسول الله ﷺ لحاجته ثم رجع والقوم في اهتمام وغمّ مما حدّثهم، قالت: وأخذ بلحمتي الباب فقال: «مه يا أسماء» فقلت: يا رسول الله، لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال، قال: «إن يخرج وأنا حي.. فأنا حجيجُه، وإلا فإن ربي خليفتي على كل مؤمن» قالت أسماء: فقلت: يا رسول الله، والله. إنا لنعجن عجيناً فما نخبزه حتى نجوع، فكيف بالمؤمنين يومئذ؟ قال: «يجزيهم ما يجزي أهل السماء من التسبيح والتقديس» وفي رواية عنها قالت: قال النبي ﷺ: «يمكث الدجّال في الأرض أربعين سنةً، السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كاضطرام السعفة في النار» هذا حديث أخرجه البغوي بسنده، والذي جاء في «صحيح مسلم» قال: قلنا: يا رسول الله، ما لبثه في الأرض قال: «أربعون يوماً، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم هذه» قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم كسنة، أتكفينا صلاة يوم، قال: «لا، أقدروا

له قدرة» قلنا: يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض، قال: «كالغيث استدبرته الريح» وفي رواية أبي داود عنه: «فمن أدركه منكم.. فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، فإنها جواركم من فتنته» وفيه: «ثم ينزل عيسى عليه السلام عند المنارة البيضاء، شرقي دمشق، فيدركه عند باب لد فيقتله».

وعن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن مع الدجال إذا خرج ماءً وناراً، فأما الذي يرى الناس أنه نار.. فماء بارد، والذي يرى الناس أنه ماء فنار محرقة، فمن أدرك ذلك منكم.. فليقع في الذي يرى أنه نار، فإنه ماء عذب بارد». متفق عليه.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أحدّثكم حديثاً عن الدجال ما حدَّث به نبي قومه، إنه أعور، وإنه يجيء بمثال الجنة والنار، فالتي يقول: إنها الجنة هي النار، وإني أنذركم كما أنذر نوح قومه». متفق عليه.

وعن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ قال: ما سأل أحد رسول الله ﷺ عن الدجال ما سألته، وإنه قال لي: «ما يضرّك» قلت: إنهم يقولون: إن معه جبل خبز ونهر وماء، قال: «هو أهون على الله من ذلك». متفق عليه. وسيأتي تفسير هذه الجملة الأخيرة إن شاء الله تعالى.

وعن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من سمع الدجال.. فلينأ منه، فوالله إنّ الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات» أو قال: «لما يبعث به من الشبهات» أخرجه أبو داود.

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس نقب من نقابها إلا عليه الملائكة صافّين يحرسونها، فينزل السبخة، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل كافر ومنافق» متفق عليه.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة، حتى ينزل مدبر أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهناك يهلك» أخرجه مسلم.

وعن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال:

«الدجال يخرج بأرض بالمشرق، يقال لها: خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة» أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً، عليهم الطيالسة» أخرجه مسلم.

وعن مجمع بن جارية الأنصاري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقتل ابن مريم الدجال بباب لد» أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وقال النواوي ـ رحمه الله تعالى ـ: قال القاضي عياض: هذه الأحاديث التي وردت في قصة الدجال حجة للمذاهب الحق في صحة وجوده، وأنه شخص بعينه عورٌ، ابتلى الله تعالى به عباده، فأقدره على أشياء من المقدورات، من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا، والخصب معه وجنته وناره، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، ويقع كل ذلك بقدرة الله تعالى وفتنته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك، فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويبطل أمره، ويقتله عيسى بن مريم عليه السلام، ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء، خلافاً لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة، وخلافاً للجبائي المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم، في أنه صحيح الوجود، ولكن الأشياء التي يأتي بها زعموا أنها مخاريق وخيالات لا حقائق لها، وزعموا أنها لو كانت حقاً.. لضاهت معجزات الأنبياء، وهذا غلط من جميعهم؛ لأنه لم يدّع النبوة، فيكون ما معه كالتصديق له، وإنما يدعي الربوبية، وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله، ووجود دلائل الحدوث فيه، ونقص صورته، وعجزه عن إزالة العور الذي في عينه، وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه، ولهذا الدلائل لا يغترّ بها إلا عوام من الناس لشدة الحاجة والفاقة، رغبةً في سد الرمق، أو خوفاً من فتنته، لأنّ فتنته عظيمةٌ جداً، تدهش العقول وتحير الألباب، ولهذا حذّرت الأنبياء من فتنته، فأما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون بما معه؛ لما سبق لهم من العلم بحاله، ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه: ما ازددت فيك إلا بصيرةً.

قوله في حديث المغيرة بن شعبة: قلت يا رسول الله: إنهم يقولون: إنّ معه

جبل خبز ونهر ماء، قال: «هو أهون على الله من ذلك» معناه: هذا أهون على الله تعالى من أن يجعل ما خلقه الله عزّ وجل على يده مضلاً للمؤمنين، ومشككاً لقلوبهم، بل إنما جعله الله له ليزداد الذين آمنوا إيماناً، وتثبت الحجة على الكافرين والمنافقين، وليس معناه: أنه ليس معه شيء من ذلك، لأنه ثبت في الحديث أنَّ معه ماءً وناراً، فماؤه نار، وناره ماء بارد. والله سبحانه وتعالى أعلم. انتهى من «الخازن».

ولمّا ذكر سبحانه الجدال بالباطل.. ذكر مثالاً للباطل والحق، وأنهما لا يستويان، فقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ﴾؛ أي: المشرك الجاهل الغافل ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾؛ أي: الموحد العالم المستبصر، والمراد بالأعمى: من عمي قلبه عن رؤية الآيات والاستدلال بها، والبصير: من أبصرها، قال الشاعر:

أَيُّهَا ٱلْمُنْكِحَ ٱلثُّرَيَّا سُهَيْلاً عَمْرُكَ ٱللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا ٱسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا ٱسْتَقَلَّ يَمَانِي

أي: فكما لا تساوي بينهما فكذلك لا تساوي بين المؤمن والكافر، والعالم والجاهل، وقدَّم الأعمى على البصير في نفي التساوي؛ لمناسبة ما قبله من نفي النظر والتأمل، وفي «السمين»: وقدم الأعمى مع كونه أخسّ الوصفين؛ لمجيئه بعد صفة الذم في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿و﴾ ما يستوي ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله ورسوله ﴿وَعَمِلُواْ﴾ الأعمال ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وقدمهم على المسيء لمجاورة البصير ولشرفهم عليه ﴿وَلَا ٱلْمُسِيٓءُ﴾؛ أي: ولا الذين كفروا بالله ورسوله وعملوا السيئات، والمسيء[1]: اسم جنس يعم المسيئين.

والمعنى: وما يستوي المحسن والمسيء؛ أي: الصالح والطالح، فلا بد أن يكون لهم حالة أخرى، يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت، وهي فيما بعد البعث وهو احتجاج آخر على حقيقة البعث والجزاء، وزيادة ﴿لَا﴾ في المسيء؛ لتأكيد النفي لطول الكلام بالصلة بعد قسم المؤمنين، ولأنّ المقصود نفي مساواته للمحسن، لأنه كما لا يساوي المحسن المسيء فيما يستحقه المسيء من المهانة

(١) روح البيان.

والحقارة، كذلك لا يساوي المسيء المحسن فيما يستحقه المحسن من الفضل والكرامة.

والعاطف في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ عطف الموصول بما عطف عليه على الأعمى والبصير، مع أنَّ المجموع؛ أي: مجموع الغافل والمستبصر هو مجموع المسيء والمحسن، لتغاير الوصفين؛ يعني: أن المقصود في الأولين إلى العلم، فإن العمى والبصيرة في القلب، وفي الأخيرين إلى العمل، لأن الإيمان والأعمال في الجوارح، وإلا ففي الحقيقة المراد بالبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات واحد، وبالأعمى والمسيىء واحد، ويجوز أن يراد الدلالة بالصراحة والتمثيل على أن يتحد الوصفان في المقصود، بأن يكون المراد بالأولين أيضاً: المحسن والمسيىء، فالصراحة بالنسبة إلى الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمسيء، والتمثيل بالنسبة إلى ما قبله، فإن الأعمى والبصير من قبيل التمثيل. ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿مَّا﴾: زائدة لتأكيد معنى القلة، و﴿قَلِيلًا﴾: مفعول مطلق على أنه صفة لموصوف محذوف؛ أي: تتذكرون تذكراً قليلاً أيها الكفار المجادلون؛ يعني: وإن كنتم تعلمون أن التبصر خير من الغفلة، ولا يستويان، وكذا العمل الصالح خير من العمل الفاسد، لكنكم لا تتذكرون إلا تذكراً قليلاً، أو لا تتذكرون أصلاً، فإنه قد يعبّر بقلة الشيء عن عدمه، مثل: أن يقال: فلان قليل الحياء، أي: لا حياء له.

وقرأ الجمهور والأعرج والحسن وأبو جعفر وشيبة[1]: ﴿يتذكرون﴾ بالتحتية على الغيبة، واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم للمناسبة؛ لأنّ ما قبلها وما بعدها على الغيبة لا على الخطاب، وقرأ قتادة وطلحة وأبو عبد الرحمن وعيسى والكوفيون ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ بالفوقية على الخطاب بطريقة الالتفات، وفائدة الالتفات في مقام التوبيخ: هو إظهار العنف الشديد، والإنكار البليغ. كما سيأتي في مبحث البلاغة إن شاء الله تعالى.

ومعنى الآية[2]: أي وما يستوي الكافر الذي لا يتأمل حجج الله بعينيه، فيتدبرها ويعتبر بها، فيعلم وحدانيته، وقدرته على خلق ما يشاء، ويؤمن بذلك ويصدق به، والمؤمن الذي يرى بعينيه تلك الحجج فيتفكّر فيها ويتعظ بها، ويعلم ما

---

(١) البحر المحيط.
(٢) المراغي.

تدل عليه من توحيده، وعظيم سلطانه، وقدرته على خلق الأشياء جميعها، صغيرها وكبيرها، وقد ضرب لهما مثل الأعمى والبصير، ليستبين ذلك الفارق على أتم وجه وأعظم تفصيل، فما الأمثال إلا وسائل للإيضاح، تبيّن للناس المعقولات وهي لابسة ثوب المحسوسات، فيتضح ما أنْبَهَم منها، وخفي من أمرها، كما قال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ إلخ؛ أي: وكذلك لا يستوي المؤمنون المطيعون لربهم، والعاصون المخالفون لأمره، ونحو الآية قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: ما أقل ما تتذكرون حجج الله، فتعتبرون بها وتتعظون، ولو تذكرتم واعتبرتم.. لعرفتم خطأ ما أنتم عليه مقيمون، من إنكاركم قدرة الله على إحياء من فني من خلقه، وإعادته لحياة أخرى غير هذه الحياة.

ولمّا قرّر الدليل على إمكان وجود يوم القيامة والبعث والنشر.. أردفه الإخبار بأنه واقع لا محالة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾؛ أي: إنّ القيامة، ومر وجه التسمية بها مراراً ﴿لَءَاتِيَةٌ﴾ أكّد؛ باللام[1] لأنّ المخاطبين هم الكفار، وجرّد في سورة طه حيث قال: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾؛ لكون المخبَر ليس بشاك في الخبر. كذا في «برهان القرآن» ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾؛ أي: لا شك في مجيئها لوضوح شواهدها، ومنها ما ذكر بقوله: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾ إلخ. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾؛ يعني الكفار ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: لا يصدقون بها لقصور أنظارهم على الظواهر، وقوة الفهم بالمحسوسات، وهذا الكفر والتكذيب طبيعة النفوس، إلا من عصمه الله تعالى، ونظر إلى قلبه بنظر العناية.

والمعنى[2]: أي إن يوم القيامة الذي يحيي الله فيه الموتى للثواب والعقاب لآت لا شك فيه، فأيقنوا بمجيئه، وإنكم مبعوثون من بعد مماتكم، ومجازون بأعمالكم، فتوبوا إلى ربكم، واشكروا له جزيل إنعامه، ليدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها أبداً، وفيها ترون ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

على قلب بشر، ولكن أكثر الناس لا يصدقون بمجيئه، ومن ثم ركبوا رؤوسهم، وعاثوا في الأرض فساداً، واجترحوا السيئات دون خوف الرقيب الحسيب.

ثمّ لما بيّن سبحانه أنّ قيام الساعة حق لا شك فيه ولا شبهة.. أرشد عباده إلى ما هو الوسيلة إلى السعادة في دار الخلود، فأمر رسوله ﷺ أن يحكي عنه ما أمره بإبلاغه، وهو قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ﴾ أيها الناس ﴿ادْعُونِي﴾؛ أي: وحّدوني واعبدوني ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾؛ أي: أثبكم بقرينة قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾؛ أي: يتعظمون عن طاعتي أو توحيدي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ﴾ يوم القيامة حال كونهم ﴿دَاخِرِينَ﴾؛ أي: صاغرين ذليلين، ﴿وإن﴾: فسر الدعاء بالسؤال بجلب النفع، ودفع الضر كان الاستبكار الصارف عنه منزّلاً منزلة الاستكبار عن العبادة، فأقيم الثاني مقام الأول للمبالغة، أو المراد بالعبادة: الدعاء، فإنه من أفضل أبوابها، فأطلق العام على الخاص، ففيه مجاز مرسل، والأول[1] أولى؛ لأنّ الدعاء في أكثر استعمالات الكتاب العزيز هو العبادة.

قلت: بل الثاني أولى؛ لأن معنى الدعاء لغةً وشرعاً هو الطلب، فإن استعمل في غير ذلك.. فهو مجاز.

وعن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «الدعاء هو العبادة» ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾، أخرجه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يسأل الله.. يغضب عليه». أخرجه الترمذي، وقال: حديث غريب.

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «الدعاء مخ العبادة» أخرجه الترمذي.

وعنه عن النبي ﷺ قال: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء» أخرجه الترمذي، وقال: حديث غريب.

فإن قلت[2]: كيف قال سبحانه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وقد يدعو الإنسان

---

(١) الشوكاني. (٢) الخازن.

كثيراً فلا يستجاب له.

قلت: الدعاء له شروط: منها: الإخلاص في الدعاء، وأن لا يدعو وقلبه لاهٍ مشغول بغير الدعاء، وأن يكون المطلوب بالدعاء مصلحةً للإنسان، وأن لا يكون فيه قطيعة رحم، فإذا كان الدعاء بهذه الشروط.. كان حقيقاً بالإجابة، فإما أن يعجّلها، وإما أن يؤخّرها له، يدل له ما روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء.. إلا استجيب له، فإما أن يعجّل له به في الدنيا، وإما أن يدّخر له في الآخرة، وإما أن يكفّر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل» قالوا: يا رسول الله، وكيف يستعجل؟ قال: «يقول: دعوت ربي فما استجاب لي» أخرجه الترمذي، وقال: حديث غريب.

يقال: ادعوني بلا غفلة أستجب لكم بلا مهلة، ادعوني بلا خفاء استجب لكم بالوفاء، ادعوني بلا خطأ استجب لكم بالعطاء، ادعوني بشرط الدعاء، وهو الأكل من الحلال. قيل: الدعاء مفتاح الحاجة، وأسنانه لقمة الحلال، وقوله: ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ وعيد شديد لمن استكبر عن دعاء الله تعالى، وفيه لطفٌ بعباده عظيم، وإحسان إليهم جليل، حيث توعّد من ترك طلب الخير منه، واستدفاع الشرِّ به بهذا الوعيد البالغ، وعاقبه بهذه العقوبة العظيمة.

وقيل: هذا الوعد بالإجابة مقيّد بالمشيئة؛ أي: أستجب لكم إن شئت، كقوله تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾؛ أي: الله، وقرأ الجمهور والحسن وشيبة[1]: ﴿سَيَدْخُلُونَ﴾ مبنياً للفاعل، وقرأ زيد بن علي بن وابن كثير وابن محيصن وورش وأبو جعفر: ﴿سيُدخلون﴾ بضم الياء وفتح الخاء مبنياً للمفعول، واختلف عن عاصم وأبي عمرو.

فيا عباد الله، وجّهوا رغباتكم، وعوّلوا في كل طلباتكم على من أمركم، بتوجيهها إليه، وأرشدكم إلى التوكل عليه، وكفل لكم الإجابة بإعطاء مطالبكم، وحصول رغباتكم، فهو الكريم الجواد، الذي يجيب دعوة الداعي إذا دعاه،

---

(١) البحر المحيط.

ويغضب على من لم يطلب من فضله العظيم، وملكه الواسع ما يحتاج إليه من أمور الدين والدنيا.

ولما أمر بالدعاء والاشتغال به، لا بد أن يسبق بمعرفة المدعو.. ذكر الدليل عليه بذكر بعض نعمه، فقال: ﴿ٱللَّهُ﴾ الذي أمرتم بالدعاء له، واللجوء إليه هو ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ﴾؛ أي: خلق لمصالحكم ﴿ٱلَّيۡلَ﴾ مظلماً ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ من الحركات في طلب الكسب، ولتستريحوا فيه من تعب النهار، فإن الليل لكونه بارداً رطباً، تضعف فيه القوى المحرّكة، ولكونه مظلماً، يؤدّي إلى سكون الحواسّ، فتستريح النفس والقوى والحواس بقلة أشغالها وأعمالها والنوم ﴿و﴾ جعل لكم ﴿النهار مبصراً﴾؛ أي: مضيئاً لتبصروا فيه حوائجكم، وتتصرّفوا في طلب معايشكم؛ أي: مبصراً فيه أو به، يعني: يبصر به المبصرون الأشياء، ولكونه حارًّا يقوّي الحركات في اكتساب المعاش، فإسناد الإبصار إلى النهار مجاز فيه مبالغة، ولقصد المبالغة عدل به عن التعليل إلى الحال، بأن قال: ﴿مُبۡصِرًاۚ﴾ دون لتبصروا فيه أو به؛ يعني: أنّ نفس النهار لما جُعِلَ مبصراً.. فُهم أنّ النهار لكمال سببيّته للإبصار، وكثرة آثار القوة الباصرة، جعل كأنه هو المبصر.

فإن قيل[1]: فلِمَ لَمْ يَسْلك في الليل سبيل المبالغة؟.

قلنا: لأنّ نعمة النهار لشبهها بالحياة أتمّ وأولى من نعمة الليل، التي تشبه الموت، فكانت أحق بالمبالغة، إذ المقام مقام الامتنان، ولأنّ الليل يوصف بالسكون؛ لسكون هوائه وصفاً مجازياً متعارفاً، فسلوك سبيل المبالغة فيه يرفع الاشتباه، كما أشير إليه في «الكشاف».

ثمّ إذا حملت الآية على الاحتباك كما جرينا عليه أولاً.. فقيل: التقدير حينئذ: الله الذي جعل لكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه، والنهار مبصراً لتنتشروا فيه، ولتبتغوا من فضله، فحذف من الأول بقرينة الثاني، ومن الثاني بقرينة الأول لم يحتج إلى ما ذكر كذا أفاده سعدي المفتي.

والمعنى[2]: أي إنّ الله الذي لا تصلح الألوهية إلا له، ولا تنبغي العبادة

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

لغيره، وهو الذي جعل الليل للسكون والاستراحة من الحركة، والتردّد في طلب المعاش، والحصول على ما يفي بحاجات الحياة، وجعل النهار مضيئاً بشمسه. ذات البهجة والرواء، لتتصرفوا فيه بالأسفار، وجوب الأقطار، والتمكن من مزاولة الصناعات، ومختلف التجارات، وصنوف الزراعات والحراثات.

ثمّ ذكر نتيجة لما تقدم فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿لَذُو فَضْلٍ﴾ عظيم، وإحسان قديم ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بخلق الليل والنهار لا يوازيه فضل، ولا يدانيه طول، فهو المتفضل عليهم بالنعم التي لا تحصى، ولا يمكن أن تستقصىٰ.

ثمّ بيّن أن كثيراً من عباده جحدوا هذه النعم، واستكبروا عن عبادة المنعم، فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم، ولا يعترفون بها، إما لجحودهم وكفرهم بها، كما هو شأن الكفّار، وإما لإهمالهم النظر، وغفلتهم عمّا يجب من شكر المنعم، كما هو حال الجاهلين، وتكرير ﴿ٱلنَّاسِ﴾[1]؛ لتنصيص تخصيص الكفران بهم، بإيقاعه على صريح اسمهم الظاهر، الموضوع موضع الضمير الدال على أنّ ذلك كان شأن الإنسان وخاصته في الغالب.

أي: لا يشكرون فضل الله وإحسانه، لجهلهم بالمنعم، وإغفالهم مواضع النعم؛ أي: رفعة شأنها، وعلوّ قدرها، وإذا فقدوا شيئاً منها.. يعرفون قدرها، مثل أن يتفق لبعض والعياذ بالله أن يحبسه بعض الظلمة في بئر عميق مظلم مدة مديدة، فإنه حينئذ يعرف قدر نعمة الهواء الصافي، وقدر نعمة الضوء.

ونحو الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

ثم بين كمال قدرته، المقتضية لوجوب توحيده، فقال: ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ المتفرّد بالأفعال المقتضية للألوهية والربوبية ﴿ٱللَّهُ﴾؛ أي: المعبود بالحق، المستحق منكم العبادة دون غيره ﴿رَبُّكُمْ﴾؛ أي: ما لككم ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من المخلوقات، علويّها وسُفليّها ﴿لَّآ إِلَٰهَ﴾؛ أي: لا معبود بحق في الوجود ﴿إِلَّا هُوَ﴾ سبحانه وتعالى، أخبار مترادفة، تخصّص السابقة منها اللاحقة وتقرّرها. قال في «كشف

---

(١) روح البيان.

الأسرار»: ﴿كُلِّ﴾ هنا بمعنى البعض، وقيل: عام خصّ منه ما لا يدخل في الخلق.

وقرأ الجمهور: ﴿خَٰلِقُ﴾ بالرفع على أنه خبر بعد الخبر الأول عن المبتدأ، وقرأ زيد بن علي ﴿خالق﴾ بفتح القاف بنصبه على الاختصاص، ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾؛ أي: فكيف تنقلبون أيها المشركون عن توحيده، ومن أيّ وجه تصرفون عن عبادته خاصة إلى عبادة غيره، وقرأ طلحة في رواية ﴿يؤفكون﴾ بياء الغيبة، والجمهور: ﴿تُؤْفَكُونَ﴾ بتاء الخطاب، وقال الراغب: قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾؛ أي: تصرفون من الحق في الاعتقاد إلى الباطل، ومن الصدق في المقال إلى الكذب، ومن الجميل في الفعل إلى القبيح، كما سيأتي.

ومعنى الآية: أي ذلكم الذي فعل كل هذا، وأنعم عليكم بهذه النعم هو الله الواحد الأحد، خالق جميع الأشياء، لا إله غيره، ولا ربّ سواه فكيف تنقلبون عن عبادته والإيمان به وحده، مع قيام البرهان الساطع، والدليل الواضح، وتعبدون غيره من الأصنام التي لا تخلق شيئاً، وهي مخلوقة منحوتة بأيديكم.

ثم ذكر أنّ هؤلاء ليسوا ببدع في الأمم قبلهم، بل قد سبقهم إلى هذا خلق كثير، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مثل ذلك الإفك العجيب، الذي لا وجه له ولا مصحّح له أصلاً؛ أي: كما صرف قومك وهم قريش عن الحق، وحرموا من التحلي به مع قيام الدلائل ﴿يُؤْفَكُ﴾ ويصرف عنه ﴿ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾؛ أي: يصرف عنه كل جاحد قبلهم أو بعدهم بآياته أيّ آية كانت، لا إفكاً آخر له وجه ومصحح في الجملة؛ أي: كما ضل هؤلاء بعبادة غير الله.. ضل وأفك الذين من قبلهم فعبدوا غيره بلا دليل ولا برهان، بل للجهل والهوى.

وبعد أن ذكر من الدلائل تعاقب الليل والنهار، ذكر منها خلق الأرض والسماء، فقال: ﴿ٱللَّهُ﴾ الذي يستحق منكم العبادة هو ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ وصير ﴿لَكُمُ﴾؛ أي: لمصالحكم وحوائجكم ﴿ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾؛ أي[1]: مستقراً. أي: موضع قرار ومكان ثبات وسكون، فإن القرار كما يجيء بمعنى الثبات والسكون،

---

(١) روح البيان.

ويجيء بمعنى ما قرّ فيه، وبمعنى المطمئن من الأرض. كما في «القاموس» قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿قَرَارًا﴾؛ أي: منزلاً في حال الحياة وبعد الممات ﴿و﴾ جعل ﴿السماء بناء﴾ قبةً مبينةً ومظلةً مرفوعة فوقكم، فالبناء بمعنى المبني، ومنه أبنية العرب لمضاربهم، لأن السماء في نظر العين كقبة مضروبة على فضاء الأرض. وفي «التأويلات النجمية»: خلق الأرض لكم استقلالا، ولغيركم طفيليًّا. وتبعاً، لتكون مقركم، والسماء أيضاً خلق لكم لتكون سقفكم، مستقلّين به، وغيركم تبع لكم فيه.

والمعنى[1]: أي الله الذي جعل لكم الأرض مستقراً تعيشون عليها، وتتصرّفون فيها، وتمشون في مناكبها، وجعل لكم السماء سقفاً محفوظاً مزيّناً بنجوم، ينشأ عنها الليل والنهار، والظلام والضياء.

وبعد أن ذكر دلائل الآفاق والأكوان.. ذكر دلائل الأنفس فقال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾ في الأرحام ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ من صور الدوابّ، ويقال: أحكم صوركم، ويقال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾؛ أي: أحدث صورتكم على غير نظام واحد ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ ولم يخلق الله تعالى حيواناً أحسن صورةً من الإنسان.

وهذا بيان لفضله المتعلق بأنفسهم، و﴿الفاء﴾[2]: في ﴿فَأَحْسَنَ﴾: تفسيرية، فإن الإحسان عين التصوير، كما في قوله ﷺ: «إن الله أدّبني فأحسن تأديبي» فإن الإحسان عين التأديب، فإن تأديب الله لمثله لا يكون إلا حسناً بل أحسن.

والمعنى: وصوّركم أحسن تصوير، حيث خلقكم منتصبي القامة، بادي البشرة، متناسبي الأعضاء والتخطيطات، متهيّئين لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: خلق ابن آدم قائماً معتدلاً، يأكل ويتناول بيده، وغير ابن آدم يتناول بفيه.

وقرأ الجمهور[3]: ﴿صُوَرَكُمْ﴾ بضم الصاد وفتح الواو، وقرأ الأعمش وأبو رزين: بكسرها؛ فراراً من الضمة قبل الواو استثقالاً، وجمع فعلة بضم الفاء على فعل بكسرها: شاذٌّ، وقالوا: قوة وقوى بكسر القاف على الشذوذ أيضاً، قال

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان. (٣) البحر المحيط.

الجوهري: والصور بكسر الصاد: لغة في الصور بضمها، وقرأت فرقة: ﴿صوركم﴾ بضم الصاد وإسكان الواو على نحو بسرة وبسر ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾؛ أي: من المأكولات اللذيذة، والمشروبات الحلوية.

والمعنى: أي وخلقكم فأحسن خلقكم، إذ خلق كلاً منكم منتصب القامة، بادي البشرة، متناسب الأعضاء، متهيأ لمزاولة الصناعات واكتساب الكمالات، ورزقكم من طيبات المطاعم والمشارب.

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الموصوف بما ذكر من الصفات الجميلة، مبتدأ، خبره: ﴿ٱللَّهُ﴾؛ أي: المستحق منكم العبادة ﴿رَبُّكُمْ﴾ الذي ربّاكم بما يصلحكم، خبر آخر ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ صفة خاصة بالله تعالى، أي: تقدّس وتنزّه وتعالى بذاته عن أن يكون له شريك في العبادة، إذ لا شريك له في شيء من تلك النعم، أو المعنى: كثر خيره، وتزايد برّه، ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: مالكهم ومربّيهم، والكل تحت ملكوته، مفتقرٌ إليه في ذاته ووجودهِ وسائر أحواله جميعاً، بحيثُ لو انقطع فيضه عنه آناً.. لانعدم بالكلية.

أي[1]: ذلكم الذي أنعم عليكم بهذه النعم، هو الذي لا ينبغي الألوهية إلا له، ولا تصلح الربوبية لغيره، لا مَنْ لا ينفع ولا يضر، فتقدس سبحانه وتنزّه، وهو رب العالمين.

ثم نبَّه إلى وحدانيته، وأمر بإخلاص العبادة له، فقال: ﴿هُوَ﴾ سبحانه وتعالى ﴿ٱلْحَىُّ﴾؛ أي: المتصف بالحياة الدائمة، المنفرد بالحياة الذاتية الحقيقة لا يموت، ويميت الخلق ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ سبحانه وتعالى، إذ لا موجود يدانيه في ذاته وصفاته وأفعاله ﴿فَٱدْعُوهُ﴾؛ أي: فاعبدوه خاصةً لاختصاص ما يوجبه به تعالى ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾؛ أي: الطاعة والعبادة من الشرك الجلي والخفيّ، مقرين له بالعبودية، قائلين ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: من قال: لا إله إلا الله.. فليقل على إثرها: الحمد لله رب العالمين، وذلك قوله تعالى: ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ

---

(١) المراغي.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، فعلى هذا هو من كلام المأمورين بالعبادة؛ أي: ولما كان تعالى موصوفاً بصفات الجلال والعزّة.. استحق لذاته أن يقال له: الحمد لله رب العالمين، ويجوز أن يكون من كلامه تعالى، على أنه استئناف لحمد ذاته بذاته. اهـ «شهاب».

والمعنى: أي هو سبحانه الحيّ الذي لا يموت، وما سواه فمنقطع الحياة، غير دائمها، لا معبود بحق غيره، ولا تصلح الألوهية إلا له، فادعوه مخلصين له الطاعة، ولا تشركوا في عبادته شيئاً سواه من وثن أو صنم، ولا تجعلوا له نداً ولا عدلاً، ثمّ أمر عباده أن يحمدوه على جزيل نعمه، وجليل إحسانه فقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾؛ أي: احمدوه سبحانه، فهو مالك جميع أصناف الخلق، من ملك وإنس وجنّ، لا الآلهة التي تعبدونها، ولا تملك لنفسها نفعاً ولا ضرًّا، فضلاً عن نفع غيرها وضرّه.

الإعراب

﴿۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١﴾.

﴿وَيَٰقَوۡمِ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿يَٰقَوۡمِ﴾: منادى مضاف معطوف على المنادى الأول. ﴿مَا﴾: اسم استفهام للاستفهام التعجبي في محل الرفع مبتدأ، ﴿لِيٓ﴾: جار ومجرور خبره، والجملة الاسمية، في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿أَدۡعُوكُمۡ﴾: فعل مضارع ومفعول به وفاعل مستتر. ﴿إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾: متعلق بـ﴿أَدۡعُوكُمۡ﴾ والجملة الفعلية: في محل النصب حال من ضمير ﴿لِيٓ﴾. ﴿وَتَدۡعُونَنِيٓ﴾ ﴿الواو﴾: حالية. ﴿تدعونني﴾: فعل وفاعل ومفعول به مرفوع بثبات النون والنون الثانية للوقاية، و﴿الياء﴾: مفعول به. ﴿إِلَى ٱلنَّارِ﴾: متعلق بـ﴿تدعونني﴾، وهذه الجملة[1] مستأنفة أخبر عنهم بذلك بعد استفهامه عن دعائه لهم، ويجوز أن يكون التقدير: وما لكم تدعونني إلى النار، وهو الظاهر، ويضعف أن تكون الجملة حالاً؛ أي: ما لي أدعوكم إلى النجاة حال دعائكم إياي إلى النار. اهـ «سمين». وعبارة أبي السعود: ﴿مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ﴾: ﴿مَا﴾: مبتدأ، والظرف بعدها خبر عنها، وجملة

---

(١) الفتوحات.

﴿أَدْعُوكُمْ...﴾ إلخ. حال، والاستفهام المفاد بـ﴿مَا﴾ تعجبي، ومدار التعجب: دعوتهم إياه إلى النار لا دعوته إياهم إلى النجاة، كأنه قال: أخبروني، كيف هذه الحال، أدعوكم إلى الخير وتدعونني إلى الشر؟!.

﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿تَدْعُونَنِي﴾: فعل مضارع وفاعل ونون وقاية ومفعول به مرفوع بثبات النون، والجملة الفعلية: بدل من جملة ﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى ٱلنَّارِ﴾ أو مستأنفة مسوقة لبيانها ﴿لِأَكْفُرَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل. ﴿أكفر﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام كي، وفاعله: ضمير مستتر يعود على المؤمن. ﴿بِاللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿أكفر﴾ والجملة الفعلية مع أن المضمرة: في تأويل مصدر مجرور باللام، تقديره: تدعونني إلى كفري بالله، والدعاء يتعدى كالهداية بـ﴿إلى﴾ وباللام. ﴿وَأُشْرِكَ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر معطوف على ﴿أكفر﴾ ﴿بِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿أشرك﴾، و﴿مَا﴾: مفعول به، ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماض ناقص، و﴿لِي﴾: خبرها المقدم، ﴿بِهِۦ﴾ متعلق بـ﴿عِلْمٌ﴾ و﴿عِلْمٌ﴾: اسم ﴿لَيْسَ﴾ مؤخر، وجملة ﴿لَيْسَ﴾: صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة ﴿وَأَنَا۠﴾ ﴿الواو﴾: حالية. ﴿أنا﴾: ضمير المتكلم في محل الرفع مبتدأ. ﴿أَدْعُوكُمْ﴾: فعل مضارع ومفعول به وفاعل مستتر، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: في محل النصب حال من ياء المتكلم في ﴿تَدْعُونَنِي﴾ أو معطوفة على ﴿تَدْعُونَنِي﴾، ﴿إِلَى ٱلْعَزِيزِ﴾: متعلق بـ﴿أَدْعُوكُمْ﴾، ﴿ٱلْغَفَّٰرِ﴾ صفة لـ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿لَا﴾: نافية لرد ما قبلها، كما مر في مبحث التفسير. ﴿جَرَمَ﴾: فعل ماض بمعنى حق ووجب. ﴿أَنَّمَا﴾: ﴿أن﴾: حرف نصب وتوكيد ومصدر. ﴿ما﴾: اسم موصول في محل النصب اسمها، فكان حقها أن تكتب مفصولة من النون، كما هو القاعدة: أن الموصولة مفصولة، والكافَّة متصلة بها لكنها رسمت في المصحف متصلةً بالنون؛ تبعاً للرسم العثماني. ﴿تَدْعُونَنِي﴾: فعل مضارع وفاعل ونون وقاية

ومفعول به. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلق بـ﴿تَدْعُونَنِي﴾ وهو العائد إلى ﴿ما﴾ الموصولة، والجملة الفعلية: صلة لـ﴿مَا﴾ الموصولة. ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماض ناقص، ﴿لَهُ﴾: خبرها مقدم، ﴿دَعْوَةٌ﴾: اسمها مؤخر، ﴿فِي الدُّنْيَا﴾: صفة لـ﴿دَعْوَةٌ﴾. ﴿وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾: معطوف على ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ وجملة ﴿لَيْسَ﴾: في محل الرفع خبر ﴿أنَّ﴾، وجملة ﴿أن﴾: في تأويل مصدر مرفوع على الفاعلية لـ﴿جَرَمَ﴾ تقديره: حق وثبت بطلان دعوة ما تدعونني إليه في الدنيا والآخرة. ﴿وَأَنَّ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿أن﴾: حرف نصب. ﴿مَرَدَّنَا﴾: اسمها. ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ خبرها، وجملة ﴿أن﴾: معطوفة على جملة ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِي﴾ على كونها في تأويل مصدر مرفوع على الفاعلية، تقديره: جرم بطلان دعوة ما تدعونني إليه، وكون مردنا إلى الله تعالى. ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ناصب واسمه ﴿هُمْ﴾: ضمير فصل. ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾: خبره، وجملة ﴿أن﴾: في تأويل مصدر معطوفة على ما قبله؛ أي: وحق كون المسرفين من أصحاب النار.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)﴾.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم ما ذكرته لكم، وأردتم بيان عاقبتكم.. فأقول لكم، و﴿السين﴾: حرف استقبال. ﴿تذكرون﴾: فعل وفاعل مرفوع بثبات النون ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول به، والجملة الفعلية: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة: في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿أَقُولُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر. ﴿لَكُمْ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية: صلة لـ﴿مَا﴾ الموصولة والعائد: محذوف، تقديره: ما أقوله، ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به معطوف على ﴿تذكرون﴾، ﴿إِلَى اللَّهِ﴾. متعلق بـ﴿أفوض﴾. ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ﴾: ناصب واسمه وخبره. ﴿بِالْعِبَادِ﴾: متعلق بـ﴿بَصِيرٌ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها، على كونها مقول ﴿قال﴾. ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف يقتضيه السياق، تقديره: وقصدوا قتله فهرب منهم فوقاه الله، ﴿وقاه الله﴾: فعل ماض ومفعول به أول وفاعل معطوف على ذلك المحذوف. ﴿سَيِّئَاتِ﴾: مفعول به ثان ﴿سَيِّئَاتِ﴾: مضاف ﴿مَا﴾: اسم موصول

في محل الجر مضاف إليه. ﴿مَكَرُواْ﴾: فعل وفاعل صلة الموصولة، والعائد: محذوف، تقديره: ما مكروه. ﴿وَحَاقَ﴾: فعل ماض معطوف على ﴿وقاه﴾. ﴿بِئَالِ فِرْعَوْنَ﴾: متعلق بـ﴿حاق﴾، ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾: فاعل ومضاف إليه. ﴿ٱلنَّارُ﴾: مبتدأ، ﴿يُعْرَضُونَ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة ونائب فاعل، والجملة الفعلية، في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة: مستأنفة ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلق بـ﴿يُعْرَضُونَ﴾، ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾: ظرفان متعلقان بـ﴿يُعْرَضُونَ﴾، ﴿وَيَوْمَ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿يَوْمَ﴾: منصوب على الظرفية الزمانية، متعلق بقول محذوف، تقديره: ويقال يوم تقوم الساعة، والقول المحذوف: مستأنف، وجملة ﴿تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿يَوْمَ﴾. ﴿أَدْخِلُوٓاْ﴾: فعل أمر وفاعل، ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: مفعول به أول. ﴿أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية: في محل الرفع نائب فاعل محكي للقول المحذوف.

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿وَإِذْ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿إذ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بمحذوف، تقديره: واذكر لقومك يا محمد قصة ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ﴾، والجملة المحذوفة: مستأنفة، ﴿يَتَحَآجُّونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إذ﴾. ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾: متعلق بـ﴿يَتَحَآجُّونَ﴾. ﴿فَيَقُولُ﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفصيل. ﴿يقول الضعفاء﴾: فعل وفاعل والجملة: في محل الجر معطوفة على جملة ﴿يَتَحَآجُّونَ﴾، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: متعلق بـ﴿يقول﴾، وجملة ﴿ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾: صلة الموصول. ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿كُنَّا﴾ فعل ماض ناقص واسمه. ﴿لَكُمْ﴾: متعلق بـ﴿تَبَعًا﴾، ﴿تَبَعًا﴾ خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾: في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾: في محل النصب مقول ﴿يقول﴾. ﴿فَهَلْ﴾: الفاء عاطفة. ﴿هل﴾: حرف استفهام. ﴿أَنتُم مُّغْنُونَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿إن﴾، ﴿عَنَّا﴾: متعلق بـ﴿مُّغْنُونَ﴾، ﴿نَصِيبًا﴾: منصوب بفعل محذوف دل عليه مغنون تقديره: هل أنتم دافعون عنا نصيباً، كما مر في بحث التفسير. ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ صفة لـ﴿نَصِيبًا﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ

﴿ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والجملة: مستأنفة، وجملة ﴿ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾: صلة ﴿ٱلَّذِينَ﴾. ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿كُلٌّ﴾: مبتدأ، وسوغ الابتداء بالنكرة قصد العموم. ﴿فِيهَآ﴾: جار ومجرور خبر ﴿كُلٌّ﴾، وجملة المبتدأ مع خبره: في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿قَدْ حَكَمَ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾ ﴿بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾: متعلق بـ﴿حَكَمَ﴾ وجملة ﴿إِنَّ﴾ مسوقة لتعليل ما قبلها على كونها مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿قَالَ﴾ الأول، ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾: جار ومجرور صلة ﴿ٱلَّذِينَ﴾. ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿قَالَ﴾. ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ﴾: فعل أمر وفاعل ومفعول به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿يُخَفِّفْ﴾: فعل مضارع مجزوم بالطلب السابق، وفاعله ضمير يعود على الرب جل جلاله. ﴿عَنَّا﴾: متعلق بـ﴿يُخَفِّفْ﴾، ﴿يَوْمًا﴾: ظرف متعلق بـ﴿يُخَفِّفْ﴾ أيضاً ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾: صفة لمحذوف هو مفعول ﴿يُخَفِّفْ﴾؛ أي: يخفف عنا شيئاً من العذاب في يوم، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب الطلب.

﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿قَالُوٓا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة: مستأنفة. ﴿أَوَلَمْ تَكُ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري التوبيخي، داخلة على محذوف دل عليه السياق، و﴿الواو﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: ألم تنتهوا عن هذا ولم تك تأتيكم إلخ. والجملة المحذوفة: في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓا۟﴾. ﴿لَمْ﴾: حرف جزم، ﴿تَكُ﴾: فعل مضارع ناقص مجزوم، وعلامة جزمه السكون الظاهر على النون المحذوفة للتخفيف، واسمها: ضمير مستتر يعود على الرسل. ﴿تَأْتِيكُمْ﴾: فعل مضارع ومفعول به. ﴿رُسُلُكُم﴾: فاعل ﴿تَأْتِيكُمْ﴾ وقد تنازعه كل من ﴿تَكُ﴾ فأعطي فاعلاً للثاني وأضمر في الأول، ويجوز العكس. ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: متعلق بـ﴿تَأْتِيكُمْ﴾ وجملة ﴿تَأْتِيكُمْ﴾: في محل النصب خبر تك، وجملة تك معطوفة على الجملة المحذوفة. ﴿قَالُوٓا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب لإثبات النفي نائب عن الجواب، تقديره: بلى أتتنا رسلنا فكذبنا، والجملة المحذوفة

في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾، ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والجملة: مستأنفة. ﴿فَٱدْعُواْ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا كان الأمر كذلك، وأردتم بيان جزائكم.. فأقول لكم: ادعوا ﴿ادعوا﴾: فعل أمر وفاعل، والجملة: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة: في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾: ﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة: ﴿ما﴾: نافية. ﴿دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾: خبر المبتدأ، والجملة: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿فَٱدْعُواْ﴾.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿لَنَنصُرُ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء ﴿ننصر﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله. ﴿رُسُلَنَا﴾: مفعول به ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: معطوف على ﴿رُسُلَنَا﴾، وجملة ﴿ننصر﴾: في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل ضياع دعائهم، وجملة ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾: صلة الموصول. ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾: متعلق بـ﴿ننصر﴾ ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ صفة لـ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾. ﴿وَيَوْمَ﴾: ظرف معطوف على ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَآ﴾؛ أي: لننصرنهم في الحياة الدنيا وفي يوم يقوم الأشهاد، وجملة ﴿يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ من الفعل والفاعل: في محل الجر مضاف إليه ﴿يَوْمَ﴾: بدل من ﴿يَوْمَ﴾ قبله، ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَنفَعُ﴾: فعل مضارع ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: مفعول به، ﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾: فاعل، والجملة الفعلية: في محل الجر مضاف إليه. لـ﴿يوم﴾ ﴿وَلَهُمُ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لَهُمُ﴾: خبر مقدم. ﴿ٱللَّعْنَةُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة: في محل الجر معطوفة على جملة ﴿لَا يَنفَعُ﴾. ﴿ٱللَّعْنَةُ﴾: خبر مقدم. ﴿سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة: معطوفة على ما قبلها.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿ءَاتَيْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿مُوسَى﴾: مفعول أول. ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾: مفعول ثان،

والجملة: جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم، مستأنفة مسوقة لإيراد نموذج عظيم من نماذج النصر الذي وعد الله أنبياءه في الدنيا. ﴿وَأَوْرَثْنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿ءَاتَيْنَا﴾، ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: مفعول أول، ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول ثان. ﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ﴾: منصوبان على أنهما مفعولان لأجله؛ أي: لأجل الهدى والذكرى، أو على أنهما مصدران في موضع الحال ﴿لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بذكرى أو صفة له. ﴿فَٱصْبِرْ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت وعد الله النصر لأنبيائِهِ، وأردت بيان ما هو اللازم لك.. فأقول لك: ﴿اصبر﴾، ﴿اصبر﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾: ناصب واسمه، ﴿حَقٌّ﴾: خبره، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل الأمر بالصبر. ﴿وَٱسْتَغْفِرْ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر معطوف على ﴿اصبر﴾ ﴿لِذَنۢبِكَ﴾: متعلق بـ﴿استغفر﴾، ﴿وَسَبِّحْ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر معطوف أيضاً على ﴿اصبر﴾ ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: حال من فاعل ﴿سبح﴾، ﴿بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ متعلق بـ﴿سبح﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾: ناصب واسمه. وجملة ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾: صلة الموصول. ﴿فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾: ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾ تقديره: حال كونهم غير مستندين في جدالهم إلى حجة، وجملة ﴿أَتَىٰهُمْ﴾ صفة ﴿سُلْطَٰنٍ﴾ ﴿إِن﴾: نافية، ﴿فِى صُدُورِهِمْ﴾: خبر مقدم، ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر. ﴿كِبْرٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾ وجملة ﴿إِنَّ﴾: مستأنفة. ﴿مَا﴾: حجازية ﴿هُم﴾: في محل الرفع اسمها. ﴿بِبَٰلِغِيهِ﴾: ﴿الباء﴾: زائدة في خبر ﴿مَا﴾ الحجازية. ﴿بالغيه﴾: خبر ﴿ما﴾ الحجازية، وجملة ﴿مَا﴾ الحجازية: في محل الرفع صفة لـ﴿كِبْرٌ﴾. ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت حال المجادلين، وأردت بيان ما هو الأصلح له.. فأقول لك: ﴿استعذ بالله﴾ ﴿استعذ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿استعذ﴾

والجملة: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة: مستأنفة. ﴿إِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل، ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: خبر أول لها، ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾: خبر ثان، وجملة ﴿إِنَّ﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿لَخَلْقُ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿خلق السموات﴾: مبتدأ ومضاف إليه، ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ﴿أَكْبَرُ﴾: خبره، والجملة الاسمية: مستأنفة. ﴿مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾: متعلق بـ﴿أَكْبَرُ﴾، ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿لكن﴾: حرف نصب واستدراك. ﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾: اسمها، وجملة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: خبرها، والجملة الاستدراكية: معطوفة على الجملة التي قبلها، أو في محل النصب حال، ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿ما﴾: نافية. ﴿يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾: فعل وفاعل. ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾: معطوف على ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾، والجملة الفعلية: معطوفة على الجملة التي قبلها، أو مستأنفة، ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: معطوف على ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾، ﴿ءَامَنُوا۟﴾: صفة ﴿ٱلَّذِينَ﴾، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: معطوف على ﴿ءَامَنُوا۟﴾، ﴿وَلَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿لا﴾: زائدة للتوكيد. ﴿ٱلْمُسِىٓءُ﴾: معطوف على ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾. ﴿قَلِيلًا﴾: مفعول مطلق أو ظرف زمان؛ لأنه صفة مصدر أو ظرف محذوف؛ أي: تذكراً قليلاً، أو زماناً قليلاً، ﴿مَّا﴾ زائدة لتأكيد القلة. ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَءَاتِيَةٌ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿آتية﴾: خبره، والجملة: مستأنفة. ﴿لَّا﴾ نافية. ﴿رَيْبَ﴾: في محل النصب اسمها. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور خبر ﴿لَا﴾، وجملة ﴿لَا﴾ في محل الرفع خبر ثان لـ﴿إن﴾ ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة أو حالية، ﴿لكنَّ﴾: حرف نصب واستدراك ﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾: اسمها، وجملة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: خبرها، وجملة ﴿لكن﴾: معطوفة أو حالية كما سبق.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ

ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾.

﴿وَقَالَ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿قَالَ رَبُّكُمُ﴾: فعل وفاعل، والجملة: مستأنفة. ﴿كَلِمتُ﴾: فعل أمر وفاعل ونون وقاية. ومفعول به، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَسۡتَجِبۡ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر مجزوم بالطلب السابق. ﴿لَكُمۡ﴾: متعلق به، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب الطلب. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾: صلة ﴿ٱلَّذِينَ﴾، ﴿عَنۡ عِبَادَتِي﴾ متعلق بـ﴿يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾، ﴿سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به على السعة. ﴿دَاخِرِينَ﴾: حال، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾ وجملة ﴿إِنَّ﴾: في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي﴾: مبتدأ وخبر، والجملة: مستأنفة. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر، والجملة: صلة الموصول، ﴿لَكُمُ﴾: متعلق بـ﴿جَعَلَ﴾، لأنه بمعنى خلق، ﴿ٱلَّيۡلَ﴾: مفعول به، ﴿لِتَسۡكُنُواْ﴾ ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل. ﴿تسكنوا﴾: فعل مضارع وفاعل منصوب بأن مضمرة بعد لام كي. ﴿فِيهِ﴾: متعلق بـ﴿تسكنوا﴾ والجملة: في تأويل مصدر مجرور باللام، الجار والمجرور بدل من الجار والمجرور في قوله: ﴿لَكُمُ﴾، ﴿فِيهِ﴾: متعلق بـ﴿تسكنوا﴾، ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾: معطوف على ﴿ٱلَّيۡلَ﴾. ﴿مُبۡصِرًاۚ﴾: حال من ﴿النهار﴾. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: ناصب واسمه ﴿لَذُو فَضۡلٍ﴾: خبره، و﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: متعلق بـ﴿فَضۡلٍ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿لَا يَشۡكُرُونَ﴾: خبره، وجملة ﴿لكن﴾: معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾: مبتدأ وخبر أول، والجملة: مستأنفة. ﴿رَبُّكُمۡ﴾: خبر ثان. ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾: خبر ثالث، وجملة ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: خبر رابع. ﴿فَأَنَّىٰ﴾: ﴿الفاء﴾: استئنافية أو عاطفة، ﴿أنى﴾: اسم استفهام بمعنى كيف، في محل النصب على الحال مبني على السكون. ﴿تُؤۡفَكُونَ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة ونائب فاعل، والجملة: مستأنفة مسوقة لإفادة التعجب من حالهم، أو معطوفة على الجملة التي قبلها. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: صفة لمصدر محذوف؛ أي: إفكاً مثل إفك هؤلاء

المشركين. ﴿يُؤْفَكُ الَّذِينَ﴾: فعل مضارع ونائب فاعل، والجملة: مستأنفة. ﴿كَانُوا﴾: فعل ماض ناقص واسمه. ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿يَجْحَدُونَ﴾ وجملة ﴿يَجْحَدُونَ﴾: خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾: صلة الموصول.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤) هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥)﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي﴾: مبتدأ وخبر، والجملة: مستأنفة، ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض بمعنى صير، وفاعل مستتر. ﴿لَكُمُ﴾: حال من ﴿قَرَارًا﴾. ﴿الْأَرْضَ﴾: مفعول أول، ﴿قَرَارًا﴾: مفعول ثان، والجملة الفعلية: صلة ﴿الَّذِي﴾، ﴿وَالسَّمَاءَ﴾: معطوف على ﴿الْأَرْضَ﴾، ﴿بِنَاءً﴾: مفعول ثان. ﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به معطوف على ﴿جَعَلَ﴾، ﴿فَأَحْسَنَ﴾ عطف على صوركم ﴿صُوَرَكُمْ﴾ مفعول به ﴿وَرَزَقَكُمْ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به معطوف على ﴿جَعَلَ﴾ ﴿مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: متعلق بـ﴿رزقكم﴾. ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾: مبتدأ وخبر أول. ﴿رَبُّكُمْ﴾: خبر ثان، والجملة: مستأنفة. ﴿فَتَبَارَكَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة أو استئنافية. ﴿تبارك الله﴾: فعل وفاعل. ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: نعت للجلالة، والجملة الفعلية: مستأنفة أو معطوفة على الجملة الاسمية. ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾: مبتدأ وخبر أول، والجملة: مستأنفة، وجملة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: خبر ثان ﴿فَادْعُوهُ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم ما ذكر من الصفات لله تعالى، وأردتم بيان ما هو اللازم لكم.. فأقول لكم: ﴿ادعوه﴾ ﴿ادعوه﴾: فعل أمر وفاعل ومفعول به. ﴿مُخْلِصِينَ﴾: حال من فاعل ﴿ادعوه﴾. ﴿لَهُ﴾: متعلق بـ﴿مُخْلِصِينَ﴾، ﴿الدِّينَ﴾: مفعول لـ﴿مُخْلِصِينَ﴾، والجملة الفعلية: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة: مستأنفة. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: نعت للفظ الجلالة، والجملة الاسمية: في محل النصب مقول لقول محذوف، حال من فاعل ﴿ادعوه﴾ تقديره: فادعوه مخلصين له الدين حال كونكم قائلين: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾؛ أي: إلى الإيمان بالله، الذي ثمرته وعاقبته النجاة. ﴿إلى النار﴾؛ أي: إلى اتخاذ الأنداد والأوثان الذي عاقبته النار. ﴿أَدْعُوكُمْ﴾ أصله: أدعوكم بوزن أفعل سكنت الواو لوقوعها بعد ضَمة فصارت حرف مَدّ ﴿النجاة﴾ أصله: النجوة، بوزن فعلة كالدعوة، نقلت حركة الواو إلى الجيم، ثم قلبت الواو ألفاً؛ لتحركها في الأصل وانفتاح ما قبلها الآن. ﴿تَدْعُونَنِي﴾ أصله: تدعوونني، حذفت الضمة التي على الواو تخفيفاً، ثم حذفت الواو لالتقاء الساكنين، فوزنه تفعونني. ﴿مَرَدَّنَآ﴾ أصله مرددنا، نقلت حركة الدال الأولى إلى الراء فسكنت، ثم أدغمت في الدال الثانية. ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ﴾ قال في «القاموس»: فوض إليه الأمر: رده إليه. انتهى. وحقيقة التفويض: تعطيل الإرادة في تدبير الله تعالى كما في «عين المعاني».

﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾؛ أي: الذين يغلب شرهم على خيرهم. ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ فيه إعلال بالقلب، أصله: وقيه، قلبت الياء ألفاً لتحركها بعد فتح. ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ ومعنى عرضهم على النار: إحراق أرواحهم وتعذيبهم بها من قولهم: عرض الأسارى على السيف: إذا قتلوا به. قال في «القاموس»: عرض القوم على السيف: قتلهم، وعلى السوط: ضربهم. ﴿غُدُوًّا﴾ وزنه فعول، أصله: غدوواً، أدغمت واو فعول في واو لام الكلمة. ﴿وَعَشِيًّا﴾ لامه واو، أصله: عشيو، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما ساكنة فقلبت الواو ياءً وأدغمت فيها الياء.

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ﴾ أصله: يتحاججون، سكنت الجيم الأولى وأدغمت في الثانية، والتحاج بالتشديد: التخاصم كالمحاجة. ﴿مُّغْنُونَ﴾ أصله: مغنيون، استثقلت الضمة على الياء فحذفت، فلما سكنت.. التقى ساكنان، فحذفت الياء وضمت النون لمناسبة الواو. ﴿تَبَعًا﴾: جمع تابع، كخدم جمع خادم، قال في «القاموس»: التبع: محركة التابع يكون واحداً وجمعاً؛ أي: أتباعاً في كل حال، خصوصاً فيما دعوتمونا إليه من الشرك والتكذيب، أو مصدر وصف به. ﴿نَصِيبًا﴾ وهو الحظ المنصوب؛ أي: المعين كما في «المفردات». ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ جمع خازن، والخزن: حفظ الشيء في الخزانة، ثم يعبر به عن كل حفظ، كحفظ السر

ونحوه. قاله الراغب. ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾: جمع شاهد، مثل صاحب وأصحاب. قال النحاس: ليس لباب فاعل أن يجمع على أفعال ولا يقاس عليه، ولكن ما جاء فيه مسموعاً أدي على ما سمع فهو على هذا جمع شهيد مثل شريف وأشراف. ﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾ والمعذرة: بمعنى العذر. ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ أصله: أتيهم قلبت الياء ألفاً لتحركها بعد فتح.

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ أصله: استعوذ، بوزن استفعل، نقلت حركة الواو إلى العين فسكنت، فالتقت ساكنةً، مع الذال آخر الفعل المسكن لبناء الأمر، فحذفت الواو لالتقاء الساكنين. ﴿ٱلْمُسِيٓءُ﴾ أصله: المسوىء، بوزن الفعل، نقلت حركة الواو إلى السين فسكنت إثر كسرة فقلبت ياءً حرف مد. ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فيه إعلال بالنقل والتسكين والحذف، أصله: أستجوب: فعل مضارع مرفوع بالضمة، ثم وقع جواباً للأمر فجزم بالسكون، ثم نقلت حركة الواو إلى الجيم فسكنت فالتقى ساكنان فحذفت الواو، فوزنه استفل. ﴿دَاخِرِينَ﴾: اسم فاعل من دخر كمنع وفرح إذا صغر وذل. وفي «المصباح»: دخر الشخص يدخر بفتحتين دخوراً: ذل وهان؛ وأدخرته بالألف لتعدية.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ السماء، أصله: السماو من السمو، والهمزة: مبدلة من واو لتطرفها إثر ألف زائدة، وكذلك قوله: ﴿بِنَآءً﴾: أصله: بناو؛ لأنك تقول: بنيت البنيان، أبدلت الياء همزةً لتطرفها إثر ألف زائدة. ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ﴾ قال الراغب: الأفك كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه، ومنه قيل للرياح العادلة عن المهاب: المؤتفكات.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: تكرير نداء قومه في قوله: ﴿يَٰقَوْمِ﴾؛ مبالغة في التنبيه والتحدي وقرع العصا وإمحاض النصيحة لهم، والإيقاظ من سنة الغفلة.

ومنها: الإتيان بالواو في النداء الثالث دون الثاني، لأن النداء الثاني بمثابة بيان للأول، وتفسير له، فأعطي حكمه في عدم دخول الواو عليه، وأما الثالث:

فداخل على كلام ليس بتلك المثابة.

ومنها: الاستفهام التوبيخي في قوله: ﴿مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾.

ومنها: الطباق بين ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، وبين الأعمى، والبصير في قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾ وفيه الاستعارة اللطيفة: استعار ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾ للكافر ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾ للمؤمن.

ومنها: المقابلة بين ﴿ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ وبين ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ﴿والمسيء﴾.

فائدة: واعلم: أن التقابل يجيء على ثلاث طرق:

إحداها: أن يجاور المناسب ما يناسبه كهذه الآية.

والثانية: أن يتأخر المتقابلان، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾.

والثالثة: أن يقدم مقابل الأول ويؤخر مقابل الآخر، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾﴾ وكل ذلك تفنن في البلاغة، وقدم ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾ في نفي التساوي؛ لمجيئه بعد صفة الذم في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كما مر اهـ «سمين».

ومنها: وضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ لإفادة التهويل والتفظيع، لأن مقتضى السياق أن يقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ﴾ لخزنتها، والتفخيم فيه من وجهين:

أحدهما: وضع الظاهر موضع المضمر.

والثاني: ذكره وهو شيء واحد بظاهر غير الأول أفظع منه، لأن جهنم أفظع من النار إذ النار مطلقة وجهنم أشدها.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ لأن الإيراث الحقيقي إنما يتعلق بالمال، فلما تعذّر حمله على معناه هنا.. أريد به الترك مجازاً كما مر، فاستعير الإيراث للترك ثم اشتق من الإيراث بمعنى الترك، وأورثنا بمعنى تركنا على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية.

ومنها: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ على

قراءة التاء الفوقانية، لأن ما قبله وما بعده على الغيبة، وفائدة الالتفات في مقام التوبيخ: هي إظهار العنف الشديد والإنكار البليغ، كما في «الكرخي» وغيره.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿ٱدۡعُونِيٓ﴾ لأن الدعاء مجاز عن العبادة، علاقته السببية، لأن الدعاء سبب العبادة.

ومنها: الإسناد المجازي في قوله: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ فقد أسند الإبصار إلى النهار، لأنه يبصر فيه، ولأن الإبصار في الحقيقة لأهل النار.

ومنها: وضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ فقد كان السياق يقتضي أن يقول: ولكن أكثرهم لا يشكرون، فلا يتكرر ذكر الناس، ولكن في هذا التكرار تخصيصاً لكفران النعمة بهم، وأنهم هم المتميزون بهذه الصفة المستولية على الطباع، تتوالى عليهم النعم وتترادف الآلاء، وهم مصرون على الجحود والكفران، وكان ذلك شأن الإنسان وخاصته.

ومنها: الجناس الناقص في قوله: ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾.

ومنها: التأكيد بأن واللام في قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ﴾ لأن المخاطبين هنا هم الكفار وهم منكرون، وجرد في طه عن اللام حيث قال: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾؛ لكون المخبر ليس بشاك في الخبر كما مر.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿۞ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه[1] لما أثبت لنفسه صفات الجلال

---

(١) المراغي.

والكمال.. أمر رسوله ﷺ أن يخبرهم بأنه نهى عن عبادة غيره، وأورد ذلك بألين قول وألطفه، ليصرفهم عن عبادة الأوثان، ثم بين أن سبب النهي هو البينات التي جاءته، إذ قد ثبت بصريح العقل أن إله العالم الذي تجب عبادته هو الموصوف بصفات العظمة لا الأحجار المنصوبة والخشب المصورة، ثم ذكر أنه بعد أن نهى عن عبادة غيره أمر بعبادته تعالى، وقد ذكر من الأدلة على وجوده خلق الأنفس على أحسن الصور ورزقها من الطيبات، ثم تكوين الجسم من ابتداء كونه نطفةً وجنيناً إلى الشيخوخة ثم الموت.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ...﴾ الآيات، وهذه الآيات عود على بدء بالتعجيب من أحوال المجادلين الشنيعة، وآرائهم الفاسدة، والتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بالقرآن وبسائر الكتب والشرائع، وترتيب الوعيد على ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنه لما كان الكلام من أول السورة إلى هنا في تزييف طرق المجادلين في آيات الله تعالى.. أمر هنا رسوله بالصبر على أذاهم وتكذيبهم، فإن الله سبحانه سينجز له ما وعده من النصر والظفر على قومه، ويجعل العاقبة له ولمن اتبعه من المؤمنين في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا...﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها: أن الله سبحانه لما أوعد المبطلين، وبالغ في ذلك بما فيه العبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.. عاد إلى ذكر الدلائل على وجوده ووحدانيته، بذكر نعمة من نعمه التي لا تحصى، ثم لفت أنظارهم إلى ما يحيط بهم من أدلة هم عنها معرضون.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟...﴾ الآيات، مناسبتها لما قبلها: أن الله سبحانه لما أطال الكلام في هذه السورة في توبيخ الذين يجادلون في آيات الله طلباً للرياسة والجاه، والحصول على المال، وكسب حظوظ الدنيا.. ختمها بتهديدهم، وأبان أن هذه الدنيا فانية ذاهبة، فما فيها من مال وجاه ظل زائل لا يغني عنهم من الله شيئاً، وقد ضرب لهم المثل بمن كانوا قبلهم ممن كانوا أكثر

منهم عدداً، وأشد قوةً وآثاراً في الأرض، فلم ينفعهم شيء من ذلك حين حل بهم بأس الله، ثم ذكر أن المكذبين حين رأوا البأس، تركوا الشرك وآمنوا بالله وحده، وأنى لهم ذلك، هيهات هيهات فذلك لا يجديهم فتيلاًولا قطميراً، سنة الله في عباده أن لا ينفع الإيمان حين حلول العذاب، وأحاط بهم، وما أحسن قول بعضهم:

صَاحِ هَلْ رَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بِرَاعٍ رَدَّ فِيْ ٱلضَّرْعِ مَا قَرَىٰ فِيْ ٱلْحِلاَبِ

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ... اللَّهِ﴾ الآية، سبب نزولها: ما أخرجه جويبر عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة قالا: يا محمد، ارجع عما تقول وعليك بدين آبائك وأجدادك، فأنزل الله سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ...﴾ الآية.

التفسير وأوجه القراءة

﴿قُلْ﴾ يا محمد لمشركي مكة حين قالوا لك: ارجع إلى دين آبائك: ﴿إِنِّي نُهِيتُ﴾ وزجرت ومنعت، من النهي، وهو طلب الترك ﴿أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ وتعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى؛ أي: منعت من عبادة الأصنام والأوثان التي تعبدونها من دون الله تعالى ﴿لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ﴾؛ أي: حين جاءني الأدلة الواضحة، والبراهين القاطعة، الدالة على وحدانيته تعالى: ﴿مِن رَّبِّي﴾ فإنها توجب التوحيد؛ أي: منعني ربي من الإشراك وقت مجيء الآيات القرآنية من ربي، وذلك[1] لأنه لا نهي ولا وجوب عند أهل السنة إلا بعد ورود الشرع، ويجوز أن يقال: كان منهياً عن عبادتها عقلاً بحسب دلالة الشواهد على التوحيد، فأكد النهي بالشرع، ويجوز أنه نهي له ﷺ، والمراد: غيره. وفي قوله: ﴿مِن رَّبِّي﴾ إشارة إلى أن دلائل التوحيد، وشواهد أنوار الحقيقة لا تطلع إلا من مطلع الهداية الأزلية، ولكن ينبغي للملتمسين أن يتوجهوا إلى ذلك الجانب بالإعراض عن السوى وترك أصنام البدع والهوى.

---

(١) روح البيان.

وفي «الخطيب»[1]: لما أورد على المشركين تلك الأدلة، الدالة على إثبات إله العالم.. أمره بقوله: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ﴾ إلخ؛ أي: قل لهؤلاء الذين يجادلونك في البعث، مقابلاً لانكارهم بالتوكيد ﴿إِنِّي نُهِيتُ﴾؛ أي: نهياً عاماً ببراهين العقول، ونهياً خاصاً بأدلة النقل، أن أعبد الذين تعبدون من دون الله حين جاءني البينات من ربي؛ أي: دلائل التوحيد العقلية والنقلية. اهـ.

وخلاصة المعنى[2]: أي قل أيها الرسول لمشركي قومك من قريش وغيرهم: إني نهيت أن أعبد ما تعبدون من دون الله من وثن أو صنم، حين جاءتني الأدلة من عند ربي، وهي آيات الكتاب الذي أنزله علي، وهي مؤيدة لأدلة العقل، ومنبهة لها، وجملة ذلك: أن الآيات التنزيلية مفسرات للآيات التي في الأكوان والأنفس.

ولما بين أنه نهى عن عبادة غير الله تعالى.. أردف ذلك بأنه أمر بعبادته تعالى فقال: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: أمرت بأن أنقاد أو أخلص، فالأول على أن يكون ﴿أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ من قولهم: أسلم أمره إلى الله؛ أي: سلم وفوض، وذلك إنما يكون بالرضا والانقياد لحكمه، والثاني مفعول ﴿أُسْلِمَ﴾ محذوفاً؛ أي: أمرت أن أسلم أمري أو أخلص توحيدي وطاعتي له. اهـ «زاده»؛ أي: أمرت بالانقياد والخضوع أو بالإخلاص له.

قال في «برهان القرآن»: مدح سبحانه نفسه وختم ثلاث آيات على التوالي بقوله: ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وليس له في القرآن نظير.

ثم ذكر من الدلائل على وجوده تعالى تكوين الإنسان من ابتداء النطفة إلى وقت الشيخوخة، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ...﴾ وعبارة زاده هنا: لما استدل على ثبوت الإله ووجوده بأربع من دلائل الآفاق، وهي الليل والنهار، والأرض والسماء، وبثلاث من دلائل الأنفس، وهي التصوير وحسن الصورة، ورزق الطيبات.. ذكر من دلائل الأنفس كيفية تكون البدن من ابتداء كونه نطفة إلى آخر الشيخوخة والموت، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ الخ. انتهى.

أي: هو سبحانه وتعالى الإله الذي خلقكم وأوجدكم يا بني آدم ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾؛

---

(1) الخطيب. (2) المراغي.

أي: في ضمن خلق أبيكم آدم من تراب؛ أي: خلق أباكم الأول ـ وهو آدم ـ من تراب وخلقه من تراب، يستلزم خلق ذريته منه. ﴿ثُمَّ﴾ خلقكم خلقاً تفصيلياً ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾؛ أي: من مني، قال الراغب: النطفة: الماء الصافي، ويعبر بها عن ماء الرجل؛ أي: ماء الصلب يوضع في الرحم. كما قال ابن سينا:

لاَ تُكْثِرَنَّ مِنَ ٱلْجِمَاعِ فَإِنَّهُ   مَاءُ ٱلْحَيَاةِ يُصَبُّ فِيْ ٱلأَرْحَامِ

والمعنى: خلق أصلكم آدم من تراب، ثم خلقكم من نطفة نسلاً بعد نسل، أو خلق كل واحد منكم من التراب، بمعنى أن كل إنسان مخلوق من المني، وهو من الدم، وهو من الأغذية الحيوانية والنباتية، والحيوانية لا بد أن تنتهي إلى النباتية، وإلا لزم أن يتسلسل الحيوانيات إلى غير النهاية، والنبات إنما يتولد من الماء والتراب، أو خلق قالبكم في بدء أمركم من الذرة الترابية، التي استخرجها من صلب آدم، ثم أودعها في قطرة نطفة بنيه.

﴿ثُمَّ﴾ خلقكم ﴿مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهي الدم الجامد، لأن المني يصير على هذا الشكل بعد أربعين يوماً في بطن الأم. ﴿ثُمَّ﴾ خلقكم مضغة مخلقة وغير مخلقة، ثم ﴿يُخْرِجُكُمْ﴾ من بطون أمهاتكم حالة كونكم ﴿طِفْلًا﴾؛ أي: أطفالاً صغاراً، حال من الكاف في ﴿يُخْرِجُكُمْ﴾ ولما كانت الحال مفردة، وصاحبها جمعاً، وهذا لا يسوغ.. أولناها بالجمع ليحصل التطابق، وأفرده هنا؛ لكونه اسم جنس وضع موضع الجمع؛ أي: الأطفال، أو المعنى: ثم يخرج كل واحد منكم من رحم الأم حال كونه طفلاً، لتكبروا شيئاً فشيئاً. ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾؛ أي: كمالكم في القوة والعقل، قال في «القاموس»: الأشد واحد، جاء على بناء الجمع بمعنى القوة، وهو ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين. وفي «كشف الأسرار»: يقال: إذا بلغ الإنسان إحدى وعشرين سنة.. دخل في الأشد، وذلك حين اشتد عظامه، وقويت أعضاؤه ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا﴾؛ أي: تصيروا إلى حالة الشيخوخة، والشيخ: يقال لمن طعن في السن، واستبانت فيه، أو من خمسين أو إحدى وخمسين إلى آخر عمره، أو إلى ثمانين. كما في «القاموس».

قال في «كشف الأسرار» يقال: إذا ظهر البياض بالإنسان.. فقد شاب. وإذا دخل في الهرم.. فقد شاخ. قال الشاعر:

وَمَــنْ عَــاشَ شَــبَّ وَمَــنْ شَــبَّ شَــابَ   وَمَــنْ شَــابَ شَــاخَ وَمَــنْ شَــاخَ مَــاتَ

روي: أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ قال: يا رسول الله، قد شبت فقال: «شيبتني هود وأخواتها»؛ يعني: سورة هود، وكان الشيب برسول الله ﷺ قليلاً، يقال: كان شاب منه إحدى وعشرون شعرةً بيضاء، ويقال: سبع عشرة شعرة. قال أنس: لم يكن في رأسه ولحيته عشرون شعرةً بيضاء، وقال بعض الصحابة: ما شاب رسول الله ﷺ، وسئل آخر منهم، فأشار إلى عنفقته؛ يعني كان البياض في عنفقته؛ أي: في شعيرات بين الشفة السفلى والذقن، وإنما اختلفوا لقلتها، يقال: كان إذا ادهن خفي شيبه.

والحاصل[1]: أن ﴿اللام﴾ التعليلية في ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ﴾: معطوفة على علة أخرى ليخرجكم مناسبة لها، والتقدير: لتكبروا شيئاً فشيئاً، ثم لتبلغوا غاية الكمال، وقوله ﴿ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا﴾ معطوف على ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ﴾.

وقرأ نافع وحفص وأبو عمرو وابن محيصن وهشام: ﴿شُيُوخًا﴾ بضم الشين، وقرأ الباقون: بكسرها، وقرىء: ﴿شيخاً﴾ بالإفراد لقوله: طفلاً.

يعني: أن مراتب الإنسان بعد خروجه من بطن أمه ثلاث: الطفولية وهي حالة النمو، والزيادة إلى أن يبلغ كمال الأشد من غير ضعف، ثم يتناقص بعد ذلك وهي الشيخوخة، ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾؛ أي: يقبض روحه ويموت ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الأشد أو قبله أيضاً، وقوله: ﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ﴾: متعلق[2] بفعل مقدر بعده؛ أي: ولتبلغوا جميعاً ﴿أَجَلًا مُّسَمًّى﴾؛ أي: وقتاً محدوداً معيناً لا تتجاوزونه هو وقت الموت، أو يوم القيامة يفعل ذلك؛ أي: ما ذكر من خلقكم من تراب وما بعده من الأطوار المختلفة، ولكون المعنى على هذا لم يعطف على ما قبله من ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ و﴿لِتَكُونُواْ شُيُوخًا﴾، وإنما قلنا: أو يوم القيامة؛ لأن الآية تحتوي على جميع مراتب الإنسان، من مبدأ فطرته إلى منتهى أمره، فجاز أن يراد أيضاً يوم الجزاء، لأنه المقصد الأقصى، وإليه كمِّيَّةُ الأحوال ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: ولكي تعقلوا ما في ذلك الانتقال من طور، إلى طور من فنون

---

(١) الشوكاني.   (٢) روح البيان.

الحكم والعبر، وتستدلوا به على وجود خالق القوى والقدر؛ أي: لكي تعقلوا توحيد ربكم، وقدرته البالغة في خلقكم على هذه الأطوار المختلفة.

ومعنى الآية[1]: أي هو الذي خلقكم من التراب، إذ كل إنسان مخلوق من المني، والمني مخلوق من الدم، والدم يتولد من الأغذية، والأغذية تنتهي إلى النبات، والنبات يتكون من التراب والماء، ثم ذلك التراب يصير نطفةً ثم علقةً إلى مراتب كثيرة، حتى ينفصل الجنين من بطن الأم.

وقد رتب سبحانه عمر الإنسان ثلاث مراتب:

١ـ الطفولة.

٢ـ بلوغ الأشد.

٣ـ الشيخوخة، ومن الناس من يتوفى قبل المرتبة الأخيرة، وهو يفعل ذلك ويبقيكم لتبلغوا الأجل المسمى، وهو يوم القيامة، وتعقلوا ما في التنقل في هذه الأطوار المختلفة من فنون العبر والحكم.

وكم استدل بهذه التغيرات على وجود الإله القادر، استدل على ذلك بانتقال الإنسان من الحياة إلى الموت، ومن الموت إلى الحياة، فقال: ﴿هُوَ﴾ سبحانه وتعالى الإله ﴿الَّذِي يُحْيِي﴾ الأموات كما في الأرحام وعند البعث ﴿وَيُمِيتُ﴾ الأحياء كما عند انقضاء الأجل وفي القبر بعد السؤال، وأيضاً يحيي القلوب الميتة بنور ربوبيته ولطفه، ويميت القلوب بنار قهره، فإذا حيي القلب.. مات النفس، وإذا مات القلب.. حيي النفس ﴿فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾؛ أي: فإذا قدر شيئاً من الأشياء، وأراد كونه وحصوله.. ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ﴾ سبحانه ﴿لَهُ﴾؛ أي: لذلك الأمر ﴿كُن﴾؛ أي: احدث ﴿فَيَكُونُ﴾ ذلك الأمر؛ أي: فهو يحدث ويوجد من غير توقف على شيء من الأشياء أصلاً.

وهذا تمثيل[2] لتأثير قدرته تعالى في المقدورات عند تعلق إرادته بها، وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير أن يكون هناك آمر ومأمور حقيقةً، وذهب بعضهم إلى أنه حقيقة، وأن الله تعالى مكون الأشياء بهذه الكلمة، فيقول

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

بكلامه الأزلي لا بالكلام الحادث الذي هو مركب من الأصوات والحروف: ﴿كن﴾؛ أي: احدث، فيكون؛ أي: فيحدث.

ومعنى الآية[1]: أي قل لهم أيها الرسول: هو الذي يحيي من يشاء بعد مماته، ويميت من يشاء من الأحياء، وإذا أراد كون أمر من الأمور التي يريد تكوينها.. فإنما يقول له: كن فيكون، بلا معاناةٍ ولا كلفةٍ.

ثم عجب سبحانه من أحوال المجادلين في آيات الله فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد أو أيها المخاطب ﴿إِلَى﴾ حال ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ ويخاصمون ﴿فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ سبحانه؛ أي: في إبطالها ودفعها ﴿أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾؛ أي: كيف يصرفون عنها مع قيام الأدلة الدالة على صحتها؟

أي: انظر يا محمد إلى هؤلاء المكابرين المجادلين في آياته تعالى الواضحة، الموجبة للإيمان بها، الزاجرة عن الجدال فيها، وتعجب من أحوالهم الشنيعة، وآرائهم الركيكة، كيف يصرفون عن تلك الآيات القرآنية، والتصديق بها إلى تكذيبها، مع تعاضد الدواعي إلى الإقبال عليها بالإيمان وانتفاء الصوارف عنها بالكلية.

وتكرير ذم المجادلة في أربعة مواضع من هذه السورة[2]: إما لتعدد المجادل بأن يكون في أقوام مختلفة، أو المجادل فيه بأن يكون في آيات مختلفة أو للتأكيد.

وعبارة أبي السعود قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ...﴾ إلخ، تعجيب من أحوالهم الشنيعة، وآرائهم الركيكة، وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن، وبسائر الكتب والشرائع، وترتيب الوعيد على ذلك، كما أن ما سبق من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ...﴾ إلخ: بيان لابتناء جدالهم على معنى فاسد، لا يكاد يدخل تحت الوجود، فلا تكرار فيه.

والخلاصة: أي انظر واعجب من هؤلاء المكابرين في آياتنا الواضحة، الموجبة للإيمان بها الزاجرة عن الجدال فيها، كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعي على الإقبال عليها، وانتفاء الصوارف عنها، وقيام الأدلة على صحتها،

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.

وأنها في نفسها موجبة للتوحيد.

ثم بين صفات هؤلاء المبطلين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: بكل القرآن. وعبارة «السمين» هنا: يجوز في الموصول أوجه من الإعراب؛ إما أن يكون بدلاً من الموصول قبله، أو بياناً له، أو نعتاً أو خبراً لمبتدأ محذوف، أو منصوباً على الذم، وعلى هذه الأوجه فقوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: جملة مستأنفة سيقت للتمهيد، ويجوز[1] أن يكون مبتدأ، والخبر: الجملة من قوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، ودخول ﴿الفاء﴾ فيه: واضح. اهـ.

قال في «الإرشاد»: إنما وصل الموصول الثاني بالتكذيب دون المجادلة؛ لأن المعتاد وقوع المجادلة في بعض المواد لا في الكل، وصيغة الماضي للدلالة على التحقق، كما أن صيغة المضارع في الصلة الأولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها. اهـ.

﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ من سائر الكتب؛ أي: هم الذين كذبوا بالقرآن وبجميع ما أرسلنا به رسلنا، من إخلاص العبادة له سبحانه، والبراءة مما يعبد من دونه من الآلهة والأنداد، والاعتراف بالبعث بعد الممات، ثم هددهم وأوعدهم على ما يفعلون فقال: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم، ووبال كفرهم، وكنه جدالهم، وتكذيبهم عند مشاهدتهم لعقوباته، وهي جملة مستأنفة مسوقة للتهديد، والظرف[2] في قوله: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾: متعلق بـ﴿يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: فسوف يعلمون عاقبة أمرهم وقت كون الأغلال في أعناقهم.

فإن قلت[3]: إن ﴿إِذْ﴾ ظرف للزمن الماضي، و﴿يَعْلَمُونَ﴾ مستقبل لفظاً ومعنىً، فهو مثل قولك: سوف أصوم أمس، فهو لا يجوز؟.

قلت: إن وقت العلم مستقبل تحقيقاً، وماض تنزيلاً وتأويلاً؛ لأن ما سيعلمونه يوم القيامة، فكأنهم علموه في الزمن الماضي، لتحقق وقوعه ﴿فَسَوْفَ﴾ بالنظر إلى الاستقبال التحقيقي، و﴿إِذْ﴾ بالنظر إلى المضي التأويلي، و﴿ٱلْأَغْلَٰلُ﴾: جمع غل بالضم، وهو: ما يقيد به فيجعل الأعضاء وسطه كما سيأتي؛ يعني: تغل

---

(١) روح البيان. (٢) الشوكاني. (٣) روح البيان.

أيديهم إلى أعناقهم مضمومةً إليها ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ معطوف على ﴿ٱلْأَغْلَٰلُ﴾، والجار: في نية التأخير، والتقدير: إذ الأغلال والسلاسل في أعناقهم، وهو جمع سلسلة بالكسر، وذلك لأن السلسلة بالفتح: إيصال الشيء بالشيء، ولما كان في السلسلة بالكسر إيصال بعض الخلق بالبعض.. سميت بها.

وجملة قوله: ﴿يُسْحَبُونَ﴾ ﴿فِى ٱلْحَمِيمِ﴾: حال من فاعل ﴿يَعْلَمُونَ﴾ أو من ضمير ﴿أَعْنَٰقِهِمْ﴾؛ أي: سوف يعلمون عاقبة وبالهم حال كونهم مسحوبين؛ أي: مجرورين، تجرّهم على وجوههم خزنة جهنم بالسلاسل إلى الحميم؛ أي: إلى الماء المسخن بنار جهنم، ولا يكون إلا شديد الحرارة جداً، لأن ما سخن بنار الدنيا التي هي جزء واحد من سبعين جزءاً من نار جهنم، إذا كان لا يطاق حرارته.. فكيف ما يسخن بنار جهنم، وفي كلمة ﴿فِى﴾ إشعار بإحاطة حرارة الماء لجميع جوانبهم، كالظرف للمظروف، حتى كأنهم في عين الحميم ويسحبون فيها، والظاهر أن معنى ﴿يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ﴾؛ أي: يجرون إلى النار على وجوههم.

ويجوز[1] أن يرتفع ﴿السلاسل﴾ على أنه مبتدأ، وخبره: محذوف لدلالة ﴿فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ عليه، ويجوز أن يكون الخبر ﴿يُسْحَبُونَ فِى ٱلْحَمِيمِ﴾ بحذف العائد؛ أي: يسحبون بها في الحميم، وعلى هذا قراءة الجمهور برفع ﴿السلاسل﴾، وقراءة ابن عباس وابن مسعود وابن وثاب وعكرمة وزيد بن علي وأبو الجوزاء: ﴿والسلاسل﴾ بالنصب[2] على المفعول، وقرؤوا ﴿يسحبون﴾ بفتح الياء مبنياً للفاعل، فيكون ﴿السلاسل﴾ مفعولاً مقدماً، وهو عطف جملة فعلية على جملة اسمية، وقرأ فرقة منهم ابن عباس ﴿والسلاسل﴾ بجر اللام، قال ابن عطية: على تقدير إذ أعناقهم في الأغلال والسلاسل، وقال الزجاج: المعنى على هذه القراءة وفي السلاسل يسحبون، واعترضه ابن الأنباري بأن ذلك لا يجوز في العربية، ومحل ﴿يُسْحَبُونَ﴾ على تقدير عطف ﴿السلاسل﴾ على ﴿ٱلْأَغْلَٰلُ﴾ وعلى تقدير كونها مبتدأ، وخبرها: ﴿فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ النصب على الحال، أو لا محل له، بل هو مستأنف جواب سؤال مقدر.

---

(١) الشوكاني. (٢) البحر المحيط.

﴿ثُمَّ﴾ بعد الجر بالسلاسل إلى الحميم ﴿فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ﴾؛ أي: يحرقون بالنار، وهي محيطة بهم، من سجر التنور: إذا ملأه بالوقود، ومن كانوا في النار وكانت هي محيطة بهم، وصارت أجوافهم مملوءة بها، لزم أن يحرقوا بها على أبلغ الوجوه، فهم يملؤون بالنار كائنين فيها ويحرقون، والمراد: بيان أنهم يعذبون بأنواع العذاب، وينقلون من لون إلى لون.

حكي: أنه توفيت النوارة ـ امرأة الفرزدق ـ فخرج في جنازتها وجوه أهل البصرة، وخرج فيها الحسن البصري، فقال الحسن للفرزدق: يا أبا فراس، ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ ثمانين سنة، فلما دفنت.. قام الفرزدق على قبرها وأنشد هذه الأبيات:

أَخَافُ وَرَاءَ ٱلْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِيْ ... أَشَدَّ مِنَ ٱلْقَبْرِ ٱلْتِهَاباً وَأَضْيَقَا
إِذَا جَاءَنِيْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ قَائِدٌ ... عَنِيْفٌ وَسَوَّاقٌ يَسُوْقُ فَرَزْدَقَا
لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلاَدِ آدَمَ مَنْ مَشَىٰ ... إِلَىٰ ٱلنَّارِ مَغْلُولَ ٱلْقِلاَدَةِ أَزْرَقَا

ومعنى الآية: أي فسوف يعلم هؤلاء المكذبون حقيقة ما نخبرهم به، وصدق ما هم به اليوم مكذبون من هذا الكتاب، حين تجعل الأغلال والسلاسل في أعناقهم، يسحبون بها في الحميم، فينسلخ كل شيء عليهم من جلد ولحم وعروق، ثم تملأ بهم النار، ونحو الآية قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ وقوله: ﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

ثم ذكر أنهم يسألون سؤال تبكيت وتوبيخ عن آلهتهم التي كانوا يعبدونها، فقال: ﴿ثُمَّ﴾؛ أي: بعد الإحراق ﴿قِيلَ لَهُمۡ﴾؛ أي: يقال لهم على سبيل التوبيخ والتقريع، وصيغة الماضي للدلالة على التحقق ﴿أَيۡنَ مَا﴾؛ أي: أين الشركاء الذين ﴿كُنتُمۡ﴾ في الدنيا على الاستمرار ﴿تعبدون﴾هم ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى؛ رجاء شفاعتهم ادعوهم ليشفعوا لكم ويعينوكم، وهو نوع آخر من تعذيبهم ﴿قَالُواْ﴾؛ أي: يقولون: ﴿ضَلُّواْ﴾؛ أي: الشركاء؛ أي: غابوا ﴿عَنَّا﴾؛ أي: عن أعيننا، وإن كانوا قائمين؛ أي: غيرها لكين، من قول العرب: ضل المسجد والدار؛ أي: لم

يعرف موضعهما، وذلك[1] قبل أن يقرن بهم آلهتهم، فإن النار فيها أمكنة متعددة، وطبقات مختلفة، فلا مخالفة بينه وبين قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ أو ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم، على أن يكون ﴿ضل﴾ بمعنى ضاع وهلك، تنزيلاً لوجودهم منزلة الضياع والهلاك، لفقدهم النفع الذي يتوقعونه منهم، وإن كانوا مع المشركين في جميع الأوقات.

ثم أضربوا عن ذلك، وانتقلوا إلى الإخبار بعدمهم، وأنه لا وجود لهم، فقالوا: ﴿بَل﴾ تبين لنا أنا ﴿لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ﴾ ونعبد ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: في الدنيا بعبادتهم ﴿شَيْـًٔا﴾ ينفع لما ظهر لنا اليوم، أنهم لم يكونوا شيئاً يعتد به، كقولك: حسبته شيئاً فلم يكن؛ أي[2]: بل لم نكن نعبد من قبل هذا البعث شيئاً يضر وينفع، ويبصر ويسمع، وهذا اعتراف بأن عبادتهم الأصنام كانت باطلةً، قالوا ذلك: لما تبين لهم ما كانوا فيه من الضلالة والجهالة، وأنهم كانوا يعبدون ما لا ينفع ولا يضر. وليس هذا إنكار لوجود عبادتهم لها، بل اعتراف ببطلانها وعدم نفعها لهم، أو المعنى: بل لم نكن نعبد من قبل هذا اليوم شيئاً من دون الله أصلاً، فيكون إنكاراً لعبادة الأصنام ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي[3]: مثل ضلال آلهتهم عنهم ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عن آلهتهم، حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة.. لم يتصادفوا، وهذا بالنظر إلى التفسير الأول في قوله: ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾؛ أي: غابوا عن أعيننا، أو كما أضل الله هؤلاء المجادلين حيث لم يهتدوا في الدنيا إلى شيء ينفعهم في الآخرة، من العقائد الصحيحة، والأعمال الصالحة، يضل الله سائر الكافرين، الذين علم منهم اختيار الضلالة على الدين، وهذا بالنظر إلى التفسير الثاني في ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾، ومعنى إضلال الله سبحانه عبده: هو عدم عصمته إياه مما نهاه عنه، وعدم معونته وإمداده بما يتمكن به من الإتيان بما أمره به، أو الانتهاء عما نهاه عنه، كما في «تفسير الفاتحة» للشيخ صدر الدين القنوي رحمه الله.

والمعنى[4]: أي ثم يسألون، ويقال لهم: أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من

---

(١) روح البيان.
(٢) المراح.
(٣) النسفي.
(٤) المراغي.

دون الله، ليغيثوكم وينقذوكم مما أنتم فيه من البلاء والعذاب؟ فيجيبون ويقولون: غابوا عنا، وأخذوا طريقاً غير طريقنا، وتركونا في البلاء، لا بل الحق أننا ما كنا ندعو في الدنيا شيئاً يعتد به، وهذا كما تقول: حسبت أن فلاناً شيء، فإذا هو ليس بشيء إذا خبرته فلم تر عنده خيراً.

والخلاصة: أنهم اعترفوا بأن عبادتهم إياها كانت عبادة باطلة عاطلة ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: كما أضل الله تعالى هؤلاء المجادلين، وأبطل كذلك يفعل بأعمال جميع من يدين بالكفر، فلا ينتفعون بشيء منها.

ثم بين السبب فيما يأتيهم من هذا العذاب، فقال: ﴿ذَٰلِكُم﴾ الإضلال أيها الكفار، والالتفات؛ للمبالغة في التوبيخ، أو ذلكم العذاب الذي نزل بكم وهو العذاب المذكور بقوله: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ﴾، قال ابن الشيخ: ولا يخلو عن بعد. ﴿بِمَا﴾ ﴿الباء﴾: سببية؛ أي: بسبب ما ﴿كُنتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ وتبطرون وتتكبرون ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: في الدنيا ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ وهو الشرك والطغيان، و﴿الباء﴾: صلة الفرح؛ أي: تفرحون فرحاً بغير الحق، وهو الفرح بمعاصي الله، والسرور بمخالفة رسله وكتبه، أو الفرح بالمال والأتباع والصحة ﴿وبـ﴾سبب ﴿ما كنتم تفرحون﴾ وتختالون وتتوسعون في العدوان. وفي «المفردات»: الفرح: انشراح الصدر بلذة عاجلة، ولم يرخص إلا في الفرح بفضل الله ورحمته وبنصر الله، والمرح بفضل الله ورحمته وبنصر الله، والمرح: شدة الفرح والنشاط والتوسع فيه. كما سيأتي.

والمعنى[1]: أي هذا الذي فعلنا بكم اليوم من شديد العذاب بسبب فرحكم الذي كنتم تفرحونه في الدنيا، بارتكاب الشرك والمعاصي، ومرحكم وبطركم فيها بتمتّعكم باللّذّات ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ السبعة المقسومة لكم، كما قال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ حال كونكم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾؛ أي: في جهنم؛ أي: مقدّرين الخلود فيها أبداً ﴿فَبِئْسَ﴾ وقبح ﴿مَثْوَى﴾؛ أي: مقرّ ومنزل ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عن قبول الحق، والمخصوص بالذم: جهنم؛ أي: فحينئذ يقال ﴿بئس مثوى المتكبرين﴾ على الله في الدنيا، من أن يوحدوه ويؤمنوا برسله.

---

(١) المراغي.

وكان[1] مقتضى النظم القرآني أن يقال: فبئس مدخل المتكبرين، ليناسب عجز الكلام صدره كما يقال: زر بيت الله فنعم المزار، فصلّ في المسجد الحرام فنعم المصلى، لكن لما كان الدخول المقصود بالخلود سبب الثواء؛ أي: الإقامة.. عبّر بالمثوى الذي هو محل الإقامة، فاتحد آخر الكلام بأوله.

وفي الآية: ذمّ الكبر، فلا بدّ من علاجه بضدّه وهو التواضع، وعن بعض الحكماء افتخر الكلأ في المفازة على الشجر، فقال: أنا خير منك، يرعاني البهائم التي لا تعصي الله طرفة عين، فقال الشجر: أنا خير منك، يخرج منّي الثمار ويأكلها المؤمنون، وتواضع القصب، قال: لا خير فيّ، لا أصلح للمؤمنين ولا للبهائم، فلما تواضع رفعه الله، وخلق فيه السكّر الذي هو أحلى شيء، فلما نظر إلى ما وضع الله فيه من الحلاوة وتكبّر، فأخرج الله منه رأس القصب، حتى اتخذ منه الآدميون المكنسات، فكنسوا بها القاذورات، فهذا حال كبر غير المكلف، فكيف حال المكلف؟

ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ بالصبر، فقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ يا محمد على أذيّة قومك لك، بسبب تلك المجادلات وغيرها، إلى أن يلاقوا ما وعدت لهم من العذاب ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: إنّ وعده بتعذيبهم والانتقام منهم ﴿حَقٌّ﴾؛ أي: ثابت كائن لا محالة، إما في الدنيا أو في الآخرة، ولهذا قال: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾؛ أي: فإن نرك، و﴿مَا﴾: مزيدة لتأكيد الشرطية، ولذا لحقت النون الفعل، ولا تلحقه مع إن وحدها، فلا تقول: إن تكرمني.. أكرمك بنون التأكيد، بل إما تكرمني.. أكرمك؛ أي: فإن نرك يا محمد في الدنيا ﴿بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ﴾ من العذاب بالقتل والأسر والقهر، وجوابه: محذوف؛ أي: فذاك ﴿أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل أن تراه؛ أي: أو نُمتْكَ قبل إنزال العذاب بهم ﴿فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾ وهو جواب ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾؛ أي: يردون إلينا يوم القيامة لا إلى غيرنا لنجازيهم بأعمالهم.

ومعنى الآية[2]: أي فاصبر أيها الرسول على ما يجادلك به هؤلاء المشركون في آيات الله التي أنزلها عليك، وعلى تكذيبهم إيّاك، فإن الله منجز لك فيهم ما وعدك، من الظفر بهم، والعلوّ عليهم، وإحلال العقاب بهم، إما في الدنيا وإما في

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

الآخرة، كما قال: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ إلخ؛ أي: فإما نرينك في حياتك بعض الذي نعدهم من العذاب والنقمة، كالقتل والأسر يوم بدر، فذاك ما يستحقّونه، أو نتوفّينك قبل ذلك فإلينا يرجعون يوم القيامة، فنجازيهم بأعمالهم، وننتقم منهم أشدّ الانتقام، ونأخذهم أخذ عزيز مقتدر، ونحو الآية قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بياء الغيبة مبنياً للمفعول، وقرأ أبو عبد الرحمن ويعقوب: بفتح الياء، وطلحة بن مصرف ويعقوب في رواية الوليد بن حسان: بفتح تاء الخطاب.

ثم ردّ سبحانه وتعالى على العرب في إنكارهم بعثة الرسل، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ روي إن الذين كانوا يجادلون في آيات الله تعالى، اقترحوا معجزات زائدة على ما أظهره الله على يده ﷺ، من تفجير العيون، وإظهار البساتين، وصعود السموات ونحوها، مع كون ما أظهره من المعجزات كافية في الدلالة على صدقه، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾؛ أي: وعزتي وجلالي لقد بعثنا ﴿رُسُلًا﴾ ذوي عدد كثير إلى قومهم ﴿مِن قَبْلِكَ﴾؛ أي: من قبل بعثتك يا محمد، أو من قبل زمانك ﴿مِنْهُم﴾؛ أي: من أولئك الرسل، خبر مقدم ﴿مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة: صفة ﴿رُسُلًا﴾ من قصّ عليه إذا بيّن، وأخبر؛ أي: من بيّناهم وأخبرناهم وسميناهم لك في القرآن، فأنت تعرفهم؛ أي: أنبأناك بأخبارهم، وما لقوه من قومهم ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾؛ أي: لم نسمّهم، ولم نخبرك خبرهم، ولا أوصلنا إليك علم ما كان بينهم وبين قومهم.

وعن علي وابن عباس: أن الله بعث نبياً أسود في الحبش، فهو ممن لم يقصص على محمد ﷺ، أخرجه الطبراني في «الأوسط» وابن مردويه. قال بعضهم: لعل معناه: أن الله بعث نبياً أسود إلى السودان، فلا يخالف ما ورد من أنّ الله تعالى ما بعث نبياً إلا حسن الاسم، حسن الصورة حسن الصوت، وذلك لأنّ في كل جنس حسناً بالنسبة إلى جنسه. انتهى.

---

(١) البحر المحيط.

والحاصل[1]: أنّ المذكور قصصهم من الأنبياء أفراد معدودة، وقد قيل: عدد الأنبياء مئة وأربعة وعشرون ألفاً، قال في «شرح المقاصد»: روى أحمد في «مسنده» عن أبي ذرّ الغفاري ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قلت لرسول الله ﷺ: كم عدد الأنبياء؟ فقال: «مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً» فقلت: فكم الرسل منهم؟ فقال: ثلاث مئة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً» وفي رواية مئتا ألف وأربعة وعشرون ألفاً، كما في «شرح العقائد» للتفتازاني. قال ابن أبي شريف: لم أر هذه الرواية.

لكن ذكر بعض العلماء أن الأولى أن لا يقتصر على عددهم؛ لأنّ خبر الواحد على تقدير اشتماله على جميع الشرائط، لا يفيد إلا الظن، ولا يعتبر إلا في العمليات دون الاعتقادات، وههنا حصر عددهم يخالف ظاهر قوله تعالى: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا﴾ إلخ. ويحتمل أيضاً مخالفة الواقع، وإثبات من ليس بنبي إن كان عددهم في الواقع أقلّ مما ذكر، ونفي النبوة عمن هو نبي إن كان أكثر، فالأولى عدم التنصيص على عدد.

والمذكور في القرآن باسم العلم على ما ذكر بعض المفسرين: ثمانية وعشرون، وهم: آدم ونوح وإدريس وصالح وهود وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويوسف ولوط ويعقوب وموسى وهارون وشعيب وزكريا ويحيى وعيسى وداود وسليمان وإلياس واليسع وذو الكفل وأيوب ويونس ومحمد وذو القرنين وعزيز ولقمان على القول بنبوة هذه الثلاثة الأخيرة، وفي «الأمالي»:

وَذُوْ ٱلْقَرْنَيْنِ لَمْ يُعْرَفْ نَبِيَّاً ۝ كَذَا لُقْمَانُ فَٱحْذَرْ عَنْ جِدَالِ

وذلك لأنّ ظاهر الأدلّة يشير إلى نفي النبوة عن الأنثى، وعن ذي القرنين ولقمان ونحوهما، كتبع، فإنه عليه السلام قال: «لا أدري أهو نبي أم ملك» وكالخضر، فإنه قيل: نبي، وقيل: ولي، وقيل: رسول، فلا ينبغي لأحد أن يقطع بنفي أو إثبات، فإن اعتقاد نبوّة من ليس بنبي كفر، كاعتقاد نفي نبوة نبي من الأنبياء، يعني إذا كان متفقاً على نبوته أو عدم نبوته، وأما إذا كان فيه خلاف.. فلا يكفر؛ لأنه كالدليل الظنّي، والكفر في القطعيّ.

---

(١) روح البيان.

﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ لاستغنائك عن ذلك، تخفيفاً لك عمّا لا يعنيك، وهذا أمارة كمال العناية فيما قصّ عليه، وفيما لم يقصص عليه.

والمعنى: أي ولقد أرسلنا رسلاً وأنبياء من قبلك إلى أممهم، منهم من أنبأناك بأخبارهم في القرآن، وبما لاقوه من قومهم، وهم خمسة وعشرون، ومنهم من لم نقصص عليك فيه خبرهم، ولا أوصلنا إليك علم ما كان بينهم وبين أقوامهم.

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾؛ أي: وما صحّ وما استقام لرسول منهم ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ ومعجزة تقترح عليه ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وإرادته، لا من قبل نفسه فإن المعجزات تشعب فنونها عطايا من الله تعالى، قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته المبنيّة على الحكم البالغة، كسائر القسم، ليس لهم اختيار في إيثار بعضها، ولا استبداد بإتيان المقترح بها، وفيه تسلية لرسول الله ﷺ، كأنه قيل: ما من رسول من قبلك سواء كان مذكوراً أو غير مذكور، أعطاه الله آيات ومعجزات إلا جادله قومه فيها، وكذّبوه عناداً وعبثاً، فصبروا وظفروا، فاصبر كما صبروا، تظفر كما ظفروا ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ سبحانه بالعذاب في الدنيا والآخرة.. ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: حكم بين الرسل ومكذّبيهم بإنجاء المحق، وإهلاك المبطل وتعذيبه ﴿وَخَسِرَ﴾؛ أي: هلك أو تحقّق، وتبيّن أنه خسر ﴿هُنَالِكَ﴾؛ أي: وقت مجيء أمر الله تعالى، وهو اسم مكان استعير للزمان ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾ المتمسّكون بالباطل على الإطلاق، فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولاً أولياً، جمع مبطل، والمبطل: صاحب الباطل والمتمسك به العامل له، كما أنّ المحق صاحب الحق والعامل به، والباطل: ضد الحق.

ولم يقل هنا(١): وخسر هنالك الكافرون، لما سبق من نقيض الباطل الذي هو الحق. كما في «برهان القرآن». وفي الآية إشارة إلى أنه يجب الرجوع إلى الله قبل أن يجيء أمرُه وقضاؤه بالموت والعذاب، فإنه ليس بعده إلا الأحزان.

وحاصل المعنى(٢): أي وليس في الرسل أحد إلا آتاه الله آيات ومعجزات جادله قومه فيها وكذّبوه، وجرى عليه من الإيذاء ما يقارب ما جرى عليك، فصبر على ما أوذي، وكانوا يقترحون عليه المعجزات على سبيل التعنّت والعناد، لا

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

للحاجة إليها، فكان من الحكمة عدم إجابتهم إلى ما طلبوا، ولم يكن ذلك بقادح في نبوّتهم، فلا عجب أن يقترح قومك عليك المعجزات التي لم يكن إظهارها صلاحاً ولا جرم، لم يجابوا إلى ما طلبوا لأنَّ المصلحة في عدم إجابتهم إليه، فإذا جاء أمر الله وهو عذابه ونكاله المحيط بالمكذبين.. قضي بالعدل، فنجّي رسله والذين آمنوا معهم، وأهلك الذين افتروا على الله الكذب وجادلوا في آياته، وزعموا أن له شريكاً.

ثمّ امتنّ سبحانه على عباده بنوع من أنواع نعمه التي لا تحصى، فقال: ﴿ٱللَّهُ﴾ الذي يستحق منكم العبادة هو ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ وخلق ﴿لـ﴾أجلـ﴿كم﴾ ومصلحتكم ﴿ٱلْأَنْعَٰمَ﴾؛ أي: الإبل، جمع نعم بفتحتين، وهو في الأصل الماشية الراعية، والكثير استعماله في الإبل، وقيل: الأنعام: الأزواج الثمانية. كما سيأتي عن بعضهم ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿من﴾: لابتداء الغاية، ومعناها: ابتداء الركوب، والأكل منها؛ أي: تعلقهما بها أو للتبعيض؛ أي: لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها، لا أن كلاً من الركوب والأكل مختص ببعض معيّن منها، بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر، بل على أن كل بعض منها صالح لكل منهما، وهذا أولى.

وتغيير[1] النظم في الجملة الثانية؛ لمراعاة الفواصل مع الإشعار بأصالة الركوب؛ لأنّ الغرض إنما يكون في المنافع، والركوب: متعلق بالمنفعة، لأنه إتلاف المنفعة، بخلاف الأكل، فإنه متعلق بالعين، لأنه إتلاف العين، ولا يقدح في ذلك كون الأكل أيضاً من المنافع، ولهذا جاء ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾؛ أي: في الأنعام أيضاً ﴿مَنَٰفِعُ﴾ أخرى غير الركوب والأكل، كألبانها وأوبارها وجلودها، أو كالصوف والشعر والزبد والسمن والجبن وغير ذلك، وقوله: ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ﴾ معطوف على قوله: ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾، و﴿حَاجَةً﴾: مفعول ﴿لِتَبْلُغُوا﴾؛ أي: ولتقضوا بها حاجة في قلوبكم، بحمل أثقالكم عليها من بلد إلى بلد ﴿وَعَلَيْهَا﴾؛ أي: على الإبل في البر ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾؛ أي: السفن في البحر ﴿تُحْمَلُونَ﴾ نظيره ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾.

---

(١) روح البيان.

قال في «الإرشاد»: لعل المراد به[1] حمل النساء والولدان عليها بالهودج، وهو السر في فصله عن الركوب، والجمع بينها وبين الفلك؛ لما بينهما من المناسبة التامة، حتى سمّيت سفائن البر؛ وإنما قال: ﴿عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾، ولم يقل: في الفلك، كما قال ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ للمزاوجة؛ أي: ليزاوج ويطابق قوله: ﴿وَعَلَيْهَا﴾ فإن محمولات الأنعام مستعلية عليها، فذكرت كلمة الاستعلاء في الفلك أيضاً للمشاكلة. انتهى.

وفي «المدارك»: الإيعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم؛ لأنّ الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له، يستعليها، فلما صحّ المعنيان. صحت العبارتان. انتهى.

وقال بعض المفسرين: المراد[2] بالأنعام في هذا المقام: الأزواج الثمانية. كما ذكرناه أولاً: وهي الإبل والبقر والضأن والمعز باعتبار ذكورتها وأنوثتها. فمعنى الركوب والأكل منها: تعلقهما بالكل، لكن لا على أنّ كلاً منهما يجوز تعلقه بكل منها، ولا على أنّ كلاً منهما مختص ببعض معين منها، بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر، بل على أن بعضها يتعلق به الأكل فقط كالغنم، وبعضها يتعلق به كلاهما كالإبل والبقر، والمنافع تعمُّ الكل، وبلوغ الحاجة عليها يعمّ البقر. انتهى.

ثمّ ذكر أنّ هناك آيات من آياته الباهرة، التي لا مجال لإنكارها، فقال: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾؛ أي: يبيّن لكم سبحانه دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته ﴿فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ فإنّ كلاً منها من الظهور بحيث لا يكاد يتجرأُ على إنكارها من له عقل في الجملة؛ أي: فإنها كلها من الظهور وعدم الخفاء، بحيث لا ينكرها منكر، ولا يجحدها جاحد، وفيه تقريع لهم وتوبيخ عظيم.

والمعنى[3]: أَيْ أَيَّ آيَةٍ من تلك الآيات تنكرون، فإنها لظهورها لا تقبل الإنكار، وإضافة[4] الآيات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة، وتهويل إنكارها كما سيأتي.

فإن قلت: كان الظاهر أن يقال: فأية آيات الله بتاء التأنيث، لكون ﴿أيّ﴾

---

(١) أبو السعود.
(٢) روح البيان.
(٣) البيضاوي.
(٤) روح البيان.

عبارةً عن المؤنث لإضافته إليها..

قلت: تذكير ﴿أيّ﴾ هو الشائع المستفيض، والتأنيث قليل؛ لأنّ التفرقة بين المذكّر والمؤنث في الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة، وإنسان وإنسانة غريب، وهو في أيّ أغرب لإبهامه، فإن قصد التمييز والتفرقة ينافي الإبهام، وهذا في غير النداء، فإن اللغة الفصيحة الشائعة أن تؤنث أيّ الواقعة في نداء المؤنث، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ ولم يسمع أن يقال: يا أيها المرأة بالتذكير، ومن قلة تأنيث أيّ قوله:

بِـأَيِّ كِـتَـابٍ أَمْ بِـأَيَّـةِ سُـنَّـةٍ   تَرَىٰ حُبَّهُمْ عَاراً عَلَيَّ وَتَحْسَبِ

واعلم: أنّ جميع أجزاء العالم آيات بينات، وحجج واضحات، ترشدك إلى وحدانية الله تعالى وكمال قدرته.

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ   تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ وَاحِدُ

لكن هداية الله تعالى إلى **جهة** الإرشاد، وكيفيته أصل الأصول.

والمعنى(١): أي إنّ له تعالى آيات يراها خلقه عياناً، ويشاهدونها متجدّدةً كل يوم، وفي كل آن فأياً منها تنكرون، وبأيها تعترفون، وهي ظاهرة بادية للعيان لا سبيل إلى جحدها.

وقصارى ذلك: أنكم لا تقدرون على إنكار شيء من آياته، إلا أن تعاندوا وتكابروا.

و﴿الهمزة﴾(٢) في قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾: للاستفهام التوبيخي المضمّن للإنكار، و﴿الفاء﴾: عاطفة على مقدر يقتضيه السياق؛ أي: أقعد قومك قريش في منازلهم فلم يسيروا ولم يسافروا ﴿فِى﴾ نواحي ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ وأرجائها ﴿فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ﴾ كانوا ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم المهلكة فيعتبروا بهم؛ يعني: أنهم قد ساروا في أطراف الأرض، وسافروا إلى جانب الشام واليمن، وشاهدوا مصارع المكذبين من الأمم السالفة، وآثارهم، فليحذروا من مثل عذابهم، فلا يكذّبوك يا محمد، فإن الآثار الموجودة في ديارهم تدل على ما نزل بهم من العقوبة، وما

---

(١) المراغي.   (٢) روح البيان.

صاروا إليه من سوء العاقبة.

ثمّ بيّن سبحانه أن تلك الأمم كانوا فوق هؤلاء في الكثرة والقوة، فقال: ﴿كَانُوٓاْ﴾؛ أي: تلك الأمم ﴿أَكۡثَرَ﴾ عدداً ﴿مِنۡهُمۡ﴾؛ أي: من قومك ﴿قُوَّةٗ﴾ في الأبدان والعدد ﴿وَءَاثَارٗا﴾ باقيةً بعدهم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من الأبنية والقصور والمصانع وهي جمع مصنعة بفتح النون وضمها شيء كالحوض يجمع فيه ماء المطر، ويقال له: الصهريج وأكثر بلاد العرب محتاجة إلى هذا لقلة الماء الجاري والآبار فيها؛ أي: كانوا أكثر منهم عدداً، وأقوى منهم أجساداً، وأوسع منهم أموالاً، وأظهر منهم آثاراً في الأرض بالعمائر والمصانع والحرث ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ﴾ ودفع ﴿عَنۡهُم﴾؛ أي: عن تلك الأمم المهلكة ﴿مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾؛ أي: كسبهم أو مكسوبهم من الأموال والأولاد شيئاً من عذاب الله تعالى حين جاءهم؛ فإذا لم تفدهم تلك المكنة العظيمة إلا الخيبة والخسار.. فكيف هؤلاء الفقراء المساكين، ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ الأولى استفهامية؛ أي: أيّ شيء أغنى عنهم، أو نافية؛ أي: لم يغن عنهم، و﴿مَا﴾ الثانية: يجوز أن تكون موصولة، وأن تكون مصدرية، وهذه ﴿الفاء﴾؛ أعني: قوله: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ﴾ لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم، وما كانوا يكسبون بذلك، زعماً منهم أنَّ ذلك يغني عنهم، فلم يترتب عليه إلا عدم الإغناء، فهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة، وإن كان عكس الغرض ونقيض المطلوب، كما في قولك: وعظته فلم يتعظ؛ أي: لم يترتب عليه إلا عدم الاتعاظ، مع أنه عكس المتوقع.

وحاصل معنى الآية[1]: أي أفلم يسر هؤلاء المجادلون في آيات الله من مشركي قريش في البلاد، فإنهم أهل سفر إلى الشام واليمن، فينظروا فيما وطئوا من البلاد إلى ما حلّ بالأمم قبلهم، ويشاهدوا ما أحللنا بهم من بأسنا حين تكذيبهم رسلنا، وجحودهم بآياتنا، وكيف كانت عاقبة أمرهم، وقد كانوا أكثر منهم عدداً، وأشد بطشاً، وأقوى جنداً، وأبقى في الأرض أثراً، لأنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً، ويتخذون مصانع، ويبنون أهراماً ضخمة، فلما جاءهم بأسنا، وحلّت بهم نقمتنا.. لم يغن ذلك عنهم شيئاً، ولا ردّ عنهم العذاب الذي حل بهم.

و﴿الفاء﴾ في قوله[2]: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: بالمعجزات

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

والدلالات الواضحة: تفسيرية وتفصيلية لما أبهم وأجمل من عدم الإغناء، إذ التفسير يعقب المفسّر، وقد كثر في الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على التفسير بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال ﴿فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾؛ أي: أظهروا الفرح بذلك، واستحقروا علم الرسل، والمراد بعلمهم: ما لهم من العقائد الزائفة، والشبه الباطلة، كما قالوا: لا نبعث ولا نعذّب، وما أظنّ الساعة قائمة ونحو ذلك، وتسميتها علماً مع أنّ الاعتقاد الغير المطابق للواقع حقّه أن يسمّى جهلاً؛ للتهكّم بهم، فهي علم على زعمهم لا في الحقيقية، أو المراد: علمهم بأمور الدنيا، ومعرفتهم بتدبيرها، كما قال: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ۝٧﴾.

فلما[1] جاءتهم الرسل بعلوم الديانات، وهي أبعد شيء من علمهم، لبعثها على رفض الدنيا، والإعراض عن الملاذّ والشهوات.. لم يلتفتوا إليها، وصغّروها واستهزؤوا بها، واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم، ففرحوا به، أو المراد: علم الفلاسفة والدهريين، وهو علم الطبائع والتنجيم، فإن الحكماء كانوا إذا سمعوا بوحي الله.. دفعوه، وصغّروا علم الأنبياء بالنسبة إلى علمهم، ويكتفون بما يكسبونه بنظر العقل، ويقولون: نحن قوم مهتدون فلا حاجة بنا إلى من يهدينا، كما قال سقراط لما ظهر موسى عليه السلام: نحن قوم مهذّبون، لا حاجة بنا إلى من يهذّبنا، وكان أبو جهل يكنى في الجاهلية بأبي الحكم، لأنهم يزعمون أنه عالم ذو حكمة، فكناه النبيّ ﷺ بأبي جهل، لأنه لو كان له علم حقيقة.. لآمن بالرسول عليه السلام، وقيل: الذين فرحوا بما عندهم من العلم هم الرسل، وذلك أنه لما كذّبهم قومهم.. أعلمهم الله تعالى بأنه مهلك الكافرين، ومنجي المؤمنين ففرحوا بذلك، أو المراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه، واستهزاء به، كأنه قال: استهزؤوا بالبينات وبما جاؤوا به من علم الوحي، فرحين به مرحين، ويدل عليه قوله: ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾؛ أي: نزل بالكفار وأصحابهم ﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ أي: وبال استهزائهم بالأنبياء، واستحقارهم لعلومهم، وما أخبروا به من العذاب ونحوه، فلم يعجزوا الله في مراده منهم.

والمعنى[2]: أي فلما جاء هذه الأمم المكذّبة للرسل من أرسلوا إليهم بالأدلة

---

(١) النسفي. (٢) روح البيان.

الواضحة، والبراهين الظاهرة.. فرحوا بما عندهم من شبهات ظنّوها علماً نافعاً، كقولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾، وقولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾، وقولهم: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ ولكن حل بهم ما كانوا يستعجلون به رسلهم استهزاءً وسخريةً.

ثمّ ذكر حالهم حين عاينوا العذاب فقال: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟﴾؛ أي: فلما رأت الأمم السالفة المكذبة، وعاينوا ﴿بَأْسَنَا﴾؛ أي: شدّة عذابنا في الدنيا، ووقعوا في مذلة الخيبة، ومنه قوله تعالى: ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾؛ أي: شديد.. ﴿قَالُوٓا۟﴾ مضطرّين ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ لا شريك له ﴿وَكَفَرْنَا﴾؛ أي: حجدنا ﴿بِمَا كُنَّا بِهِۦ﴾؛ أي: بسبب الإيمان به يعنون الأصنام التي يعبدونها، وهذه ﴿الفاء﴾:[1] لمجرد التعقيب، وجعل ما بعدها تابعاً لما قبلها، واقعاً عقيبه، لأن مضمون قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ﴾ إلخ. هو أنهم كفروا، فصار مجموع الكلام بمنزلة أن يقال: فكفروا ثم لما رأوا بأسنا.. آمنوا.

أي[2]: فلما عاينوا عذابنا النازل بهم.. قالوا: آمنا بالله، وكفرنا بتلك المعبودات الباطلة، والآلهة الزائفة، التي لا تجدي فتيلاً ولا قطميراً.

ثم بيّن أن ذلك لا يفيدهم شيئاً، فقد فات الأوان، فلا يفيد الندم ولا الاعتراف بالحق شيئاً.

نَـدِمَ ٱلْـبُـغَـاةُ وَلَاتَ سَـاعَـةَ مَـنْـدَمِ   وَٱلْـبَـغْـيُ مَـرْتَـعُ مُـبْـتَـغِـيْـهِ وَخِـيْـمُ

فقال سبحانه: ﴿فَلَمْ يَكُ﴾ أصله يكن حذفت النون لكثرة استعماله ﴿يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ﴾؛ أي: تصديقهم بالوحدانية اضطراراً، وقوله: ﴿إيمانهم﴾: يجوز[3] أن يكون اسم ﴿كان﴾ و﴿يَنفَعُهُمْ﴾: خبره مقدماف عليه، وأن يكون فاعل ﴿يَنفَعُهُمْ﴾ واسم ﴿كان﴾: ضمير الشأن المستتر فيه ﴿لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾؛ أي: حين رؤيتهم شدة عذابنا، والوقوع فيه لامتناع قبوله حينئذٍ امتناعاً عادياً، كما يدل عليه قوله: ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ...﴾ إلخ.

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.
(٣) روح البيان.

فامتنع القبول، لأنهم لم يأتوا به في الوقت المأمور به، لذلك قيل: ﴿فَلَمْ يَكُ﴾ بمعنى: لم يصحّ ولم يستقم، فإنه أبلغ في نفي النفع من لم ينفعهم إيمانهم، وهذه الفاء: للعطف على ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ كأنه قيل: فآمنوا فلم ينفعهم، لأنّ النافع هو الإيمان الاختياري الواقع مع القدرة على خلافه، ومن عاين نزول العذاب.. لم يبق له القدرة على خلاف الإيمان فلم ينفعه، وعدم نفعه في الدنيا دليل على عدم نفعه في الآخرة.

والمعنى[1]: أي فلم يفدهم إيمانهم عند ما عاينوا عقابنا، وحين نزل بهم عذابنا، ومضى فيهم حكمنا، فمثل هذا الإيمان لا يفيد شيئاً، كما قال تعالى لفرعون حين الغرق وحين قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾.

وبعد إذ ذكر سبحانه أنّ هذه سنته فيهم وفي أمثالهم من المكذّبين فقال: ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾ وقوله: ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾[2]: من المصادر المؤكدة لفعل محذوف، و﴿خَلَتْ﴾ من الخلوّ، يستعمل في الزمان والمكان، لكن لما تصوّر في الزمان المضي.. فسّر أهل اللغة قولهم: خلا الزمان، بقولهم: مضى وذهب؛ أي: سنّ الله سبحانه عدم قبول إيمان من آمن وقت رؤية البأس ومعاينته، سنةً ماضيةً في عباده مطّردةً؛ أي: في الأمم السالفة المكذبة كلها، ويجوز أن ينتصب ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ على التحذير؛ أي: احذروا يا أهل مكة سنة الله المطّردة في المكذبين السابقين، والأول أولى، والسنة: الطريقة والعادة المسلوكة، وسنة الله: طريقة حكمته.

والمعنى: أي وهكذا كانت سنة الله في الذين سلفوا، إذا عاينوا عذابه أن لا ينفعهم إيمانهم حينئذ، بعد أن جحدوا به، وأنكروا وحدانيته، وعبدوا من دونه من الأصنام والأوثان.

وقصارى ذلك[3]: أن حكم الله في جميع من تاب حين معاينة العذاب أن لا تقبل منه توبة، وقد جاء في الحديث: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»؛ أي:

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان. (٣) المراغي.

فإذا غرغر، وبلغت الروح الحلقوم.. فلا توبة، ولهذا قال: ﴿﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ و﴿هُنَالِكَ﴾[1]: اسم مكان، في الأصل موضوع للإشارة إلى المكان، وقد استعير في هذا المقام للزمان، لأنه لم أشير به إلى مدلول قوله: ﴿لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ و﴿لَمَّا﴾ للزمان.. تعيَّن أن يراد به الزمان، تشبيهاً له بالمكان في كونه ظرفاً للفعل كالمكان.

والمعنى على ما قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هلك الكافرون بوحدانية الله تعالى، المكذبون بها وقت رؤيتهم البأس والعذاب. وقال الزجاج: الكافر خاسر في كل وقت، ولكنه تبيّن لهم خسرانهم، إذا رأوا العذاب، ولم يرج فلاحهم، ولم يقل: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ كما قال فيما سبق، لأنه متصل بإيمان غير مجد، ونقيض الإيمان: الكفر كما في «برهان القرآن»؛ أي فحسن موقعه هنا، كما حسن موقع قوله: ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ هناك على ما عرف سره في موضعه.

الإعراب

﴿۞ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة: مستأنفة. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿نُهِيتُ﴾: فعل ماض مغير الصيغة ونائب فاعل، والجملة الفعلية، في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾: في محل النصب مقول لـ﴿قُلْ﴾، ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿أَعْبُدَ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على محمد. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿أَعْبُدَ﴾ والجملة الفعلية مع ﴿أَن﴾ المصدرية: في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض تقديره: قل: إني نهيت عن عبادة الذين. وجملة ﴿تَدْعُونَ﴾ صلة الموصول، والعائد: محذوف، تقديره: تدعونهم. ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور حال من فاعل ﴿تَدْعُونَ﴾؛ أي: مجاوزين الله، أو من العائد المحذوف. ﴿لَمَّا﴾: ظرف بمعنى حين في محل النصب على الظرفية مبني على السكون لشبهها بالحرف شبهاً افتقارياً، والظرف: متعلق

---

(١) روح البيان.

بـ﴿نُهِيتُ﴾، ﴿جَآءَنِيَ﴾: فعل ونون وقاية ومفعول به. ﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ فاعل؛ والجملة: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿لَمَّا﴾. ﴿مِن رَّبِّي﴾: حال من ﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ أو متعلق بـ﴿جاء﴾، ﴿وَأُمِرْتُ﴾ فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعل في محل النصب معطوف على ﴿نُهِيتُ﴾. ﴿أَنْ﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿أُسْلِمَ﴾: فعل مضارع ونائب فاعل يعود على محمد منصوب بـ﴿أن﴾ المصدرية، والجملة الفعلية مع ﴿أن﴾ المصدرية: في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، تقديره: وأمرت بالإسلام. و﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: متعلق بـ﴿أُسْلِمَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى﴾: مبتدأ وخبر، والجملة: مستأنفة مسوقة لبيان كيفية تكوّن البدن. ﴿خَلَقَكُم﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة: صلة الموصول. ﴿مِّن تُرَابٍ﴾: متعلق بـ﴿خلق﴾ ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾: معطوفان على ﴿مِّن تُرَابٍ﴾. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وترتيب. ﴿يُخْرِجُكُمْ﴾: فعل ومفعول به وفاعل مستتر يعود على الله، والجملة: معطوفة على جملة ﴿خَلَقَكُم﴾. ﴿طِفْلًا﴾: حال من ﴿الكاف﴾ في ﴿يُخْرِجُكُمْ﴾ على تأويله بالجمع؛ أي: أطفالاً، ليطابق الحال صاحبه، ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لِتَبْلُغُوٓا۟﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل. ﴿تبلغوا﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة ﴿أَشُدَّكُمْ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مع أن المضمرة: في تأويل مصدر مجرور بـ﴿اللام﴾. والجار والمجرور: متعلق بمحذوف معطوف على ﴿يُخْرِجُكُمْ﴾ والتقدير: ثم يخرجكم طفلاً، ثم يبقيكم لبلوغكم أشدكم. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لِتَكُونُوا۟﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل، ﴿تكونوا﴾: فعل مضارع ناقص واسمه ﴿شُيُوخًا﴾: خبره، والجملة مع أن المضمرة: في تأويل مصدر مجرور بـ﴿اللام﴾؛ أي: ثم لكونكم شيوخاً، الجار والمجرور: معطوف على الجار والمجرور قبله. ﴿وَمِنكُم﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية ﴿منكم﴾: خبر مقدم ﴿مَّنْ﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ مؤخر، والجملة: مستأنفة. ﴿يُتَوَفَّىٰ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة، ونائب فاعل مستتر ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلق بـ﴿يُتَوَفَّىٰ﴾. والجملة الفعلية: صلة ﴿مَّن﴾ الموصولة ﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿لِتَبْلُغُوٓا۟﴾: ﴿اللام﴾: حرف

جر وتعليل. ﴿تبلغوا﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة. ﴿أَجَلًا﴾: مفعول به ﴿مُّسَمًّى﴾: صفة لـ﴿أَجَلًا﴾، والجملة الفعلية مع أن المضمرة: في تأويل مصدر مجرور بـ﴿اللام﴾ والجار والمجرور: متعلق بمحذوف معطوف على ﴿يُتَوَفَّىٰ﴾، والتقدير: ومنكم من يتوفى من قبل، ومنكم من يبقي لبلوغكم أجلاً مسمى ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿لعل﴾: حرف ترّج وتعليل. و﴿الكاف﴾: اسمها، وجملة ﴿تَعْقِلُونَ﴾: خبرها، وجملة ﴿لعل﴾: معطوفة على جملة ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾؛ أي: ثم يبقيكم لبلوغكم أشدكم، ولجعلكم عاقلين.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى﴾: مبتدأ وخبر، والجملة: مستأنفة. وجملة ﴿يُحْيِۦ﴾: صلة الموصول. ﴿وَيُمِيتُۖ﴾. معطوف على ﴿يُحْيِۦ﴾. ﴿فَإِذَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿قَضَىٰٓ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على الله. ﴿أَمْرًا﴾: مفعول به، والجملة: في محل الخفض بإضافة ﴿إذا﴾ إليها، على كونها فعل شرط لها، والظرف: متعلق بالجواب. ﴿فَإِنَّمَا﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إذا﴾، ﴿إنما﴾: كافة ومكفوفة. ﴿يَقُولُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر. ﴿لَهُۥ﴾: متعلق بـ﴿يَقُولُ﴾، والجملة الفعلية: جواب ﴿إذا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إذا﴾: معطوفة على جملة ﴿يُحْيِۦ﴾؛ أي: وهو الذي يحيي ويميت، ويقول: كن وقت قضائه أمراً ﴿كُن﴾: فعل أمر تام، وفاعل مستتر يعود على ﴿أَمْرًا﴾ والجملة: في محل النصب مقول ﴿يَقُولُ﴾. ﴿فَيَكُونُ﴾: ﴿الفاء﴾: استئنافية. ﴿يكون﴾: فعل مضارع تام، وفاعله: ضمير يعود على ﴿أَمْرًا﴾ والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: فهو يكون، والجملة الاسمية: مستأنفة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾﴾.

﴿أَلَمْ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التقريري التعجبي. ﴿لم﴾: حرف نفي وجزم، ﴿تَرَ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على محمد مجزوم بـ﴿لم﴾، وعلامة جزمه: حذف حرف العلة، والجملة: مستأنفة. ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ﴾: متعلق بـ﴿تَرَ﴾. ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾:

فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾، ﴿أَنَّىٰ﴾: اسم استفهام بمعنى كيف، في محل النصب على الحال، ﴿يُصۡرَفُونَ﴾: فعل ونائب فاعل، ومتعلقه: محذوف، تقديره: كيف يصرفون عن الإيمان بالكلية. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: في محل الجر بدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأول. ﴿كَذَّبُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة: صلة الموصول. ﴿بِٱلۡكِتَٰبِ﴾: متعلق بـ﴿كَذَّبُواْ﴾ ﴿وَبِمَآ﴾: جار ومجرور معطوف على ﴿بِٱلۡكِتَٰبِ﴾ ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿بِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾. ﴿رُسُلَنَا﴾: مفعول به، والجملة: صلة الموصول ﴿فَسَوۡفَ﴾: ﴿الفاء﴾: استئنافية ﴿سوف﴾: حرف تنفيس. ﴿يَعۡلَمُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة: مستأنفة مسوقة للتهديد، هذا ويجوز أن تعرب الذين خبراً لمبتدأ محذوف، أو منصوباً على الذم، ويجوز أن يكون مبتدأ، خبره: ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ و﴿الفاء﴾: رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط، ﴿إِذِ﴾: ظرف لما مضى من الزمان، في محل النصب على الظرفية، مبني على السكون المقدر، والظرف: متعلق بـ﴿يَعۡلَمُونَ﴾، أو هي في محل النصب مفعول به لـ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ ولا يتنافى كون الظرف ماضياً، و﴿سوف يعلمون﴾ مستقبلاً، ففي جعلها مفعولاً به تناف من استحالة عمل المستقبل في الزمن الماضي، ولك أن تقول: لا منافاة؛ لأنّ الأمور المستقبلة لما كانت في أخبار الله تعالى متيقّنة مقطوعاً بها.. عبّر عنها بلفظ ما كان ووجد، والمعنى على الاستقبال. ﴿ٱلۡأَغۡلَٰلُ﴾ مبتدأ، ﴿فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ﴾: خبر. ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾: معطوف على ﴿ٱلۡأَغۡلَٰلُ﴾، والظرف: في نية التأخير عنهما، فهو خبر عنهما معاً، والجملة الاسمية: في محل الجرّ مضاف إليه لـ﴿إِذِ﴾؛ أي: فسوف يعلمون عاقبة أمرهم وقت كون الأغلال والسلاسل في أعناقهم. ﴿يُسۡحَبُونَ﴾: فعل ونائب فاعل.

﴿فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ (٧٣) مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾.

﴿فِي ٱلۡحَمِيمِ﴾: متعلق بـ﴿يُسۡحَبُونَ﴾ والجملة الفعلية: في محل النصب حال من ضمير ﴿أَعۡنَٰقِهِمۡ﴾ لوجود شرطه وهو كون المضاف بعضاً من المضاف إليه. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وترتيب. ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾: متعلق بـ﴿يُسۡجَرُونَ﴾. وجملة ﴿يُسۡجَرُونَ﴾: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿يُسۡحَبُونَ﴾. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وترتيب. ﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة ﴿لَهُمۡ﴾: متعلق بـ﴿قِيلَ﴾ وجملة ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ﴾:

نائب فاعل محكي لـ﴿قِيلَ﴾. وجملة ﴿قِيلَ﴾: معطوفة على جملة ﴿يُسۡجَرُونَ﴾. وإن شئت قلت: ﴿أَيۡنَ﴾: اسم استفهام في محل النصب على الظرفية المكانية، والظرف: متعلق بمحذوف خبر مقدم ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ، والجملة الاسمية: في محل الرفع نائب فاعل لـ﴿قِيلَ﴾. ﴿كُنتُمۡ﴾: فعل ناقص واسمه. وجملة ﴿تُشۡرِكُونَ﴾: خبره ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: حال من فاعل ﴿تُشۡرِكُونَ﴾. وجملة ﴿كان﴾ صلة لـ﴿مَا﴾ الموصولة.

﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٤ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ٧٥ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٦﴾.

﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة، ﴿ضَلُّواْ﴾: فعل وفاعل. ﴿عَنَّا﴾: متعلق به، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالُواْ﴾ ﴿بَل﴾: حرف إضراب للإضراب الانتقالي. ﴿لَّمۡ﴾: حرف جزم ﴿نَكُن﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَّمۡ﴾ واسمها ضمير يعود على المتكلمين. وجملة ﴿نَّدۡعُواْ﴾: خبرها. ﴿مِن قَبۡلُ﴾: جار ومجرور حال من ﴿شَيۡـٔٗاۚ﴾ أو متعلق بـ﴿نَّدۡعُواْ﴾. ﴿شَيۡـٔٗاۚ﴾: مفعول به لـ﴿نَّدۡعُواْ﴾ وجملة ﴿لَّمۡ نَكُن﴾: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿ضَلُّواْ﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قَالُواْ﴾. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ صفة لمصدر محذوف: ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة: مستأنفة؛ أي: يضل الله الكافرين كلهم إضلالاً مثل إضلالهم المذكور. ﴿ذَٰلِكُم﴾: مبتدأ. ﴿بِمَا﴾: خبر، والجملة: في محل النصب مقول لقول محذوف، تقديره: وتقول لهم الخزنة: ذلكم... إلخ. ﴿كُنتُمۡ﴾: فعل ناقص واسمه. وجملة ﴿تَفۡرَحُونَ﴾: خبره. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: متعلق بـ﴿تَفۡرَحُونَ﴾، ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾: حال من فاعل ﴿تَفۡرَحُونَ﴾ وجملة ﴿كان﴾: صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة أو لـ﴿ما﴾ المصدرية، وقوله: ﴿وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ﴾: معطوف على قوله: ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ﴾. ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والجملة: أيضاً مقول لقول محذوف؛ أي: ويقال لهم: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾. ﴿أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾: مفعول به على السعة ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من فاعل ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ﴾. ﴿فِيهَا﴾: متعلق بـ﴿خَٰلِدِينَ﴾. ﴿فَبِئۡسَ﴾ ﴿الفاء﴾: استئنافية أو عاطفة ﴿بئس﴾: فعل ماض من أفعال الذم. ﴿مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾: فاعل ومضاف إليه، والمخصوص بالذم: محذوف، تقديره: هي،

وجملة ﴿بئس﴾: مستأنفة مسوقة لإنشاء الذم، أو معطوفة على جملة ﴿ٱدْخُلُوٓاْ﴾.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

﴿فَٱصْبِرْ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا بدا لك منهم ما بدا من صد وإعراض، وأردت بيان ما هو اللازم لك.. فأقول لك: ﴿اصبر﴾ ولا تبتئس فإنا سننتقم لك منهم ﴿اصبر﴾: فعل أمر وفاعل مستتر، تقديره: أنت، والجملة الفعلية: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة: مستأنفة ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: ناصب واسمه وخبره، وجملة ﴿إِنَّ﴾: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، على أنها مسوقة لتعليل الأمر بالصبر. ﴿فَإِمَّا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿إما﴾ ﴿إن﴾: حرف شرط جازم مبني بسكون على النون المدغمة في ميم ﴿ما﴾ الزائدة، و﴿ما﴾: زائدة، ﴿نُرِيَنَّكَ﴾: فعل مضارع في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية، على كونه فعل شرط لها. مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، و﴿نون﴾ التوكيد الثقيلة: حرف لا محل لها من الإعراب، وفاعله: ضمير مستتر فيه وجوباً، تقديره: نحن. والكاف: ضمير المخاطب في محل النصب مفعول أول ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى﴾: مفعول ثان لـ﴿رأى﴾، لأنه من رأى البصرية، تعدّت إلى المفعول الثاني بالهمزة. ﴿نَعِدُهُمْ﴾: فعل مضارع ومفعول به وفاعل مستتر، والجملة: صلة الموصول، وجواب ﴿إن﴾ الشرطية: محذوف، تقديره: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ وهو القتل والأسر يوم بدر، فذاك غاية أملك، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿اصبر﴾ على كونها مقولاً لجواب إذا المقدرة، ﴿أَوْ﴾: حرف عطف: ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: فعل مضارع في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية بالعطف على ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله: ضمير مستتر فيه وجوباً، تقديره: نحن، و﴿الكاف﴾: ضمير المخاطب في محل النصب مفعول به. ﴿فَإِلَيْنَا﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية جوازاً. ﴿إلينا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يُرْجَعُونَ﴾، ﴿يُرْجَعُونَ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة ونائب فاعل، والجملة: في محل الجزم جواب للشرط الثاني، وجواب الشرط الأول: محذوف كما مرّ آنفاً، والتقدير: فإما نرينّك بعض الذي نعدهم من العذاب، وهو القتل والأسر يوم بدر، فذاك المطلوب ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل

يوم بدر ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة فننتقم منهم أشدّ الانتقام. وإنما حذف جواب الأول دون الثاني؛ لأنّ الأول إن وقع.. فذاك غاية الأمل في إنكائهم، فالثابت على تقدير وقوعه معلوم، وهو حصول المراد على التمام، وأما إن لم يقع ووقع الثاني وهو توفيه قبل حلول المجازاة بهم.. فهذا هو الذي يحتاج إلى ذكره للتسلية وتطمين النفس، على أنه وإن تأخر جزاؤهم عن الدنيا.. فهو حتم في الآخرة ولا بد منه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم ﴿قد﴾ حرف تحقيق. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿رُسُلًا﴾: مفعول به. ﴿مِن قَبْلِكَ﴾: متعلق بـ﴿أَرْسَلْنَا﴾، أو صفة لـ﴿رُسُلًا﴾ والجملة الفعلية: جواب القسم، لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم: مستأنفة. ﴿مِنْهُمْ﴾: خبر مقدم ﴿مَّن﴾ اسم موصول في محل الرفع مبتدأ مؤخر. وجملة ﴿قَصَصْنَا﴾: صلة لـ﴿مَّن﴾ الموصولة، والعائد: محذوف، تقديره: قصصناهم ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلق بـ﴿قَصَصْنَا﴾، والجملة الاسمية: في محل النصب صفة لـ﴿رُسُلًا﴾ أو مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿وَمِنْهُم﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مِنْهُمْ﴾: خبر مقدم ﴿مَّن﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية: معطوف على جملة قوله: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا﴾. ﴿لَّمْ﴾: حرف جزم ﴿نَقْصُصْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَّمْ﴾ وفاعله: ضمير مستتر، تقديره: نحن. ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلق بـ﴿نَقْصُصْ﴾ والجملة: صلة ﴿مَّن﴾ الموصولة. والعائد: محذوف، تقديره: من لم نقصصهم عليك.

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص ﴿لِرَسُولٍ﴾: خبرها مقدم على اسمها. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿يَأْتِيَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ﴿أَن﴾ المصدرية، وفاعله: ضمير يعود على ﴿رسول﴾. ﴿بِآيَةٍ﴾:

متعلق بـ﴿يَأۡتِيَ﴾ والجملة الفعلية مع ﴿أَن﴾ المصدرية: في تأويل مصدر مرفوع على كونه اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخراً، والتقدير: وما كان الإتيان بآية كائناً لرسول من الرسل إلا بإذن الله تعالى، وجملة ﴿كَانَ﴾: معطوفة على جملة ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا﴾ أو مستأنفة. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ من أعم الأحوال، ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ متعلق بـ﴿يَأۡتِيَ﴾؛ أي: وما كان لرسول أن يأتي بآية في حال من الأحوال، إلا بإذن الله، ﴿فَإِذَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾: فعل وفاعل، والجملة: في محل الخفض بإضافة ﴿إذا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها والظرف: متعلق بالجواب. ﴿قُضِيَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: جار ومجرور في محل الرفع نائب فاعل لـ﴿قُضِيَ﴾، وجملة ﴿قُضِيَ﴾: جواب ﴿إذا﴾ وجملة ﴿إذا﴾: معطوفة على جملة ﴿كَانَ﴾ أو مستأنفة. ﴿وَخَسِرَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿خسر﴾: فعل ماض. ﴿هُنَالِكَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ﴿خسر﴾، ﴿ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾: فاعل لـ﴿خسر﴾، والجملة: معطوفة على جملة ﴿قُضِيَ﴾ على كونها جواب ﴿إذا﴾ الشرطية.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ (٧٩) وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ (٨٠) وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ (٨١)﴾.

﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ ﴿ٱلَّذِي﴾: خبره، والجملة: مستأنفة مسوقة لتعداد بعض آلائه سبحانه. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض بمعنى خلق، وفاعله: ضمير مستتر، والجملة: صلة الموصول. ﴿لَكُمُ﴾: متعلق بـ﴿جَعَلَ﴾، ﴿ٱلۡأَنۡعَٰمَ﴾: مفعول به ﴿لِتَرۡكَبُواْ﴾: ﴿اللام﴾: حرف جرّ وتعليل. ﴿تركبوا﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة بعد لام كي. ﴿مِنۡهَا﴾ - أي: بعضها - متعلق بـ﴿تركبوا﴾ والجملة الفعلية مع أن المضمرة. في تأويل مصدر مجرور بـ﴿اللام﴾ والجار والمجرور: متعلق بـ﴿جَعَلَ﴾، والتقدير: الله الذي خلق لكم الأنعام لمنفعة ركوبكم إياها. ﴿وَمِنۡهَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿مِنۡهَا﴾: متعلق بـ﴿تَأۡكُلُونَ﴾: قدمه عليه لرعاية الفواصل. ﴿تَأۡكُلُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة: معطوفة على جملة ﴿تركبوا﴾؛ أي: خلقها لركوبكم إياها ولأكلكم منها. ﴿وَلَكُمۡ﴾ ﴿الواو﴾: اعتراضية. ﴿لَكُمۡ﴾: خبر مقدم. ﴿فِيهَا﴾: حال من ﴿مَنَٰفِعُ﴾، و﴿مَنَٰفِعُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية: معترضة لا محل لها من

الإعراب، لاعتراضها بين المعطوف والمعطوف عليه. ﴿وَلِتَبْلُغُوا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿اللام﴾: حرف جرّ وتعليل، ﴿تبلغوا﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلق بـ﴿تبلغوا﴾ ﴿حَاجَةً﴾ مفعول به. ﴿فِي صُدُورِكُمْ﴾: صفة لـ﴿حَاجَةً﴾ والجملة الفعلية مع أن المضمرة: في تأويل مصدر مجرور بـ﴿اللام﴾ والجار والمجرور: معطوف على الجار والمجرور في قوله: ﴿لِتَرْكَبُوا﴾ والتقدير: الله الذي خلق لكم الأنعام لركوبها، ولبلوغ حاجة في صدوركم عليها. ﴿وَعَلَيْهَا﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلق بـ﴿تُحْمَلُونَ﴾، ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾: معطوف على ﴿عَلَيْهَا﴾، ﴿تُحْمَلُونَ﴾: فعل مضارع مغير ونائب فاعل، والجملة: مستأنفة استئنافاً بيانياً. ﴿وَيُرِيكُمْ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر، ومفعول أول. ﴿آيَاتِهِ﴾: مفعول ثان، والجملة الفعلية: معطوفة على جملة ﴿جَعَلَ﴾، ﴿فَأَيَّ﴾: ﴿الفاء﴾: استئنافية. ﴿أي﴾: اسم استفهام للاستفهام التوبيخي، منصوب على أنه مفعول مقدم وجوباً لـ﴿تُنْكِرُونَ﴾، لأن اسم الاستفهام مما يلزم الصدارة. ﴿آيَاتِ اللَّهِ﴾ مضاف إليه ﴿تُنْكِرُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة: مستأنفة مسوقة للتوبيخ والتقريع.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

﴿أَفَلَمْ﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التوبيخي المضمّن للإنكار، داخلة على محذوف، و﴿الفاء﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أقعد قومك قريش في منازلهم ولم يسيروا في الأرض؟ والجملة المحذوفة: مستأنفة. ﴿لم﴾: حرف نفي وجزم. ﴿يَسِيرُوا﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لم﴾ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلق بـ﴿يَسِيرُوا﴾ والجملة: معطوفة على تلك المحذوفة. ﴿فَيَنْظُرُوا﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة أو سببية واقعة في جواب الاستفهام ﴿ينظروا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يَسِيرُوا﴾ ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام في محل النصب خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم وجوباً ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿عَاقِبَةُ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾. ﴿الَّذِينَ﴾: مضاف إليه. ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: صلة ﴿الَّذِينَ﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾: في محل النصب مفعول ﴿ينظروا﴾: معلق عنها باسم الاستفهام.

﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿كَانُوا أَكْثَرَ﴾: فعل ناقص واسمه، وخبره ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلق بـ﴿أَكْثَرَ﴾

وجملة ﴿كان﴾: مستأنفة مسوقة لبيان مبدأ أحوالهم وعواقبها، ﴿وَأَشَدَّ﴾: معطوف على ﴿أَكْثَرَ﴾ ﴿قُوَّةً﴾. تمييز محوّل عن اسم ﴿كان﴾ ﴿وَءَاثَارًا﴾: معطوف على ﴿قُوَّةً﴾ ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: صفة لـ﴿آثاراً﴾: ﴿فَمَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿ما﴾: نافية أو استفهامية في محل النصب مفعول مقدم لـ﴿أَغْنَىٰ﴾. ﴿أَغْنَىٰ﴾: فعل ماض ﴿عَنْهُم﴾: متعلق بـ﴿أَغْنَىٰ﴾، ﴿مَّا﴾: اسم موصول بمعنى الذي في محل الرفع فاعل ﴿أَغْنَىٰ﴾ أو مصدرية والمصدر المؤوّل بها: فاعل ﴿أَغْنَىٰ﴾ ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص واسمه. وجملة ﴿يَكْسِبُونَ﴾: خبره، وجملة ﴿كَانُوا۟﴾: صلة لـ﴿مَّا﴾ الموصولة، والعائد: محذوف، تقديره: ما كانوا يكسبونه، أو صلة لـ﴿مَّا﴾ المصدرية، والمصدر المؤوّل فاعل ﴿أَغْنَىٰ﴾؛ أي: لم يغن عنهم، أو أيّ شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم، وجملة ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ﴾: معطوفة على جملة ﴿كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: تفصيلية تفسيرية. ﴿لما﴾: اسم شرط غير جازم في محل نصب على الظرفية الزمانية ﴿جَآءَتْهُمْ﴾: فعل ومفعول به ﴿رُسُلُهُم﴾: فاعل. ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: متعلق بـ﴿جَآءَتْهُمْ﴾ أو حال من ﴿الرسل﴾ والجملة: فعل شرط لـ﴿لمّا﴾ في محل جر بالإضافة. ﴿فَرِحُوا۟﴾: فعل وفاعل، والجملة: جواب ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لما﴾: جملة مفسرة لجملة قوله: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾: لا محل لها من الإعراب، ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿فَرِحُوا۟﴾، ﴿عِندَهُم﴾: ظرف متعلق بمحذوف صلة لـ﴿ما﴾ ﴿مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾: حال من ﴿ما﴾ الموصولة، أو من الضمير المستكن في الظرف ﴿وَحَاقَ﴾: فعل ماض معطوف على ﴿فَرِحُوا۟﴾. ﴿بِهِم﴾: متعلق بـ﴿حاق﴾. ﴿مَّا﴾: اسم موصول في محل الرفع فاعل ﴿حاق﴾ ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ناقص واسمه ﴿بِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وجملة ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾: خبر ﴿كان﴾ وجملة ﴿كان﴾ صلة لـ﴿مَّا﴾ الموصولة.

﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

﴿فَلَمَّا﴾ ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتعقيب. ﴿لما﴾: اسم شرط غير جازم في محل نصب على الظرفية الزمانية. ﴿رَأَوْا۟﴾: فعل وفاعل. ﴿بَأْسَنَا﴾: مفعول به لرأى

لأنها بصرية، والجملة الفعلية: فعل شرط لـ﴿لمّا﴾ في محل جر بالإضافة، ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والجملة: جواب ﴿لما﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لما﴾: معطوفة على جملة ﴿لما﴾ الأولى، ﴿ءَامَنَّا﴾: فعل وفاعل ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿ءَامَنَّا﴾ والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالُوٓاْ﴾، ﴿وَحۡدَهُۥ﴾: حال من الجلالة حال لازمة. ﴿وَكَفَرۡنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿ءَامَنَّا﴾. ﴿بِمَا﴾: متعلق بـ﴿كفرنا﴾ ﴿كُنَّا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿بِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿مُشۡرِكِينَ﴾ ﴿مُشۡرِكِينَ﴾: خبر ﴿كان﴾ وجملة كان صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة.

﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٥﴾.

﴿فَلَمۡ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿لم﴾: حرف جزم: ﴿يَكُ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لم﴾، وعلامة جزمه السكون الظاهر على النون المحذوفة للتخفيف، واسمها: ضمير الشأن. ﴿يَنفَعُهُمۡ﴾: فعل ومفعول. ﴿إِيمَٰنُهُمۡ﴾: فاعل، والجملة الفعلية: في محل النصب خبر ﴿يكون﴾، وجملة ﴿يكون﴾: معطوفة على جملة ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾. ﴿لَمَّا﴾: ظرف زمان مجرّد عن معنى الشرط، متعلق بـ﴿إِيمَٰنُهُمۡ﴾. ﴿رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿لمّا﴾. ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾: منصوب على المفعولية المطلقة بفعل مقدر من لفظه؛ أي: سنّ الله سبحانه وتعالى بهم ذلك سنة من قبلهم؛ أي: سنته فيمن قبلهم، والجملة المحذوفة: مستأنفة. ﴿ٱلَّتِي﴾: اسم موصول في محل النصب صفة لـ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾. ﴿قَدۡ﴾: حرف تحقيق. ﴿خَلَتۡ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على الموصول، والجملة: صلة الموصول لا محل لها من الإعراب ﴿فِي عِبَادِهِۦۖ﴾: متعلق بـ﴿خَلَتۡ﴾، ﴿وَخَسِرَ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية ﴿خسر﴾: فعل ماض ﴿هُنَالِكَ﴾: متعلق به ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾: فاعل، والجملة: مستأنفة.

التصريف ومفردات اللغة

﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ﴾: ماض مغيّر الصيغة من النهي، وهو الزجر عن شيء. ﴿أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ يقال: أسلم أمره لله: إذا سلّم، وذلك إنما يكون بالرضىٰ والانقياد لحكمه، وأسلمت له الشيء: إذا جعلته سالماً خالصاً له. ﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾

قال الراغب: النطفة: الماء الصافي، ويعبّر بها عن ماء الرجل؛ أي: ماء الصلب يوضع في الرحم كما مرّ. ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهو الدم الجامد. ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ والطفل: الولد ما دام ناعماً، كما في «المفردات» والصغير من كل شيء أو المولود. كما في «القاموس» وحد الطفل: من أول ما يولد يستهل صارخاً إلى انقضاء ستة أعوام كما مرّ. ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ قال في «القاموس»: الأشد: مفرد جاء على بناء الجمع من الشدة بمعنى القوّة، وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين. ﴿شُيُوخًا﴾: جمع شيخ، وهو: من طعن في سنّ الكبر واستبانت فيه الشيخوخة، أو من خمسين أو إحدى وخمسين إلى آخر عمره، أو إلى ثمانين كما في «القاموس».

﴿أَجَلًا مُّسَمًّى﴾؛ أي: وقتاً محدّداً معيّناً لموتكم. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ أصل يميت يموت بوزن يفعل، نقلت حركة الواو إلى الميم فسكنت إثر كسرة فقلبت ياءً حرف مدّ. ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ من القضاء بمعنى التقدير، عبّر به عن لازمه الذي هو إرادة التكوين، كأنه قيل: إذا قدّر شيئاً من الأشياء وأراد كونه. ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ﴾: جمع غلّ بضم الغين المعجمة، وهو: ما يقيد به فيجعل الأعضاء وسطه، وغل فلان: قيد به؛ أي: وضع في عنقه أو يده الغلّ. ﴿فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ جمع عنق وهي الرقبة. ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ جمع سلسلة بالكسر، وهي الدائرة من حديد أو نحوه تتصل أجزاؤها أو حلقاتها بعضها ببعض، ومنه سلاسل البرق؛ أي: ما استطال منه في عرض السحاب وسلاسل الكتاب سطوره. قال الراغب: وتسلسل الشيء: اضطرب كأنه تصوّر منه تسلسل متردد، فتردّد لفظه تنبيه على تردد معناه، وماء مسلسل؛ أي: متردد في مقرّه، وأما السلسلة بالفتح فهو إيصال الشيء بالشيء، ولما كان في السلسلة بالكسر إيصال بعض الخلق بالبعض؛ سميت بها. ﴿يُسْحَبُونَ﴾ من السحب، وهو: الجرّ بعنف، ومنه السحاب، لأنّ الريح تجرُّه، أو لأنه يجرّ الماء، وسحبه كمنعه، جرّه على وجه الأرض. ﴿فِى ٱلْحَمِيمِ﴾ والحميم: الماء الذي تناهى حرّه. قال في «القاموس»: الحميم: الماء الحار، والماء البارد ضد، والقيظ والعرق؛ أي: على التشبيه. كما في «المفردات». ﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ من سجر التنور: إذا ملأه بالوقود. ﴿ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾ من قول العرب، ضل المسجد والدار؛ أي: لم يعرف موضعهما.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ قال في «القاموس»: الفرح السرور والبطر انتهى، والبطر النشاط والأشر وقلّة احتمال النعمة والأشر شدّة البطر، وهو أبلغ من البطر، والبطر: أبلغ من الفرح، وفي «المفردات»: الفرح: انشراح الصدر بلذّة عاجلة، ولم يرخّص إلا في الفرح بفضل الله تعالى وبرحمته وبنصر الله، والبطر: دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقّها، وصرفها إلى غير وجهها. ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ أصله: نرئينّك: نقلت حركة الهمزة إلي الراء، ثم حذفت للتخفيف فوزنه نُفِلَنَّكَ. ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ قياسه نوعدهم، حذفت فاؤه حذفاً مطرداً لوقوعها بين ياء مفتوحة وكسرة. وقوله: ﴿أَشَدُّ قُوَّةً﴾ أصله: أشدد، نقلت حركة الدال الأولى إلى الشين فسكنت، فأدغمت في الدال الثانية. ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ يقال: أغنى عنه كذا: إذا كفاه ونفعه، وهو إذا استعمل بعن.. يتعدّى إلى مفعول؛ أي: لم يدفع ولم ينفع، وأصله: أغني بوزن أفعل، قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها.

﴿فَلَمَّا رَأَوْا﴾ أصله: رأيوا، بوزن فعلوا قلبت الياء ألفاً لتحركها بعد فتح ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين. ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ﴾ أصله: يكون، دخل الجازم ﴿لم﴾: فصار يكون فالتقي ساكنان فحذفت الواو فصار يكن بوزن يفل، ثم حذفت النون حذفاً غير مطرد، فصار بوزن يفُ، وقد تقدم القول في حذف نون المضارع المجزوم بشرط كونه مجزوماً بالسكون، غير متصل بضمير نصب ولا بساكن، وقد وقع ذلك في التنزيل في ثمانية عشر موضعاً، وقد سمع حذفها في الشعر إذا وليها ساكن، كما في قول الخنجر بن صخر الأسديّ:

فَـإِنْ لَـمْ تَـكُ ٱلْـمِـرْآةُ أَبْـدَتْ وَسَـامَـةً   فَـقَـدْ أَبْـدَتِ ٱلْـمِـرْآةُ جَـبْـهَـةَ ضَـيْـغَـمِ

فحذف النون مع ملاقاة الساكن، والمرآة بكسر الميم ومدّ الهمزة: آلة الرؤية، فكأنه نظر وجهه فيها فلم يره حسناً، فتسلّى بأنه يشبه الضيغم وهو الأسد، والوسامة بفتح الواو: الحسن والجمال، وحمله جمهور النحاة على الضرورة. ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ من المصادر المؤكدة لعاملها المحذوف من لفظها، والسنة الطريقة والعادة المسلوكة، وسنة الله: طريقته وحكمته كما مرّ. ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ من الخلوّ وهو المضي، أصله: خلو قلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار خلا، ثم اتصلت بالفعل تاء التأنيث الساكنة، فالتقى ساكنان الألف والتاء، فحذفت الألف لذلك فوزنه:

فعت.

فائدة: رسمت ﴿سُنَّتَ﴾ مجرور التاء ووقف عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالهاء، والباقون: بالتاء، وأمال الكسائي الهاء في الوقف. اهـ «خطيب».

البلاغة

وقد تضمّنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الطباق بين ﴿نُهِيتُ﴾ و﴿أمرت﴾ في قوله: ﴿إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ومنها: المجاز بالحذف في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾؛ أي: خلق أصلكم آدم من تراب.

ومنها: وضع المفرد موضع الجمع في قوله: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾؛ أي: أطفالاً لإرادة الجنس.

ومنها: الطباق بين ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾.

ومنها: الاستفهام التعجبي في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

ومنها: تكرير ذم المجادلة في أربعة مواضع من هذه السورة. إما لتعدد المجادل، بأن يكون في أقوام مختلفة، أو تعدّد المجادل فيه بأن يكون في آيات مختلفة أو للتأكيد.

ومنها: وصل الموصول الثاني بالتكذيب دون المجادلة في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ لأنّ المعتاد وقوع المجادلة في بعض موضوع الكتاب لا في الكل.

ومنها: صيغة الماضي في الصلة الثانية أعني: ﴿كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ للدلالة على التحقق كما أنّ صيغة المضارع في الصلة الأولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكرُّرها.

ومنها: الإتيان بصيغة الماضي في قوله: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾﴾ للدلالة على التحقيق والوقوع، لأنّ مقتضى الظاهر أن يقال: ثمّ يقال لهم، وفي قوله: ﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾؛ أي: يقولون.

ومنها: التشبيه في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

ومنها: الالتفات من الغيبة في قوله: ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿ذَٰلِكُم﴾ الإضلال أيها الكفار للمبالغة في التوبيخ.

ومنها: الجناس الناقص بين ﴿تَفْرَحُونَ﴾ و﴿تَمْرَحُونَ﴾.

ومنها: جناس الاشتقاق بين ﴿أَرْسَلْنَا﴾ و﴿رُسُلًا﴾.

ومنها: طباق السلب في قوله: ﴿مِّنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾.

ومنها: الإتيان بخلاف مقتضى الظاهر في قوله: ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ لأن الظاهر أن يقال: فبئس مدخل المتكبّرين، فعبّر عن المدخل بالمثوى؛ لكون دخولهم بطريق الخلود. اهـ «أبو السعود». وفي «السمين»: ولم يقل فبئس مدخل المتكبرين؛ لأن الدخول لا يدوم، وإنما يدوم الثواء، فلذلك خصّه بالذّم، وإن كان الدخول أيضاً مذموماً. اهـ.

ومنها: الاستعارة في قوله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ لأن ﴿هُنَالِكَ﴾: موضوع للإشارة إلى المكان، فاستعير هنا للزمان.

ومنها: التعبير بالماضي في قوله: ﴿وَخَسِرَ﴾ للدلالة على تحقق الوقوع.

ومنها: المزاوجة في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ لأنّ مقتضى الظاهر أن يقال: وفي الفلك، كما في قوله: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ ليزاوج ويطابق قوله: ﴿وَعَلَيْهَا﴾.

ومنها: الاستطراد في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ وهو ذكر الشيء في غير موضعه لمناسبة بينه وبين ذلك الموضوع، لأنّ المقام مقام الامتنان بخلق الأنعام.

ومنها: إضافة الآيات إلى الاسم الجليل في قوله: ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ لتربية المهابة وتهويل إنكارها.

ومنها: الاستفهام التوبيخي في قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

ومنها: التهكم في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ وهو في اصطلاح البيانيين الاستهزاء والسخرية من المتكبرين لمخاطبتهم بلفظ الإجلال في موضع التحقير، والبشارة في موضع التحذير، والوعد في موضع الوعيد، والعلم في موضع الجهل تهاوناً من القائل بالمقول له، واستهزاءً به.

ومنها: الزيادة والحذف في عدّة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

مجمل ما حوته هذه السورة الكريمة

اشتملت هذه السورة على المقاصد التالية:

١ ـ وصف الكتاب الكريم.

٢ ـ الجدل بالباطل في آيات الله.

٣ ـ وصف الملائكة الذين يحملون العرش ومن حوله.

٤ ـ طلب أهل النار الخروج منها لشدة الهول، ثم رفض هذا الطلب.

٥ ـ إقامة الأدلة على وجود الإله القادر.

٦ ـ إنذار المشركين بأهوال يوم القيامة.

٧ ـ قصص موسى عليه السلام مع فرعون، وما دار من الحوار بين فرعون وقومه والذي يكتم إيمانه.

٨ ـ أمر الرسول ﷺ بالصبر على أذى قومه، كما صبر أولوا العزم من الرسل.

٩ ـ تعداد نعم الله سبحانه على عباده في البر والبحر.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

سورة فصلت

سورة فصلت: وتسمى[1] سورة السجدة، وسورة حم السجدة، وسورة المصابيح: مكية، قال القرطبي: في قوله الجميع. **وآيها**: ثلاث أو أربع وخمسون آية. **وكلماتها**: سبع مئة وتسع وتسعون كلمةً. **وحروفها**: ثلاثة آلاف وثلاث مئة وخمسون حرفاً.

الناسخ والمنسوخ فيها: قال أبو عبد الله محمد بن حزم ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه[2] «الناسخ والمنسوخ»: سورة فصلت كلها محكمة، إلا آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ الآية (٣٤) نسخت بآية السيف. اهـ.

مناسبتها لما قبلها:[3] أنهما اشتركتا في شيئين:

أحدهما: في تهديد قريش وتقريعهم، فقد توعدهم في السورة السابقة بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلخ. وهددهم هنا بقوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾.

وثانيهما: أن كلتيهما بُدِئت بوصف الكتاب الكريم.

وقال أبو حيان: مناسبة هذه السورة لما قبلها[4]: أنه قال في آخر السابقة ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى آخرها. فضمن وعيداً وتهديداً وتقريعاً لقريش، فأتبع ذلك التقريع والتوبيخ والتهديد بتوبيخ آخر، فذكر أنه نزل كتاباً مفصلاً آياته، بشيراً لمن اتبعه، ونذيراً لمن أعرض عنه، وأن أكثر قريش أعرضوا عنه، ثم ذكر قدرة الإله على إيجاد العالم العلوي والسفلي، ثم قال: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾ فكان هذا كله مناسباً لآخر سورة المؤمن، من عدم انتفاع مكذبي الرسل حين التبس بهم العذاب، وكذلك قريش حل بصناديدها من القتل والأسر والنهب والسبي

---

(١) المراح.

(٢) الناسخ والمنسوخ.

(٣) المراغي.

(٤) البحر المحيط.

واستئصال أعداء رسول الله ﷺ ما حل بعاد وثمود من استئصالهم. انتهى.

ومن فضائلها: ما روى عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة السجدة أعطاه الله تعالى بكل حرف منها عشر حسنات» ذكره البيضاوي. ولكن لا أصل له.

ومما يدل على فضلها: ما أخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو يعلى والحاكم، وصححه ابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في «الدلائل» وابن عساكر عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: اجتمعت قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا فليكلمه، ولينظر بم يرد عليه، فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، فقالوا: ائته يا أبا الوليد، فأتاه فقال: يا محمد، أنت خير أم عبد الله، أنت خير أم عبد المطلب، فسكت رسول الله ﷺ قال عتبة: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك.. فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم.. فتكلم حتى نسمع قولك، أما والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك، فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف، يا رجل، إن كان إنما بك الحاجة.. جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباءة.. فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً، فقال رسول الله ﷺ: فرغت قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ حتى بلغ ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣﴾ فقال عتبة: حسبك حسبك، ما عندك غير هذا، قال: «لا» فرجع إلى قريش، فقالوا: ما وراءك، قال ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته، قالوا: فهل أجابك قال: والذي نصبها بنيةً ـ يريد الكعبة ـ ما فهمت شيئاً مما قال، غير أنه أنذركم صاعقةً مثل صاعقة عاد وثمود، قالوا: ويلك يكلمك الرجل بالعربية وما تدري ما قال، لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة.

ومنه ما أخرجه أبو نعيم والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عمر قال: لما قرأ النبي ﷺ علي بن ربيعة: ﴿حمٓ ۝١﴾، أتى أصحابه فقال: يا قوم، أطيعوني في هذا اليوم، واعصوني بعده، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاماً ما سمعت أذني

قط كلاماً مثله، وما دريْت ما أردّ عليه، وفي هذا الباب روايات كثيرة تدل على اجتماع قريش وإرسالهم عتبة بن ربيعة، وتلاوته ﷺ أول هذه السورة عليه.

وعرض هذه السورة على عتبة بن ربيعة للرد عليهم مما يدل على فضلها وجزالتها وبلاغتها، وفي رواية أن عتبة بن ربيعة ذهب إلى رسول الله ﷺ ليعظم عليه أمر مخالفته لقومه، وليقبح عليه فيما بينَه وبينَه، وليبعد ما جاء به، فلما تكلم عتبة.. قرأ رسول الله ﷺ: ﴿حمٓ ۝١﴾ ومر في صدرها حتى انتهى إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣﴾ فأرعد الشيخ ووقف شعره، وأمسك على فم رسول الله ﷺ بيده، وناشده بالرحم أن يمسك، وقال حين فارقه: والله لقد سمعت شيئاً ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، ولقد ظننت أن صاعقة العذاب على رأسي.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

المناسبة

المناسبة بين آخر السابقة وأول هذه السورة: أن السابقة ختمت بتهديد المعرضين عن آيات الله المكذبين بها، وهذه بدئت ببيان سبب إعراضهم بأن على قلوبهم أكنةً، وفي آذانهم وقر.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ...﴾ الآية، مناسبتها لما قبلها: أن الله سبحانه لما بين[1] ما يذكر المشركون من الأسباب التي تحول بينهم وبين قبول دعوته.. أمر رسوله أن يجيب عن كلامهم بأنه لا يقدر على جبرهم على الإيمان، وحملهم عليه قسراً، فإنه بشر مثلهم، ولا ميزة له عليهم، إلا بأن الله أوحى إليه ولم يوح إليهم.

ثم ذكر أن خلاصة الوحي علم وعمل، أما العلم فدعامته التوحيد، وأما العمل فأسُّه الاستغفار والتوبة مما فرط من الذنوب، ثم أردف ذلك بالتهديد لمن يشرك بالله، ولا يزكي نفسه من دنس الشح والبخل، وينكر البعث والجزاء والحساب يوم القيامة، وينصرف إلى الدنيا ولذاتها، وبعد أن ذكر وعيد الكفار أعقبه بوعد المؤمنين الذين يعملون الصالحات، بأن لهم عند ربهم أجراً دائماً غير مقطوع ولا ممنوع.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ...﴾ الآيات، مناسبتها لما قبلها: أن الله سبحانه، لما أمر رسوله بأن يقول للمشركين: إن ما تلقيته بالوحي، أن إلهكم إله واحد، فأخلصوا له العبادة.. أردف هذا بما يدل على كمال قدرته وحكمته في خلق السموات والأرض، على أطوار مختلفة متعاقبة، وأكمل لكل منها ما هي مستعدة له، وزين السماء بالنجوم والكواكب الثوابت والسيارات، ولا عجب؛ فذلك تقدير العزيز الغالب على أمره، العليم بكل ما فيها، لا يخفى عليه شيء منهما، فكيف يسوغ لكم أن تجعلوا الأوثان والأصنام شركاء له، وليس لها شيء في خلقهما وتقديرهما تعالى عن ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً...﴾ الآيات، مناسبتها لما

---

(١) المراغي.

قبلها: أن الله سبحانه لما أنكر عليهم عبادة الأنداد والأوثان، وطلب إليهم أن لا يعبدوا إلا الله الذي خلق السموات والأرض، وزين السماء الدنيا بالمصابيح، وأوجد في الأرض جبالاً رواسي، ثم أعرضوا عن كل ذلك، ولم يبق حينئذ طريق لعلاجهم.. أمر رسوله أن ينذرهم بحلول شديد النقم بهم، إن هم أصروا على عنادهم كما نزل بعاد وثمود من قبلهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ...﴾ الآيات، مناسبتها لما قبلها: أن الله سبحانه لما بين كيف عاقب أولئك الجاحدين في الدنيا، وأذاقهم عذاب الهون بما كانوا يكسبون.. أردف ذلك بذكر عقابهم في الآخرة، ليكون ذلك أتم للزجر، وأكثر في الاعتبار لمن اعتبر.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ...﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية: ما أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد وغيرهم عن ابن مسعود قال: كنت مستتراً بأستار الكعبة، فجاء ثلاثة أنفار: قرشي وثقفيان، أو ثقفي وقرشيان، قليل فقه قلوبهم، كثير شحم بطونهم، فتكلموا بكلام لم أسمعه، فقال: أترون أن الله سمع كلامنا هذا، فقال الآخر: إنا إذا رفعنا أصواتنا.. سمعه، وإذا لم نرفعه.. لم يسمعه، فقال الآخر: إن سمع منه شيئاً.. سمع كله، قال: فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

التفسير وأوجه القراءة

﴿حمٓ ۝١﴾ خبر لمبتدأ محذوف؛ أي[1]: هذه السورة مسماة بـ﴿حمٓ ۝١﴾ فيكون إطلاق الكتاب عليها في قوله: ﴿كِتَٰبٌ﴾ إلخ. باعتبار أنها من الكتاب وجزء من أجزائه، وقيل: ﴿حمٓ ۝١﴾ اسم للقرآن، فيكون إطلاق الكتاب عليه حقيقة، وإنما[2] افتتح السورة بـ﴿حمٓ ۝١﴾ لأن معنى حم بضم الحاء وتشديد الميم على ما قال سهل ـ رحمه الله تعالى ـ قضي ما هو كائن.

---

(١) روح البيان. (٢) روح البيان.

ولما كانت هذه السورة مصدرةً بذكر الكتاب الذي قدرت فيه الأحكام، وبينت.. ناسب أن تفتح بـ﴿حمٓ ۝١﴾ رعايةً لبراعة الاستهلال، وإنما سميت هذه السور السبع بـ﴿حمٓ ۝١﴾؛ لاشتراكها في الاشتمال على ذكر الكتاب، والرد على المجادلين في آيات الله تعالى، والحث على الإيمان بها، والعمل بمقتضاها ونحو ذلك.

وقال بعضهم: معنى الحاء. والميم؛ أي: هذا الخطاب والتنزيل من الحبيب الأعظم إلى المحبوب المعظم، وقيل: هو قسم أقسم به تعالى؛ أي: بحياتي ومجدي هذا تنزيل، أو بحياتك ومشاهدتك يا حبيبي ويا محبوبي، أو بالحجر الأسود والمقام، فإنهما ياقوتتان من يواقيت الجنة، وسران عظيمان من أسرار الله تعالى، فناسب أن يقسم بهما، أو هذه الحروف ﴿تَنزِيلٌ﴾ إلخ. نزل بها جبريل عليه السلام من عند الله تعالى وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين.

وقوله: ﴿تَنزِيلٌ﴾: خبر بعد خبر؛ أي: هذه السورة مسماة بحم، منزلة من عنده تعالى، لأن التعبير عن المفعول بالمصدر مجاز مشهور، كقولهم: هذا الدرهم ضرب الأمير؛ أي: مضروبه، ومعنى كونها منزلة: أنه تعالى كتبها في اللوح المحفوظ، وأمر جبريل أن يحفظ تلك الكلمات، ثم ينزل بها على رسوله ﷺ، ويؤديها إليه، فلما حصل تفهيم هذه الكلمات بواسطة نزول جبريل.. سمي ذلك تنزيلاً، وإلا فالكلام النفسي القائم بذات الله تعالى لا يتصور فيه النزول والحركة من الأعلى إلى الأسفل، وقوله: ﴿مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ متعلق بـ﴿تَنزِيلٌ﴾ مؤكد لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية، ونسبة التنزيل إلى الرحمن الرحيم؛ للإيذان بأن القرآن مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية، وذلك لأن المنزل ممن صفته الرحمة الغالبة، لا بد وأن يكون مداراً للمصالح كلها، وقوله: ﴿كِتَٰبٌ﴾: خبر آخر مشتق من الكتب، وهو الجمع، فسمي كتاباً لأنه جمع فيه علوم الأولين والآخرين، وقوله: ﴿فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ صفة ﴿كِتَٰبٌ﴾؛ أي: كتاب بينت آياته بالأمر والنهي، والحلال والحرام، والوعد والوعيد، والقصص والتوحيد، وقرىء: ﴿فَصَلت﴾[1] بفتح الفاء والصاد مخففةً؛

---

(١) البحر المحيط.

أي: فرقت بين الحلال والحرام، أو فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها، من قولهم: فصلت العير؛ أي: انفصلت، وفصل من البلد؛ أي: انفصل منه، حالة كونه ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾؛ أي: مجموعاً من لسان العرب ولغتهم، حال من ﴿كتاب﴾ لتخصصه بالصفة، ويقال لها: الحال الموطئة، وهو اسم جامد موصوف بصفة هي الحال في الحقيقة، وهذا أولى من نصبه على المدح؛ أي: أريد بهذا الكتاب المفصل آياته قرآناً عربياً أو على المصدرية؛ أي: يقرؤه قرآناً، وبوجود كلمةٍ عجمية فيه معرّبة لا يخرج عن كونه عربياً؛ لأن العبرة للأكثر، وذلك كالقسطاس، فإنه رومي معرب بمعنى الميزان والسجيل، فإنه فارسي معرب سنك وكل، والصلوات فإنه عبراني معرب صلوتا، بمعنى المصلي، والرقيم فإنه رومي بمعنى الكلب، والطور فإنه الجبل بالسرياني ﴿لِّقَوْمٍ﴾ عرب ﴿يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: كائناً لقوم يعلمون معانيه، لكونه على لسانهم، فهو صفة أخرى لـ﴿قُرْءَانًا﴾ وفي «التأويلات النجمية»: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ العربية والعربية بحروفها مخلوقة، والقرآن منزه عنها، وكأنه رد على من زعم أن في القرآن ما ليس من كلام العرب. اهـ. أو متعلق بـ﴿فُصِّلَتْ﴾ والأول أولى. وقال الضحاك؛ أي: يعلمون أن القرآن منزل من عند الله تعالى، وقال مجاهد؛ أي: يعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل.

وحاصل معنى الآية[1]: أي هذا القرآن منزل من الله الرحمن الرحيم على نبيه محمد ﷺ، وخص هذين الوصفين ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ بالذكر؛ لأن الخلق في هذا العالم كالمرضى المحتاجين إلى الدواء، والقرآن مشتمل على كل ما يحتاج إليه المرضى من الأدوية، وعلى ما يحتاج إليه الأصحاء من الأغذية، فكان رحمةً لهم، ولطفاً بهم، كما قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾.

هو ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ وبينت وميزت لفظاً بفواصل ومقاطع ومبادىء للسور وخواتم لها، وميزت معنىً بكونها وعداً ووعيداً ومواعظ ونصائح وتهذيب أخلاق ورياضة نفس وقصص الأولين وتواريخ الماضي، حال كونه ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾؛ أي: أنزلناه بلغة العرب ليسهل عليهم فهمه، كما قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾، وفي هذا امتنان من الله عليهم ليسهل عليهم قراءته

---

(١) المراغي.

وفهمه ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ معانيه لكونه جاء بلغتهم، فهم أهل اللسان فيفهمونه بلا واسطة وغيرهم لا يفهمه إلا بواسطتهم، حالة كونه ﴿بَشِيرًا﴾؛ أي: مبشراً لأوليائه بالجنة والنعيم المقيم، إن داموا على العمل بما فيه من أوامر ونواه ﴿وَنَذِيرًا﴾؛ أي: منذراً مخوفاً لأعدائه بالعذاب الأليم، إن هم أصروا على التكذيب به، والجدل فيه بالباطل، وترك أوامره وفعل نواهيه، فهما صفتان أخريان لـ﴿قُرْءَانًا﴾ أو حالان من ﴿كِتَٰبٌ﴾ وقرأ[1] زيد بن علي: ﴿بشير ونذير﴾ برفعهما على أنهما صفتان لـ﴿كِتَٰبٌ﴾ أو على أنهما خبران لمبتدأ محذوف.

ثم بين حال المشركين حين أنزل إليهم فقال: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ عن تدبره مع كونه على لغتهم، والضمير[2] لأهل مكة أو العرب أو المشركين، دل عليه ما سيجيء من قوله: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾؛ أي: فأعرض المشركون عما اشتمل عليه من النذارة ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ه سماع تفكر وتأمل وقبول، حتى يفهموا جلالة قدره وجزالة معانيه فيؤمنوا به، وفي «التأويلات النجمية»: فأعرض أكثرهم عن أداء حقه، فهم لا يسمعون بسمع القبول والانقياد، وفيه إشارة إلى أن الأقل هم أهل السماع، وإنما سمعوا بأن أزال الله تعالى بلطفه ثقل الآذان، فامتلأت الأذهان بمعاني القرآن.

والمعنى[3]: أي فاستكبر أكثر المشركين عن الإصغاء إليه، ولم يقبلوه ولم يطيعوا ما فيه من أوامر ونواه، إعراضاً عن الحق، ثم صرحوا بنفرتهم منه وتباعدهم عنه، وذكروا لذلك ثلاثة أسباب، تعللاً واحتقاراً لدعوته:

١ـ ﴿وَقَالُوا۟﴾؛ أي: المشركون لرسول الله ﷺ عند دعوته إياهم إلى الإيمان، وللعمل بما في القرآن ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾؛ أي: في أغطية متكاثفة مثل الكنانة التي فيها السهام ﴿مِّمَّا تَدْعُونَآ﴾ يا محمد ﴿إِلَيْهِ﴾؛ أي: في أغطية تمنعنا من فهم ما تدعونا وتورده علينا، وحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وحذف متعلق حرف الجر أيضاً، والأكنّة: جمع كنان كأسلحة جمع سلاح وهو الغطاء، قال مجاهد: الكنان للقلب: كالجنة للنبل، شبهوا[4] قلوبهم بالشيء المحوي المحاط

---

(١) البحر المحيط.
(٢) روح البيان.
(٣) المراغي.
(٤) روح البيان.

بالغطاء، المحيط له بحيث لا يصيبه شيء من حيث تباعدها عن إدراك الحق واعتقاده.

فإن قلت: لِمَ عبَّر هنا بكلمة في حيث قال: ﴿فِيٓ أَكِنَّةٍ﴾، وعبر بكلمة على في سورة الكهف حيث قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ فما الفرق بين المقامين؟

قلت: عبر هنا بكلمة ﴿فِيٓ﴾ لأن القصد هنا المبالغة في عدم القبول، والأكنة إذا احتوت عليها احتواء الظرف على المظروف، لا يمكن أن يصل إليها شيء؛ وليست تلك المبالغة في ﴿عَلَىٰ﴾، والسياق في الكهف للعظمة، فيناسبه أداة الاستعلاء. اهـ سعدي المفتي.

أي: إن قلوبنا في أغطية متكاثفة مما تدعونا إليه من الإيمان بالله وحده، وترك ما ألفينا عليه آباءنا، فهي لا تفقه ما تقول من التوحيد، ولا يصل إليها قولك يا محمد.

٢- ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا﴾ وأسماعنا ﴿وَقْرٌ﴾؛ أي: صمم يمنعها من استماع قولك، وفي «القاموس»: الوقر: ثقل في الأذن أو ذهاب السمع كله، شبهوا أسماعهم بآذان بها صمم من حيث إنها تمج الحق ولا تميل إلى استماعه.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾: ما ينفعنا كلامك، قالوه حقاً، وإن قالوا على سبيل الاستهزاء والاستهانة، لأن قلوبهم في أكنة حب الدنيا وزينتها مقفولة بقفل الشهوات والأوصاف البشرية، ولو قالوا ذلك على بصيرة.. لكان ذلك منهم توحيداً، فتعرضوا للمقت لما فقدوا من صدق القلب.

وقرأ طلحة بن مصرف[1]: ﴿وقر﴾ بكسر الواو وسكون القاف، وقرىء: ﴿وقر﴾ بفتحتين، وقرأ الجمهور: ﴿وَقْرٌ﴾ بفتح الواو وسكون القاف.

٣- ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ عظيم، وستر غليظ يمنعنا عن إجابتك، وعن التواصل والتوافق معك، روي أن أبا جهل استغشى على رأسه ثواباً وقال: يا محمد، بيننا وبينك حجاب استهزاءً منه، و﴿مِنْ﴾: للدلالة[2] على أن الحجاب

(١) الشوكاني. (٢) روح البيان.

مبتدأ من الجانبين، بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة المعبر عنها بالبين ولم يبق ثمة فراغ أصلاً، فيكون حجاباً قوياً عريضاً مانعاً من التواصل بخلاف ما لو قيل: بيننا وبينك، فإنه يدل على مجرد حصول الحجاب في المسافة المتوسطة بينهم وبينه من غير دلالة على ابتدائه من الطرفين، فيكون حجاباً في الجملة، لا كما ذكروا:

هذا فائدة زيادة من في قوله: ﴿من بيننا﴾ شبهوا حال أنفسهم مع رسول الله ﷺ بحال شيئين بينهما حجاب عظيم، يمنع من أن يصل أحدهما إلى الآخر ويراه ويوافقه، وإنما[1] اقتصروا على ذكر هذه الأعضاء الثلاثة؛ لأن القلب محل المعرفة، والسمع والبصر أقوى ما يتوسل إلى تحصيل المعارف، فإذا كانت هذه الثلاثة محجوبة.. كان ذلك أقوى ما يكون من الحجاب.

وقصارى ما يقولون[2]: أن قلوبهم نابية عن إدراك ما جئت به من الحق وتقبله واعتقاده، كأنها في غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها، وأسماعهم لا يدخل إليها شيء منه، كأن بها صمماً، ولتباعد الدّينين وتباين الطريقين، كأن بينهم وبين رسول الله ﷺ حجاب كثيف وحاجز منيع، ثم بارزوه بالخلاف، وشن الغارات الجدلية، بما لم يبق بعده مجال للوفاق، فقالوا: ﴿فَٱعۡمَلۡ﴾ على دينك ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ على ديننا، وقال الكلبي[3]: اعمل في هلاكنا، فإنا عاملون في هلاكك، وقال مقاتل: اعمل لإلهك الذي أرسلك، فإنا نعمل لآلهتنا التي نعبدها، وقيل: اعمل لآخرتك، فإنا عاملون لدنيانا، وقيل: فاعمل في إبطال أمرنا جهد طاقتك، ونحن نعمل جاهدين في فض الناس من حولك، وتشتيت شمل من آمن بك، حتى تبطل دعوتك.

ثم أمره سبحانه أن يجيب عن قولهم هذا فقال: ﴿قُلۡ﴾ يا محمد، لهؤلاء المشركين، جواباً لهم عما يقولون: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾؛ أي: إنما أنا كواحد منكم لولا الوحي، ولم أكن من جنس مغاير لكم حتى تكون قلوبكم في أكنة مما أدعوكم إليه، وفي آذانكم وقر، ومن بيني وبينكم حجاب، إلا أني يوحي إلي ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾؛ أي: ما إلهكم الذي يستحق العبادة منكم إلا إله واحد لا غيره،

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي. (٣) الشوكاني.

وهذا تلقين للجواب عما ذكره المشركون.

وقرأ الجمهور: ﴿قُلْ﴾ على صيغة الأمر، وقرأ ابن وثاب والأعمش: ﴿قال﴾ بصيغة الماضي، وقرأ الجمهور: ﴿يُوحَىٰٓ﴾: بفتح الحاء مبنياً للمفعول، وقرأ النخعي والأعمش: ﴿يوحي﴾ بكسرها مبنياً للفاعل؛ أي: يوحي الله إلي.

والمعنى: أي إني لا أقدر على أن أحملكم على الإيمان قسراً، فإني بشر مثلكم، ولا امتياز لي عنكم إلا أني أوحي إلي التوحيد والأمر به، فعلي البلاغ وحده، فإن قبلتم رشدتم، وإن أبيتم هلكتم.

وقيل المعنى[1]: أني لست من جنس مغاير لكم، من ملك وجن حتى يكون بيني وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الأعمال والأديان، كما ينبىء عنه قولكم: ﴿فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ بل إنما أنا بشر وآدمي مثلكم، مأمور بما أمرتم به، حيث أخبرنا الله جميعاً بالتوحيد بخطاب جامع بيني وبينكم، فإن الخطاب في إلهكم محكي منتظم للكل، لا أنه خطاب منه ﷺ للكفرة، كما في قوله: ﴿مِّثْلُكُمْ﴾، وقد أوحي إلي دونكم، فصرت بالوحي نبياً، ووجب عليكم اتباعي ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ﴾؛ أي: وجهوا استقامتكم وامتثالكم وطاعتكم إليه تعالى لا إلى غيره؛ أي: توجهوا إليه تعالى قلباً وقالباً، بالتوحيد وإخلاص العبادة، غير ذاهبين يميناً وشمالاً[2]، ولا ملتفتين إلى ما يسول لكم الشيطان، من اتخاذ الأولياء والشفعاء؛ أي: توجهوا بالكلية إلى سبيله لا إلى غيره، وهذا من جملة المقول[3]، و﴿الفاء﴾: لترتيب ما بعدها على ما قبلها، من إيحاء الوحدانية، فإن ذلك موجب لاستقامتهم إليه تعالى بالتوحيد، والإخلاص في الأعمال، وعدي فعل الاستقامة بإلى لتضمنه معنى توجهوا، والاستقامة: الاستمرار على جهة واحدة، وطريقة مستقيمة.

﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ تعالى مما كنتم عليه من الشرك وسوء العقيدة والعمل، وقال الحسن في معنى الآية: إن الله سبحانه علم رسوله ﷺ كيف يتواضع بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، ولهذا كان يعود المريض، ويشيع الجنازة، ويركب الحمار، ويجيب دعوة العبد، وكان يوم قريظة والنضير على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه

---

(١) روح البيان. (٢) النسفي. (٣) روح البيان.

إكاف من ليف.

وفي الآية: إشارة إلى أن البشر كلهم متساوون في البشرية، مسدود دونهم باب المعرفة؛ أي: معرفة الله بالوحدانية بالآلات البشرية من العقل وغيره، وإنما فتح هذا الباب على قلوب الأنبياء بالوحي، وعلى قلوب المؤمنين بالتبليغ والإلهام.

وحاصل المعنى(١): أي قل أيها الرسول لقومك: ما أنا إلا بشر مثلكم في الجنس والصورة والهيئة، ولست بملك ولا جني، لا يمكنكم التلقي مني، ولا أدعوكم إلى ما تنبو عنه العقول، بل أدعوكم إلى التوحيد الذي دلت عليه الدلائل الكونية، وأيده النقل عن الأنبياء جميعاً من آدم، فمن بعده، فأخلصوا له العبادة، وسلوه العفو عن ذنوبكم التي سلفت منكم بالتوبة من شرككم، يتب عليكم ويغفر لكم.

ثم هدد المشركين وتوعدهم فقال: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ بالله تعالى غيره في العبادة والطاعة؛ أي: وهلاك وخسار كائن لمن أشرك بربه في ذاته وصفاته وأفعاله، ثم وصفهم بقوله: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾؛ أي: يمنعونها ولا يخرجونها إلى المستحقين، ولم يواس البائس الفقير بشيء من ماله يدفع به عوزه، ويزيل خصاصته، وقال الحسن وقتادة: لا يقرون بوجوبها، وقال الضحاك ومقاتل: لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعة، وقيل المعنى لا يشهدون أن لا إله إلا الله، لأنها زكاة الأنفس وتطهيرها، وقال الفراء: كان المشركون ينفقون النفقات، ويسقون الحجيج ويطعمونهم، فحرموا ذلك على من آمن بمحمد ﷺ، فنزلت فيهم هذه الآية، وقوله: ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾: معطوف على ﴿لَا يُؤْتُونَ﴾ داخل(٢) معه في حيز الصلة، واختلافهما بالفعلية والاسمية؛ لما أن عدم إيتائها متجدد، والكفر أمر مستمر؛ أي: منكرون للآخرة بما فيها من الحساب والجزاء، جاحدون لها، والمجيء بضمير الفصل؛ لقصد الحصر، وكان يقال(٣): الزكاة قنطرة الإسلام، فمن قطعها نجا، ومن تخلف عنها.. هلك، وإنما جعل منع الزكاة مقروناً بالكفر بالآخرة، لأن أحب شيء إلى الإنسان ماله، وهو شقيق روحه، فإذا بذله في سبيل الله.. فذاك أقوى دليل على استقامته وثباته، وصدق نيته، وصفاء طويته، وما خدع

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان. (٣) المراغي.

المؤلفة قلوبهم إلا بلمظة من الدنيا بها لانت شكيمتهم وزالت عصبيتهم، وما ارتدت بنو حنيفة بعد رسول الله ﷺ إلا بمنعهم للزكاة، فعرضوا أنفسهم للحرب والطعن والضرب، إبقاءً على أموالهم، ولو ذهبت مهجهم وأرواحهم.

وقصارى ذلك: دمار وهلاك لمن أشرك بربه، ولم يطهر نفسه من دنس الرذائل، التي من أهمها البخل بالمال، ودفع غائلة الجوع عن المسكين والفقير، وإنكار البعث والجزاء، ونحو الآية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّنهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّنهَا ﴿١٠﴾﴾ وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾.

وبعد أن ذكر وعيد المشركين، أردفه وعد المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالله سبحانه، وصدقوا بما جاء به محمد ﷺ ﴿وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ﴾ بامتثال الأوامر، واجتنبوا السيئات بترك النواهي ﴿لَهُمْ﴾ عند ربهم في الآخرة ﴿أَجْرٌ﴾ وثواب ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾؛ أي: غير مقطوع أبداً، ولا ممنوع عنهم، مِنْ مَنَنْتُ الحَبْلَ: إذا قَطعْتُه، وقيل: غير منقوص، من مَنَنْت حقه: إذا نَقَصْته، وقال مجاهد: غير محسوب عليهم، وقيل: غير ممنون عليهم على طريق الحذف والإيصال؛ أي: لا يمن به عليهم فيتكدر بالمنة؛ أي: بالامتنان عليهم؛ أي: عد النعمة عليهم، لأنه إنما يمن بالتفضل، فأما الأجر فحق أداؤه، والمنة في الأصل: النعمة الثقيلة التي لا يطلب معطيها أجراً ممن أعطاها إليه، ثم استعملت بمعنى الامتنان؛ أي: عد النعمة على من أعطاها إليه، وقال السدي: نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى والهرمى إذا ضعفوا عن الطاعة.. كتب لهم من الأجر مثل ما كانوا يعملون في الصحة، ونحو الآية قوله: ﴿مَّكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾﴾، وقوله: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.

وفي الآية[1]: إشارة إلى أن من آمن، ولم يعمل صالحاً.. لم يؤجر إلا ممنوناً؛ أي: ناقصاً، وهو أجر الإيمان، ونقصانه من ترك العمل الصالح، فيدخل النار ويخرج منها بأجر الإيمان ويدخل الجنة، ولكنه لا يصل إلى الدرجات العالية المنوطة بالأعمال البدنية، مثل: الصلاة والصوم والحج ونحوها.

ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يوبخهم ويقرعهم، فقال: ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ أيها

---

(١) روح البيان.

المشركون ﴿لَتَكْفُرُونَ﴾؛ أي: لتنكرون ﴿بِ﴾توحيد الإله العظيم الشأن ذي القدرة الباهرة والحكمة البالغة ﴿الذي خلق الأرض﴾ وأوجدها وأبدعها ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ قيل: اليومان، يوم الأحد والاثنين؛ أي: قدر وحكم في الأزل بأنها ستوجد في مقدار يومين من أيام الآخرة، ويقال: من أيام الدنيا، كما في «تفسير» أبي الليث، وفي «عين المعاني» تعليماً للتأني، وإن أمكن الإيجاد في الحال بلا إمهال، ووجه حمل اليومين على المعنيين المذكورين: أن اليوم الحقيقي إنما يتحقق بعد وجود الأرض، وتسوية السموات، وإبداع نيراتها وترتيب حركاتها؛ يعني: أن اليوم عبارة: عن زمان كون الشمس فوق الأرض، ولا يتصور ذلك قبل خلق الأرض والسماء والكواكب، فكيف يتصور الأرض في يومين؟ ويجوز أن يراد خلق الأرض في يومين؛ أي: في نوبتين، على معنى أن ما يوجد في كل نوبة يوجد بأسرع ما يكون، فيكون اليومان مجازاً عن دفعتين، على طريق ذكر الملزوم وإرادة اللازم، وقال سعدي المفتي: الظاهر أن اليوم على هذا التفسير بمعنى مطلق الوقت. انتهى.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿أَئِنَّكُمْ﴾: بهمزتين الثانية بين بين، وقرأ ابن كثير: بهمزة بعدها ياء خفيفة؛ أي: قل أيها الرسول لمشركي قومك، توبيخاً وتقريعاً لهم: كيف تكفرون بالله الذي خلق الأرض التي تقلكم في نوبتين، فتقولوا: إنه لا يقدر على حشر الموتى من قبورهم، وتنسبوا إليه الأولاد، وتقولوا: إنه لم يبعث أنبياء أي: كيف تقولون هذا مع أنه خلق الأرض في يومين؟.

وقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾؛ أي: أشباها وأمثالاً من الملائكة والجن والأصنام التي تعبدونها من دونه، معطوف على ﴿تكفرون﴾ داخل في حكم الإنكار والتوبيخ، وجمع الأنداد باعتبار ما هو الواقع، لا بأن يكون مدار الإنكار هو التعدد بمعنى تصفون له شركاء وأشباهاً وأمثالاً من الآلهة، والحال أنه لا يمكن أن يكون له ند واحد، فضلاً عن الأنداد.

والحاصل: أن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله ﷺ بأن ينكر عليهم أمرين[2]:

الأول: كفرهم بالله بإلحادهم في ذاته وصفاته، كالتجسم واتخاذ الصاحبة

---

(١) الشوكاني. (٢) روح البيان.

والولد، والقول بأنه لا يقدر على إحياء الموتى، وأنه لا يبعث البشر رسلاً.

والثاني: إثبات الشركاء والأنداد له تعالى، فالكفر المذكور أولاً مغاير لإثبات الأنداد له؛ ضرورة عطف أحدهما على الآخر.

﴿ذَٰلِكَ﴾ العظيم الشأن، الذي فعل ما ذكر من خلق الأرض في يومين، وهو مبتدأ، خبره: قوله: ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: خالق جميع الموجودات ومربيها دون الأرض خاصة، فكيف يتصور أن يكون أخس مخلوقاته نداً له تعالى؟ وعبارة المراغي هنا: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي[1] خلق الأرض في نوبتين - نوبةً جعلها جامدةً بعد أن كانت كرةً غازيةً، ومرةً جعلها ستاً وعشرين طبقةً في ستة أطوار، كما بين ذلك علماء طبقات الأرض الجيولوجيا - هو ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لا ربها وحدها، فهو مربي المخلوقات جميعاً، فإن رباها في نوبتين.. فقد ربى غيرها في نوبات، يعلم سبحانه عددها، فكيف يكون شيء منها نداً له، وضريباً؟

ثم بين أحكام ذلك الخلق وحسن تدبيره، فقال: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾؛ أي: في الأرض ﴿رَوَٰسِىَ﴾؛ أي: جبالاً ثوابت ﴿مِن فَوْقِهَا﴾؛ أي: من فوق الأرض، وهو معطوف على ﴿خَلَقَ﴾: داخل في حكم الصلة؛ أي: كيف تكفرون بالذي خلق الأرض في يومين، وجعل فيها رواسي من فوقها، والجعل[2]: إبداعي، والمراد: تقدير الجعل، لا الجعل بالفعل، والمراد بالرواسي: الجبال الثابتة المستقرة، و﴿مِن فَوْقِهَا﴾ متعلق بجعل أو بمضمر، هو صفة لـ﴿رَوَٰسِىَ﴾؛ أي: كائنةً[3] من فوقها، مرتفعة عليها، لتكون منافعها ظاهرةً للطلاب، وليظهر للناظر ما فيها من وجوه الاستدلال، وإلا فالجبال التي أثبتت فوق الأرض لا تمنعها عن الميدان، ولو كانت تحتها كأساطين الغرف، أو مركوزة فيها كالمسامير. لمنعتها عنه.

والمعنى[4]: أي كائنةً من فوق الأرض، ليرى الإنسان بعينه، وليتفكر بقلبه أن الجبال أثقال على أثقال، وكلها مفتقرة إلى ممسك وحافظ، وما ذاك الحافظ المدبر إلا الله تعالى، ولو جعل في الأرض رواسي من تحتها.. لأوهم ذلك أن تلك الأساطين التحتانية هي التي أمسكت هذه الأرض الثقيلة عن النزول، وقيل: جملة

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.
(٣) روح البيان.
(٤) المراح.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: مستأنفة غير معطوفة على ﴿خَلَقَ﴾ لوقوع الفصل بينهما بالأجنبي، والأول أولى لأن الجملة الفاصلة هي مقررة لمضمون ما قبلها، فكانت بمنزلة التأكيد، ومعنى ﴿مِن فَوْقِهَا﴾: أنها مرتفعة عليها، لأنها من أجزاء الأرض، وإنما خالفتها باعتبار الارتفاع، فكانت من هذه الحيثية كالمغايرة لها.

وعبارة المراغي: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا﴾؛ أي[1]: وجعل في الأرض جبالاً ثوابت مرتفعةً عليها، أسسها في الأرض وهي الطبقة الصوانية، وهذه الطبقة هي التي برزت منها الجبال، فالجبال أساسها بعيدة الغور، ضاربة في جميع الطبقات، واصلة إلى أول طبقة وهي الطبقة الصوانية، التي لولاها لم تكن الأرض أرضاً، ولم نستقر عليها، فأرضنا كرة من النار، غطيت بطبقة صوانية فوقها طبقات، ألطف منها تكون فيها الحيوان والنبات على مدى الزمان، والجبال نتوءات نتأت من تلك الطبقة، وارتفعت فوقها عشرات آلاف الكيلومترات، وصارت مخازن المياه والمعادن، وهداية للطرق، وحافظة للهواء والسحاب. انتهى.

﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾؛ أي: في الأرض؛ أي: أنزل البركة والخير فيها، بشق الأنهار وخلق الأشجار والثمار، وأصناف الحيوانات، وكل ما يحتاج إليه من الخيرات؛ أي: وجعلها مباركةً كثيرة الخيرات، بما خلق فيها من المنافع، فجعل جبالها مبدأ لجريان الأنهار، ومخازن للمعادن، كالذهب والفضة والحديد والنحاس ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ﴾؛ أي: وأوجد في الأرض ﴿أَقْوَٰتَهَا﴾؛ أي: أقوات أهلها وأرزاقهم، من الأنواع المختلفة المناسبة لها على مقدار معين، تقتضيه الحكمة البالغة؛ أي: قدر لأهلها من الأقوات ما يناسب حال كل إقليم، من مطاعم وملابس ونبات، ليكون بعض الناس محتاجاً إلى بعض، فتروج المتاجر بينهم، وتنتقل المحصولات والمنتوجات من بلد إلى آخر، ومن قطر إلى قطر، وفي هذا عمار للأرض، وانتظام أمور العالم.

وأضاف[2] الأقوات إلى الأرض من حيث هي فيها وعنها برزت. قاله السدي.

---

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

وقُرِىء[1]: ﴿وقسم فيها أقواتا﴾؛ أي[2]: قسم في الأرض أرزاق العباد والبهائم. وقيل: قدر في كل بلدة ما لم يجعله في الأخرى، ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة، وقيل: قدر البر لأهل قطر من الأرض، والتمر لأهل قطر آخر، والذرة لأهل قطر، والسمك لأهل قطر، وكذلك سائر الأقوات، وقيل: إن الزراعة أكثر الحرف بركةً، لأن الله تعالى وضع الأقوات في الأرض، قال تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا﴾ ﴿فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾؛ أي: مع اليومين الأولين من أيام الآخرة[3]، أو من أيام الدنيا، فخلق الأرض في يومين، وقدر الأقوات في يومين، وهما يوم الثلاثاء والأربعاء، فصارت أربعة أيام، رد الآخر على الأول في الذكر؛ أي: أن خلق الأرض وجعل الرواسي فيها في يومين، وإكثار خيراتها وتقدير أقواتها في يومين، فيكون ذلك في أربعة أيام. كما يقول القائل: خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام، وإلى الكوفة في خمسة عشر يوماً؛ أي: في تتمة خمسة عشر يوماً.

وقصارى ذلك: أن حصول جميع ما تقدم من خلق الأرض وخلق الجبال الرواسي فيها، وتقدير الأقوات في أربعة أيام، حالة كون تلك الأيام الأربعة ﴿سَوَآءً﴾؛ أي: مستويةً كاملة تامة بلا زيادة ولا نقصان.

وقرأ الجمهور: ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب على الحال من ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ لتخصصه بالإضافة، أو من الأرض، أو من الضمائر الراجعة إليها، أو على أنه مصدر مؤكد لفعل محذوف هو صفة لـ﴿الأيام﴾؛ أي: استوت تلك الأيام وتمت سواءً؛ أي: استواءً وتماماً، وقرأ أبو جعفر؛ برفعه على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هي سواء؛ أي: تلك الأربعة مستوية تامة، وقرأ زيد بن علي والحسن وابن أبي إسحاق وعيسى ويعقوب وعمرو بن عبيد: بخفضه، على أنه صفة لـ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾؛ أي: في أربعة أيام مستوية تامة كاملة.

وقوله: ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾: متعلق بمحذوف، تقديره: هذا الحصر في الأربعة للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها، القائلين: في كم خلقت الأرض وما فيها؟ فالسؤال استفتائي، و﴿اللام﴾: للبيان أو متعلق بقدر. قال في «بحر العلوم» وهذا هو الظاهر؛ أي: قدر فيها أقواتها لأجل السائلين؛ أي: لأجل الطالبين لها،

---

(١) المراح. (٢) الخازن. (٣) روح البيان.

المحتاجين إليها من المقتاتين، فإن أهل الأرض كلها طالبون للقوت، محتاجون إليه، فالسؤال استعطافي، واللام للأجل.

قال الفراء[1]: في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى: وقدر فيها أقواتها سواءً كاملةً للمحتاجين في أربعة أيام، واختار هذا ابن جرير.

ولما انتهى من الكلام في الأرض.. أخذ يذكر السماء، فالترتيب في الذكر فحسب؛ أي: لما ذكر سبحانه خلق الأرض وما فيها.. ذكر كيفية خلقه للسموات، فقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ﴾ سبحانه وتعالى؛ أي: وجه قصده وإرادته ﴿إِلَى﴾ خلق ﴿السَّمَاءِ﴾ وتكوينها، قال الرازي: هو من قولهم: استوى إلى مكان كذا: إذا توجه إليه توجهاً لا يلتفت معه إلى عمل آخر، وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج، ونظيره قولهم: استقام إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾.

والمعنى: ثم دعاه سبحانه داعي الحكمة البالغة، والقدرة الباهرة، والإرادة التامة إلى خلق السموات وسمكها بعد خلق الأرض وما فيها ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾؛ أي: والحال أن السماء أمر ظلماني مثل الدخان المرتفع من النار، الذي لا تماسك فيه؛ أي: مثل السحاب الغير المتماسك. و﴿الواو﴾[2]: للحال، والضمير للسماء، لأنها من المؤنثات السماعية، والدخان أجزاء أرضية لطيفة؛ أي: غير متماسكة، ترتفع في الهواء مع الحرارة. وفي «المفردات»: الدخان: العثان المسْتَصْحِب لِلَهب، والبخار: أجزاء مائية رطبة ترتفع في الهواء مع الشعاعات الراجفة من سطوح المياه.

والمعنى: والحال أن السماء دخان؛ أي: أمر ظلماني يشبه الدخان، وهو المرتفع من النار وهو من قبيل التشبيه البليغ ولما كانت أول حدوثها مظلمة صحت تسميتها بالدخان تشبيهاً لها به، من حيث إنها أجزاء متفرقة غير متواصلة، عديمة النور كالدخان، فإنه ليس له صورة تحفظ تركيبه. كما في «حواشي ابن الشيخ». وقال بعضهم: ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾؛ أي: دخان مرتفع من الماء؛ يعني: السماء، بخار الماء كهيئة الدخان.

---

(١) الشوكاني.
(٢) روح البيان.

وكان عرش الرحمن قبل خلق السموات والأرض على الماء، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، فلما أراد الله سبحانه وتعالى أن يخلق السموات والأرض.. أمر الريح فضربت الماء فاضطرب الماء اضطراباً شديداً فأزبد وارتفع، فخرج منه دخان، فأما الزبد: فبقي على وجه الماء، فخلق فيه اليبوسة، وأحدث منه الأرض، وأما الدخان: فارتفع وعلا، فخلق منه السموات.

فإن قلت: هذه[1] الآية مشعرة بأن خلق الأرض كان قبل السماء، وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠﴾ مشعر بأن خلق الأرض بعد خلق السماء، فكيف الجمع بينهما؟

قلت: الجواب المشهور: أنه تعالى خلق الأرض أولاً، ثم خلق السماء بعدها، ثم بعد خلق السماء دحا الأرض ومدّها، وفيه جواب آخر، وهو أن يقال: إن خلق السماء مقدم على خلق الأرض، فعلى هذا يكون معنى الآية خلق الأرض في يومين، وليس الخلق عبارةً عن الإيجاد والتكوين فقط، بل هو عبارة عن التقدير أيضاً، فيكون المعنى: قضى أن يحدث الأرض في يومين بعد إحداث السماء، فعلى هذا يزول الإشكال. والله أعلم بالحقيقة.

ولعل تقديم[2] بيان ما يتعلق بالأرض وأهلها، لما أن بيان اعتنائه تعالى بأمر المخاطبين، وترتب مبادي معايشهم قبل خلقهم، مما يحملهم على الإيمان، ويزجرهم عن الكفر والطغيان.

﴿فَقَالَ لَهَا﴾؛ أي: للسماء ﴿وَلِلْأَرْضِ﴾ التي قدر وجودها، ووجود ما فيها: ﴿ٱئْتِيَا﴾؛ أي: كُونا واحدُثا على وجه معين، وفي وقت مقدر لكل منكما، وهو عبارة عن تعلق إرادته تعالى بوجودهما تعلقاً فعلياً، بطريق التمثيل، بعد تقدير أمرهما، من غير أن يكون هناك آمر ومأمور، كما في قوله: ﴿كُن﴾ بأن شبه تأثير قدرته فيهما، وتأثرهما عنها بأمر آمر نافذ الحكم يتوجه نحو المأمور المطيع، فيتمثل أمره، فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن الحالة المشبهة بها.

ومعنى ﴿ٱئْتِيَا﴾[3]: افعلا ما آمركما به، وجيئا به، كما يقال: ائت ما هو

---

(١) الخازن. (٢) روح البيان. (٣) الشوكاني.

الأحسن؛ أي: افعله. قال الواحدي: قال المفسرون: إن الله سبحانه قال: أما أنت يا سماء.. فأطلعي شمسك وقمرك ونجومك، وأما أنت يا أرض.. فشقي أنهارك وأخرجي ثمارك ونباتك.

وقرأ الجمهور: ﴿أَئْتِيَا﴾ أمراً من الإتيان، وقرأ ابن عباس وابن جبير ومجاهد: ﴿آتيا﴾ ﴿قالتا آتينا﴾ بالمد فيهما، وهو إما من المؤاتاة وهي الموافقة؛ أي: لتوافق كل منكما الأخرى، أو من الإيتاء وهو الإعطاء، فوزنه على الأول فاعلا كقاتلا، وعلى الثاني أفعلا كأكرما، وجمع الأمر لهما في الإخبار عنه لا يدل على جمعه في الزمان، بل يكون القول لهما متعاقباً.

وقوله: ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾: مصدران[1] واقعان في موقع الحال، والطوع الانقياد والاختيار والإرادة، ويضاده الكره؛ أي: كونا أو افعلا ما أمرتكما به حالة كونكما طائعتين منقادتين مختارتين أو كارهتين؛ أي: افعلا سواء شئتما ذلك أو أبيتما، وهو تمثيل لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما، واستحالة امتناعهما من ذلك، لا إثبات الطوع والكره لهما، لأنهما من أوصاف العقلاء ذوي الإرادة والاختيار، والأرض والسماء من قبيل الجمادات العديمة الإرادة والاختيار.

وقرأ الأعمش: ﴿كرها﴾ بضم الكاف وهو بمعنى الفتح.

﴿قَالَتَآ﴾؛ أي: السماء والأرض ﴿أَتَيْنَا﴾ وفعلنا أمرك حالة كوننا ﴿طَآئِعِينَ﴾؛ أي: منقادين وطائعين أمرك، وهو تمثيل لكمال تأثرهما بالذات عن القدرة الربانية، وحصولهما كما أمرتا به، وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جارياً على مقتضى الحكمة البالغة، فإن الطوع منبىء عن ذلك، والكره موهم لخلافه.

فإن قلت: لِمَ قال[2]: ﴿طَآئِعِينَ﴾ على وزن جمع العقلاء الذكور، لا طائعتين حملاً على اللفظ أو طائعات حملاً على المعنى، لأنها سماوات وأرضون؟

قلت: جمعهما جمع العقلاء لخطابهما بما يخاطب به العقلاء، ونظيره: ﴿سَٰجِدِينَ﴾ في قوله تعالى حكايةً عن يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾؛ أي: لما وصفتا بأوصاف العقلاء..

---

(١) روح البيان. (٢) روح البيان.

عوملتا معاملة العقلاء، وجمعتا لتعدد مدلولهما.

والمعنى[1]: أي فقال لتلك العوالم السماوية، وللأرض التي دارت حولها: ائتيا كيف شئتما، طائعتين أو كارهتين، فأجابتا فقالتا: أتينا طائعين. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال الله تعالى للسموات: أطلعي شمسك وقمرك وكواكبك، وأجري رياحك وسحابك، وقال للأرض: شقي أنهارك، وأخرجي شجرك وثمارك، طائعتين أو كارهتين، قالتا: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾.

وفي هذا دلالة على الحركة المستمرة المعبّر عن سببها بالجاذبية، فهي حركة تجري جري طاعة، لا جري قسر، فإنا نشاهد أنا نرمي الحجر إلى أعلى قسراً، فيأبى إلا أن ينزل إلى الأرض بطريق الجاذبية إلى جسم أكبر منه وهي الأرض، وهكذا الأرض مجذوبة إلى الشمس التي هي أصلها بحركة دورية دائمة، طوعاً لا قسراً، لأن القسرية كرمي الحجر إلى أعلى سريعة الزوال، أما حركة الطاعة.. فهي دائمة ما دام المطيع متخلقاً بخلقه الذي هو فيه.

وقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ تفسير[2] وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالأمر، وجوابه لا أنه فعل مرتب على تكوينها، والضمير لـ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ على المعنى، فإنه في معنى الجمع لتعدد مدلوله، فـ﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ حال، أو هو؛ أي: الضمير مبهم يفسره ﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ كضمير ربه رجلاً فـ﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾: تمييز.

والمعنى: خلقهن وأحكمهن وفرغ منهن، حال كونهن سبع سموات، أو خلقهن من جهة كونهن سبع سموات، خلقاً إبداعياً؛ أي: على طريق الاختراع لا على مثال، وأتقن أمرهن بأن لا يكون فيهن خلل ونقصان، حسبما تقتضيه الحكمة، أو مفعول ثان لـ﴿قضاهن﴾ لتضمنه معنى التصيير؛ أي: صيرهن سبع سموات ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾؛ أي: في وقت مقدر بيومين، وهما يوم الخميس ويوم الجمعة، خلق السموات يوم الخميس، وما فيها من الشمس والقمر والنجوم في يوم الجمعة، وقد بين مقدار زمان خلق الأرض وخلق ما فيها عند بيان تقديرهما، فكان خلق الكل في ستة أيام حسبما نص عليه في مواضع من التنزيل.

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

والمعنى[1]: فأتم خلقهن خلقاً إبداعياً، وأتقن أمرهن في يومين سوى الأربعة الأيام التي خلق فيها الأرض، فوقع خلق السموات والأرض في ستة أيام، كما قال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ على ما اقتضته الحكمة وحسن النظام.

وفي «فتح الرحمن»: إن قلت[2]: الكلام هنا يدل على أن السموات والأرض وما بينهما خلقت في ثمانية أيام، وهو مخالف لما ذكره في سورة الفرقان وغيرها، أنها خلقت في ستة أيام.

قلت: يوماً خلق الأرض من جملة الأربعة بعدهما، والمعنى في تتمة أربعة أيام، وهي مع يومي خلق السموات ستة أيام، يوم الأحد والاثنين لخلق الأرض، ويوم الثلاثاء والأربعاء للجعل المذكور في الآية وما بعده، ويوم الخميس والجمعة لخلق السموات.

فإن قلت: السموات وما فيها أعظم من الأرض وما فيها بأضعاف، فما الحكمة في أنه تعالى خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام، والسموات وما فيها في يومين؟

قلت: لأن السموات وما فيها من عالم الغيب والملكوت والأمر، والأرض وما فيها من عالم الشهادة والملك والخلق، والأول أسرع من الثاني، أو أنه تعالى فعل ذلك في الثاني مع قدرته على فعله ذلك دفعةً واحدة؛ ليعرفنا أن الخلق على سبيل التدريج لنتأنى في أفعالنا، فخلق ذلك في أربعة أيام لمصالح وحكم اقتضت ذلك، ولهذا خلق العالم الأكبر في ستة أيام، والعالم الأصغر وهو الإنسان في ستة أشهر، وهي أقل مدة الحمل.

﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾: عطف على ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾؛ أي: وخلق في كل سماء منهن أمرها؛ أي: مخلوقها وسكانها، والإيحاء: عبارة: عن التكوين، والخلق مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت؛ أي: خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وأفلاكها وما فيها من الملائكة والبحار والبرد والثلوج وغيرها، مما لا يعلمه إلا الله سبحانه. قاله قتادة والسدي؛ قال الراغب: يقال للإبداع: أمر، وقد

---

(١) المراغي. (٢) فتح الرحمن.

حمل على ذلك في هذه الآية. اهـ.

أو المعنى[1]: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ﴾؛ أي: ألقى إلى أهل كل سماء أوامره وكلفهم بما يليق بهم من التكاليف، فمنهم قيام لا يقعدون إلى قيام الساعة، ومنهم سجود لا يرفعون رؤوسهم أبداً إلى غير ذلك، والإيحاء حينئذ على معناه، ومطلق عن القيد المذكور، والآمر هو الله تعالى، والمأمور أهل كل سماء، وأضيف الأمر إلى نفس السماء؛ للملابسة، لأنه إذا كان مختصاً بالسماء.. فهو أيضاً بواسطة أهلها.

﴿وَزَيَّنَّا﴾ التفات إلى نون العظمة، لإبراز مزيد العناية بالأمر ﴿ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: القريبة إلى أهل الأرض ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾؛ أي: بكواكب تضيء في الليل كالمصابيح، فإنها ترى كلها متلألئة على السماء الدنيا، كأنها فيها، فالمراد بالمصابيح: جميع الكواكب النيرة التي خلقت في السموات من الثوابت والسيارات، وليس كلها في السماء الدنيا، وهي التي تدنو وتقرب من أهل الأرض، فإن كل واحد من السيارات السبع في فلك مستقل، والثوابت مركوزة في الفلك الثامن، المعبر عنه بالكرسي، إلا أن كونها مركوزة فيما فوق السماء الدنيا، لا ينافي كونها زينة لها، لأنَّا نرى جميع الكواكب كالسرج الموقدة فيها، وقيل: إن في كل سماء كواكب تضيء، وقيل: بل الكواكب مختصة بالسماء الدنيا، وقوله: ﴿وَحِفْظًا﴾: مصدر مؤكد لفعل محذوف معطوف على ﴿زيّنّا﴾؛ أي[2]: وحفظنا السماء الدنيا من الآفات ومن المسترقة ﴿حفظاً﴾، وهي الشياطين الذين يصعدون السماء لاستراق السمع، فيرمون بشهب صادرة من نار الكواكب، منفصلة عنها، ولا يرجمون بالكواكب أنفسها، لأنها قارة في الفلك على حالها، وما ذلك إلا كقبس يؤخذ من النار، والنار باقية بحالها، لا ينتقص منها شيء، والشهاب: شعلة نار ساقطة.

وقيل المعنى[3]: أي وحفظنا تلك المصابيح حفظاً من الاضطراب في سيرها، ومن اصطدام بعضها ببعض، وجعلناها تسير على نهج واحد، ما دام هذا النظام باقياً حتى يأتي اليوم الموعود، فهناك تختل نظمها، كما قال سبحانه: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾.

---

(١) روح البيان. (٢) روح البيان. (٣) المراغي.

﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من خلق الأرض في يومين وما بعده إلى هنا ﴿تَقۡدِيرُ﴾ وتدبير الإله القدير ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ الذي قد عز كل شيء فغلبه وقهره ﴿ٱلۡعَلِيمِ﴾ بحركات مخلوقاته وسكناتها، سرها ونجواها، ظاهرها وباطنها.

وقوله: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ﴾: متصل بقوله: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ...﴾ إلخ؛ أي: فإن أعرض كفار قريش عن الإيمان بعد هذا البيان، وهو بيان خلق الأجرام العلوية والسفلية وما بينهما.. ﴿فَقُلۡ﴾ لهم يا محمد: ﴿أَنذَرۡتُكُمۡ﴾؛ أي: أنذركم وأخوفكم، وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الإنذار المنبىء عن تحقق المنذر به؛ أي: أنذركم وأخوفكم ﴿صَٰعِقَةٗ﴾؛ أي: عذاباً هائلاً شديد الوقع، كأنه صاعقة؛ يعني أن الصاعقة في الأصل قطعة من النار، تنزل من المساء فتحرق ما أصابته، استعيرت هنا للعذاب الشديد، تشبيهاً له بها في الشدة والهول؛ أي: أنذركم عذاباً شديداً ﴿مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾؛ أي: مثل عذاب شديد نزل بعاد قوم هود وبثمود قوم صالح.

أي[1]: لم يبق في حقكم علاج إلا إنزال العذاب الذي نزل على من قبلكم من المعاندين المتمردين، المعرضين عن الله تعالى وطلبه وطلب رضاه، فهم سلف لكم في التكذيب والجحود والعناد، وقد سلكتم طريقهم، فتكونون كأمثالهم في الهلاك، قال مقاتل: كان عاد وثمود ابني عم، وموسى وقارون ابني عم، وإلياس واليسع ابني عم، وعيسى ويحيى ابني خالة.

وإنما خص[2] هاتين القبيلتين؛ لأن قريشاً كانوا يمرون على بلادهم في أسفارهم إلى الشام، فيرون آثارهم في الحجر.

وقرأ الجمهور: ﴿صَٰعِقَةٗ﴾ في الموضعين بالألف، وقرأ ابن الزبير والنخعي والسلمي وابن محيصن: ﴿صعقة﴾ بغير ألف في الموضعين، والصعقة: المرة من الصعق، أو الصعق، يقال: صعقته الصاعقة صعقاً؛ أي: أهلكته إهلاكاً فصعق صعقاً، والصاعقة: المهلكة من كل شيء، والظرف. في قوله: ﴿إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ﴾: متعلق بمحذوف حال من صاعقة عاد وثمود؛ أي: حال كون تلك الصاعقة نازلةً بهم وقت مجيء الرسل إليهم؛ أي: إلى عاد وثمود ﴿مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾؛ أي[3]: من

---

(١) روح البيان. (٢) المراح. (٣) الخازن.

قبلهم، يعني الرسل الذي أرسلوا إلى آبائهم، فالضمير عائد إلى عاد وثمود ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾؛ أي: ومن بعد الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم، وهم الرسل الذين أرسلوا إليهم، وهما هود وصالح، والضمير عائد إلى الرسل.

قوله: ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ﴾ الظاهر[1]: أنه من إطلاق الجمع على المثنى.. فإن الجائي إلى عاد هود، وإلى ثمود صالح ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ متعلق بـ﴿جَآءَتْهُمُ﴾؛ أي: جاءتهم من جميع جوانبهم، واجتهدوا بهم من كل جهة من جهات الإرشاد وطرق النصيحة، تارةً بالرفق، وتارةً بالعنف، وتارةً بالتشويق، وأخرى بالترهيب، فليس المراد الجهات الحسية والأماكن المحيطة بهم، أو من جهة الزمان الماضي بالإنذار عما جرى فيه على الكفار من الوقائع، ومن جهة الزمان المستقبل بالتحذير عما أعد لهم في الآخرة، ويحتمل أن يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ فيراد بالرسل ما يعم المتقدمين منهم والمتأخرين، أو ما يعم رسل الرسل أيضاً، وإلا فالجائي رسولان كما سبق، وليس في الاثنين كثرة؛ أي: إذ جاءتهم الرسل وخاطبوهم بـ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ أيها القوم ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى؛ أي: يأمرونهم بعبادة الله وحده، فـ﴿أنْ﴾: مصدرية ناصبة للفعل وصلت بالنهي، كما توصل بالأمر في مثل قوله تعالى: ﴿أَنْ طَهِّرَا﴾، ويجوز[2] أن تكون تفسيرية، أو مخففةً من الثقيلة، واسمها: ضمير الشأن محذوف.

ثم ذكر سبحانه ما أجابوا به على الرسل، فقال: ﴿قَالُوا۟﴾؛ أي: قال قوم عاد وثمود استخفافاً برسلهم: ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا﴾؛ أي: إرسال الرسل، فإنه ليس هنا في أن تقدر المفعول مضمون جواب الشرط كثير معنى.. ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾؛ أي: لأرسل الملائكة بدلكم، ولم يتخالجنا شك في أمرهم فآمنا بهم، لكن لما كان إرسالهم بطريق الإنزال.. قيل: لأنزل ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ على زعمكم، فهو ليس إقراراً منهم بالإرسال ﴿كَٰفِرُونَ﴾؛ أي: كافرون بما تزعمونه من أن الله أرسلكم إلينا، لأنكم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا، فكيف اختصكم برسالته دوننا؟.

ومعنى الآية[3]: أي قل أيها الرسول لمشركي قومك، المكذبين لما جئتهم به من الحق: إن أعرضتم عما جئتكم به من عند الله تعالى.. فإني أنذركم بحلول

---

(١) روح البيان. (٢) روح البيان. (٣) المراغي.

نقمته بكم، كما حلت بالأمم الماضية التي كذبت رسلها، كعاد وثمود ومن على شاكلتهما، ممن فعل فعلهما حين جاءتهم الرسل في القرى المجاورة لبلادكم، وأمروا أهلها بعبادة الله وحده، فكذبوهم واستكبروا عن إجابة دعوتهم، واعتذروا بشتى المعاذير، كما ذكر الله ذلك سبحانه بقوله: ﴿قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا﴾ إلخ؛ أي: قالوا: إنا لا نصدق برسالتكم، فما أرسل الله بشراً، ولو أرسل رسلاً.. لأنزل ملائكة، وإذاً فلا نتبعكم وأنتم بشر مثلنا، وقد تقدم في غير ما موضع دفع هذه الشبهة الداحضة التي جاؤوا بها، وقوله: ﴿بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾: ليس إقراراً منكم بكونهم رسلاً بل ذكروه استهزاءً بهم، كما قال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

أخرج البيهقي في «الدلائل» وابن عساكر عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال أبو جهل والملأ من قريش: قد التبس علينا أمر محمد، فلو التمستم رجلاً عالماً بالسحر والكهانة والشعر فكلمه، ثم أتانا ببيان من أمره، فقال عتبة بن ربيعة: والله لقد سمعت السحر، وعلمت من ذلك علماً، وما يخفى علي إن كان كذلك، فأتاه فقال: يا محمد، أنت خير أم هاشم، أنت خير أم عبد المطلب، أنت خير أم عبد الله، فلم يجبه ﷺ، قال: لم تشتم آلهتنا وتضللنا، إن كنت تريد الرياسة؟ عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا، وإن تكن بك الباءة - الميل إلى قربان النساء -.. زوجناك عشر نسوة تختارهن أي بنات شئت من قريش، وإن كان المال مرادك.. جمعنا لك ما تستغني به، ورسول الله ساكت، فلما فرغ.. قال ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ حتى بلغ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣﴾ فأمسك عتبة على فيه، وناشده الرحم، فرجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش، فلما احتبس عنهم.. قالوا: لا نرى عتبة إلا قد صبأ، فانطلقوا إليه وقالوا: يا عتبة، ما حبسك عنا إلا أنك قد صبأت، فغضب وأقسم لا يكلم محمداً أبداً، ثم قال: والله لقد كلمته فأجابني بشيء ما هو بشعر ولا بسحر ولا كهانة، ولما بلغ: ﴿صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾.. أمسكت بفيه وناشدته الرحم، ولقد علمت أن محمداً إذا قال شيئاً.. لا يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب.

وأخرج أبو نعيم والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عمر قال: لما قرأ النبي ﷺ

على عتبة بن ربيعة: ﴿حمٓ ۝١﴾ أتى أصحابه فقال: يا قوم، أطيعوني في هذا اليوم، واعصوني بعده، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاماً ما سمعت أذني قط كلاماً مثله، وما دريت ما أرد عليه.

وقد ذكرنا هذا القصص قبل برواية أخرى، وهذه الرواية أتم من سابقتها، فأعدناها تكميلاً للفائدة، وفي هذا الباب روايات كثيرة تدل على اجتماع قريش وإرسالهم عتبة بن ربيعة، وتلاوته ﷺ أول هذه السورة عليه.

ولما بين سبحانه كفر قوم عاد وثمود إجمالاً، وبين معاذيرهما.. أردف ذلك بذكر ما لكل منهما من الجناية، وماحل به من العذاب، فقال: ﴿فَأَمَّا عَادٌ﴾ ولما[١] كان التفصيل مسبباً عن الإجمال السابق.. أدخل عليه ﴿الفاء﴾ السببية، هكذا ذكره صاحب «روح البيان» والأولى جعلها فصيحية كما سيأتي في مبحث الإعراب، والتقدير: إذا عرفت أن كلاً من القبيلتين كفروا برسلهم، فأخذتهم الصاعقة، وأردت بيان ما لكل منهما من الجريمة والعقوبة.. فأقول لك: أما عاد قوم هود ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: تكبروا عن الإيمان بالله وتصديق رسله، وتعظموا فيها على أهلها ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بغير استحقاق ذلك الذي وقع منهم من التكبر والتعظم، بل ركنوا إلى قوة نفوسهم.

ثم ذكر سبحانه بعض ما صدر منهم من الأقوال الدالة على الاستكبار، فقال: ﴿وَقَالُوا۟﴾ اغتراراً بتلك القوة الموقوفة على عظم الأجسام: ﴿مَنْ﴾ للاستفهام الإنكاري؛ أي: لا أحد ﴿أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾؛ أي: قدرةً وكان طول كل واحد منهم ثمانية عشر ذراعاً، وبلغ من قوتهم أن الرجل منهم كان يقتلع الصخرة من الجبل، ويجعلها حيث شاء، وكانوا يظنون أنهم يقدرون على دفع العذاب بفضل قوتهم، فخانتهم قواهم لما استمكن منهم بلواهم، وقد رد الله سبحانه عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ و﴿الهمزة﴾: فيه للاستفهام التوبيخي المضمن للإنكار، داخلة على محذوف، و﴿الواو﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أغفلوا عن قدرة الله القاهرة، ولم يعلموا علماً جلياً شبيهاً بالمشاهدة والعيان ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ﴾ وخلق الأشياء كلها خصوصاً الأجرام العظيمة كالسموات والجبال ونحوها؟، وإنما[٢] أورد

---

(١) روح البيان. (٢) روح البيان.

في حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات والأرض؛ لادعائهم الشدة في القوة ﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾؛ أي: قدرة، لأن قدرة الخالق لا بد وأن تكون أشد من قدرة المخلوق، إذ قدرة المخلوق مستفادة من قدرة الخالق، والقوة: عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف.

ولما كانت[1] صيغة التفضيل تستلزم اشتراك المفضل والمفضل عليه في الوصف الذي هو مبدأ اشتقاق أفعل، ولا اشتراك بينه تعالى وبين الإنسان في هذه القوة لكونه منزهاً عنها.. أريد بها القدرة مجازاً لكونها مسببة عن القوة بمعنى صلابة البنية ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ المنزلة على الرسل ﴿يَجْحَدُونَ﴾ والجحود: الإنكار مع العلم؛ أي: ينكرونها وهم يعرفون حقيقتها، كما يجحد المودع الوديعة وينكرها، وهو عطف على ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء.

والمعنى: أنهم جمعوا بين الاستكبار وطلب العلوّ في الأرض، وهو فسق وخروج عن الطاعة بترك الإحسان إلى الخلق، وبين الجحود بالآيات وهو كفر وترك لتعظيم الحق، فكانوا فسقةً كفرةً، وهذان الوصفان لما كانا أصلي جميع الصفات الذميمة.. لا جرم سلّط الله عليهم العذاب، كما قال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ إلخ.

ومعنى الآية[2]: أي فأما عاد فبغوا وعصوا ربّهم، ولم يقبلوا كلام الرسول الذي جاء لهم، وقالوا: من أشد منا قوة حتى يستطيع قهرنا وإذلالنا؟ وقد كانوا قوماً طوال القامة، شديدي الأسر، فاغترّوا بأجسامهم حين تهدّدهم رسولهم بالعذاب، فردّ الله عليهم موبّخاً لهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ إلخ؛ أي: أما يفكّرون فيمن يبارزون بالعداوة، إنه العظيم الذي خلق الأشياء كلها، وركّب فيها قواها الحاملة لها، وأنّ بطشه لشديد، وأنه لقادر على أن ينزل بهم من أنواع عقابه ما شاء، فيقول: كن فيكون، وكانوا يعرفون أنّ آياتنا التي أنزلناها على رسلنا حقّ لا مرية فيها، ولكنهم جحدوها وعصوا رسله، وقد يكون المعنى: إنهم جحدوا الأدلّة التكوينية التي نصبناها لهم، وجعلناها حجة عليهم، أو بجميع ذلك.

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.

ثمّ ذكر سبحانه ما أنزل عليهم من عذابه فقال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على عاد ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ لتقلعهم من أصولهم؛ أي: ريحاً باردة تهلك وتحرق بشدّة بردها، كإحراق النار بحرّها من الصرّ وهو البرد الذي يصرّ أي: يجمع ويقبض؛ أي: ريحاً عاصفةً تصرصر؛ أي: تصوّت في هبوبها، قيل: إنها الدبور مقابل القبول؛ أي: الصبا التي تهبّ من مطلع الشمس، فيكون الدبور ما تهبّ من مغربها ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ جمع[1] نحسة من نحس على وزن علم؛ أي: في أيام منحوسات مشؤومات ليس فيها شيء من الخير، فنحوستها أن الله تعالى أدام تلك الرياح فيها على وتيرة وحالة واحدة بلا فتور، وأهلك القوم بها، لا كما يزعم المنجّمون من أنّ بعض الأيام قد يكون في حدّ ذاته نحساً، وبعضها سعداً، استدلالاً بهذه الآية، لأنّ أجزاء الزمان متساوية في حدّ ذاتها، ولا تمايز بينها إلا بحسب تمايز ما وقع فيها من الطاعات والمعاصي، فيوم الجمعة مثلاً سعد بالنسبة إلى المطيع، نحس بالنسبة إلى العاصي، وإن كان سعداً في حدّ نفسه، قال رجل عند الأصمعيّ: فسد الزمان، فقال الأصمعي:

إِنَّ ٱلْجَدِيْدَيْنِ فِيْ طُوْلِ ٱخْتِلَافِهِمَا لَا يَفْسَدَانِ وَلَكِنْ يَفْسُدُ ٱلنَّاسُ

وقيل:

نَذُمُّ زَمَانَنَا وَٱلْعَيْبُ فِيْنَا وَلَوْ نَطَقَ ٱلزَّمَانُ إِذاً هَجَانَا

يعني: كانت[2] الريح من صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوال إلى غروب الأربعاء الآخر، وهو آخر الشهر، ويقال لها: أيام الحسوم، وسيأتي تفصيلها في سورة الحاقة إن شاء الله تعالى، وما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء، وقال الضحّاك: أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين، ودامت الرياح عليهم من غير مطر، وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ: إذا أراد الله بقوم خيراً.. أرسل عليهم المطر، وحبس عنهم كثرة الرياح، وإذا أراد بقوم شرًّا. حبس عنهم المطر، وسلّط عليهم كثرة الرياح، وقيل: معنى ﴿نَّحِسَاتٍ﴾: باردات، وقيل: متتابعات، وقيل: شداد، وقيل: ذوات غبار.

---

(١) روح البيان. (٢) روح البيان.

وقرأ الحرميان[1] - نافع وابن كثير - وأبو عمرو والنخعي وعيسى والأعرج: ﴿نحسات﴾ بسكون الحاء، جمع نحس بسكون الحاء، فاحتمل أن يكون مصدراً وصف به، وتارةً يضاف إليه، واحتمل أن يكون مخفّفاً من فعل، وقرأ قتادة وأبو رجاء والجحدري وشيبة وأبو جعفر والأعمش وباقي السبعة: بكسر الحاء وهو القياس، واختار أبو حاتم القراءة الأولى لقوله: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾، واختار أبو عبيد القراءة الثانية.

والمعنى[2]: فأرسلنا عليهم ريحاً باردة تهلك بشدة بردها، وإذا هبّت.. سمع لها صوت قويّ لتكون عقوبة لهم من جنس ما اغترُّوا به أيام مشؤومات نكدات متتابعات، كما قال في آية أخرى: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾.

ثم بين الغاية التي من أجلها نزل العذاب فقال: ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾؛ أي: لكي نذيقهم بسبب ذلك الاستكبار عذاب الذل والهوان ﴿فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ وقرىء: ﴿لتذيقهم﴾ بالتاء، وقال الزمخشري: أسناداً للإذاقة إلى الريح، أو للأيام النحسات، وإضافة[3] العذاب إلى الخزي: من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة؛ أي: العذاب الخزي؛ أي: الذليل المهان على أنّ الذليل المهان في الحقيقة أهل العذاب لا العذاب نفسه ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾؛ أي: وعزتي وجلالي لعذاب الآخرة ﴿أَخْزَىٰ﴾؛ أي: أذل وأزيد خزياً، وأشد إهانةً من عذاب الدنيا، وهو في الحقيقة أيضاً وصف للمعذّب، وقد وصف به العذاب على الإسناد المجازي لحصول الخزي بسببه ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه، لا في الدنيا ولا في الآخرة؛ أي: لا يمنعون من العذاب النازل بهم، ولا يدفعه عنهم دافع، لأنهم لم ينصروا الله ودينه، وأما المؤمنون فإنهم وإن كانوا ضعفاء.. فقد نصرهم الله تعالى، لأنهم نصروا الله ودينه، فعجباً من القوة في جانب الضعف، وعجباً من الضعف في جانب القوة، وفي الحديث: «إنكم تنصرون بضعفائكم»؛ أي: الضعفاء الداعين لكم بالنصرة، وقال خالد بن برمك: اتقوا مجانيق الضعفاء؛ أي: دعواتهم.

---

(١) البحر المحيط.

(٢) المراغي.

(٣) روح البيان.

يقول الفقير[1]: إنما عذّبت بريح صرصر، لأنهم اغتروا بطول قاماتهم، وعظم أجسادهم، وزيادة قوّتهم، فظنّوا أنّ الجسم إذا كان في القوة والثقل بهذه المرتبة.. فهو يثبت في مكانه. ويستمسك، ولا يزيله عن مقرّه شيء من البلاء، فسلّط الله عليهم الريح، فصارت أجسامهم كريشة في الهواء.

وكان ﷺ يجثو على ركبتيه عند هبوب الرياح، ويقول: «اللهم اجعلها رحمةً ولا تجعلها عذاباً، اللهم اجعلها لنا رياحاً»؛ أي: رحمةً «ولا تجعلها ريحاً»؛ أي: عذاباً، وأراد به أن أكثر ما ورد في القرآن من الريح بلفظ المفرد فهو عذاب، نحو: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ وإن جاء في الرحمة أيضاً نحو: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ وكل ما جاء بلفظ الجمع على الرياح فهو رحمة لا غير، ويقول ﷺ؛ أي: عند هبوب الرياح، وعند سماع الصوت والرعد والصواعق أيضاً: «اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك».

وبعد أن ذكر قصص عاد، أتبعه بقصص ثمود فقال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ﴾؛ أي: قبيلة ثمود، فهو غير منصرف للعلمية والتأنيث، ومن نوّنه وصرفه جعله اسم رجل، وهو الجدّ الأعلى للقبيلة.

وقرأ الجمهور[2]: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ﴾ بالرفع ومنع الصرف، وقرأ الأعمش وابن وثاب بالرفع والصرف، وقرأ ابن عباس وابن أبي إسحاق وعاصم في رواية: بالنصب والصرف، وقرأ الحسن وابن هرمز وعاصم في رواية: بالنصب والمنع، فأما الرفع فعلى الابتداء، والجملة بعده: الخبر، وأما النصب. فعلى الاشتغال، وأما الصرف فعلى تفسير الاسم بالأب أو الحيّ، وأما المنع فعلى تأويله بالقبيلة، كما مرّ آنفاً.

﴿فَهَدَيْنَاهُمْ﴾؛ أي: فدللناهم على الحق بنصب الآيات التكوينية، وبيّنا لهم طريق النجاة بإرسال الرسل إليهم، وإنزال الآيات الشريفة، ورحمنا عليهم بالكلية، فإنها توجب على كل عاقل أن يؤمن بالله ويصدّق رسله، قال الفرّاء: معنى الآية: دللناهم على مذهب الخير والنجاة بإرسال الرسل. والمراد بالهداية، الدلالة على ما

---

(١) روح البيان.
(٢) الشوكاني.

يوصل إلى المطلوب، سواء ترتّب عليها الاهتداء أم لا، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وليس المراد الدلالة المقيدة بكونها موصلة إلى البغية، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾؛ أي: اختاروا الضلالة من عمى البصيرة، وافتقادَها على الهداية، والكفر على الإيمان، والمعصيةَ على الطاعة.

وقيل[1]: إن ثمود في الابتداء آمنوا وصدّقوا، ثمّ ارتدُّوا وكذّبوا، فأجراهم مجرى إخوانهم في الاستئصال، فتكون الهداية حينئذ بمعنى الدلالة المقيدة، قال ابن عطاء: ألبسوا لباس الهداية ظاهراً وهم عواري، فيتحقق عليهم لباس الحقيقة، فاستحبُّوا العمى على الهدى، فردُّوا إلى الذي سبق لهم في الأزل.

والمعنى[2]: أي وأما ثمود فبيّنا لهم الحقّ على لسان نبيهم صالح، ودللناهم على سبيل النجاة، بنصب الأدلة التكوينية، وإنزال الآيات التشريعيّة، فكذبوا واستحبوا العمى على الهدى، والكفر على الإيمان.

ثمّ ذكر جزاءَهم على ما اختاروه لأنفسهم، فقال: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ﴾؛ أي: أهلكتهم ﴿صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ﴾؛ أي: نار من العذاب ﴿ٱلْهُونِ﴾؛ أي: نار نازلة من السماء هي من العذاب المهين؛ أي: نزلت صاعقة من السماء، فأهلكتهم وأحرقتهم، فيكون من إضافة النوع إلى الجنس بتقدير من؛ أي: من جنس العذاب المهين الذي بلغ في إفادة الهوان للمعذّب إلى حيث كان عين الهون وصِف به العذاب للمبالغة، كأنه عين الهوان. والهون: مصدر بمعنى الهوان والذلة، كما سيأتي.

وقرأ ابن مقسم: ﴿عذاب الهوان﴾ بفتح الهاء وألفٍ بعد الواو. و﴿الباء﴾ في قوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ للسببية؛ أي: بسبب الذي كانوا يكسبونه من اختيار الضلالة والكفر والمعصية، أو بسبب كسبهم.

يقول الفقير: أما حكمة الابتلاء بالصيحة.. فلعدم استماعهم الحق من لسان صالح عليه السلام، مع أن الاستحباب المذكور صفة الباطن، وبالصيحة تنشقُّ المرارة، فيفسد الداخل والخارج، وأما بالنار فلإحراقهم باطن ولد الناقة بعقر أمّه،

---

(١) روح البيان. (٢) روح البيان.

فابتلوا بالإحراق الظاهر، ألا ترى أنَّ يعقوب عليه السلام ذبح جدياً بين يدي أمه، فابتلي بفراق يوسف واحتراقه على ما قاله البعض؛ أي: فأرسلنا عليهم صيحةً ورجفةً وذلاً وهواناً بما كانوا يكسبون من الآثام بكفرهم بالله، وتكذيبهم رسله ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله ورسله من تلك الصاعقة، وكانوا مئةً وعشرة أنفس ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ الشرك، أو عقر الناقة.

أي: ونجينا صالحاً ومن آمن معه من المؤمنين من ذلك العذاب، فلم يمسسهم سوء، ولا نزل بهم مكروه بإيمانهم وتقواهم وصالح أعمالهم، والظرف في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ﴾: متعلق بمحذوف، تقديره: واذكر يا محمد لقومك المعاندين لك، حال الكفار يوم يحشر ويجمع أعداء الله المذكورون، من عاد وثمود وهو يوم القيامة، لا الأعداء من الأولين والآخرين لما سيأتي من قوله تعالى: ﴿فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ والتعبير بالأعداء للذم والإيذان بعلة ما يحيق بهم من فنون العذاب، بمعنى أنهم يجمعون ﴿إِلَى ٱلنَّارِ﴾؛ أي: إلى موقف الحساب؛ إذ هناك تتحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم إلى النار، والتعبير عنه بالنار إما للإيذان بأنها عاقبة حشرهم وأنهم على شرف دخولها، وإما لأنّ حسابهم يكون على شفيرها، وفي الآية إشارة إلى أنّ من لم يمتثل أوامر الله، ولم يجتنب عن نواهيه، ولم يتابع رسوله.. فهو عدو الله، وإن كان مؤمناً بالله، مقرًّا بوحدانيته، وأنّ وليّ الله من كان يؤمن بالله ورسله، ويمتثل أوامر الله بمتابعة الرسول، ويحشر الأولياء إلى الله وجنته، كما يحشر الأعداء إلى نار البعد وجحيمه.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿يُحْشَرُ﴾ مبنياً للمفعول، و﴿أَعْدَآءُ﴾ رفعاً على النيابة، وقرأ زيد بن علي ونافع والأعرج وأهل المدينة: ﴿نحشر﴾ بالنون وضمّ الشين ﴿أعداء﴾ نصباً على المفعولية، وقرىء[2]: ﴿يحشر﴾ بالبناء للفاعل، ونصب ﴿أعداء﴾ وقرىء: بكسر الشين مع البناء للفاعل في الحالين ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾؛ أي: يحبس أوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا ويجتمعوا، وهو كناية عن كثرة أهل النار، وفيه إشارة إلى أنّ في الوزع عقوبة لهم.

---

(١) البحر المحيط. (٢) المراح.

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ غاية[1] لـ﴿يُحْشَرُ﴾ ولـ﴿يُوزَعُونَ﴾ و﴿ما﴾: مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور؛ يعني: أنّ وقت مجيئهم النار لا بدّ أن يكون وقت الشهادة عليهم؛ أي: حتى إذا حضروا النار جميعاً، وسئلوا عما أجرموا فأنكروا.. ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ﴾؛ أي: آذانهم بما سمعت من المعاصي، لأنهم كانوا استعملوها في الدنيا في معاصي الله بغير اختيارها، فشهدت عليهم بما سمعت من شرّ، وأفرد السمع لكونه مصدراً في الأصل، ﴿و﴾ شهدت عليهم ﴿أبصارهم﴾ بما نظرت إلى حرام ﴿و﴾ شهدت عليهم ﴿جلودهم﴾؛ أي: ظواهر أبدانهم وبشراتها بما لامست محظوراً، والجلد: قشر البدن، وقيل: المراد بالجلود الجوارح والأعضاء، وقال السدّي وعبيد الله بن أبي جعفر والفرّاء: أراد بالجلود الفروج، والأول أولى ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا، ويقال: تخبر كل جارحة بما صدر من أفاعيل صاحبها، لا أنّ كلاً منها تخبر بجناياتها المعهودة فقط، فالموصول عبارة عن جميع أعمالهم السيئة، وفنون كفرهم ومعاصيهم، وتلك الشهادة بأن ينطقها الله تعالى كما أنطق اللسان، إذ ليس نطقها بأغرب من نطق اللسان عقلاً، وكما أنطق الشجرة والشاة المشوية المسمومة، بأن يخلق فيها كلاماً، كما عند أهل السنة.

ووجه تخصيص الثلاثة من الحواس الخمس بالشهادة[2]، وهي السمع والبصر والجلد التي هي آلة اللمس دون غيرها، وهو الذوق والشمّ؛ لأنّ الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه؛ لأن إدراك الذوق إنما يتأتى بأن تصير جلدة اللسان مماسةً لجرم الطعام، وكذلك الشم لا يتأتى حتى تصير جلدة الحنك مماسةً لجرم المشموم، فكانا داخلين في جنس اللمس، وإذا عرفت وجه تخصيص الثلاثة بالذكر عرفت منه وجه تخصيص الجلود بالسؤال؛ لأنها قد اشتملت على ثلاث حواس، فكأن تأتي المعصية من جهتها أكثر، وأما على قول من فسّر الجلود بالفروج، فوجه تخصيصها بالسؤال: ظاهر، لأن ما يشهد به الفرج من الزنا أعظم قبحاً، وأجلب للخزي والعقوبة مما يشهد به السمع والأبصار من الجنايات المكتسبة بواسطتهما.

ومعنى الآية[3]: أي واذكر يا محمد لقريش المعاندين لك، حال الكفار يوم القيامة، لعلهم يرتدعون ويزدجرون حين يساقون إلى النار، فيحبس أولهم على

---

(١) روح البيان. (٢) الشوكاني. (٣) المراغي.

آخرهم، ليتلاحقوا ويجتمعوا، حتى إذا وقفوا على النار.. شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجوارحهم بما كانوا يعملون في الدنيا من المعاصي، بعلامات متمايزة، تدلّ على الأخلاق المختلفة، لكل خلق منها علامة خاصة، نحن لا نعرف الآن كنهها، وربما كانت سوائل روحيةً، كل سائل يدل على خلق من الأخلاق، كما يكون في أنواع النبات والشجر روائح مختلفة، فالعلم والحلم والنشاط وحب الناس لها سوائل جميلة، والجهل والطيش والكسل وبغض الناس لها سوائل رديئة، وتلك السوائل تلازمهم، فتكون مشقيةً لهم، ومضايقةً أو مفرحةً لهم ومنعمةً، وهكذا الأجسام بعد الموت لا تشبه نفس نفساً أخرى في أوصافها، فهذه هي الشهادة التي تشهد بها أسماعهم وأبصارهم وجلودهم، هكذا قيل في تفسير الشهادة، والراجح أنها بإنطاق الله إياها.

ثم ذكر سبحانه أنهم لاموا جوارحهم على أداء الشهادة التي تلزمهم الحجة، فحكى عنهم قولهم لها ﴿وَقَالُوا﴾؛ أي: الكفرة ﴿لِجُلُودِهِمْ﴾ توبيخاً لها: ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾؛ أي: وقالوا على جهة اللوم والمؤاخذة لجلودهم حين شهدوا عليهم: لم شهدتم علينا، وقد كانوا في الدنيا مساعدين لهم على المعاصي، فكيف يشهدون عليهم الآن. وقرأ زيد بن علي ﴿لم شهدتنّ﴾ بضمير المؤنثات.

وصيغة[1] جمع العقلاء في خطاب الجلود، وكذا في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾ إلخ، لوقوعها في موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء، ولعلّ تخصيص الجلود لأنها بمرأى منهم، بخلاف غيرها، أو لأنّ الشهادة منها أعجب وأبعد، إذ ليس شأنها الإدراك بخلاف السمع والبصر.

﴿قَالُوٓا﴾؛ أي: الجلود ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾ سبحانه ﴿ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ ناطق، وأقدرنا على بيان الواقع، فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها، وفي الآية إشارة إلى أن الأرواح والأجسام متساوية في قدرة الله تعالى، إن شاء.. جعل الأرواح بوصف الأجسام صُمًّا بُكْماً عُمياً فهم لا يعقلون، وإن شاء. جعل الأجسام بوصف الأرواح تنطق وتسمع وتبصر وتعقل.

---

(١) روح البيان.

أي[1]: قالت الجلود: إن الله جعل فينا من الدلالات الفعلية ما يقوم مقام النطق؛ بل ما هو أفصح منها، فشهدنا عليكم بما فعلتم من القبائح، وفي «صحيح مسلم»: عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فضحك فقال: «هل تدرون ممّ أضحك؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «من مخاطبة العبد ربه، يقول: ألم تجِرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أُجير على نفسي إلا شاهداً مني، قال: يقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي فتنطق بأعماله، قال: ثمّ يخلَّى بينه وبين الكلام، قال: فيقول بعداً لكن، وسحقاً. فعنكن كنت أناضل».

﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ﴾؛ أي: والحال أنه سبحانه وتعالى خلقكم وأوجدكم أيها الكفرة ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ من العدم المحض ﴿وَإِلَيْهِ﴾ تعالى ﴿تُرْجَعُونَ﴾؛ أي: تردون فإن من قدر على خلقكم وإنشائكم أولاً، وعلى إعادتكم ورجعكم؛ أي: ردّكم إلى جزائه ثانياً، لا يتعجّب من إنطاقه لجوارحكم، فهو لا يخالف ولا يمانع، وقد جعل فيكم دلائل واضحةً كخطوط اليد والإبهام والأصوات وألوان الوجوه وأشكالها، ولكن قليلاً من الناس من يفطن إلى ذلك، فمن قدر على خلقكم وإنشائكم ابتداءً.. قدر على إعادتكم ورجعكم إليه، ومن ثمّ قال: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾؛ أي: وإليه مصيركم بعد مماتكم، فيجازي كل نفس بما كسبت، لا معقّب لحكمه وهو سريع الحساب، قيل: هذا من تمام كلام الجلود، وقيل: مستأنف من كلام الله تعالى ﴿وَمَا كُنتُمْ﴾ أيها الكفرة ﴿تَسْتَتِرُونَ﴾ في الدنيا بنحو الحيطان عند الإقدام على الأفعال القبيحة مَخافة ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ في الآخرة، وقوله[2]: ﴿أَن يَشْهَدَ﴾ في موضع الجر على تقدير المضاف؛ أي: مخافة أن يشهد، أو في موضع النصب بإسقاط الخافض؛ أي: من أن يشهد لأنّ استتر لا يتعدّى بنفسه، و﴿لا﴾: في الموضعين زائدة لتأكيد النفي.

وهذه حكاية لما سيقال للأعداء يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع، تقريراً لجواب الجلود.

والمعنى: وما كنتم تستترون في الدنيا عند مباشرتكم الفواحش، مخافة أن

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.

تشهد عليكم جوارحكم بذلك، لأنها كانت أجساماً صامتة غير ناطقة، ولم يكن في حسابكم ما استقبلكم، كما كنتم تستترون من الناس بالحيطان والحجب وظلمة الليل، مخافة الافتضاح عندهم، بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأساً، فضلاً عن شهادة الأعضاء، وفيه تنبيه على أنّ المؤمن ينبغي أن يتحقق أن لا يمرّ عليه حال إلا وعليه رقيب، وأن الله معه أينما كان. وفي الحديث: «أفضل إيمان المرء: أن يعلم أن الله معه حيث كان».

وقيل: هذا من كلام الجلود، وبختهم على ما كانوا يفعلون في الدنيا، فقالت لهم: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ إلخ؛ أي[1]: وما كنتم تستخفون حين تفعلون قبيح الأعمال، وترتكبون عظيم الفواحش بالحيطان والحجب، حذراً من شهادة الجوارح عليكم، بل كنتم تجاهرون بالكفر والمعاصي، وتجحدون البعث والجزاء، قال عبد الأعلى بن عبد الله الشاميّ فأحسن:

اَلْعُمْرُ يَنْقُصُ وَٱلذُّنُوبُ تَزِيْدُ ... وَتُقَالُ عَثْرَاتُ ٱلْفَتَىٰ فَيَزِيْدُ
هَلْ يَسْتَطِيْعُ جُحُوْدَ ذَنْبٍ وَاحِدٍ ... رَجُلٌ جَوَارِحُهُ عَلَيْهِ شُهُوْدُ
وَٱلْمَرْءُ يُسْأَلُ عَنْ سِنِيْهِ فَيَشْتَهِيْ ... تَقْلِيْلَهَا وَعَنِ ٱلْمَمَاتِ يَحِيْدُ

ولما كان[2] الإنسان لا يقدر على أن يستخفي من جوارحه عند مباشرة المعصية.. كان معنى الاستخفاء هنا ترك المعصية، وقيل: معنى الاستتار: الاتقاء؛ أي: ما كنتم تتقون في الدنيا، أن تشهد عليكم جوارحكم في الآخرة، فتتركوا المعاصي خوفاً من هذه الشهادة ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ﴾ عند استتاركم من الناس مع عدم استتاركم من أعضائكم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه ﴿لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي فاجترأتم على فعلها، قيل: كان الكفار يقولون: إن الله لا يعلم ما في أنفسنا، ولكن يعلم ما نظهر دون ما نسرُّ.

والخلاصة: أنكم كنتم في الدنيا تستترون عن الناس خوف الفضيحة والعار حين ارتكاب الذنوب، وما ظننتم أنَّ أعضاءَكم وجسمكم الأثيريّ الذي هو على صورة الجسم الظاهريّ قد سطّرت فيه جميع أعمالكم، كأنه لوح محفوظ، فلذلك ما

---

(١) المراغي.
(٢) الشوكاني.

كنتم تستترون عنها بترك الذنوب، وفي الآية إيماء إلى أنه لا ينبغي للمؤمن أن تمرّ عليه حال إلا وهو يفكر في أنّ الله رقيب عليه، كما قال أبو نوّاس:

إِذَا مَا خَلَوْتَ ٱلدَّهْرَ يَوْماً فَلاَ تَقُلْ ... خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ: عَلَيَّ رَقِيبُ

وَلاَ تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ يَغْفَلُ سَاعَةً ... وَلاَ أَنَّ مَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ يَغِيبُ

فائدة: وفي «فتح الرحمن» قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ﴾ الآية، قاله[1] هنا بزيادة ﴿مَا﴾ بعد ﴿جاء﴾، وقال بحذفها في قوله في النمل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾، وفي الزمر: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ مرتين، وفي الزخرف: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ لأنّ الكلام هنا في أعداء الله أبسط وآكد منه في البقية، فناسب ذكر ﴿مَا﴾ للتأكيد هنا دون البقية.

﴿وَذَٰلِكُمۡ﴾ الظن أيها الأعداء، وهو مبتدأ[2] خبره قوله: ﴿ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ﴾ وهو أنَّ الله لا يعلم كثيراً مما يعملون، وإلا فالله تعالى عالم بجميع الكليات والجزئيات، وهو خالق الأعمال وسائر الأعراض، والجواهر والمطلع على البواطن والسرائر، كما هو مطلع على الظواهر، والتغاير بين العنوانين أمر جليّ، لظهور أنَّ ظنَّ عدم علم الله غير الظن بالرب، فيصح أن يكون خبراً له ﴿أَرۡدَىٰكُمۡ﴾ خبر آخر له؛ أي: أهلككم وطرحكم في النار ﴿فَأَصۡبَحۡتُم﴾؛ أي: صرتم بسبب ذلك الظن السوء الذي أهلككم ﴿مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾؛ أي: من الكاملين في الخسران حيث ظننتم بالله ظنّ السوء، وسوء الظن بالله من أكبر الكبائر كحب الدنيا، وقيل[3]: إنّ ﴿أَرۡدَىٰكُمۡ﴾: في محل نصب على الحال المقدرة، وقيل: إن ﴿ظَنُّكُمُ﴾: بدل من ﴿ذلكم﴾ و﴿ٱلَّذِي ظَنَنتُم﴾: خبره و﴿أَرۡدَىٰكُمۡ﴾: خبر آخر أو حال، وقيل: إن ﴿ظَنُّكُمُ﴾: خبر أول، والموصول وصلته خبر ثان، و﴿أَرۡدَىٰكُمۡ﴾: خبر ثالث، والمعنى: أنّ ظنكم بأنّ الله لا يعلم كثيراً مما تعملون، أهلككم وطرحكم في النار، فصرتم من الكاملين في الخسران.

وحاصل معنى الآية[4]: أي وهذا الظن الفاسد الذي قد كان منكم في الدنيا،

---

(١) فتح الرحمن.
(٢) روح البيان.
(٣) الشوكاني.
(٤) المراغي.

وهو أنّ الله لا يعلم كثيراً من قبائح أعمالكم ومساويها، هو الذي أوقعكم في مواقع التلف والردى، فصرتم اليوم من الهالكين، إذ صرفتم ما منحتم من أسباب السعادة من القوّة العاقلة، والأعضاء الكاملة إلى الشقاء، فكفرتم نعم الخالق والرازق، وانهمكتم في الشهوات والمعاصي.

أخرج مسلم وأبو داود وابن ماجة وأحمد والطيالسي وعبد بن حميد وابن مردويه عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يموتنّ أحدكم إلا وهو يحسن الظنّ بالله تعالى، فإن قوماً قد أرداهم سوءُ ظنّهم بالله، فقال الله: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾».

قال العلماء[1]: الظنّ قسمان:

١ـ حسن، وهو أن يظن بالله عز وجل الرحمة والفضل والإحسان، قال ﷺ حكاية عن الله عزّ وجل: «أنا عند ظنّ عبدي بِي».

٢ـ قبيح، وهو أن يظن أن الله يعزب عن علمه بعض الأعمال، وقال قتادة: الظن نوعان: منجٍ ومردٍ.

فالمنجي: قوله: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾.

والمردي: هو قوله: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في هذه الآية: هؤلاء قوم كانوا يدمنون على المعاصي، ولا يتوبون منها، ولا يتكلمون على المغفرة، حتى خرجوا من الدنيا مفاليس، ثمّ قرأ: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ الآية، وقال الحسن البصري: إن قوماً ألهتهم الأماني، حتى خرجوا من الدنيا ومالهم حسنة، ويقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي وقد كذب، ولو أحسن الظن.. لأحسن العمل، وتلا قول الله تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ الآية.

ثمّ أخبر عن حالهم فقال: ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟﴾ في النار على العذاب، وأمسكوا عن الاستغاثة والجزع مما هم فيه، انتظاراً للفرج، زاعمين أنّ الصبر مفتاح الفرج

---

(١) المراغي.

﴿فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾؛ أي: محل ثواءٍ وإقامة أبّدت لهم بحيث لا خلاص لهم منها، فلا ينفعهم صبرهم.

وقيل المعنى[1]: فإن يصبروا في الدنيا على أعمال أهل النار.. فالنار مثوىً لهم. والالتفات[2] فيه عن الخطاب إلى الغيبة؛ للإشعار بإبعادهم عن حيّز الخطاب، والإبقاء في غاية دركات النار ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟﴾؛ أي: يسألوا العتبى، وهو الرجوع إلى ما يُحبّونه جزعاً مما هم فيه.. ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾؛ أي: من المجابين إلى العتبى لأنهم لا يستحقون ذلك، فيكون صبرهم وجزعهم سواءً في أنّ شيئاً منهما لا يؤدّي إلى الخلاص، ونظيره قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾؛ أي: وإن يبدوا معاذير.. فلن تقبل منهم، ولا تقال لهم العثرات.

والمعنى[3]: وإن يطلبوا الرضى.. لم يقع الرضى عنهم، بل لا بدّ لهم من النار.

وقرأ الجمهور: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟﴾ بفتح التحتية وكسر الفوقية الثانية مبنياً للفاعل، وقرؤُوا: ﴿مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ بفتح الفوقية اسم مفعول، وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وموسى الأسواري وأبو العالية: ﴿وإن يُستعتبوا﴾ بضم التحتية مبنياً للمفعول ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتِبِينَ﴾ اسم فاعل؛ أي: وإن طلب منهم أن يرضوا ربهم.. فما هم بفاعلين، ولا يكون ذلك منهم، لأنهم فارقوا الدنيا دار الأعمال، كما قال ﷺ: «ليس بعد الموت مستعتب» وقال أبو ذؤيب:

أَمِنَ ٱلْمَنُونِ وَرَيْبِهِ تَتَوَجَّعُ ... وَٱلدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

وقيل المعنى: أنهم إن أقالهم الله، وردّهم إلى الدنيا.. لم يعملوا بطاعته كما في قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾. وبعدما ختمت تفسير هذه الآية في اليوم السادس والعشرين من رمضان.. نمت وقت الضحوة قبيل الظهر، ورأيت النبي ﷺ في تلك النومة، كأني من مقدمة جيشه من فرسانهم، وأردت إدراك واحد من العدو شرد منا، وأجريت فرسي وراءَهُ، والنبي ﷺ يجري فرسه معي، وقربت

---

(١) الشوكاني. (٢) روح البيان. (٣) البحر المحيط.

عمامتي إلى السقوط من رأسي لذلك الجري، فأصلحها لي النبي ﷺ على رأسي، فالحمد لله والشكر له على هذه البشارة العظيمة.

الإعراب

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾﴾.

﴿حمٓ ﴿١﴾﴾: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذه السورة حم؛ أي: مُسمّاة بحم، أو مبتدأ خبره: محذوف؛ أي: سورة حم هذا محلها، أو مفعول به لفعل محذوف؛ أي: اقرأ حم، والجملة على كل التقادير: مستأنفة، ويجري فيه من أوجه الإعراب ما يجري في أسماء التراجم إن قلنا: إنها اسم للسورة، وإن قلنا: إنها رمز أو مما استؤثر الله سبحانه بعلمه.. فلا محل لها من الإعراب، لأنّ الإعراب فرع عن إدراك المعنى. ﴿تَنزِيلٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هذا القرآن منزّل من الرحمن الرحيم، و﴿مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: متعلق بـ﴿تَنزِيلٌ﴾ و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ صفة لـ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، وأجاز الزجاج أن يكون ﴿تَنزِيلٌ﴾: مبتدأ، وقوله: ﴿كِتَٰبٌ﴾ الآتي: خبره وسوّغ الابتداء بـ﴿تَنزِيلٌ﴾: تخصُّصه بالصفة، وعليه درج الجلال وشرّاحه، وما ذكرناه أولاً أولى. ﴿كِتَٰبٌ﴾: بدل من ﴿تَنزِيلٌ﴾ أو خبر بعد خبر ﴿فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾: فعل مغيّر ونائب فاعله، والجملة الفعلية: في محل الرفع صفة لـ﴿كِتَٰبٌ﴾. ﴿قُرۡءَانًا﴾: حال مقصودة من ﴿كِتَٰبٌ﴾ لتخصصه بالصفة و﴿عَرَبِيًّا﴾: صفة له أو حال منه أو حال أخرى من ﴿كِتَٰبٌ﴾ أو هو حال موطئة و﴿عَرَبِيًّا﴾: هي الحال المقصودة، ذكره في «الفتوحات». ﴿لِّقَوۡمٍ﴾ متعلق بـ﴿فُصِّلَتۡ﴾ وجملة ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ صفة ﴿لِّقَوۡمٍ﴾. ﴿بَشِيرًا﴾ إما صفة ثانية لـ﴿قُرۡءَانًا﴾ أو حال ثانية من ﴿كِتَٰبٌ﴾. ﴿وَنَذِيرًا﴾: معطوف على ﴿بَشِيرًا﴾، ﴿فَأَعۡرَضَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة ﴿أعرض أكثرهم﴾: فعل وفاعل، والجملة: في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿فُصِّلَتۡ﴾: على كونها صفة لـ﴿كِتَٰبٌ﴾ والرابط: محذوف، تقديره: فأعرض عنه أكثرهم ﴿فَهُمۡ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة تفريعية، ﴿هم﴾: مبتدأ، وجملة ﴿لَا يَسۡمَعُونَ﴾: خبره، والجملة الاسمية: في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿أعرض﴾.

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ

﴿فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾.

﴿وَقَالُواْ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية أو عاطفة. ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل، والجملة: مستأنفة أو معطوفة على جملة قوله: ﴿فَأَعۡرَضَ﴾. ﴿قُلُوبُنَا﴾: مبتدأ، ﴿فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾: خبره، والجملة الاسمية: في محل النصب مقول ﴿قَالُواْ﴾. ﴿مِّمَّا﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لـ﴿أَكِنَّةٖ﴾؛ أي: في أكنة تمنعنا مما تدعونا إليه، وقال أبو البقاء: هو محمول على المعنى، إذ معنى ﴿فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾: أنها مَحْجُوبة عن سماع ما تدعونا إليه ﴿تَدۡعُونَآ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على محمد ومفعول به، والجملة: صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة ﴿إِلَيۡهِ﴾: متعلق بـ﴿تَدۡعُونَآ﴾ وهو العائد على ﴿ما﴾ الموصولة ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا﴾: خبر مقدم. ﴿وَقۡرٞ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿قُلُوبُنَا﴾، ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿من بَيۡنِنَا﴾: خبر مقدم ﴿وَبَيۡنِكَ﴾: معطوف عليه ﴿حِجَابٞ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة: معطوفة على جملة ﴿قُلُوبُنَا﴾. ﴿فَٱعۡمَلۡ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت ما قلنا لك، وأردت بيان ما هو اللازم لك.. فنقول ﴿اعمل...﴾: إلخ. ﴿اعمل﴾: فعل أمر وفاعل مستتر، والجملة: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة: مستأنفة. ﴿إِنَّنَا﴾: ناصب واسمه. ﴿عَٰمِلُونَ﴾: خبره، وجملة ﴿إن﴾: في محل النصب مسوقة لتعليل الأمر قبلها؛ أي: فاستمرّ على دعوتك، فإننا مستمرون على ديننا، وهو الإشراك.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦﴾.

﴿قُلۡ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة: مستأنفة، ﴿إِنَّمَآ﴾: أداة حصر؛ أو ﴿إِنَّمَآ﴾: مكفوفة وكافة. ﴿أَنَا۠﴾: مبتدأ. ﴿بَشَرٞ﴾: خبر ﴿مِّثۡلُكُمۡ﴾: صفة لـ﴿بَشَرٞ﴾ والجملة الاسمية: في محل النصب مقول لـ﴿قُلۡ﴾، ﴿يُوحَىٰٓ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة. ﴿إِلَيَّ﴾: متعلق بـ﴿يُوحَىٰٓ﴾، ﴿أَنَّمَآ﴾ مكفوفة وكافة. ﴿إِلَٰهُكُمۡ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَٰهٞ﴾: خبر. ﴿وَٰحِدٞ﴾: صفة لـ﴿إِلَٰهٞ﴾، والجملة الاسمية: صلة لـ﴿أن﴾ المكفوفة، و﴿أن﴾ المكفوفة مع صلتها: في تأويل مصدر مرفوع على كونه نائب فاعل لـ﴿يُوحَىٰٓ﴾ والتقدير: يوحى إليّ كون إلهكم إلهاً واحداً، والجملة الفعلية: في محل النصب مقول ﴿قُلۡ﴾ أو في محل الرفع خبر ثان لـ﴿أَنَا۠﴾.

﴿فَاسْتَقِيمُوٓا﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم أنه يوحى إلي التوحيد، وأردتم بيان ما هو اللازم لكم.. فأقول لكم: ﴿استقيموا إليه﴾. ﴿استقيموا﴾: فعل أمر وفاعل، ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة. مستأنفة. ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾: فعل أمر وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿استقيموا﴾، ﴿وَوَيْلٌ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿ويل﴾: مبتدأ، وسوغ الابتداء بالنكرة: قصد الدعاء ﴿لِّلْمُشْرِكِينَ﴾: خبر، والجملة الاسمية: في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾.

﴿الَّذِينَ﴾ صفة ﴿لِّلْمُشْرِكِينَ﴾، وجملة ﴿لَا يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾: صلة ﴿الَّذِينَ﴾ ﴿وَهُم﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿هُم﴾: مبتدأ. ﴿بِالْآخِرَةِ﴾: متعلق بـ﴿كَٰفِرُونَ﴾. ﴿هُمْ﴾ الثانية تأكيد للأولى، ﴿كَٰفِرُونَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: معطوفة على جملة قوله: ﴿لَا يُؤْتُونَ﴾ على كونها صلة الموصول. ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾: ناصب واسمه. ﴿ءَامَنُوا﴾: صلة الموصول. ﴿وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ﴾: معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾، ﴿لَهُمْ﴾: خبر مقدم، ﴿أَجْرٌ﴾: مبتدأ مؤخر، ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: صفة ﴿أجر﴾، والجملة الاسمية: في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾ وجملة ﴿إِنَّ﴾: مستأنفة أو في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾.

﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾﴾.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر، والجملة: مستأنفة. ﴿أَئِنَّكُمْ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري المضمن للتوبيخ. ﴿إنكم﴾: ناصب واسمه. ﴿لَتَكْفُرُونَ﴾ ﴿اللام﴾: حرف ابتداء ﴿تكفرون﴾: فعل وفاعل. ﴿بِالَّذِى﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾: في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾ ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة: صلة الموصول، ﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾: متعلق بـ﴿خَلَقَ﴾. ﴿وَتَجْعَلُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على

﴿تكفرون﴾. ﴿لَهُۥٓ﴾: متعلق بـ﴿تجعلون﴾ على أنه مفعول ثان له. ﴿أَندَادًاۚ﴾: مفعول أول له، ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة: في محل النصب مقول لـ﴿قُلْ﴾.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿وَجَعَلَ﴾: فعل وفاعل مستتر معطوف على ﴿خَلَقَ﴾ وما بينهما اعتراض. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿جعل﴾ على كونه مفعولاً ثانياً له. ﴿رَوَٰسِىَ﴾: مفعول أول لـ﴿جعل﴾ ولم ينون لأنه على زنة مفاعل، ولك أن تعلق الجار والمجرور بـ﴿جعل﴾ على أنه بمعنى خلق، و﴿رَوَٰسِىَ﴾: مفعول به لـ﴿جعل﴾ لأنه يتعدى إلى مفعول واحد. ﴿مِن فَوْقِهَا﴾ صفة لـ﴿رَوَٰسِىَ﴾ وما أجمل وقع هذا النعت؛ لئلا يتوهم أنها من تحتها، فتكون ممسكة لها ومانعة من الميدان. ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾: معطوف على ﴿جعل فيها﴾. ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ﴾: معطوف على ﴿جعل﴾ أيضاً. ﴿أَقْوَٰتَهَا﴾: مفعول به لـ﴿قدر﴾. ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾: متعلق بـ﴿قدر﴾ ﴿سَوَآءً﴾: بالنصب منصوب على المصدرية بفعل محذوف وجوباً؛ أي: استوت الأيام الأربعة استواءً لا تزيد ولا تنقص، أو حال من ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ لتخصصه بالإضافة؛ أي: حال كونها مستوية كاملة تامةً بلا زيادة ولا نقصان، كما مر بسطه في مبحث التفسير، وقرىء: بالرفع، على أنه خبر لمبتدأ محذوف هي؛ أي: تلك الأيام الأربعة مستوية تامة، وبالجر على أنه صفة لـ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾؛ أي: في أربعة أيام مستوية تامة كاملة. ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾: متعلق بـ﴿قدر﴾؛ أي: قدر فيها أقواتها للسائلين؛ أي: لأجل الطالبين للأقوات، المحتاجين إليها من المقتاتين بها، أو خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هذا الحصر في الأربعة كائن للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها، وجواب لسؤالهم في كم مدة خلقت الأرض وما فيها، كما مر بسطه أيضاً فراجعه.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وترتيب للترتيب الذكري لا الزماني، ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾: فعل ماض وفاعل يعود على الله، والجملة: معطوفة على جملة ﴿خَلَقَ﴾، ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾:

متعلق بـ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾. ﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة: في محل النصب حال من ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾. ﴿فَقَالَ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿قال﴾: فعل ماض وفاعل مستتر معطوف على ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾، ﴿لَهَا﴾: متعلق بـ﴿قال﴾. ﴿وَلِلْأَرْضِ﴾: معطوف على ﴿لَهَا﴾، ﴿ٱئْتِيَا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والألف: فاعل، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قال﴾ ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾: مصدران في موضع الحال من فاعل ﴿ٱئْتِيَا﴾؛ أي: حالة كونكما طائعتين أو كارهتين، ﴿قَالَتَآ﴾: فعل وفاعل. التاء علامة تأنيث الفاعل. والجملة مستأنفة ﴿أَتَيْنَا﴾ فعل وفاعل ﴿طَآئِعِينَ﴾: حال من فاعل: ﴿أَتَيْنَا﴾، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالَتَآ﴾.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿قضاهن﴾: فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول أول. ﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾: مفعول ثان؛ لأن ﴿قضى﴾ هنا: بمعنى صير، ويجوز أن يكون ﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾: حالاً من مفعول ﴿قضاهن﴾ إذا كان ﴿قضى﴾ بمعنى صنع؛ أي: صنعهن حالة كونهن معدودة بالسبع، ويجوز أن يكون بدلاً من الضمير، والجملة الفعلية: معطوفة على جملة قوله: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾، ﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾: متعلق بـ﴿قضى﴾. ﴿وَأَوْحَىٰ﴾ فعل ماض والفاعل مستتر يعود على الله. ﴿فِى كُلِّ سَمَآءٍ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلقان بـ﴿أوحىٰ﴾. ﴿أَمْرَهَا﴾ مفعول به ومضاف إليه. ﴿وَزَيَّنَّا﴾: فعل وفاعل ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة للسماء، ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾: متعلق بـ﴿زينّا﴾ وهو غير منصرف؛ لكونه على زنة مفاعيل، والجملة: معطوفة على جملة ﴿قضاهن﴾. ﴿وَحِفْظًا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿حفظاً﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: وحفظناها حفظاً من استراق الشياطين السمع بالشهب، والجملة المحذوفة: معطوفة على جملة ﴿زيَّنَّا﴾. ﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ، والإشارة إلى ما ذكر كله بتفاصيله، وأفرد الكاف لأنه ليس المراد تعين المخاطبين. ﴿تَقْدِيرُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾: صفة لـ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ والجملة الاسمية: مستأنفة.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾:.

﴿فَإِنْ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر،

تقديره: إذا قلت لهم ما ذكر من دلائل التوحيد، ولم يقبلوا التوحيد، وأردت بيان ما تقول لهم في حالة إعراضهم.. فأقول لك: إن أعرضوا ﴿إن﴾: حرف شرط. ﴿أَعْرَضُواْ﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها. ﴿فَقُلْ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية وجوباً. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر، والجملة: في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة: مستأنفة. ﴿أَنذَرْتُكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿صَٰعِقَةً﴾: مفعول ثان. ﴿مِّثْلَ﴾: صفة لـ﴿صَٰعِقَةً﴾. ﴿صَاعِقَةِ﴾: مضاف إليه، وهو مضاف ﴿عَادٍ﴾: مضاف إليه. ﴿وَثَمُودَ﴾: معطوف على ﴿عَادٍ﴾، ولم يصرف للعلمية والتأنيث المعنوي، كما مر في مبحث التفسير، وجملة ﴿أَنذَرْتُكُمْ﴾: في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾.

﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان. ﴿جَآءَتْهُمُ﴾: فعل ومفعول به، و﴿التاء﴾: تاء التأنيث. ﴿ٱلرُّسُلُ﴾: فاعل، والجملة: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾، والظرف: متعلق بمحذوف حال من ﴿صَٰعِقَةِ عَادٍ﴾، والتقدير: حالة كونها نازلةً بهم وقت مجيء الرسل إياهم. ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿جَآءَتْهُمُ﴾ ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ معطوف على ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾، وجعل بعضهم الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلرُّسُلُ﴾؛ أي: حال كون الرسل كائنين من بين أيدي عاد وثمود ومن خلفهم. ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾: يجوز في ﴿أن﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون مخففةً من الثقيلة، واسمها: ضمير الشأن. ﴿لا﴾: ناهية جازمة، ﴿تَعْبُدُوٓاْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، و﴿الواو﴾: فاعل. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ، ولفظ الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ﴿أن﴾ المخففة، وجملة ﴿أن﴾ المخففة في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض، والتقدير: إذ جاءتهم الرسل بعدم عبادتهم إلا الله، والجار والمجرور: متعلق بمحذوف حال من ﴿ٱلرُّسُلُ﴾؛ أي: حالة كونهم قائلين: بأن لا تعبدوا إلا الله.

والوجه الثاني: أن تكون مصدرية تنصب الفعل المضارع. و﴿لا﴾: نافية؛ ﴿لأن﴾ ﴿لا﴾ النافية لا تمنع عمل العامل فيما بعدها.

والوجه الثالث: أن تكون مفسرةً؛ لأن مجيء الرسل يحتمل القول، وتكون الجملة: لا محل لها من الإعراب. ﴿قَالُوا۟﴾: فعل وفاعل. والجملة: مستأنفة. ﴿لَوْ﴾: حرف شرط غير جازم. ﴿شَآءَ رَبُّنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة: فعل شرط لـ﴿لَوْ﴾ لا محل لها من الإعراب. ﴿لَأَنزَلَ﴾: ﴿اللام﴾: رابطة لجواب ﴿لَوْ﴾ الشرطية. ﴿أنزل﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على الرب. ﴿مَلَٰٓئِكَةً﴾: مفعول به، والجملة: جواب ﴿لَوْ﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لَوْ﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾. ﴿فَإِنَّا﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم ما قلنا لكم، وأردتم بيان حالنا.. فنقول لكم: إنا بما أرسلتم... إلخ، ﴿إنا﴾: ناصب واسمه، ﴿بِمَآ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿ كَٰفِرُونَ﴾. ﴿أُرْسِلْتُم﴾: فعل مغير ونائب فاعل. ﴿بِهِۦ﴾: متعلق بـ﴿أُرْسِلْتُم﴾ والجملة: صلة الموصول. ﴿ كَٰفِرُونَ﴾: خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة: مستأنفة.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿فَأَمَّا﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت قصة عاد وثمود إجمالاً، وأردت بيان قصتها تفصيلاً.. فأقول لك: ﴿أما عاد﴾ ﴿أما﴾: حرف شرط وتفصيل. ﴿عَادٌ﴾: مبتدأ، ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿أما﴾، واقعة في غير موضعها؛ لأن موضعها موضع ﴿أما﴾، ﴿استكبروا﴾: فعل ماض وفاعل، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلق به. ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: حال من فاعل ﴿استكبروا﴾؛ أي: غير محقين في استكبارهم، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: جواب ﴿أما﴾ الشرطية؛ وجملة ﴿أما﴾ الشرطية: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة؛ وجملة إذا المقدرة: مستأنفة، ﴿وَقَالُوا۟﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿استكبروا﴾. ﴿مَنْ﴾: اسم استفهام في محل الرفع مبتدأ. ﴿أَشَدُّ﴾: خبره، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالُوا۟﴾. ﴿مِنَّا﴾: متعلق بـ﴿أَشَدُّ﴾. ﴿قُوَّةً﴾: تمييز محول عن المتبدأ، منصوب باسم التفضيل.

﴿أَوَلَمْ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري، داخلة على محذوف يقتضيه السياق، و﴿الواو﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أغفلوا وضلوا ولم يروا، والجملة المحذوفة: جملة إنشائية لا محل لها من الإعراب. ﴿لم﴾: حرف نفي وجزم. ﴿يَرَوْا﴾: فعل مضارع وفاعل مجزوم بـ﴿لم﴾ والجملة: معطوفة على تلك المحذوفة. ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾: ناصب واسمه. ﴿الَّذِي﴾: صفة للجلالة. ﴿خَلَقَهُمْ﴾ فعل ماض وفاعل مستتر، ومفعول به، والجملة: صلة ﴿الَّذِي﴾. ﴿هُوَ﴾ مبتدأ. ﴿أَشَدُّ﴾: خبره، ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلق بـ﴿أَشَدُّ﴾، ﴿قُوَّةً﴾: منصوب على التمييز، وجملة المبتدأ: في محل الرفع خبر ﴿أَنَّ﴾ وجملة ﴿أَنَّ﴾: في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي ﴿يَرَوْا﴾؛ لأنها علمية تتعدى إلى مفعولين. ﴿وَكَانُوا﴾: فعل ناقص واسمه، ﴿بِآيَاتِنَا﴾: متعلق بـ﴿يَجْحَدُونَ﴾ وجملة ﴿يَجْحَدُونَ﴾ خبر ﴿كَانُوا﴾ وجملة ﴿كَانُوا﴾: معطوفة على جملة قوله: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ وجملة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ مع المعطوفة عليها المقدرة معترضة.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ (١٦)﴾.

﴿فَأَرْسَلْنَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿أرسلنا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿كَانُوا﴾. ﴿عَلَيْهِمْ﴾ متعلق بـ﴿أرسلنا﴾. ﴿رِيحًا﴾: مفعول به، ﴿صَرْصَرًا﴾: صفة لـ﴿رِيحًا﴾. ﴿فِي أَيَّامٍ﴾: صفة ثانية لـ﴿رِيحًا﴾ أو حال منها. ﴿نَحِسَاتٍ﴾: صفة لـ﴿أَيَّامٍ﴾، ﴿لِنُذِيقَهُمْ﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل. ﴿نذيقهم﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به أول منصوب بأن مضمرة. ﴿عَذَابَ الْخِزْيِ﴾: مفعول ثان. ﴿فِي الْحَيَاةِ﴾ متعلق بـ نذيق. ﴿الدُّنْيَا﴾: صفة لـ﴿الْحَيَاةِ﴾ وجملة ﴿نذيقهم﴾: صلة أن المضمرة، وأن مع صلتها: في تأويل مصدر مجرور بـ﴿اللام﴾ والجار والمجرور: متعلق بـ﴿أرسلنا﴾؛ أي: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ لإذاقتنا إياهم ﴿عَذَابَ الْخِزْيِ﴾. ﴿وَلَعَذَابُ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية، و﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿عذاب الآخرة﴾: مبتدأ ومضاف إليه ﴿أَخْزَى﴾: خبره، والجملة: مستأنفة. ﴿وَهُمْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿هم﴾: مبتدأ، وجملة ﴿لَا يُنْصَرُونَ﴾: خبره، والجملة: معطوفة على الجملة التي قبلها.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا

كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿وَأَمَّا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿أما﴾: حرف شرط. ﴿ثَمُودُ﴾: مبتدأ. ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿أما﴾، ﴿هديناهم﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: جواب ﴿أما﴾: لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿أما﴾: معطوفة على جملة قوله: ﴿فَأَمَّا عَادٌ﴾. ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿استحبوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿هديناهم﴾: ﴿ٱلْعَمَىٰ﴾: مفعول به. ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾: متعلق بـ﴿استحبوا﴾؛ لأنه متضمن معنى آثروا ﴿فَأَخَذَتْهُمْ﴾. ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿أخذتهم﴾: فعل ومفعول به. ﴿صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ﴾: فاعل. ﴿ٱلْهُونِ﴾: صفة لـ﴿ٱلْعَذَابِ﴾ والجملة الفعلية: معطوفة على جملة ﴿استحبوا﴾. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أخذتهم﴾ ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَكْسِبُونَ﴾: خبره، وجملة ﴿كان﴾: صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة. ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿أخذتهم﴾، ﴿ءَامَنُوا۟﴾: فعل وفاعل صلة الموصول، ﴿وَكَانُوا۟﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَتَّقُونَ﴾: خبره، وجملة ﴿كَانُوا۟﴾: معطوفة على جملة ﴿ءَامَنُوا۟﴾.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿وَيَوْمَ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿يَوْمَ﴾: منصوب على الظرفية الزمانية، متعلق بمحذوف تقديره: واذكر يا محمد لقومك قصة ويوم يحشر أعداء الله والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ﴾: فعل ونائب فاعل، ﴿إِلَى ٱلنَّارِ﴾: متعلق بـ﴿يُحْشَرُ﴾ والجملة الفعلية: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿يَوْمَ﴾، ﴿فَهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿هم﴾: مبتدأ، وجملة: ﴿يُوزَعُونَ﴾: خبره، والجملة الاسمية: معطوفة على جملة ﴿يُحْشَرُ﴾. ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف جر وغاية. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان في محل النصب على الظرفية. ﴿مَا﴾ زائدة زيدت لتأكيد معنىٰ الظرفية. ﴿جَآءُوهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إذا﴾ على كونها فعل شرط لها، والظرف: متعلق بالجواب الآتي. ﴿شَهِدَ﴾: فعل ماض. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلق به. ﴿سَمْعُهُمْ﴾: فاعل. ﴿وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم﴾: معطوفان على ﴿سَمْعُهُمْ﴾ والجملة الفعلية: جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب وجملة ﴿إذا﴾:

في محل الجر بـ﴿حَقَّ﴾ والجار والمجرور: متعلق بـ﴿يُوزَعُونَ﴾ والتقدير: فهم يوزعون إلى شهادة سمعهم وأبصارهم عليهم وقت مجيئهم النار، ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿شَهِدَ﴾، ﴿كَانُوا﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَعْمَلُونَ﴾: خبره، وجملة ﴿كَانُوا﴾: صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة.

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿وَقَالُوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿شَهِدَ﴾، ﴿لِجُلُودِهِمْ﴾ متعلق بـ﴿قالوا﴾ ﴿لِمَ﴾ (اللام): حرف جر، (مَ): اسم استفهام للاستفهام التوبيخي التعجبي، في محل الجر بـ﴿اللام﴾ مبني بسكون على الألف المحذوفة؛ فرقاً بينها وبين ﴿ما﴾ الموصولة. الجار والمجرور: متعلق بـ﴿شَهِدتُّمْ﴾، و﴿شَهِدتُّمْ﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيْنَا﴾: متعلق بـ﴿شَهِدتُّمْ﴾ والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة: مستأنفة. ﴿أَنطَقَنَا﴾: فعل ومفعول. ﴿اللَّهُ﴾: فاعل، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿الَّذِي﴾: صفة للجلالة. ﴿أَنطَقَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر. ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾: مفعول به، والجملة: صلة الموصول. ﴿وَهُوَ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿هو﴾ مبتدأ ﴿خَلَقَكُمْ﴾: فعل ماض ومفعول به، وفاعله: ضمير يعود على الله، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: معطوفة على جملة ﴿أنطق﴾، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: ظرف متعلق بـ﴿خَلَقَكُمْ﴾. ﴿وَإِلَيْهِ﴾: متعلق بـ﴿تُرْجَعُونَ﴾. ﴿تُرْجَعُونَ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة ونائب فاعل، والجملة: معطوفة على جملة ﴿خَلَقَكُمْ﴾.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة أو استئنافية. ﴿ما﴾: نافية، ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿تَسْتَتِرُونَ﴾: خبر ﴿كان﴾ وجملة ﴿كان﴾: معطوفة على جملة ﴿أَنطَقَنَا﴾: إن كان من كلام الجلود، أو مستأنفة إن كان من كلام الله تعالى، ﴿أن﴾: حرف مصدر. ﴿يَشْهَدَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ﴿أن﴾، ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلق به، ﴿سَمْعُكُمْ﴾: فاعل. ﴿وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾: معطوفان على ﴿سَمْعُكُمْ﴾،

و﴿لا﴾: في الموضعين: زائدة لتأكيد نفي ما قبلها، وجملة ﴿يَشْهَدَ﴾ مع ﴿أن﴾ المصدرية في تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف، تقديره: وما كنتم تستترون من شهادة سمعكم إلخ. ﴿وَلَٰكِن﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لكن﴾: حرف استدراك. ﴿ظَنَنتُمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة: معطوفة على جملة ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَا﴾ نافية. ﴿يَعْلَمُ كَثِيرًا﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به. ﴿مِّمَّا﴾: صفة لـ﴿كَثِيرًا﴾ وجملة ﴿تَعْمَلُونَ﴾: صلة لـ﴿ما﴾ الموصولة، وجملة ﴿لَا يَعْلَمُ﴾: خبر ﴿أَنَّ﴾ وجملة ﴿أَنَّ﴾: في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي ﴿ظَنَنتُمْ﴾؛ أي: ولكن ظننتم عدم علم الله سبحانه كثيراً مما تعملون.

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿وَذَٰلِكُمْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿ذلكم﴾: مبتدأ. ﴿ظَنُّكُمُ﴾: خبره، والجملة: معطوفة على جملة الاستدراك. ﴿ٱلَّذِى﴾: صفة لـ﴿ظَنُّكُمُ﴾ أو بدل منها. ﴿ظَنَنتُمْ﴾: فعل وفاعل، وهو بمعنى الاعتقاد يتعدى إلى مفعول واحد، وذلك المفعول محذوف، تقديره: ظننتموه، وهو العائد على الموصول. ﴿بِرَبِّكُمْ﴾: متعلق بـ﴿ظَنَنتُمْ﴾ وجملة ﴿ظَنَنتُمْ﴾: صلة الموصول. ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على الظن ومفعول به، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ثان لاسم الإشارة، أو حال من ﴿ظَنُّكُمُ﴾، ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿أصبحتم﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: خبره، وجملة ﴿أصبح﴾: معطوفة على جملة ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾، ﴿فَإِن﴾: ﴿الفاء﴾: استئنافية. ﴿إن﴾: حرف شرط جازم. ﴿يَصْبِرُوا۟﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿إن﴾ الشرطية، على كونه فعل شرط لها. ﴿فَٱلنَّارُ﴾ ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية وجوباً. ﴿النار﴾: مبتدأ. ﴿مَثْوًى﴾: خبر. ﴿لَّهُمْ﴾: صفة لـ﴿مَثْوًى﴾ والجملة الاسمية: في محل الجزم ﴿إن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية مستأنفة. ﴿وَإِن﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إن﴾: حرف شرط. ﴿يَسْتَعْتِبُوا۟﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿إن﴾ على كونه فعل شرط لها. ﴿فَمَا﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إن﴾ الشرطية وجوباً لاقترانه بـ﴿ما﴾ النافية. ﴿ما﴾: حجازية: أو تميمية. ﴿هُم﴾: اسمها، أو مبتدأ. ﴿مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾: خبرها، أو خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها،

وجملة ﴿إن﴾ الشرطية معطوفة على جملة ﴿إن﴾ الأولى.

التصريف ومفردات اللغة

﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾؛ أي: ميزت آياته لفظاً باعتبار فواصل الآيات ومقاطعها ومبادىء السور، ومعنىً بكونها وعداً ووعيداً وقصصاً وأحكاماً، وخبراً وإنشاءً كما في «الشهاب». ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: لا يقبلون ولا يطيعون، من قولهم: تشفّعت إلى فلان فلم يسمع قولي؛ أي: لم يقبله ولم يعمل به، فكأنه لم يسمعه. ﴿فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ جمع كنان، كأغطية جمع غطاء، وهي خريطة السهام، والمراد: أنها في أغطية متكاثفة، والكنان في الأصل: الغطاء الذي يكنّ فيه الشيء؛ أي: يحفظ ويستر، وأصل أكنة: أكننة بوزن أفعلة، نقلت حركة النون الأولى إلى الكاف فسكّنت فأدغمت في النون الثانية، فصار أكنة بوزن أفلة. ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ قال في «القاموس»: الوقر: ثقل في الأذن، أو ذهاب السمع بالكلية، فهو بمعنى الصمم.

﴿فَٱعْمَلْ﴾؛ أي: فاستمر على دينك الذي هو التوحيد. ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾؛ أي: مستمرون على ديننا الذي هو الإشراك. ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ أصله: يوحى بضم الياء، فيقال: تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فصار يوحى بالألف في آخره، ولكن كتبت بصورة الياء إشارةً إلى أن أصله ياء. ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾؛ أي: أخلصوا له العبادة، وفيه إعلال بالنقل والتسكين والقلب، أصله: فاستقوموا، نقلت حركة الواو إلى القاف فسكنت إثر كسرة فقلبت ياءً حرف مدّ، مأخوذ من الاستقامة، والاستقامة: الاستمرار على جهة واحدة ولزومها، بحيث لا يلتفت عنها إلى غيرها. ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾؛ أي: هلاك لهم جملة خبرية اللفظ، إنشائية المعنى، قصد بها الدعاء. ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾؛ أي: غير مقطوع من قولهم: مَنَنْتُ الحبل: إذا قطعته، ومنه قول ذي الإصبع:

إِنِّـيْ لَـعَـمْـرُكَ مَـا بَـابِـيْ بِـذِيْ غَـلَـقٍ ... عَـلَىٰ ٱلصَّـدِيْـقِ وَلاَ خَـيْـرِيْ بِـمَـمْـنُـوْنِ

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾؛ أي: جبالاً ثوابت لا تتحرّك ولا تميل، جمع راسيةٍ، من رسا الشيء يرسو رسوًّا: نظير سما يسمو سمواً إذا ثبت، وأرساه: غيره إذا أثبته، ومنه المرساة وهو أنجر السفينة إذا وقفت على الأنجر، وفي ﴿رَوَٰسِىَ﴾: إعلال بالقلب، أصله: رواسو من الرسو، قلبت الواو ياءً لتطرفها إثر كسرة. ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ

﴿أَقْوَٰتَهَا﴾ جمع قوت، والقوت من الرزق: ما يمسك الرمق، ويقوم به بدن الإنسان، يقال: قاته يقوته: إذا أطعمه قوته، والمقيت المقتدر الذي يعطي كل أحد قوته، ومن بلاغات الزمخشري:

إِذَا حَصَّلْتُكَ يَا قُوْتُ هَانَ عَلَيَّ ٱلدُّرُّ وَٱلْيَاقُوتُ

﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ جمع يوم، أصله: أيوام بوزن أفعال، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما ساكنةً فقلبت الواو ياءً وأدغمت فيها الياء. ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ والاستواء: ضدّ الاعوجاج، من قولهم: استوى العود: إذا اعتدل واستقام، وحمل في هذا المقام على معنى القصد والتوجه، يقال: استوى إلى مكانه، كذا كالسهم المرسل إذا توجه إليه توجهاً مستوياً من غير أن يلوي على غيره، والمعنى: وجّه سبحانه قصده وإرادته إلى خلق السماء. ﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾؛ أي: كالدخان، وفي «المفردات»: الدخان: العثان المستصحب للهب، والبخار: أجزاء مائية رطبة ترتفع في الهواء مع الشعاعات الراجعة من سطوح المياه، قال الراغب: قوله تعالى: ﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾؛ أي: هي مثل الدخان، إشارة إلى أنها لا تماسك بها. انتهى.

وعبارة «السمين»: قوله: ﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾ الدخان: ما ارتفع من لهب النار، ويستعار لما يرى من بخار الأرض عند جدبها، وقياس جمعه في القلة: أدخنة، وفي الكثرة دخيان، مثل: غراب وأغربة وغربان، وقوله: ﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾ من باب التشبيه الصوريّ؛ لأنَّ صورتها صورة الدخان في رأي العين. اهـ، وقال بعضهم: وهي دخان؛ أي: دخان مرتفع من الماء، يعني السماء بخار الماء كهيئة الدخان. انتهى. ﴿قَالَتَآ﴾ الأصل في تاء التأنيث المتصلة بالفعل الماضي: السكون، ولكنها هنا لما التقت بالألف ساكنةً.. حركت بالفتح لمناسبة الألف. وقوله: ﴿طَآئِعِينَ﴾ فيه، إعلال بالإبدال، أصله: طاوعين، أبدلت الواو همزةً في الوصف، حملاً له في الإعلال على فعله. ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ جمع مصباح، والياء فيه: مبدلة من الألف، حيث كسر ما قبلها في صيغة منتهى الجموع. ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ من الصر، وهو: البرد أو من الصرير، وفي «القاموس»: الصرّة بالكسر، شدّة البرد، أو البرد. كالصر فيهما، وأشدّ الصياح وبالفتح: الشدّة من الكرب والحرب والحرّ، وصرّ يصر: من باب ضرب صرًّا وصريراً: إذا صوّت وصاح شديداً كصرصر، وفي «السمين»: قوله:

﴿صَرْصَرًا﴾ والصرصر: الريح الشديدة، وقيل: هي الباردة من الصرّ وهو البرد، وقيل: هي الشديدة السموم، وقيل: هي المصوّتة، من صرّ الباب؛ أي: سمع صريره، والصرة: الصيحة، ومنه: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾ وهي الصيحة، قال الراغب: صرصر لفظه من الصرّ، وذلك يرجع إلى الشدة لما في البرودة من التعقد. اهـ. ﴿نَّحِسَاتٍ﴾ بكسر الحاء جمع نحسة بكسرها، فهو وصفٌ على فعل، وفعله فعل بكسر العين أيضاً، يقال: نحِسَ فهو نَحِسٌ، كفَرِحَ فهو فَرِحٌ، وأشِرَ فهو أَشِرٌ. ﴿عَذَابَ ٱلْخِزْىِ﴾ من إضافة الموصوف إلى صفته؛ أي: العذاب الخزي ولهذا قال: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ فلو لم يكن من إضافة الموصوف إلى صفته لم يأت بلفظ ﴿أَخْزَىٰ﴾ الذي يقتضي المشاركة. و﴿أَخْزَىٰ﴾ أصله: أخزي بوزن أفعل، قلبت ياؤه ألفاً؛ لتحركها بعد فتح.

﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ حقيقة الاستحباب: أن يتحرّى الإنسان في الشيء أن يحبّه، واقتضى تعديته بـ﴿عَلَى﴾ تضمُّنه معنى الإيثار والاختيار، كما في «المفردات»؛ أي: اختاروا الضلالة على الهدى، وأصله: استحببوا بوزن استفعلوا، نقلت حركة الباء الأولى إلى الحاء فسكنت، فأدغمت في الباء الثانية. ﴿ٱلْعَمَىٰ﴾ أصله: العمي، بوزن فعل، فقلبت الياء ألفاً لتحركها بعد فتح.

﴿صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ الهون: مصدر بمعنى الهوان والذلة، يقال: هان هوناً وهواناً: إذا ذلّ. ﴿أَعْدَآءُ ٱللَّهِ﴾ جمع عدوٍ، وأصله: أعداو، أبدلت الواو همزة لتطرفها بعد ألف أفعال الزائدة ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ من وزع الثلاثي لا من أوزع الرباعي، كما وهمه بعضهم، يقال: وزعته عن كذا كوضع كففته، وفي معاجم اللغة: وزع يزع من باب فتح، وورع يزع من باب ضرب، وزع فلان بفلان: كفّه ومنعه، وزع الجيش حبس أولهم على آخرهم، فمعنى ﴿يُوزَعُونَ﴾: يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم. ﴿وَجُلُودُهُم﴾ جمع جلد، والجلد: قشر البدن. ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ أرداكم فيه إعلال بالقلب، أصله: أرديكم بوزن أفعل، قلبت الياء ألفاً لتحركها بعد فتح. ﴿مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ وفي «القاموس»: العتبى: الرضا، واستعتبه أعطاه العتبى، كأعتبه وطلب إليه العتبى، وفي «المفردات»: أعتبته: أزلت عنه عتبة، نحو: أشكيته، ومنه ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ والاستعتاب: أن يطلب من الإنسان أن يذكر عتبه فيعتب، والعتب: الشدة والأمر الكريه، والغلظة التي يجدها

الإنسان في نفسه على غيره، فمعنى ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا﴾؛ أي: يطلبوا العتبى؛ أي: الرضا والرجوع لهم إلى ما يحبّون جزعاً مما هم فيه.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الطباق بين: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، وبين ﴿طَوْعًا﴾ و﴿كَرْهًا﴾، وبين ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

ومنها: المجاز في قوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ﴾ لأن التعبير عن المفعول بالمصدر مجاز مشهور، كقولهم: هذا الدرهم ضرب الأمير؛ أي: مضروبه.

ومنها: الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ حيث شبّهوا قلوبهم بالشيء المحوي المحاط بالغطاء، المحيط له بحيث لا يصيبه شيء، من حيث تباعدها عن إدراك الحق واعتقاده.

ومنها: الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ حيث شبّهوا أسماعهم بآذان بها صمم، من حيث إنها تمجّ الحق ولا تميل إلى استماعه.

ومنها: الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ حيث شبّهوا حال أنفسهم مع رسول الله ﷺ بحال شيئين بينهما حجاب عظيم، يمنع من أن يصل أحدهما إلى الآخر ويراه ويوافقه.

ومنها: الجناس المغاير في قوله: ﴿فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾.

ومنها: الحصر في قوله: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.

ومنها: الترهيب والتنفير من الشرك في قوله: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ إثر ترغيبهم في التوحيد.

ومنها: التحذير والتخويف من منعِ الزكاة حيث جعله من أوصاف المشركين.

ومنها: اختلاف جملتي الصلة بالفعلية والاسمية في قوله: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝٧﴾ لما أنّ عدم إيتائها متجدد والكفر أمر

مستمر، فالأولى تفيد التجدّد، والثانية تفيد الاستمرار.

ومنها: الاستفهام في قوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ﴾ للإنكار والتشنيع لكفرهم، وفيه أيضاً جمع المؤكدات الهمزة وإن واللام لتأكيد الإنكار، وتقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة.

ومنها: التشبيه البليغ الصوري في قوله: ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾؛ أي: كدخان، ففيه تشبيه بليغ صُوري؛ لأنّ صورتها صورة الدخان في رأي العين، والمراد بالدخان البخار الذي تتشكّل منه الطبقات الهوائية، فتسميتها دخاناً تشبيهاً لها به من حيث إنها أجزاء متفرقة غير متواصلة، عديمة النور كالدخان، فإنه ليس له صورة تحفظ تركيبه.

ومنها: الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا﴾ فقد شبه تأثير قدرته تعالى فيهما، وتأثرهما عنها بأمر آمر نافذ الحكم يتوجّه نحو المأمور المطيع فيمتثل أمره، فعبّر عن الحالة المشبّهة بما يعبّر به عن الحالة المشبّه بها ذكره في «الروح».

ومنها: المجاز العقلي في قوله: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا﴾ حيث أسند القول للأرض والسماء مع كونهما غير عاقلين تنزيلاً لهما منزلة العقلاء، ويجوز أن يكون هذا من باب الاستعارة المكنية، فقد شبّههما بمخلوقين حيّين عاقلين، ثمّ حذف المشبه به وأثبت شيئاً من لوازمه لتمثيلهما بأمر المطاع وإجابة الطائع، كما تقول: نطقت الحال بكذا بدل دلّت، فيجعل الحال كالإنسان الذي يتكلّم في الدلالة والبرهان، ثم يتخيّل له النطق الذي هو من لوازم المشبّه به، وينسب إليه.

ومنها: تنزيل غير العقلاء، منزلة العقلاء الذكور في قوله: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ حيث جمعه جمع المذكر السالم.

ومنها: الالتفات في قوله: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ التفت فيه من الغيبة في قوله: ﴿خَلَقَ﴾ و﴿قَدَّرَ﴾ إلى التكلم، فقد أسند التزيين إلى ذاته سبحانه لإبراز مزيد العناية بالتزيين المذكور.

ومنها: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ فقد خاطبهم أولاً بقوله: ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ فلما لم يأبهوا لخطابه، ولم يستوعبوا نصحه.. التفت من

الخطاب إلى الغيبة؛ لأنهم فعلوا الإعراض فليس له إلا أن يعرض عن خطابهم، ليصح التلاؤم ويناسب اللفظ المعنى، وهذا من أرفع أنواع البلاغة وأرقاها، وكم للالتفات من أسرار ذكروها في محلها.

ومنها: العدول عن صيغة المضارع المستقبل، إلى الماضي في قوله: ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾ للدلالة على أن ما ينذرهم به أمر متحقّق لا مندوحة عنه، وعبارة «الروح»: وصيغة الماضي فيه الدلالة على تحقق الإنذار المنبىء عن تحقق المنذر به.

ومنها: الإسناد المجازيّ في قوله: ﴿عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ فإنه أضاف العذاب إلى الخزي الذي هو الذلّ والاستكانة، وهو في الأصل صفة المعذّب، ولكنّه جنح إلى وصف العذاب به للمبالغة.

ومنها: المشاركة في قوله: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ وجعل الخزي هذه المرّة خبراً للمشاكلة، على حدّ قول الشاعر:

قَالُوْا: اقْتَرِحْ شَيْئَاً نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ   قُلْتُ: اطْبُخُوْا لِيْ جُبَّةً وَقَمِيْصَا

أي: خيطوا لي، فأطلق الخياطة بلفظ الطبخ، لمشاكلة ما قبله.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ فقد شبّه الكفر بالعمى؛ لأنّ الكافر ضال عن القصد، متعسف الطريق كالأعمى، وشبّه الإيمان بالهدى؛ لأن المؤمن مهتد إلى محجّة القصد وسواء السبيل، ثم حذف المشبّه في كليهما وأثبت المشبّه به الذي هو العمى والهدى.

ومنها: الطباق بين ﴿الْعَمَىٰ﴾ و﴿الْهُدَىٰ﴾.

ومنها: صيغة جمع العقلاء في خطاب الجلود في قوله: ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ وكذا في قوله: ﴿قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ . . .﴾ إلخ. لوقوعهما في موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء كما مرّ.

ومنها: تخصيص الجلود، لكون شهادتها أعجب من شهادة السمع والبصر، إذ ليس شأنها الإدراك.

ومنها: الالتفات من الخطاب في قوله: ﴿أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ إلى الغيبة في قوله: ﴿فَإِن يَصْبِرُوا . . .﴾ إلخ. للإشعار بإبعادهم عن حيّز الخطاب،

والإبقاء في غاية دركات النار.

ومنها: الجناس المغاير في قوله: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾.

ومنها: الإتيان بصيغة المضارع في قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ مع أنّ هذه المحاورة بعد البعث والرجوع إلى الله، لما أنّ المراد بالرجوع ليس مجرد الردّ إلى الحياة بالبعث، بل ما يعمه ويعمّ ما يترتّب عليه من العذاب الخالد المترقّب عند المخاطبة، فغاب المتوقع على الواقع. اهـ «أبو السعود».

ومنها: عطف العامّ على الخاص في قوله: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم﴾ إذ المراد بالجلود: الجوارح. مطلقاً، فعطفها على ما قبلها من عطف العام على الخاصّ.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

فائدة: قال الشيخ النيسابوري: خلق الله السماء قبل خلق الأرض؛ ليعلم أنّ فعله خلاف أفعال الخلق؛ لأنه خلق أولاً السقف ثم الأساس، ورفعها على غير عمد؛ دلالةً على قدرته وكمال صنعه، وروي أنه تعالى خلق جرم الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين، ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة، وخلق آدم في آخر ساعةٍ منه، وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة، وسمي الجمعة لاجتماع المخلوقات لها وتكاملها، ولمَّا لم يخلق الله في يوم السبت شيئاً.. امتنع بنو إسرائيل من الشغل فيه، كما في «فتح الرحمن».

والظاهر: أنه ينبغي أن يكون المراد به أنه تعالى خلق العالم في مُدّة لو حصل فيها فلك وشمس وقمر.. لكانَ مبدأ تلك المدة أول يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، كما في «حواشي ابن الشيخ». وفي كلام بعضهم أول الأسبوع الأحد لغةً، وأوله السبت عرفاً؛ أي: في عرف الفقهاء.

واستشكل: هل تسمية الأيام بهذه الأسماء، هي من الله تعالى أو من النبي ﷺ أو من العرب؟ وروي: «أن الله تعالى خلق يوماً فسمّاه الأحد، ثم خلق ثانياً فسماه الاثنين، ثم خلق ثالثاً فسماه الثلاثاء، بضم الثاء المثلثة وفتحها، ثم خلق رابعاً فسماه الأربعاء، بتثليث الباء الموحّدة، ثم خلق خامساً فسماه الخميس»، وعلى هذا

فالتسمية من الله تعالى، إلا السبت فلم يذكره، وبهذا يندفع ما قال السهيلي: تسمية هذه الأيام طارئة، ولم يذكر الله منها في القرآن إلا يوم الجمعة والسبت، والعرب أخذوا معاني الأسماء من أهل الكتاب، فألقوا عليها هذه الأسماء اتباعاً لهم، فلم يسمها رسول الله ﷺ بالأحد والاثنين إلى غير ذلك، إلا حاكياً للغة قومه، لا مبتدِئاً بتسميتها. هذا كلام السهيليّ، وعلى هذا فالتسمية من العرب.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلَّ وعلا:

﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ۖ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٨) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (٢٩) إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦) وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۩ (٣٨) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٣) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٤٤) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (٤٥) مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦)﴾.

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنَّ الله سبحانه لما ذكر[1] الوعيد الشديد في الدنيا والآخرة على الكفر والمعاصي.. أردف ذلك بذكر السبب الذي من أجله وقعوا في الكفر، ثم حكى عنهم جنايةً أخرى، وهي أنهم كانوا إذا سمعوا القرآن.. أعملوا الحيلة في عدم اسماع الناس له، حتى لا يتدبّروا معناه، فتشاغلوا حين قراءته يرفع الأصوات، وإنشاء الأشعار حتى يهوّشوا على القارىء، ويغلبوا على قراءته، ثم ذكر أنهم حين يقعون في العذاب الشديد، يطلبون أن يروا من كانوا السبب في وقوعهم في الضلال من الجنّ والإنس، ليدوسوهم تحت أقدامهم، انتقاماً منهم على أن صيروهم في هذه الهاوية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا...﴾ الآيات، مناسبتها لما قبلها: أنّ الله سبحانه لما أسلف القول في وعيد الكفار بما لم يبق بعده في القوس منزع.. أعقبه بهذا الوعد الشريف للمؤمنين، كما هي سنة القرآن من اتباع أحدهما بالآخر، كما جاء في قوله: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾. قال عطاء عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا...﴾ الآيات، مناسبتها لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر أنّ قرناء السوء يدعون إلى المعاصي.. أردف ذلك بذكر حال أضدادهم، الذين يدعون الناس إلى توحيد الله تعالى وطاعته، ثم أعقب هذا بأن الحسنة والسيئة لا يستويان ثواباً عند الله تعالى، ثمّ أمر رسوله بدفع سفاهات المشركين وجهالاتهم بطريق الحسنى، لما في ذلك من تألّف القلوب وارعواء النفوس عن غيّها وثوبها إلى رشدها، وأرشد إلى أن هذه فعلة لا يتقبّلها إلا الصابرون على احتمال المكاره، ومن لهم حظ عظيم من الثواب عند الله، ثمّ ختم ذلك بتلك النصيحة الذهبية، وهي أنه إذا صرف الشيطان المرء عن شيء مما شرعه الله تعالى.. فليتعوّذ من شرّه، ولا يطعه في أمره، والله سميع لما يقول،

---

(١) المراغي.

عليم بكل ما يفعل، وهو المجازي له على ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ...﴾ الآيات، مناسبتها لما قبلها: أنّ الله سبحانه لمّا ذكر في الآيات السابقة. أن أحسن الأعمال والأقوال هو الدعوة إلى الله تعالى..[1] أردفه بذكر الدلائل على وجوده تعالى وقدرته وحكمته؛ تنبيهاً إلى أنَّ الدعوة إلى الله تقرير الدلائل على ذاته وصفاته، ثمّ ذكر منها الدلائل الفلكية، وهي الليل والنهار والشمس والقمر، ثمّ أتبعها بآيات أرضية تشاهد رأي العين في كل حين؛ وهي حال الأرض حين خلوِّها من المطر والنبات، ثم حالها بعد نزول المطر، فهي تنتعش بعد أن كانت ميتةً، وتهتزّ بعد أن كانت ساكنةً، والذي أحياها هو الذي يحيي الموتى، إنه على كل شيء قدير.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ...﴾ الآيات، مناسبتها لما قبلها: أن الله سبحانه[2] لمّا بيّن أنّ الدعوة إلى دين الله أسمى المقاصد، وأنها إنما تحصل بذكر دلائل التوحيد وصحة البعث يوم القيامة.. أعقب هذا بتهديد من ينازع في تلك الدلائل بإلقاء الشبهات، ثم هدّدهم بضروب من التهديد، فهدّدهم بقوله: ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ وبقوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، وبقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ...﴾ إلخ.

قوله تعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ...﴾ الآيات، مناسبتها لما قبلها: أن الله سبحانه لما هدَّد الملحدين في آياته.. سلّى رسوله على ما يصيبه من أذى المشركين وطعنهم في كتابه، وحثّه على الصبر، وأن لا يضيق صدره بما حكاه عنهم من نحو قولهم: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾. وقولهم: ﴿فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ﴾ فما قاله أولئك الكفار في شأنه وشأن ما أنزل إليه من القرآن.. لا يعدو شأُن ما قاله أمثالهم من الأمم السابقة، ثم أجاب عن شبهة قالوها، وهي: هلا نزل القرآن بلغة العجم، بأنه لو نزل كما يريدون.. لأنكروا أيضاً، وقالوا: ما لنا ولهذا، ثمَّ ذكر أنَّ القرآن هدايةٌ وشفاء للمؤمنين، والذين لا يؤمنون به في آذانهم صمم عن سماعه، ثم ذكر أنّ الاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة للأمم، فقومك ليسوا ببدع فيها بين الأمم، ثم أبان أن المرء وما عمل، فمن أحسن فلنفسه، ومن

---

(١) المراغي. (٢) المراغي.

أساء.. فعليها، ولا يظلم ربك أحداً.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية[1]: ما أخرجه ابن المنذر عن بشير بن تميم: أنها نزلت في أبي جهل وعمَّار بن ياسر.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ...﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية: ما أخرجه ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: قالت قريش: لو أنزل هذا القرآن أعجمياً وعربياً، فأنزل الله تعالى: ﴿لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ الآية، وأنزل الله بعد هذه الآية فيه بكل لسان، قال ابن جرير: والقراءة على هذا أعجميّ بلا استفهام.

التفسير وأوجه القراءة

﴿وَقَيَّضْنَا﴾؛ أي: قدّرنا وهيّأنا وسبّبنا وقرنّا ﴿لَهُمْ﴾؛ أي: لكفار مكة وسلّطنا عليهم في الدنيا ﴿قُرَنَاءَ﴾ جمع قرين؛ أي: أخداناً وأصحاباً من شياطين الإنس والجن، وأصدقاء يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض، وهو القشر الأعلى، وهو حجة على القدرية، فإن هذا يدل على التخلية بينهم وبين التوفيق، لأجله صاروا قرناءهم، وهم لا يقولون بموجب الآية ﴿فَزَيَّنُوا﴾؛ أي: زيّن القرناء وحسّن ﴿لَهُمْ﴾؛ أي: لكفار مكة، أو لجميع الكفرة ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمور الدنيا وشهواتها، وحملوهم على الوقوع في معاصي الله بانهماكهم فيها ﴿و﴾ زيّنوا لهم ﴿ما خلفهم﴾ من أمور الآخرة، فقالوا: لا بعث ولا حساب، ولا جنة ولا نار، ولا مكروه عوض، وقال الزجاج: ما بين أيديهم ما عملوه، وما خلفهم ما عزموا على أن يعملوه، وروي عن الزجاج أيضاً أنه قال: ما بين أيديهم من أمر الآخرة أنه لا بعث ولا جنة ولا نار، وما خلفهم من أمر الدنيا، وعلى القول الأول جعل أمر الدنيا بين أيديهم، كما يقال: قدَّمت المائدة بين أيديهم، والآخرة لما

---

(١) لباب النقول.

كانت تأتيهم بعد هذا جعلت خلفهم، كما يقال لمن يجيء بعد الشخص: أنه خلفه، وهذا هو الذي تقتضيه ملاحظة الترتيب الوجوديّ، وقيل: ما بين أيديهم: الآخرة؛ لأنها قدّامهم وهم متوجّهون إليها، وما خلفهم الدنيا لأنهم يتركونها خلفهم، وفي «عرائس البيان»: زيَّنت النفس الشهوات، والشياطين التسويف والإمهال، وهذا ما بين أيديهم وما خلفهم.

وقال الجنيد: لا تألف النفس الحق أبداً، وقال ابن عطاء: النفس قرين الشيطان وإلفه، ومتبعه فيما يشير إليه مفارق للحق مخالف له، لا يألف الحق ولا يتبعه، قال الله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من طول الأمل، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من نسيان الذنوب. انتهى.

﴿وَحَقَّ﴾؛ أي: وجب وثبت ﴿عَلَيْهِمُ﴾؛ أي: على كفار مكة ﴿ٱلْقَوْلُ﴾؛ أي: قول العذاب وقضاؤه وكلمته؛ أي: تقرّر عليهم كلمة العذاب، وتحقق موجبها ومصداقها، وهي قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾، وقوله: ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ حال من الضمير في ﴿عَلَيْهِمُ﴾؛ أي: حالة كونهم كائنين في جملة أمم، وقيل: ﴿فِىٓ﴾ بمعنى مع، وهذا كما ترى صريح في أنّ المراد بأعداء الله فيما سبق المعهودون من عاد وثمود، لا الكفار من الأولين والآخرين، كما قيل. وقوله: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ صفة لـ﴿أُمَمٍ﴾؛ أي: مع أمم من الأمم الكافرة التي قد خلت ومضت ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ على الكفر والعصيان، كدأب هؤلاء الكفار، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب، والضمير للأولين والآخرين، وأصل الخسارة: إفساد الاستعداد الفطري، كإفساد بعض الأسباب البيضة، فإنها إذا فسدت.. لم ينتفع بها.

وفي «كشف الأسرار»: إذا أراد الله بعبد خيراً.. قيّض له قرناء خير يعينونه على الطاعة ويدعونه إليها، وإذا أراد الله بعبد سوءاً.. قيّض له أخدان سوء يحملونه على المخالفات ويدعونه إليها، ومن ذلك الشيطان، فإنه مسلّط على الإنسان بالوسوسة، وشر من ذلك النفس الأمارة بالسوء، تدعو اليوم إلى ما فيه هلاكها وهلاك العبد، وتشهد غداً عليه بما دعته إليه.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الرابحين لا من الخاسرين، وأن يكون

عوناً لنا على النفس وإبليس وسائر الشياطين، ويجعلنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

ومعنى الآية[1]: أي وسلَّطنا عليهم أخداناً وأعواناً من شياطين الجنّ والأنس، فزيَّنوا لهم ما بين أيديهم من أمر الدنيا، من الضلالة والكفر واتباع الشهوات، وما خلفهم من أمر الآخرة، فألقوا إليهم أن لا جنّة ولا نار، ولا بعث ولا حساب، إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، وما يهلكنا إلا الدهر، فسهل عليهم فعل ما يشتهون، وركوب كل ما يتلذذون به من الفواحش، ووجب عليهم من العذاب ما وجب على الذين كفروا من قبلهم، ممن فعلوا فعلهم، ثمّ علّل استحقاقهم للعذاب، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾؛ أي: لأنَّهم استووا جميعاً في الخسار والدمار، واستحقوا اللعن والخزي في الحياة الدنيا والآخرة.

وبعد أن أخبر عن كفر قوم هود وصالح وغيرهم.. أخبر عن مشركي قريش، وأنهم كذبوا بالقرآن، فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ورسوله من رؤساء المشركين كأبي جهل وأضرابه لأعقابهم وأشقيائهم، أو قال بعضهم لبعض: ﴿لَا تَسْمَعُوا﴾؛ أي: لا تستمعوا ﴿لِهَذَا الْقُرْءَانِ﴾ ولا تنصتوا له، وقيل: معنى لا تسمعوا لا تطيعوا، يقال: سمعت لك؛ أي: أطعتك ﴿وَالْغَوْا﴾؛ أي: ائتوا باللغو والباطل من الكلام الذي لا طائل تحته ﴿فِيهِ﴾؛ أي: في حال قراءة القارىء له، وعارضوه[2] بالخرافات، وهي الهذيان والأحاديث التي لا أصل لها، مثل: قصة رستم وإسفنديار، وبإنشاء الأرجاز والأشعار، وبالتصدية والمكاء؛ أي: بالتصفيق والصفير، وارفعوا أصواتكم بها لتشوشوا على القارىء، فيختلط عليه ما يقرؤُه ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾؛ أي: تغلبونه على قراءته، فيترك القراءة، ولا يتمكن السامع أيضاً من سماعه، أرادوا بذلك التلبيس والتشويش والأذية، وأيضاً خافوا من أنه لو سمعه الناس.. لآمنوا به، وكان ذلك غالباً شأن أبي جهل وأصحابه وقال أبو العالية وقَعُوا فيه وعَيّبوه، وقال الضحاك: أكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول:

وقرأ الجمهور والفراء[3]: بفتح الغين مضارع لَغِي بكسرها، أو من لغَى بالفتح يلغَى بالفتح أيضاً، كما حكاه الأخفش.

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان. (٣) البحر المحيط.

وقرأ عيسى بن عمر وقتادة وأبوحيوة وابن أبي إسحاق والزعفراني بخلاف عنهما، والجحدري وبكر بن حبيب السهمي كذا في «كتاب ابن عطية» وفي «كتاب اللوامح»: وأما في «كتاب ابن خالويه» فعبد الله بن بكر السهمي؛ أي: قرؤوا: بضم الغين، مضارع لغَى بفتحها وهما لغتان، وقال الأخفش: يقال لَغَى يَلْغَى بفتح الغين، وقياسه الضم، لكنه فتح لأجل حرف الحلق، فالقراءة الأولى من يَلْغَى، والثانية من يَلْغُو، وقال صاحب «اللوامح»: ويجوز أن يكون الفتح من لغى الشيء يلغى به: إذا رمى به، فيكون ﴿فِيهِ﴾ بمعنى: به؛ أي: ارموا به وانبذوه، وأما معنى الضم؛ أي: أدخلوا فيه اللّغو، واللّغْوُ[1] من الكلام، ما لا يعتد به، وهو الذي لا عن روية وفكر، فيجري مجرى اللغاء، وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور.

والمعنى: أي وقال الذين كفروا بالله ورسوله: لا تنصتوا لسماع هذا القرآن وعارضوه باللغو والباطل، وبإنشاد الشعر والأراجيز، حتى تهوشوا على القارىء، لعلكم تغلبون على قراءته وتميتون ذكره، وقد كان النبي ﷺ وهو بمكة، إذا قرأ القرآن.. يرفع صوته، فكان المشركون يطردون الناس عنه، ويقولون: الغوا فيه بالمكاء والصفير وإنشاد الشعر، قال ابن عباس: قال أبو جهل: إذا قرأ محمد.. فصيحوا في وجهه حتى لا يدري ما يقول.

ثم أوعد الكفار بالعذاب الشديد، فقال: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي: فوعزتي وجلالي لنذيقن هؤلاء القائلين واللاغين، أو جميع الكفرة، وهم داخلون فيه دخولاً أولياً ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في الدنيا، لا يقادر قدره، كما دل عليه التنكير والوصف، وهذا تهديد شديد؛ لأن لفظ الذوق إنما يذكر في القدر القليل، يؤتى به لأجل التجربة، وإذا كان ذلك الذوق، وهو قدر قليل عذاباً شديداً.. فقس عليه ما بعده ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي[2]: جزاء سيئات أعمالهم التي هي في أنفسها أسوأ، فإذا كانت أعمالهم أسوأ.. كان جزاؤها كذلك، فالأسوأ قصد به الزيادة المطلقة، وإنما أضيف إلى ما عملوا؛ للبيان والتخصيص، أو المعنى[3]: ولنجزينهم سيئات أعمالهم التي بعضها أسوأ من بعض، بحسب تفاوت مراتبها في الإثم، وأفعل التفضيل ليس على بابه.

(١) روح البيان. (٢) روح البيان. (٣) المراح.

وفي «فتح الرحمن»: المراد به سيئة، إذ لا يختص جزاؤهم بأسوأ عملهم، فلا يجازيهم على محاسن أعمالهم، كإغاثة الملهوفين وصلة الأرحام، وقرى الأضياف؛ لأنها محبطة بالكفر. أو المعنى[1]: ولنجزينهم أعظم عقوبة على أسوأ أعمالهم، وهو الكفر، وعلى غيره بحسب ما يليق به. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أبا جهل وأصحابه ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في الدنيا يوم بدر ﴿أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ في الآخرة.

والمعنى: أي فلنذيقن الكافرين عذاباً لا يحاط بوصفه، ولنجازينهم بأسوأ أعمالهم؛ لأن أعمالهم الحسنة كصلة الأرحام وإكرام الضيف قد أحبطها الكفر، ولم يبق لهم إلا القبيح، ومن ثم لم يجازوا إلا على السيئات، وفي هذا تعريض بمن لا يخشع ولا يتدبر حين سماع القرآن، وتهديد ووعيد لمن يصدر منه حين سماع القرآن ما يهوش على القارىء، ويخلط عليه في القراءة.

ثم بين العذاب الشديد الذي يحيق بهم، فقال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الجزاء، وهو مبتدأ، خبره: قوله: ﴿جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: جزاء معد لأعدائه ﴿ٱلنَّارُ﴾ عطف بيان لـ﴿الجزاء﴾ أو بدل منه، أو ذلك[2] خبر مبتدأ محذوف؛ أي: الأمر ذلك على أنه عبارة عن مضمون الجملة، لا عن الجزاء، وما بعده: جملة مستقلة مبينة لما قبلها؛ يعني: أن ﴿الجزاء﴾ مبتدأ و﴿ٱلنَّارُ﴾: خبره، أو ﴿ٱلنَّارِ﴾: مبتدأ، خبره: قوله: ﴿لَهُمْ﴾، وجملة قوله: ﴿فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾: حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور؛ أي: النار كائنة لهم حالة كونها موصوفة بكون دار الخلد والإقامة المؤبدة فيها؛ أي: هي بعينها دار إقامتهم، لا انتقال لهم منها، على أن ﴿فِى﴾ للتجريد لا للظرفية، وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله؛ مبالغةً لكماله فيها، كما يقال: في البيضة عشرون مناً من حديد، وقيل: هي على معناها؛ أي: للظرفية، والمراد: أن لهم في النار المشتملة على الدور داراً مخصوصةً هم فيها خالدون، ومعنى دار الخلد: دار الإقامة المستمرة التي لا انقطاع لها ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾: منصوب[3] بفعل مقدر؛ أي: يجزون جزاءً، و﴿الباء﴾ الأولى: متعلقة بـ﴿جَزَآءً﴾ والثانية: بـ﴿يَجْحَدُونَ﴾ وقدمت عليه؛ لمراعاة الفواصل؛ أي: بسبب

(١) النسفي. (٢) روح البيان. (٣) روح البيان.

ما كانوا يجحدون بآياتنا الحقة، أو يلغون فيها، وذكر الجحود؛ لكونه سبباً للغو، إقامةً للسبب مقام المسبب؛ أي: يجزون جزاءً بسبب جحدهم بآيات الله، قال مقاتل: يعني القرآن، يجحدون أنه من عند الله.

والمعنى: أنهم مخلّدون فيها أبداً، لا انقطاع لعذابها ولا انتقال منها، فهي جزاء لهم على جحودهم لآياتنا، واستكبارهم عن سماعها.

ثم بين أنهم حين وقوعهم في العذاب الشديد يطلبون الانتقام ممن أضلوهم من شياطين الإنس والجن، فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: قالوا وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب، وذكره بلفظ الماضي؛ تنبيهاً على تحقق وقوعه؛ أي: يقولون: يا ﴿رَبَّنَا﴾ ويا مالك أمرنا ﴿أَرِنَا﴾؛ أي: أبصرنا الشيطانين ﴿الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾؛ أي: حملانا على الضلال بالتسويل والتزيين ﴿مِنَ﴾ نوعي ﴿الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ لأن الشيطان بين جني وإنسي، بدليل قوله تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ وقوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ ويقال: أحدهما قابيل بن آدم؛ لأنه أول من سن القتل بغير حق، والذي من الجن إبليس؛ لأنه أول من سن الكفر والشرك، فيكون معنى: ﴿أَضَلَّانَا﴾: سنا لنا الكفر والمعصية، كما في «عين المعاني» ويشهد لهذا القول الحديث المرفوع: «ما من مسلم يقتل ظلماً.. إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمه؛ لأنه أول من سن القتل» أخرجه الترمذي وغيره، ويروى: أن قابيل شدت ساقاه بفخذيه، يدور مع الشمس حيث دارت، يكون في الشتاء في حظيرة ثلج، وفي الصيف في حظيرة نار. وقيل: المراد: أنهم طلبوا من الله سبحانه أن يريهم من أضلهم من فريق الجن والإنس، من الشياطين الذين كانوا يسولون لهم ويحملونهم على المعاصي، ومن الرؤساء الذين كانوا يزينون لهم الكفر والمعاصي.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿أَرِنَا﴾ بكسر الراء، بمعنى: أبصرنا، وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وأبو بكر السوسي عن أبي عمرو والمفضل: ﴿أرنا﴾ بسكون الراء تخفيفاً، كفَخْذِ في فَخِذَ بمعنى أعطِنا هُما، وقرأ الدوري: باختلاس كسرة الراء. وقال الخليل: إذا قلت: أرني ثوبك بكسر الراء.. فمعناه: أبصرنِيهِ، وبالسكون: أعطنيه، وقيل: هما لغتان بمعنى واحد، وشدد ابن كثير النون من ﴿اللذين﴾

(١) البحر المحيط وغيره.

﴿نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا﴾؛ أي: ندسُّهما بأقدامنا لنتشفى وننتقم منهما، أو نجعلهما تحت أقدامنا في النار ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ فيها مكاناً، وأشد عذاباً منا، أو ليكونا من الأذلين المهانين.

وخلاصة المعنى: ويقول الكافرون يوم القيامة، وهم يتقلبون في العذاب: ربنا أرنا شياطين الإنس والجن الذين أوقعونا في الضلال، نَدُسُّهم تحت أقدامنا، انتقاماً منهم ومهانةً لهم، أو ليكونا مباشرين للنار، ويكونا وقايةً بيننا وبينها، فتخفَّف عنا حرارتها نوعَ خِفةٍ.

ثم لما ذكر سبحانه عقاب الكافرين وما أعده لهم.. ذكر حال المؤمنين وما أنعم عليهم به، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وحده لا شريك له، اعترافاً بربوبيته، وإقراراً بوحدانيته، فربُّنا الله من باب: صديقي زيد، يفيدُ الحصرَ ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾؛ أي: ثبتوا على الإقرار بقولهم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ ومقتضياته بأن لا تزل قدمهم عن طريق العبودية قلباً وقالباً ولا تتخطاه، وفيه يندرج كل العبادات والاعتقادات بصفة الدوام إلى وقت الوفاة، فـ﴿ثُمَّ﴾ للتراخي في الزمان، أو في الرتبة، فإن الاستقامة لها الشأن كله؛ يعني: أن المنتهى وهي الاستقامة، لكونه مقصوداً أعلى حالاً من المبدأ، وهو الإقرار واستقامة الإنسان: لزومه للمنهج المستقيم.

وفي قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾: تعريض لليهود والنصارى؛ لأنهم لم يستقيموا على دينهم، حتى قالوا: ﴿عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ و﴿ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ ونحو ذلك، وكفروا بنبوة محمد ﷺ. ومن الاستقامة: أن لا يرى المرء النفع والضر إلا من الله، ولا يرجو من أحد دون الله، ولا يخاف أحداً غيره.

وفي «التأويلات النجمية»: تشير الآية إلى يوم الميثاق، لما خوطبوا بقوله: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ قَالُواْ بَلَىٰ﴾؛ أي: ربنا الله، وهم الذريات المستخرجة من ظهر آدم عليه السلام، أقروا بربوبيته ثم استقاموا على إقرارهم بالربوبية، ثابتين على أقدام العبودية لما أخرجوا إلى عالم الصورة، ولهذا ذكر بلفظ ﴿ثُمَّ﴾؛ لأنه للتراخي، فأقروا في عالم الأرواح، ثم استقاموا في عالم الأشباح، وهم المؤمنون، بخلاف المنافقين والكافرين، فإنهم أقروا ولم يستقيموا على ذلك.

وقال جماعة من الصحابة والتابعين: معنى الاستقامة: إخلاص العمل لله، وقال قتادة وابن زيد: ثم استقاموا على طاعة الله. وقال الحسن: استقاموا على أمر الله، فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته، وقال مجاهد وعكرمة: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى ماتوا. وقال الثوري: عملوا على وفاق ما قالوا. وقال الربيع: أعرضوا عما سوى الله. وقال الفضيل بن عياض: زهدوا في الفانية، ورغبوا في الباقية.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ من جهته تعالى، يمدونهم فيما يعرض لهم من الأمور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم، ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الإلهام، كما أن الكفرة يمدّهم ما قيّض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح، وكذا تتنزل عند الموت بالبشرى، وفي القبر وعند البعث إذا قاموا من قبورهم، ﴿أنْ﴾ مفسرة، بمعنى؛ أي: أو مخففة من الثقيلة، والأصل: بأنه، و﴿الهاء﴾: ضمير الشأن أو المصدرية، ولا على الوجهين الأولين: ناهية، وعلى الثالث: نافية؛ أي: يتنزلون متلبسين بهذه البشارة، وهي ﴿لا تخافوا﴾ ما تقدمون عليه من أمر الآخرة، فلا ترون مكروهاً فإن الخوف غم يلحق الإنسان لتوقع المكروه ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ على ما خلفتم من أهل وولد، فإن الله تعالى يخلفكم عليهم بخير، ويعطيكم في الجنة أكثر من ذلك وأحسن، ويجمع بينكم وبين أهليكم وأولادكم المسلمين في الجنة، فإن الحزن غم يلحق من فوات نافع أو حصول ضار. وفي قراءة عبد الله: ﴿لا تخافوا﴾ بإسقاط ﴿أنْ﴾؛ أي: تتنزل عليهم الملائكة قائلين: ﴿لا تخافوا ولا تحزنوا﴾. وفي «التأويلات النجمية»: الخوف[1] إنما يكون في المستقبل من الوقت، وهو بحلول مكروه أو فوات محبوب، والملائكة يبشرونهم بأن كل مطلوب لهم سيكون، وكل محذور لهم لا يكون، والحزن من حزونة الوقت، والذي هو راض بجميع ما يجري مستسلم للأحكام الأزلية، فلا حزونة في عيشه، بل من يكون قائماً بالله، وهائماً في الله، دائماً على الله، لا يدركه الخوف والحزن، والملائكة يبشرونهم أن لا تخافوا ولا تحزنوا على فوات العناية في السابقة. انتهى.

وقال مجاهد[2]: لا تخافوا الموت ولا تحزنوا على أولادكم، فإن الله

---

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

خليفتكم عليهم. وقال عطاء: لا تخافوا رد ثوابكم، فإنه مقبول، ولا تحزنوا على ذنوبكم، فإنّي أغفرها لكم، والظاهر: عدم تخصيص تنزل الملائكة عليهم بوقت معين، وعدم تقييد نفي الخوف والحزن بحالة مخصوصة، كما يشعر به حذف المتعلق في الجميع ﴿وَأَبْشِرُوا﴾؛ أي: سروا وافرحوا ﴿بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها في الدنيا على ألسنة الرسل، فإنكم واصلون إليها، مستقرون بها، خالدون في نعيمها.

وهذا من بشارتهم في أحد المواطن الثلاثة، وعن ثابت: بلغنا إذا انشقت الأرض يوم القيامة.. ينظر المؤمن إلى حافظيه قائمين على رأسه، يقولان له: لا تخف ولا تحزن، وأبشر بالجنة الموعودة، وأنك سترى اليوم أموراً لم تر مثلها، فلا تهولنك، فإنما يراد بها غيرك ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وهذا من بشارتهم[1] في الدنيا؛ أي: نحن أعوانكم في أموركم، نلهمكم الحق ونرشدكم إلى ما فيه خيركم وصلاحكم، بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة، ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات، من أن ذلك بتوفيق الله وتأييده لهم بواسطة الملائكة، قال جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ: من لاحظ في أعماله الثواب والأغراض.. كانت الملائكة أولياءه، ومن عملها على مشاهدته تعالى.. فهو وليه؛ لأنه يقول: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ و﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ﴾ ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ نمدكم بالشفاعة، ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادي والتخاصم. وقيل: هذا من قول الله تعالى؛ أي: نحن المتولون لحفظكم ومعونتكم في أمور الدنيا وأمور الآخرة، ومن كان الله وليه.. فاز بكل مطلب، ونجا من كل مكروه. وقال مجاهد: تقول الملائكة لهم: نحن قرناؤكم الذين كنا معكم في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة.. قالوا لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة. وقال السدي: نحن الحفظة لأعمالكم في الدنيا، وأولياؤكم في الآخرة.

والمعنى[2]: أي نحن أعوانكم في أمور دنياكم، نلهمكم الحق ونرشدكم إلى ما فيه خيركم وصلاحكم في دنياكم، وكذلك نكون معكم في الآخرة، نؤمنكم من الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ويوم البعث والنشور، ونجاوز بكم

---

(١) روح البيان.
(٢) المراغي.

الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم.

﴿وَلَكُمْ﴾ أيها المؤمنون لا لغيركم من الأعداء ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في الآخرة ﴿مَا تَشْتَهِيٓ﴾ وتحب ﴿أَنفُسُكُمْ﴾ من صنوف اللذات وفنون النعم ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾؛ أي: ما تتمنون وتطلبون، افتعال من الدعاء بمعنى الطلب، والفرق بين الجملتين: أن الأولى باعتبار شهوات أنفسهم، والثانية باعتبار ما يطلبونه، أعم من أن يكون مما تشتهيه أنفسهم أو لا، إذ لا يلزم أن يكون كل مطلوب مشتهًى للنفس، كالفضائل العلمية ونحوها، وعدم الاكتفاء بعطف ﴿مَا تَدَّعُونَ﴾ على ﴿مَا تَشْتَهِيٓ﴾ للإشباع في البشارة، والإيذان باستقلال كل منهما، وقوله: ﴿نُزُلًا﴾ حال من ﴿مَا تَدَّعُونَ﴾؛ أي: من الموصول، أو من ضميره المحذوف، تقديره: ما تدعونه مفيدة لكون ما يدعونه ويتمنونه بالنسبة إلى ما يعطون من عظائم الأمور، كالنزل، وهو: ما يهيأ للنزيل؛ أي: الضيف من الرزق، كأنه قيل: وثبت لكم فيها الذي تدعونه حال كونه كالنزل للضيف، وأما أصل كرامتكم فمما لا يخطر ببالكم، فضلاً عن الاشتهاء أو التمني.

وقرأ الجمهور: ﴿نُزُلًا﴾ بضمتين، وقرأ أبو حيوة بإسكان الزاي؛ أي: حالة كون ما تدعونه نزلاً؛ أي: رزقاً كائناً ﴿مِّنْ﴾ رب ﴿غَفُورٍ﴾ للذنوب العظام، مبدل للسيئات بالحسنات ﴿رَّحِيمٍ﴾ بالمؤمنين من أهل الطاعات بزيادة الدرجات والقربات.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿نُزُلًا﴾؛ أي: فضلاً وعطاءً وتقدمةً لما سيديم إلى الأبد من فنون الأعطاف وأصناف الألطاف، وذلك لأن عطاء الله تعالى يتجدد في كل آن، خصوصاً لأهل الاستقامة من أكامل الإنسان، ويظهر في كل وقت وموطن، ما لم يظهر قبله وفي غيره، ويكون ما في الماضي كالنزل لما يظهر في الحال، ومن هنا قالوا: ما ازداد القوم شرباً إلا ازدادوا عطشاً، وذلك لأنه لا نهاية للسير إلى الله تعالى في الدنيا والآخرة. انتهى.

حكي: أن يحيى بن معاذ الرازي ـ رحمه الله ـ كتب إلى أبي يزيد البسطامي ـ رحمه الله ـ: سكرت من كثرة ما شربت من كأس حبه، فكتب إليه أبو يزيد:

شَرِبْتُ ٱلْحُبَّ كَأْساً بَعْدَ كَأْسٍ فَمَا نَفِدَ ٱلشَّرَابُ وَلاَ رُوِيتُ

﴿وَمَنْ﴾ للاستفهام الإنكاري، وهو مبتدأ، خبره: ﴿أَحْسَنُ﴾. و﴿قَوْلًا﴾ تمييز

محول عن المبتدأ؛ أي: وقول من أحسن ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: من قول من دعا غيره إلى توحيده وطاعته ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ فيما بينه وبين ربه ﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ابتهاجاً وسروراً بأنه منهم، واتخاذاً للإسلام ديناً ونحلةً، إذ لا يقبل طاعةً بغير دين الإسلام، من قولهم: هذا قول فلان؛ أي: مذهبه، لا أنه تكلم بذلك فحسب.

وقرأ ابن أبي عبلة وإبراهيم بن نوح عن قتيبة الميال: ﴿إني﴾ بنون واحدة مشددة، والجمهور: ﴿إِنَّنِى﴾ بها وبنون الوقاية. وفيه رد على من يقول: أنا مسلم - إن شاء الله - فإنه تعالى قال مطلقاً غير مقيد بشرط إن شاء الله. وقال علماء العقائد: إن قاله للشك.. فهو كفر لا محالة، وإن كان للتأدب مع الله، وإحالةً للأمور إلى مشيئة الله تعالى أو للشك في العاقبة والمآل، لا في الآن والحال، أو للتبرك بذكر الله، أو للتبرُّؤ من تزكية نفسه، والإعجاب بحاله.. فجائز، لكن الأولى تركه لما أنه يوهم الشك.

والمعنى: لا أحد أحسن قولاً ممن جمع بين هذه الخصال الثلاث، وحكم الآية عام لكل من جمع ما فيها من الخصال الحميدة، التي هي الدعوة إلى الله والعمل الصالح، وهو تأدية ما فرضه الله عليه مع اجتناب ما حرمه عليه، والقول المذكور؛ أي: كونه من المسلمين ديناً لا من غيرهم، فلا شيء أحسن منه، ولا أوضح من طريقه، ولا أكثر ثواباً من عمله، وإن نزلت في رسول الله ﷺ، أو في أصحابه - رضي الله عنهم - أو في المؤذنين، فإنهم يدعون الناس إلى الصلاة، فالأولى حمل الآية على العموم، كما يقتضيه اللفظ، ويدخل فيها من كان سبباً في نزولها دخولاً أولياً.

فإن قلت: السورة بكاملها مكية بلا خلاف، والأذان إنما شرع بالمدينة.

قلت: يجعل هذا من باب ما تأخر حكمه عن نزوله، وكم في القرآن من هذا النوع، وإليه ذهب بعض الحفاظ كابن حجر وغيره.

فائدة: وأول من أذن في السماء جبرائيل[1]، ثمَّ ميكائيل عليهما السلام عند

---

(١) روح البيان.

البيت المعمور، وأول من أذن في الإسلام بلال الحبشي ـ رضي الله عنه ـ وكان أول مشروعيته في أذان الصبح، قالت النوار أم زيد بن ثابت: كان بيتي أطول بيت حول المسجد، فكان بلال يؤذن فوقه من أول ما أذن، إلى أن بنى رسول الله ﷺ مسجده، فكان يؤذن بعده على ظهر المسجد، وقد رفع له شيء فوق ظهره، وأول من أقام عبد الله بن زيد الأنصاري صاحب رؤيا الأذان، وزاد بلال في أذان الصبح بعد الحَيَّعَلات: الصلاة خير من النوم مرتين، فأقرها النبي ﷺ؛ أي: اليقظة الحاصلة للصلاة، خير من الراحة الحاصلة بالنوم، ويقول المجيب عنده: صدقت وبالخير نطقت، وأول من زاد الأذان الأول في الجمعة عثمان ـ رضي الله عنه ـ زاده ليؤذن أهل السوق فيأتون إلى المسجد، وكان في زمانه ﷺ وزمان أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ أذان واحد حين يجلس الإمام على المنبر، وأول من رزق المؤذنين عثمان ـ رضي الله عنه ـ والجهر في الأذان واجب لإعلام الناس، ولذا سن أن يكون في موضع عال، ولو أذن لنفسه.. خافت، وأما التكبيرات في الصلاة.. فالمؤذن يرفع صوته لتبليغ التكبير لمن بَعُدَ عن الإمام من المقتدين، فإن كان في صوت الإمام كفاية.. فالتبليغ مكروه، كما في «إنسان العيون».

يقول الفقير: أما سر عدد المنارات في الحرم النبوي وهي اليوم خمس.. فإشارة إلى الأوقات الخمسة، فهو صورة الدعوات الخمس في الساعات الأربع والعشرين المشتمل عليها الليل والنهار، وأول من قدر الساعات الاثنتي عشرة نوح عليه السلام في السفينة، ليعرف بها مواقيت الصلوات.

وبعد أن ذكر[1] محاسن الأعمال التي بين العبد وربه، ذكر محاسن الأعمال التي بين العباد بعضهم مع بعض، ترغيباً لرسول الله ﷺ في الصبر على أذى المشركين، ومقابلة إساءتهم بالإحسان، فقال: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ﴾ التي يرضى الله بها ويثيب عليها ﴿وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ التي يكرهها الله ويعاقب عليها، و﴿لا﴾ الثانية: مزيدة لتأكيد النفي؛ أي: لا تستوي الخصلة الحسنة والسيئة في الجزاء وحسن العاقبة، وقد يكون المعنى: ولا تستوي دعوة الرسول إلى الدين الحق بالطرق المثلى، والصبر على سفاهة الكفار وإذايتهم وترك الانتقام منهم، وما أظهروه من

---

(١) المراغي.

الغلظة والفظاظة في قولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾. وقولهم: ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾.

والخلاصة[1]: أن فعلك أيها الرسول حسنة، وأن فعلهم سيئة، فإنك إذا صبرت على أذيتهم وجهالتهم، وتركت الانتقام منهم ولم تلتفت إلى سفاهتهم.. فقد استوجبْتَ التعظيم في الدنيا، والثواب في الآخرة، وهم بالضد من ذلك، فلا يكن إقدامهم على تلك السيئة مانعاً لك من الاشتغال بهذه الحسنة.

وإذا فسرت[2] ﴿ٱلْحَسَنَةُ﴾ و﴿ٱلسَّيِّئَةُ﴾ بالجنس، على أن يكون المعنى: لا تستوي الحسنات، إذ هي متفاوتة في أنفسها كشعب الإيمان التي أدناها إماطة الأذى، ولا السيئات لتفاوتها أيضاً، من حيث إنها كبائر وصغائر.. لم تكن زيادة ﴿لَا﴾ الثانية لتأكيد النفي على ما أشار إليه في «الكشاف».

ولا وجه لتخصيص ﴿ٱلْحَسَنَةُ﴾ بنوع من أنواع الطاعات[3]، وبتخصيص ﴿ٱلسَّيِّئَةُ﴾ بنوع من أنواع المعاصي، فإن اللفظ أوسع من ذلك. وقيل: الحسنة: التوحيد، والسيئة: الشرك. وقيل: الحسنة: المداراة، والسيئة: الغلظة. وقيل: الحسنة: العفو، والسيئة: الانتصار. وقيل: الحسنة: العلم، والسيئة: الفحش.

ثم ذكر بعض الحسنات، ووضحها بذكر بعض ضروبها، فقال: ﴿ٱدْفَعْ﴾ أيها الرسول السيئة حين اعترضتك من بعض أعاديك ﴿بِـ﴾ الخصلة ﴿التي هي أحسن﴾ ما يمكن دفعها به من الحسنات، كالإحسان إلى من أساء، فإنه أحسن من العفو.

والمعنى: أي ادفع سفاهتهم وجهالتهم بالطريق التي هي أحسن الطرق، فقابل إساءتهم بالإحسان إليهم، والذنوب بالعفو، والغضب بالصبر والإغضاء عن الهفوات واحتمال المكاره، فإنك إن صبرت على سوء أخلاقهم مرةً بعد أخرى، ولم يقابل سفههم بالغضب، ولا أذاهم بمثله.. استحيوا من ذميم أخلاقهم، وتركوا قبيح أفعالهم.

وكان ﷺ يقول: «صِلْ من قطعك، واعفُ عمن ظلمك، وأحسنْ إلى من أساء

---

(١) المراغي.
(٢) روح البيان.
(٣) الشوكاني.

إليك»، وما أمر ﷺ غيره بشيء إلا بعد التخلق به وإخراجه[1] مخرج الجواب عن سؤال من قال: كيف أصنع مع أن الظاهر أن يقول: ﴿فادفع﴾ بـ﴿الفاء﴾ السببية للمبالغة؟ ولذلك وضع ﴿أَحْسَنُ﴾ موضع الحسنة؛ لأنه أبلغ في الدفع بالحسنة، فإن من دفع بالحسنى.. هان عليه الدفع بما دونها.

ثم بين نتائج الدفع بالحسنى، فقال: ﴿فَإِذَا﴾ فعلت الدفع المأمور به.. صار ﴿ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ﴾ وشحناء ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾؛ أي: صديق قريب. قال مقاتل: نزلت هذه في أبي سفيان بن حرب، وذلك أنه لان للمسلمين بعد الشدة؛ أي: شدة عداوته للنبي ﷺ بالمصاهرة التي جعلت بينه وبين النبي ﷺ، ثم أسلم فصار وليا بالإسلام، حميماً بالمصاهرة، والأولى حمل الآية على العموم؛ أي: فإذا فعلت ذلك.. صار الذي بينك وبينه عداوة في الدين، كأنه ولي في الدين حميم؛ أي: قريب في النسب؛ أي: صار العدو كالصديق، والبعيد عنك كالقريب منك.

والمعنى[2]: أي إنك إن فعلت ذلك.. انقلبوا من العداوة إلى المحبة، ومن البغض إلى المودة، قال عمر - رضي الله عنه - ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وقال ابن عباس: أمره الله تعالى في هذه الآية بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعل الناس ذلك.. عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم.

وروي: أن رجلاً شتم قنبراً مولى علي بن أبي طالب، فناداه علي: يا قنبر، دع شاتمك والْهُ عنه، ترضِ الرحمن، وتسخط الشيطان، وقالوا: ما عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه، ولله در القائل:

وَلَلْكَفُّ عَنْ شَتْمِ ٱللَّئِيْمِ تَكَرُّمَاً ... أَضَرُّ لَهُ مِنْ شَتْمِهِ حِيْنَ يُشْتَمُ

وقال آخر:

وَمَا شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَىٰ سَفِيْهٍ ... إِذَا سَبَّ ٱلْكَرِيْمَ مِنَ ٱلْجَوَابِ

مُتَارَكَةُ ٱلسَّفِيْهِ بِلاَ جَوَابٍ ... أَشَدُّ عَلَىٰ ٱلسَّفِيْهِ مِنَ ٱلسُّبَابِ

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

وقال محمود الورّاق:

سَأُلْزِمُ نَفْسِيْ ٱلصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ ... وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ لَدَيَّ ٱلْجَرَائِمُ

فَمَا ٱلنَّاسُ إِلاَّ وَاحِدٌ مِنْ ثَلاَثَةٍ ... شَرِيْفٌ وَمَشْرُوْفٌ وَمِثْلٌ مُقَاوِمُ

فَأَمَّا ٱلَّذِيْ فَوْقِيْ فَأَعْرِفُ قَدْرَهُ ... أَتْبَعُ فِيْهِ ٱلْحَقَّ وَٱلْحَقُّ لاَزِمُ

وَأَمَّا ٱلَّذِيْ دُوْنِيْ فَإِنْ قَالَ صُنْتُ عَنْ ... إِجَابَتِهِ عِرْضِيْ وَإِنْ لاَمَ لاَئِمُ

وَأَمَّا ٱلَّذِيْ مِثْلِيَ فَإِنْ زَلَّ أَوْ هَفَا ... تَفَضَّلْتُ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِٱلْحِلْمِ حَاكِمُ

وقال آخر:

إِنَّ ٱلْعَدَاوَةَ تَسْتَحِيْلُ مَوَدَّةً ... بِتَدَارُكِ ٱلْهَفَوَاتِ بِٱلْحَسَنَاتِ

و﴿إذا﴾ في[1] قوله: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى﴾: للمفاجأة، ظرف مكان لمعنى التشبيه، وهذا مبني على القول باسميتها، وجاز تقدم هذا الظرف على عامله المعنوي، مع أنه لا يجوز تقديم معموله عليه؛ لأنه يغتفر في الظروف ما لا يغتفر في غيرها، والموصول: مبتدأ، وجملة التشبيه: خبره، والتقدير: فالذي بينك وبينه عداوة، مشبه في المحبة بالصديق الحميم وقت فعلك ما ذكر.

والمعنى: فإذا فعلت مع عدوك ما ذكر.. فاجأك في الحضرة انقلابه وصيرورته مشابهاً في المحبة بالصديق الذي لم تسبق منه عداوة. اهـ شيخنا.

ثم نبه إلى عظيم فضل هذه الطريقة بقوله: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾؛ أي: وما يلقى هذه الخصلة الحميدة والفعلة الجميلة، وهي دفع السيئة بالحسنة.

وقرأ طلحة بن مصرف وابن كثير[2]: ﴿وما يلاقاها﴾ من الملاقاة من باب فاعل المعتل، وقرأ الجمهور ﴿وما يلقى﴾ من التلقية من فعل المضعف كزكى، كأن هذه الخصلة الشريفة غائبة؛ أي: ما يصادفها وما يوافقها وما يعطاها ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على تحمل المكاره، وتجرع الشدائد، وكظم الغيظ، وترك الانتقام؛ أي: إلا الذين شأنهم الصبر، فإنه يحبس النفس عن الانتقام؛ أي: ومايقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا الصابرون على تحمل المكاره، وتجرع الشدائد، وكظم الغيظ، وترك

---

(١) الفتوحات.

(٢) البحر المحيط.

الانتقام، فإن ذلك يشق على النفوس، ويصعب احتماله في مجرى العادة، إلا على من عصمه الله تعالى ووفقه.

وقال أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ في تفسير ذلك: الرجل يشتمه أخوه فيقول: إن كنت صادقاً.. غفر الله لي، وإن كنت كاذباً.. غفر الله لك ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾؛ أي: وما يوفّقها ﴿إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾؛ أي: إلا صاحب نصيب وافر، وحظ كامل من السعادة في الدنيا والآخرة، ومن الفضائل النفسانية[1]، والقوة الروحانية، فإن الاشتغال بالانتقام لا يكون إلا لضعف النفس وتأثرها من الواردات الخارجية، فإن النفس إذا كانت قوية الجوهر.. لم تتأثر من الواردات الخارجية، وإذا لم تتأثر منها.. لم يصعب عليها تحمّل المكاره، ولم تشتغل بالانتقام.

والحاصل: أنه يلزم تزكية النفس حتى يستوي عندها الحلو والمرّ، ويكون حضور المكروه كغيبته، ففي الآية مدح لهم بفعل الصبر، وقال قتادة: الحظ العظيم: الجنة؛ أي: وما يلقّاها إلا من وجبت له الجنة، وقال الجنيد: وما يوفّق لهذا المقام، إلا ذو حظ عظيم من عناية الحق فيه، وقال ابن عطاء الله: إلا ذو معرفة بالله وأيامه، والحظ: النصيب المقدّر.

ثم ذكر طريقاً لمنع تهييج الشر، ودفع الغضب إذا بدت بوادره، فقال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ أصله: إن ما، على أن ﴿إن﴾: شرطية، و﴿ما﴾: مزيدة لتأكيد معنى الشرط، والنزغ: شبه النخس كما في «الإرشاد» شبه به وسوسة الشيطان لأنها تبعث على الشر، وجعل نازغاً على حدّ جدّ جدّه ف﴿مِنْ﴾ ابتدائية؛ أي: نزغ صادر من جهته، أو المراد: وإما ينزغنك نازغ وصفاً للشيطان بالمصدر، فكلمة ﴿مِنْ﴾: تجريدية جرّد من الشيطان شيطاناً آخر، وسمّاه نازغاً.

والمعنى: وإن يوسوس إليك الشيطان، ويصرفك عما وصيتك به من الدفع بالتي هي أحسن، ودعاك إلى خلافه.. ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ من شرّه، ولا تطعه ﴿إِنَّهُۥ﴾ سبحانه وتعالى ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ باستعاذتك ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بنيّتك، وفي جعل ترك الدفع بالأحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير، قال الدميري في «حياة

---

(١) روح البيان.

الحيوان»: أجمعت الأمة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان، وإنما المراد: تحذير غيره من فتنة القرين، ووسوسته له وإغوائه، فأعلمنا أنه معنا لنحترز عنه حسب الإمكان انتهى.

وحاصل المعنى[1]: أي وإن وسوس إليك الشيطان ليحملك على مجازاة المسيء.. فاستعذ بالله من كيده وشرّه، واعتصم من خطراته، إنه هو السميع لاستعاذتك منه، واستجارتك به من نزغاته، ولغير ذلك من كلامك وكلام غيرك، العليم بما ألقى في روعك من نزغاته، وحدّثتك به نفسك، وما قصدت من صلاح، ونويت من إحسان.

ومن شياطين الإنس من يفعل مثل هذا، فيصرف عن الدفع بالتي هي أحسن، فيقول لك: إن فلاناً عدوّك الذي فعل بك كيت وكيت، فانتهز الفرصة وخذ ثأرك منه، لتعظم في عينه وأعين الناس، ولا يظنن فيك العجز وقلة الهمة وعدم المبالاة، إلى نحو أولئك من العبارات المثيرة للغضب، التي ربما لا يخطر ببال شياطين الجن، نعوذ بالله من شر كل شيطان.

والخلاصة: إنّ صرفك الشيطان عما شرعت فيه من الدفع بالحسنى.. فاستعذ بالله من شره، وامض لشأنك ولا تطعه.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا غضبت وكنت قائماً.. فاقعد، وإن كنت قاعداً.. فقم، فاستعذ بالله من الشيطان» عصمنا الله وإياكم من كيده وشره، ورد مكره إليه، فلا نتوكَّل ولا نعتمد إلا عليه.

فإن قلت[2]: قال هنا: ﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ بزيادة ﴿هُوَ﴾ و﴿أل﴾ وفي الأعراف قال: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ بدونهما، فما الفرق بين الموضعين؟.

قلت: بينهما فرق فارق؛ لأنّ ﴿ما﴾ هنا: متصل بمؤكدين: بالتكرار وبالحصر، فناسب التأكيد بما ذكر، و﴿ما﴾ في الأعراف خال عن ذلك، فجرى على القياس من كون المسند إليه معرفةً والمسند نكرةً.

ثمّ شرع سبحانه في بيان بعض آياته البديعة، الدالة على كمال قدرته وقوة

---

(١) المراغي. (٢) فتح الرحمن.

تصرفه، للاستدلال بها على توحيده، فقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾؛ أي: ومن دلائل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته ﴿ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾؛ أي: تعاقبهما واختلافهما بالزيادة والنقصان، قال الإمام المرزوقي: الليل بإزاء النهار، والليلة بإزاء اليوم. ﴿وَٱلشَّمْسُ﴾ المشتمل عليه النهار ﴿وَٱلْقَمَرُ﴾ المشتمل عليه الليل؛ أي: تذلُّلهما لما يراد منهما، وقدّم الليل على النهار لسابقيته في الوجود، والشمس على القمر لشرفها عليه بأصالة نورها؛ يعني: تعاقب الليل والنهار على الوجه الذي يتفرّع عليه منافع الخلق، ومصالحهم، وتذلُّل الشمس والقمر لما يراد منهما من أظهر العلامات الدالة على وجوده تعالى ووحدانيته، وكمال علمه وحكمته.

والمعنى[1]: أي ومن حجج الله تعالى على خلقه، ودلائله على وحدانيته وعظيم سلطانه الليل والنهار، ومعاقبة كل منهما صاحبه، والشمس ونورها، والقمر وضياؤه، وتقدير منازلهما في فلكيهما، واختلاف سيرهما في السماء، ليعرف بذلك مقادير الليل والنهار، والأسابيع والشهور والأعوام، وبذلك تضبط المعاملات وأوقات العبادات.

ولما كانت الشمس والقمر من أجلّ الأجرام المشاهدة في العالم العلويّ والسفليّ.. نبّه إلى أنهما مخلوقان مسخّران له تعالى، وهما تحت قهره وسلطانه، فلا تعظّموهما وعظّموا خالقهما، فقال: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟﴾ أيها الناس ﴿لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ لأنهما من جملة مخلوقاته المسخرة لأوامره، يجريان لمنافعكم بإجراء الله إياهما طائعين له في جريهما، وهما لا يستطيعان لكم نفعاً ولا ضرًّا ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ الضمير للأربعة[2]، لأنّ حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى، وإن كان المناسب تغليب المذكر، وهو ما عدا الشمس على المؤنث وهو الشمس، أو لأنها عبارة عن الآيات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر؛ للإيذان بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية، بنظمهما في سلك الأعراض التي لا قيام لها بذاتها، وهو السر في نظم الكل في آياته تعالى؛ أي: فله تعالى فاسجدوا، وإياه فاعبدوا دونهما، لأنهما لا فضيلة لهما في أنفسهما، فيستحقا بها العبادة من دون الله، ولو شاء الله.. لأعدمهما أو طمس نورهما، وفي هذا ردّ على الصابئين،

---

(١) المراغي. (٢) روح البيان.

وغيرهم من الناس الذين عبدوا الكواكب والنجوم، وزعموا أنهم بعبادتهم إياها يقصدون الله، فنهوا عن تلك الواسطة، فهذا وجه تخصيص ذكر السجود بالنهي عنه. وقيل: وجه تخصيصه أنه أقصى مراتب العبادة ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ﴾ تعالى لا غيره ﴿تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: إن كنتم تعبدون إياه.. لا تسجدوا لغيره، فإن السجود أقصى مراتب العبادة، فلا بدّ من تخصيصه به تعالى.

فإن قيل[1]: لِمَ لَمْ يجز أن تكون الشمس قبلةً للناس عند سجودهم؟.

قلنا: لأنها جوهر مشرق عظيم الرفعة، لها منافع في صلاح أحوال الخلق، فلو أذن في جعلها قبلةً في الصلاة، بأن يتوجّه إليها، ويرجع ويسجد نحوها.. لربما غلب على بعض الأوهام أن ذلك الركوع والسجود للشمس لا لله، بخلاف الأحجار المعيّنة، فإنها ليس في جعلها قبلةً ما يوهم الإلهية.

﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾؛ أي: تعظّموا عن امتثال أمرك في ترك السجود لغير الله تعالى، وأبوا إلا اتخاذ الواسطة، فذلك لا يقلّل عدد من يخلص عبادته لله تعالى، وقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ علة للجزاء المحذوف؛ أي: فإن الملائكة المقربين عند الله ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ﴾؛ أي: ينزهونه عن الأنداد وسائر ما لا يليق به ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾؛ أي: دائماً وفي جميع الأوقات، وظهر من هذا التقرير أن تخصيص الملائكة مع وجود غيرهم من العبّاد المخلصين؛ لكثرتهم، وأيضاً الشمس والقمر عندهم، فيردّون العبادة عنهما غيرةً بتخصيصها بالله تعالى ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾؛ أي: والحال أن الذين عند ربك لا يملّون عن عبادته وتسبيحه، ولا يفترون عنهما، فإن التسبيح منهم الكتنفس منا.

ومعنى الآية[2]: فإن استكبر هؤلاء المشركون الذين يعبدون هذه الكواكب، وأبوا إلا أن يسجدوا لها وحدها دون الله.. فالله لا يعبأ بهم، فالملائكة الذين في حضرة قدسه، وهم خير منهم لا يستكبرون عن عبادته، بل يسبِّحون له ويصلّون ليلاً ونهاراً وهم لا يَفْتَرون عن ذلك ولا يملُّون.

---

(١) روح البيان. (٢) المراغي.

فصل

وهذه السجدة[1] من عزائم سجود التلاوة، وفي موضع السجود فيها قولان للعلماء: وهما وجهان لأصحاب الشافعي:

أحدهما: أنه عند قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ وهو قول ابن مسعود والحسن، وحكاه الرافعي عن أبي حنيفة وأحمد؛ لأنَّ ذكر السجدة قُبيله.

والثاني: وهو الأصح عند أصحاب الشافعي، وكذلك نقله الرافعي أنه عند قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيِّب وقتادة، وحكاه الزمخشري عن أبي حنيفة؛ لأنَّ عنده يتمّ الكلام.

ولما ذكر الدلائل الفلكية.. أتبعها بذكر الدلائل الأرضية، فقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ الدالة على قدرته تعالى ووحدانيته ﴿أَنَّكَ﴾ يا محمد أو أيها الناظر، فالخطاب هنا لكل من يصلح له أو لرسول الله ﷺ ﴿تَرَى ٱلْأَرْضَ﴾ وتبصرها حال كونها ﴿خَٰشِعَةً﴾؛ أي: يابسةً جدبةً فارغةً من النبات، مستعار من الخشوع بمعنى التذلل ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾ والمطر ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾؛ أي: تحركت بالنبات ﴿وَرَبَتْ﴾؛ أي: انتفخت وعلت قبل أن تنبت لأنّ النبت إذا دنا أن يظهر.. ارتفعت له الأرض وانتفخت، ثم تصدّعت عن النبات؛ أي: انشقّت.

وعلى هذا في الكلام تقديم وتأخير[2]، والتقدير: فإذا أنزلنا عليها الماء.. ربت واهتزّت؛ أي: انتفخت وتحركت بالنبات، وقيل: الاهتزاز والربو قد يكونان قبل خروج النبات، وقد يكونان بعده. وقيل: اهتزّت: استبشرت بالمطر، وربت انتفخت بالنبات.

وقرأ أبو جعفر وخالد ﴿وربأت﴾ بالهمزة ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا﴾ بما ذكر بعد موتها. والاحياء في الحقيقة: إعطاء الحياة، وهي صفة تقتضي الحسّ والحركة، فالمراد بإحياء الأرض: تهييج القوى النامية فيها، وإحداث نضارتها بأنواع النباتات؛ أي: إن الإله الذي أحيا الأرض بالنبات بعد يبسها وجدبها ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ بالبعث والنشور ﴿إِنَّهُۥ﴾ سبحانه ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من الأشياء التي من جملتها الإحياء

---

(١) الخازن.

(٢) الشوكاني.

﴿قَدِيرٌ﴾؛ أي: قادر لا يعجزه شيء كائناً ما كان، وقد وعد بذلك، فلا بد من أن يفي به، والحكمة في إحياء الموتى هي المجازاة والمكافأة.

ومعنى الآية[1]: ومن الدلائل على قدرته تعالى على البعث وإحياء الموتى بعد بلائها، وإعادتها لهيئتها كما كانت من بعد فنائها: أنك ترى الأرض يابسةً غبراء لا نبات بها ولا زرع، فإذا نزل عليها الغيث من السماء.. تحركت بالنبات، وانتفخت وأخرجت ألوان الزرع والثمار، كما يشاهد من ارتفاع الأرض وانتفاخها، ثمَّ تصدّعها وتشقُّقها إذا حان ظهور النبات منها، وتراه يسمو في الجوّ ويغطّي قشرتها، ثم تتشعّب عروقه، وتغلظ سوقه، إن الذي أحيا هذه الأرض الدارسة، وأخرج منها النبات وجعلها تهتز بالزرع، قادر على أن يحيي أموات بني آدم بعد مماتهم، وهو القدير على كل شيء، لا يعجزه شيء كائناً ما كان.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ﴾؛ أي: يميلون عن الاستقامة ﴿فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ والعدل فيها بالطعن فيها، بأنها كذب أو سحر أو شعر، ويتحريفها بحملها على المحامل الباطلة.

وقرأ حمزة: ﴿يلحدون﴾ بفتح الياء والحاء من لحد الثلاثي، وهو بمعنى ألحد. ففي الآية قراءتان سبعيتان. وهما: ضم الياء وكسر الحاء. من ألحد الرباعي، وهي قراءة الجمهور، وفتح الياء والحاء من لحد الثلاثي، وهي قراءة حمزة، وهما لغتان، لحد بمعنى: جار عن الحق، وألحد بمعنى: جادل ومارى ﴿لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ﴾ في وقت من الأوقات، بل نحن نعلمهم فنجازيهم بإلحادهم.

والمعنى: أي إن الذين يميلون عن الحق في حججنا تكذيباً بها، وجحوداً لها، نحن بهم عالمون، لا يخفون علينا، ونحن لهم بالمرصاد إذا وردوا علينا، وسنجازيهم بما يستحقون، ولا يخفى ما في ذلك من شديد الوعيد، كان يقول الملك المعنيب: إن الذين ينازعونني في ملكي أعرفهم، ولا شكّ فهو يريد تهديدهم وإلقاء الرعب في قلوبهم، ثم بيّن كيفية الجزاء والتفاوت بين المؤمن والكافر، فقال ﴿أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التقريري، داخلة على محذوف

---

(١) المراغي.

يقتضيه السياق، و﴿الفاء﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أمن يلحد في آياتنا خير أم من يؤمن بها خير؟ فمن يلقي بإلحاده في النار على وجهه وهم الكفرة بأنواعهم خير، ﴿أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا﴾ بإيمانه من النار ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وهو المؤمنون على طبقاتهم؛ يعني: أن الثاني في المعطوف والمعطوف عليه خير من الأولى. وقابل الإلقاء[1] في النار بالاتيان ﴿ءَامِنًا﴾ مبالغة في مدح حال المؤمنين بالتنصيص على أنهم آمنون يوم القيامة من جميع المخاوف، فلو قال: أم من يدخل الجنة.. لجاز من طريق الاحتمال أن يبدلهم الله من بعد خوفهم أمناً. ولك أن تقول: في الآية احتباك، حذف من الأول مقابل الثاني، ومن الثاني مقابل الأول، والتقدير: أفمن يأتي خائفاً ويلقى في النار خير أم من يأتي آمناً ويدخل الجنة؛ يعني: أن الثاني خير من الأول.

والغرض من هذا الاستفهام[2]: التنبيه على أن الملحدين في الآيات يلقون في النار، وأن المؤمنين بالآيات يأتون آمنين يوم القيامة، حين يجمع الله تعالى عباده للعرض عليه للحكم بينهم بالعدل. اهـ «خطيب». وترسم ﴿أَم﴾ مفصولةً مِنْ مَنْ اتباعاً لمصحف الإمام، كما ذكره شيخ الإسلام في «شرح الجزرية».

ومعنى الآية: أفمن يلقى في النار لإلحاده بالآيات وتكذيبه للرسل، خير أم من آمن بها وجاء يوم القيامة من الآمنين، حين يجمع الله العباد للمجازاة، لا شكّ أنهما لا يستويان.

وظاهر الآية: العموم، وتمثيل حال المؤمن والكافر. وقيل: المراد بـ﴿من يلقى في النار﴾: أبو جهل، وبـ﴿من يأتي آمنا﴾: النبي ﷺ، وقيل: حمزة، وقيل: عمر بن الخطاب، وقيل: أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وحملها على العموم أولى، اعتباراً بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وبعد أن أبان لهم عاقبة الملحدين بالآيات والمؤمنين بها.. هدَّدهم بقوله: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ من الأعمال المؤدّية إلى ما ذكر من الإلقاء في النار، والاتيان آمناً، وآثروا ما شئتم، فقد علمتم مصير المسيء والمحسن، ولا تضرّون إلا

---

(١) روح البيان. (٢) الفتوحات.

أنفسكم، فمن أراد الجزاء.. فليعمل له، فإنه لامقيه، وفيه تهديد شديد؛ لظهور أن ليس المقصود الأمر بكل عمل شاؤوا. قال في «الأسئلة المقحمة»: هو أمر وعيد، ومعناه: أن المهلة ما هي لعجز ولا لغفلةٍ، وإنما يعجل من يخاف الفوت، وهو أبلغ أسباب الوعيد ﴿إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم بحسب أعمالكم؛ أي: إنه بأعمالكم ذو خبرة وعلم لا تخفى عليه خافية منها ولا من غيرها، وهو مجازيكم بحسب أعمالكم خيراً أو شرًّا.

ثمّ بيّن أولئك الملحدين بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ﴾؛ أي: بالقرآن، فيكون[1] من وضع الظاهر موضع ضمير الآيات؛ أي: إن الذين بادهوا القرآن بالكفر والإنكار عليه ﴿لَمَّا جَآءَهُمۡۖ﴾؛ أي: حين جاءهم، وأول ما سمعوه من غير إجالة فكر وإعادة نظر، وكذّبوا به على البديهة قبل التدبّر ومعرفة التأويل، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بدل من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ﴾ إلخ. بدل الكل بتكرير العامل، وخبر ﴿إِنَّ﴾ هو الخبر السابق، وهو ﴿لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ﴾؛ لأنّ إلحادهم في الآيات كفر بالقرآن، فلهذا اكتفي بخبر الأول عن الثاني، إلا أنه غير معهود إلا في الجار والمجرور لشدة الاتصال. قال الرضي: ولا تكرر في اللفظ في البدل من العوامل إلا حرف الجر؛ لكونه كبعض حروف المجرور، وقيل: مستأنف، وخبرها محذوف، مثل: ﴿سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا﴾ وذلك بعد قوله: ﴿حَمِيدٖ﴾. وقال الكسائي: سدّ مسدّه الخبر السابق، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾؛ أي: وإن الذكر إلخ. جملة حالية من ﴿الذكر﴾ مفيدة لغاية شناعة الكفر به؛ أي: إن الذين كفروا بالذكر، والحال أن الذكر ﴿لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾؛ أي: كثير المنافع، عديم النظير لا يخفون علينا، أو سوف نصليهم ناراً، فهو[2] من العز الذي هو خلاف الذل، أو منيع لا تتأتى معارضته وإبطاله وتحريفه، فهو من العزة بمعنى الغلبة، فالقرآن وإن كان لا يخلو عن طعنٍ باطلٍ من الطاعنين، وتأويل فاسد من المبطلين، إلا أنه يؤتى بحفظةٍ، ويقدّر له في كل عصر منعة يحرسونه بإبطال شبه أهل الزيغ والأهواء، وردّ تأويلاتهم الفاسدة، فهو غالب بحفظ الله إياه، وكثرة منعته على كل من يتعرض له بالسوء.

وقوله: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾؛ أي: التكذيب ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾؛ أي: من الكتب

---

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

السابقة عليه، كالتوراة والإنجيل والزبور ﴿وَلَا﴾ يأتي ﴿مِنْ خَلْفِهِۦ﴾؛ أي: من بعده كتاب يكذّبه وينسخه. قاله سعيد بن جبير والكلبي، صفة أخرى لـ﴿كِتَٰبٌ﴾ أو المعنى: لا يتطرّق إليه الباطل، ولا يجد إليه سبيلاً من جهة من الجهات الست، حتى يصل إليه ويتعلق به؛ أي: متى راموا إبطالاً له لم يصلوا إليه، ذكر أظهر الجهات وأكثرها في الاعتبار وهو جهة القدّام والخاف، وأريد الجهات بأسرها، فيكون قوله: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ...﴾ إلخ، استعارةً تمثلية، شُبّه الكتاب في عدم تطرّق الباطل إليه بوجه من الوجوه، بمن هو محمي بحماية غالب قاهر يمنع جاره من أن يتعرض له العدو من جهة من جهاته، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، بأن عبّر عن المشبّه بما عبّر به عن المشبّه به، فقال: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ...﴾ إلخ. أو المعنى: لا يأتيه الباطلُ فيما أخبر عما مضي، ولا فيما أخبر عن الأمور الآتية، أو الباطل هو الشيطان؛ أي: لا يستطيع أن يزيد فيه ولا ينقص منه. وقال الزجاج: معناه: أنه محفوظ من أن ينقص منه، فيأتيه الباطل من بين يديه، أو يزاد فيه، فيأتيه الباطل من خلفه. وبه قال قتادة والسدّي.

قصارى ذلك: أنَّ الباطل لا يتطرّق إليه، ولا يجد إليه سبيلاً من جهة من الجهات حتى يصل إليه، فكل ما فيه حق وصدق، وليس فيه ما لا يطابق الواقع، ﴿تَنزِيلٌ﴾؛ أي: هو تنزيل، أو[1] صفة أخرى لـ﴿كِتَٰبٌ﴾ مفيدة لفخامته الإضافية بعد إفادة فخامته الذاتيه، وكل ذلك لتأكيد بطلان الكفر بالقرآن ﴿مِّنْ حَكِيمٍ﴾؛ أي: حكيم مانع عن تبديل معانيه بإحكام مبانيه ﴿حَمِيدٍ﴾؛ أي: حميد مستحق للتحميد بإلهام معانيه، أو يحمده كل خلق في كل مكان بلسان الحال والمقال بما وصل إليه من نعمه، أو المعنى: هو تنزيل من عند ذي الحكمة بتدبير شؤون عباده، المحمود على ما أسدى إليهم من النعم التي منها تنزيل هذا الكاتب، بل هو أجلّها.

ثم سلّى سبحانه رسوله ﷺ عن ما كان يتأثر له، من أذيّة الكفار، فقال: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾؛ أي: ما يقال في شأنك وفي شأن ما أنزل إليك من القرآن من جهة كفّار قومك ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ من جهة قومهم؛ أي: إلا مثل ما قد قيل في حقهم وفي حق الكتاب السماوية المنزّلة عليهم، مما لا خير فيه، من الساحر

---

(١) روح البيان.

والكاهن والمجنون والأساطين ونحوها؛ أي[1]: ما يقول لك هؤلاء المشركون المكذّبون ما جئتهم به من عند ربّك، إلا مثل ما قالته الأمم التي كذّبت رسلها من قبلهم، فاصبر على ما نالك منهم من أذًى كما صبر أولو العزم من الرسل. وقد يكون المعنى: ما يقال لك من التوحيد، وإخلاص العبادة له إلا ما قد قيل للرسل من قبلك، فإن الشرائع كلها متفقة على ذلك التوحيد، وإن اختلفت في غيره تبعاً للزمان والمكان. وقيل[2]: هو استفهام؛ أي: أيُّ شيء يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك؟ ونحو الآية على المعنى الأول قوله: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ وعلى المعنى الثاني قوله: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾.

ثمَّ ذكر علة أمره بالصبر فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَذُو مَغۡفِرَةٍ﴾ لأنبيائه ومن آمن بهم ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ لأعدائهم الذين لم يؤمنوا بهم. وبما أنزل إليهم، والتزموا الأذيّة بهم، وقد نصر من قبلك من الرسل، وانتقم من أعدائهم، وسيفعل مثل ذلك بك وبأعدائك أيضاً، أو المعنى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٍ﴾ لمن يستحق مغفرته من الموحّدين، الذين بايعوك وبايعوا من قبلك من الأنبياء ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ للكفار المكذّبين، المعادين لرسل الله تعالى. أو المعنى[3]: إن ربك لذو مغفرة للتائبين إليه من ذنوبهم، بالصفح عنهم، وذو عقاب مؤلم لمن أصرّ على كفره، ومات على ذلك قبل التوبة.

وفي الآية[4]: إشارة إلى حال العلماء والدعاة، فإنهم ورثة الأنبياء، فلهم أعداء وحسّاد يطلقون ألسنتهم في حقهم باللوم والطعن بالجنون والجهل ونحو ذلك، ولكنهم يصبرون على الجفاء والأذىٰ، فيظفرون بمراداتهم كما صبر الأنبياء فظفروا، وفي آية أخرى: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٌ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ﴾؛ أي: ظاهراً بهلاك قومهم، أو بإجابة الدعوة وباطنا بالتخلق بالأخلاق الإلهية مثل الصبر، فإنه نصر أيُّ نصر، إذ به يحصل المرام، وبالصبر ينقلب الإنسان

---

(١) المراغي.

(٢) الشوكاني.

(٣) المراغي.

(٤) روح البيان.

من حال إلى حال أخرى أحسن من الأولى، كما ينقلب النحاس بالإكسير فضةً أو ذهباً.

ودلّت الآية أيضاً[1]: على أنه ليس من الحكمة أن يقطع لسان الخلق بعضهم عن بعض، ألا ترى أنه تعالى لم يقطع لسان الخلق عن ذاته الكريمة، حتى قالوا في حقه تعالى: إن له صاحبةً وولداً ونحو ذلك، فكيف غيره تعالى من الأنبياء والمرسلين والعلماء والمقرّبين، فالنار لا ترتفع من الدنيا إلا يوم القيامة، وإنما يرتفع الاحتراق بها، كما وقع لإبراهيم عليه السلام وغيره من الخواص، فكل البلايا كالنار، فبطون العلماء والأولياء وقلوب الصديقين في سلامة من الاحتراق بها، فإنه لا يجري إلا ما قضاه الله تعالى، ومن آمن بقضاء الله.. سَلِمَ من الاعتراض والانقباض، وهكذا شأن الكبار، نسأل الله الغفّار السلامة من عذاب النار.

ثمَّ أجاب عن شبهةٍ قالوها: وهي هلا نزل القرآن بلغة العجم، فقال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾؛ أي: ولو جعلنا هذا الذكر والقرآن الذي تقرؤُهُ على الناس ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾؛ أي: قرآناً منتظماً على لغة العجم مؤلفاً عليها. والأعجمي في الأصل يقال لذات من لا يفصح عن مراده بلغة لسانه، وإن كان من العرب، ولكلامه الملتبس الذي لا يوضّح المعنى المقصود، أطلق ههنا على كلام مؤلّف على لغة العجم بطريق الاستعارة، تشبيهاً له بكلام من لا يفصح، من حيث إنه لا يفهم معناه بالنسبة إلى العرب، وهذا جواب لقول قريش تعنّتاً: هلاّ أنزل القرآن بلغة العجم.. ﴿لَّقَالُواْ﴾: جواب ﴿لو﴾ الشرطية؛ أي: لقال كفار قريش: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾؛ أي: هلاّ بيّنت آياته، وفصلت دلائله بلسان نفقهه من غير ترجمان عجمي، وهو من كان منسوباً إلى أمة العجم فصيحاً كان أو غير فصيح، و﴿لَوْلَا﴾ هنا: حرف تحضيض بمعنى: هلاّ، وحرف التحضيض إذا دخل على الماضي.. كان معناه: اللوم والتوبيخ على ترك الفعل، فهو في الماضي بمعنى الإنكار.

والاستفهام في قوله: ﴿ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ للإنكار، وهو من جملة كلام المشركين، مقرر للإنكار المفهوم من التحضيض، والأعجمي: كلام لا يفهم معناه،

---

(١) روح البيان.

ولغة العجم كذلك بالنسبة إلى العرب. و﴿الهمزة﴾ الأولى فيه: للاستفهام الإنكاري، والثانية: جزء كلمة، و﴿الياء﴾: فيه ليست للنسبة، بل للمبالغة في الوصف كالأحمري.

والمعنى: ولو جعلناه قرآناً أعجمياً.. لأنكروا وقالوا: لولا فصلت آياته بلسان نفهمه، إن كان من عند الله أهو؛ أي: القرآن أعجميٌّ وهو؛ أي: المرسل به أو المرسل إليه عربي، فكيف يرسل الكلام العجمي مع الرسول العربي؟ أو كيف يرسل الكلام العجميّ إلى القوم العربي؟ لحصول التنافي بين الكلام وبين الآتي به، أو بين الكلام وبين المخاطب به، مع كون المرسل إليه أمةً جمةً.

وحاصل المعنى: أي[1] ولو جعلنا هذا القرآن الذي أنزل إليك بلغة العجم.. لقال قومك من قريش: هلا بينت أدلته وما فيه من حكم وأحكام بلغة العرب، حتى نفقهه ونعلم ما هو وما فيه وكانوا يقولون منكرين: أقرآن أعجمي ولسان المرسل إليهم عربي.

وخلاصة ذلك: لو نزل بلسان أعجمي.. لقالوا: هلاّ بيّنت آياته باللسان الذي نفهمه، ولقالوا: أكلام أعجمي، والمرسل إليهم عرب خلص.

قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي والأعمش وحفص[2]: بهمزتين محققتين، وقرأ الجمهور: ﴿أأعجمي﴾ بهمزة الاستفهام بعدها مدة هي حمزة أعجمي، وقياسها في التخفيف: التسهيل بين بين؛ أي: وقالوا منكرين: أهو قرآن أعجمي ورسول عربي أو مرسل إليه عربي؟ وتأوله ابن جبير أن معنى قوله: أعجمي وعربي؛ أي: أهو قرآنٌ أعجمي ونحن عرب؟ مالنا وللعجمة؟ وقرأ الحسن وأبو الأسود والجحدري وسلاّم والضحاك وابن عباس وابن عامر: بخلاف عنهما، وأبو العالية ونصر بن عاصم وهشام: بهمزة واحدة هي أصل الكلمة وسكون العين بدون استفهام ولا إنشاء، والكلام حينئذ على الإخبار، والتفصيل في قوله: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ﴾ بمعنى: التفريق والتمييز، لا بمعنى التبيين، كما في القراءة الأولى، والمعنى حينئذ: ولو جعلنا المنزّل كله أعجميًا.. لقالوا: لولا فصلت آياته وميّزت، بأن جعل بعضها

---

(١) المراغي. (٢) البحر المحيط.

أعجمياً لإفهام العجم، وبعضها عربياً لإفهام العرب، فهو؛ أي: القرآن حينئذ أعجمي وعربي.

وقرأ عمرو بن ميمون: ﴿أعجمي﴾ بهمزة استفهام وفتح العين.

والمقصود من هذا الكلام[1]: بيان أنّ آيات الله على أيّ وجه جاءتهم.. وجدوا فيها متعنتاً يتعلّلون به؛ لأنّ القوم غير طالبين للحق، وإنما يتبعون أهواءَهم. وفي «التأويلات النجمية»: يشير سبحانه إلى إزالة العلة وإزاحتها لمن أراد أن يعرف صدق الدعوة وصحة الشريعة، فإنه لا نهاية للتعليل بمثل هذه التعلُّلات؛ لأنه تعالى لو جعل القرآن أعجمياً وعربياً.. لقالوا: لولا جعله عبرانياً وسريانياً.

ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يجيبهم ببيان حال القرآن لدى المؤمنين والكافرين، فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين، ردًّا على قولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ...﴾ إلخ: ﴿هُوَ﴾؛ أي: هذا الذكر والقرآن ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى﴾ يهديهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم ﴿وَشِفَآءٞ﴾ لما في الصدور من شكّ وشبهة، ولما في الأبدان من الأسقام والآلام؛ أي: قل[2] لهم: إن هذا القرآن الذين صدقوا بما جاء به من عند ربهم هادٍ إلى الحق، شافٍ لما في الصدور من ريبة وشك، ومن ثم جاء بلسانهم معجزاً بيّناً في نفسه، مبيّنا لغيره، ونحو الآية قوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ﴾ أو هو شفاء[3] حيث استراحوا به من كدّ الفكرة، وتحير الخواطر، أو شفاء لضيق صدور المريدين؛ لما فيه من التنعم بقراءَتِهِ، والتلذذ بالتفكر فيه، أو شفاء لقلوب المحبين من لواعج الاشتياق، لما فيه من لطائف المواعيد، أو شفاء لقلوب العارفين، لما يتوالى عليها من أنوار التحقيق، وآثار خطاب الرب العزيز.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ به ولا يصدقونك، مبتدأ، خبره: قوله: ﴿فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ﴾؛ أي: ثقل وصمم على أن التقدير هو؛ أي: القرآن في آذانهم وقر، على أن ﴿وَقۡرٞ﴾[4]: خبر للضمير المقدر و﴿فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ﴾: متعلق بمحذوف وقع حالاً عن

---

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) روح البيان.

(٤) روح البيان.

﴿وَقْرٌ﴾ لبيان محل الوقر، وهو أوفق لقوله: ﴿وَهُوَ﴾؛ أي: القرآن ﴿عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على الكفار المعاندين ﴿عَمًى﴾ وذلك لتصاممهم عن سماعه، وتعاميهم عما يريهم من الآيات، وهو بفتح الميم المنونة؛ أي: ذو عمى على معنى عميت قلوبهم عنه، وهو مصدر عمي يعمىٰ كعلم كما سيأتي. وفي «المفردات»: محتمل لعمى البصر والبصيرة جميعاً.

وقرأ الجمهور[1]: ﴿عَمًى﴾ بفتح الميم منوناً على أنه مصدر عمي، وقرأ ابن عباس وعبد الله بن الزبير وابن عمر ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وابن هرمز: ﴿عمٍ﴾ بكسر الميم وتنوينه على أنه اسم منقوص وصف به مجازاً، وقرأ عمرو بن دينار[2]: بكسر الميم وفتح الياء على أنه فعل ماض، واختار أبو عبيدة القراءة الأولى لقوله أولاً: ﴿هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ ولم يقل: هاد وشاف.

والمعنى: أي والذين لا يؤمنون بالله ورسوله، وبما جاءهم به من عنده في آذانهم ثقل عن استماع هذا القرآن، فلا يستمعون له، بل يعرضون عنه، وهو عليهم عمىً، فلا يبصرون حججه ومواعظه، ونحو الآية قوله في وصفه: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾.

ثم مثل حالهم باعتبار عدم فهمهم له بحال من ينادى من مكان بعيد لا يسمع من يناديه، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ البعداء الموصوفون بما ذكر من التصامم عن الحق الذي يستمعونه، والتعامي عن الآيات الظاهرة التي يشاهدونها ﴿يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم للقرآن، بمن ينادى ويصاح به من مسافة بعيدة، لا يكاد يسمع من مثلها الأصوات.

قال الفراء: تقول للرجل الذي لا يفهم كلامك: أنت تنادى من مكان بعيد، ولثاقب الرأي إنك لتأخذ الأمور من مكان قريب، وقال مجاهد: من مكان بعيد من قلوبهم، وقال الضحاك: ينادون القيامة بأقبح أسمائهم من مكان بعيد؛ يعني: يقال: يا فاسق يا منافق يا كذا ويا كذا، فيكون ذلك أشد لتوبيخهم وخزيهم.

ثم بين أن هؤلاء المكذبين ليسوا بدعاً بين الأمم في تكذيبهم بالقرآن، فقد

---

(١) البحر المحيط. (٢) الشوكاني.

اختلف من قبلهم في التوراة، فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: وعزتي وجلالي لقد آتينا موسى بن عمران الكتاب، وأنزلنا عليه التوراة ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِۗ﴾؛ أي: في ذلك الكتاب، فمن مصدق له ومن مكذب، وغيّروه من بعده بخمس مئة عام، وهكذا حال قومك في شأن ما آتيناك من القرآن، فمن مؤمن به ومن كافر، وإن كانوا لا يقدرون على تحريفه، فإنا له لحافظون، فالاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة للأمم، غير مختص بقومك، ففيه تسلية له ﷺ.

والمعنى: أي والله لقد أرسلنا موسى وآتيناه التوراة فاختلفوا فيها، فمن مصدق بها ومن مكذب، وهكذا شأن قومك معك، فمن مصدق بكتابك ومن مكذب به، فلا تأس على ما فعلوا معك، واسلك سبيل أولي العزم من الرسل، صلوات الله عليهم أجمعين، فقد أوذوا وصبروا، وكان النصر حليفهم، والتوفيق أليفهم، وكتب الله لهم الفَلَجَ والظفر والفوز على أعدائهم المشركين، وأهلك الله القوم الظالمين.

ثم أخبر سبحانه أنه أخر عذابهم إلى حين، ولم يعاجلهم بالعقاب على ما اجترحوا من تكذيب الرسول، وجحدهم بكتابه، فقال: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ وقضاء نفذ منه في حق أمتك المكذبة، وهي العدة بتأخير عذابهم، وتأخير الفصل بينهم وبين المؤمنين من الخصومة إلى يوم القيامة بنحو قوله سبحانه: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ وقوله: ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾. ﴿لَقُضِيَ﴾ في الدنيا، وحكم ﴿بَيْنَهُمْۚ﴾؛ أي: بين المكذبين والمؤمنين باستئصال المكذبين، كما فعل بمكذبي الأمم السالفة.

يقول الفقير: وإنما[1] لم يفعل الاستئصال، لأن نبينا ﷺ كان نبي الرحمة، ولأن مكة كانت مهاجر الأنبياء والمرسلين، ومهبط الملائكة المقربين، بأنواع رحمة رب العالمين، فلو وقع فيها الاستئصال.. لكانت مثل ديار عاد وثمود، ووقعت النفرة منها لقلوب الناس، وقد دعا إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ فكان من حكمته أن لا يجعل الحرم المبارك الآمن مصارع السوء، وأن يقيه من نتائج سخطه. انتهى.

---

(١) روح البيان.

والمعنى[1]: أي ولولا ما سبق من قضاء الله وحكمه فيهم بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة.. فعجل الفصل بينهم فيما اختلفوا فيه، بإهلاك المكذبين، كما فعل بمكذبي الأمم السالفة.

ثم بين ما يقتضي إهلاكهم فقال: ﴿وَإِنَّهُمْ﴾؛ أي: وإن كفار قومك ﴿لـ﴾ كائنون ﴿في شك﴾ وريب ﴿مِّنْهُ﴾؛ أي: من حقية هذا القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾؛ أي: موجب ذلك الشك للاضطراب فيه موقع في الإنكار به، والشك: عبارة عن تساوي الطرفين في التردد فيهما من غير ترجيح، والوهم: ملاحظة الطرف المرجوح، وكلاهما تصور لا حكم معه؛ أي: لا تصديق معه أصلاً، وقيل: إن المراد بالكناية: اليهود؛ أي: وإنهم في شك من التوراة مريب، والأول أولى.

أي: وإن قومك يا محمد لفي شك من أمر القرآن موجب لقلقهم واضطرابهم، فما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم حين قالوا ما قالوا، بل كانوا شاكين غير محققين لشيء مما كانوا فيه من عنادك ومقاومة دعوتك.

ثم بين أن الجزاء من جنس العمل، وأنه لا يظلم ربك أحداً، فقال: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾؛ أي: عمل عملاً صالحاً؛ أي: عملاً موجباً لصلاح صاحبه، بأن آمن بالكتب وعمل بموجبها ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾؛ أي: فعمله أو فنفعه لنفسه لا لغيره ﴿وَمَنْ أَسَآءَ﴾؛ أي: ومن عمل عملاً فيه إساءة أدب الله ورسوله، بأن كذب كتب الله ورسله، وعمل بخلاف ما أمر به ونهى عنه ﴿فَعَلَيْهَا﴾؛ أي: فعلى نفسه ضرر إساءته وعقابها، لا على غيرها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

والمعنى: أي من عمل بطاعة الله في هذه الحياة الدنيا، فائتمر بأمر، انتهى عما نهى عنه.. فلنفسه جزاء عمله وثوابه؛ لأنه يجازى عليه الجزاء الذي هو له أهل، فينجو من النار ويدخل جنة النعيم، ومن عصى الله سبحانه.. فعلى نفسه جنى؛ لأنه أكسبها سخطه وأليم عذابه، وقد قالوا في أمثالهم: إنك لا تجنى من الشوك العنب.

﴿وَمَا رَبُّكَ﴾ أيها الرسول ﴿بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾؛ أي: بحامل عقوبة ذنب على غير

---

(١) المراغي.

مكتسبه، فلا يُعذِبُ أحداً إلا بذنبه، ولا يقع منه الظلم لأحدٍ، كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾ بل هو[1] العادل المتفضل، الذي يجازي كل أحد بكسبه، وهو اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله، مبني على تنزيل ترك إثابة المحسن بعمله، أو إثابة الغير بعمله، وتنزيل التعذيب بغير إساءة، أو بإساءة غيره منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه سبحانه؛ أي: هو تعالىٰ منزه عن الظلم، يقال: من ظلم وعلم أنه يظلم.. فهو ظلام، وقال بعضهم: أصله: وما ربك بظالم، ثم نقل مع نفيه إلى صيغة المبالغة، فكانت المبالغة راجعةً إلى النفي، على معنى أن الظلم منفي عنه نفياً مؤكداً مضاعفاً، ولو جعل النفي داخلاً على صيغة المبالغة بتضعيف ظالم بدون نفيه، ثم أدخل عليه النفي.. لكان المعنى: أن تضعيف الظالم منفي عنه تعالى، ولا يلزم منه نفيه عن أصله، والله تعالى منزه عن الظلم مطلقاً. ويجوز أن يقال: صيغة المبالغة باعتبار كثرة العبد، لا باعتبار كثرة الظلم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾.

وفي الحديث القدسي: «إني حرمت الظلم على نفسي، وعلى عبادي فلا تظالموا» والظلم: هو التصرف في ملك الغير، أو مجاوز الحد، وهذا محال في حق الله تعالى؛ لأن العالم كله ملك له سبحانه وتعالى، وليس فوقه أحد يحد له حداً فيتجاوز عنه.

فالمعنى: تقدست وتعاليت عن الظلم، وهو ممكن في حق العباد، ولكن الله منعهم عنه.

وفي الحديث: «من مشى خلف ظالم سبع خطوات.. فقد أجرم. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾. وفي آخر: «من مشى مع ظالم ليعينه، وهو يعلم أنه ظالم.. فقد خرج عن الإسلام».

الإعراب

﴿۞ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ٢٥﴾.

---

(١) روح البيان.

﴿وَقَيَّضْنَا﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿قضينا﴾: فعل وفاعل، والجملة: مستأنفة. ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به. ﴿قُرَنَاءَ﴾: مفعول به. ﴿فَزَيَّنُوا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿زينوا﴾: فعل وفاعل، معطوف على ﴿قضينا﴾. ﴿لَهُمْ﴾: متعلق بـ﴿زينو﴾، ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿زينوا﴾. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف متعلق بمحذوف صلة لـ﴿مَا﴾، ﴿أَيْدِيهِمْ﴾: مضاف إليه. ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: معطوف على ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾. ﴿وَحَقَّ﴾: فعل ماض، معطوف على ﴿قضينا﴾. ﴿عَلَيْهِمُ﴾: متعلق بـ﴿حق﴾. ﴿الْقَوْلُ﴾: فاعل. ﴿فِي أُمَمٍ﴾: متعلق بمحذوف حال من ضمير ﴿عَلَيْهِمُ﴾؛ أي: حق عليهم القول كائنين في جملة أمم، أو مندرجين في جملة أمم، ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق. ﴿خَلَتْ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر، والجملة: صفة لـ﴿أُمَمٍ﴾. ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ متعلق بـ﴿خَلَتْ﴾. ﴿مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾: متعلق بمحذوف صفة ثانية لـ﴿أُمَمٍ﴾ أو حال منها لتخصصها بالصفة. ﴿إِنَّهُمْ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿كَانُوا خَاسِرِينَ﴾: في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل استحقاقهم العذاب.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧)﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ﴾: فعل وفاعل. ﴿كَفَرُوا﴾: فعل وفاعل، صلة الموصول، وجملة القول: مستأنفة مسوقة لتقرير حالهم ومكابرتهم عند قراءة القرآن. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة، ﴿تَسْمَعُوا﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لَا﴾ الناهية، والجملة: في محل النصب مقول لـ﴿قال﴾ ﴿لِهَذَا﴾: متعلق بـ﴿تَسْمَعُوا﴾. ﴿الْقُرْآنِ﴾: بدل من اسم الإشارة. ﴿وَالْغَوْا﴾: فعل أمر وفاعل، معطوف على ﴿لَا تَسْمَعُوا﴾. ﴿فِيهِ﴾: متعلق بـ﴿الْغوا﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿تَغْلِبُونَ﴾: خبره، وجملة ﴿لعل﴾: في محل النصب مقول ﴿قال﴾ على أنها مسوقة لتعليل الأمر قبلها. والمراد بالغلبة: حمله على السكوت عن القراءة؛ لئلا يستهوي القلوب ويستميلها بقراءة ما لم تعهده من بيان. ﴿فَلَنُذِيقَنَّ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت حال الذين كفروا ومكابرتهم عند قراءة القرآن، وأردت بيان عاقبتهم.. فأقول لك: لنذيقن... إلخ. و﴿اللام﴾: موطئة للقسم ﴿نذيقن﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله، مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ مفعول به أول، والجملة: جواب القسم لا محل لها، وجملة القسم: مقول لجواب إذا المقدرة. وجملة إذا المقدرة: مستأنفة. وجملة ﴿كَفَرُوا۟﴾: صلة الموصول ﴿عَذَابًا﴾: مفعول ثان لـ﴿نذيقن﴾. ﴿شَدِيدًا﴾: صفة ﴿عَذَابًا﴾. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم. ﴿نجزين﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ونون توكيد ومفعول أول، والجملة: معطوفة على جملة ﴿نذيقن﴾. ﴿أَسْوَأَ﴾: مفعول ثان لـ﴿نجزينهم﴾. ﴿ٱلَّذِى﴾: مضاف إليه. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَعْمَلُونَ﴾: خبره، وجملة ﴿كَانُوا۟﴾: صلة الموصول.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ. ﴿جَزَآءُ﴾: خبره، والجملة: مستأنفة. ﴿أَعْدَآءِ ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلنَّارُ﴾: خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: جزاؤهم النار، أو مبتدأ، خبره: ما بعده، وهذا الإعراب هو الأوضح في معنى الكلام، وأما جعله بدلاً أو عطف بيان لجزاء.. فمعترض بأن علامة البدل: صحة حلوله محل المبدل عنه، فيصير التقدير: ذلك المذكور من الإذاقة والجزاء النار، وهذا لا يصح. ﴿لَهُمْ﴾: خبر مقدم. ﴿فِيهَا﴾: حال من دار الخلد. و﴿دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية: إما خبر عن النار بناءً على إعرابها مبتدأ، أو حال منها، أو مستأنفة مستقلة مقررة لما قبلها، وهذا أقعد بمكان البلاغة كما سيأتي. ﴿جَزَآءًۢ﴾: مفعول مطلق منصوب بفعل مقدر، وهو مصدر مؤكد لعامله، تقديره: يجزون جزاء، والجملة: مستأنفة، أو منصوب بالمصدر المذكور قبله، أو مصدر واقع موقع الحال من النار. ﴿بِمَآ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿جَزَآءُ﴾ الثاني أو الأول. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ناقص واسمه، ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: متعلق بـ﴿يَجْحَدُونَ﴾ لتضمنه معنى يكفرون، وذلك أولى من جعلها زائدة، وجملة ﴿يَجْحَدُونَ﴾: خبر ﴿كان﴾ وجملة ﴿كان﴾: صلة لما الموصولة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿كَفَرُوا۟﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿رَبَّنَآ﴾: منادى مضاف حذف منه حرف النداء، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿أَرِنَا﴾ ﴿أر﴾: فعل دعاء سلوكاً مسلك الأدب مع الباري

سبحانه، مبني على حذف حرف العلة، وفاعله: ضمير مستتر يعود على الله. و﴿نا﴾: مفعول أول، ﴿ٱلَّذَيْنِ﴾: مفعول ثان له، والجملة الفعلية: في محل النصب مقول ﴿قال﴾ على كونها جواب النداء؛ لأن الرؤية بصرية، وقد عديت إلى اثنين بالهمزة، وجملة ﴿أَضَلَّانَا﴾: صلة لـ﴿ٱلَّذَيْنِ﴾، ﴿مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾: جار ومجرور حال من فاعل ﴿أَضَلَّانَا﴾. ﴿نَجْعَلْهُمَا﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر ومفعول أول مجزوم بالطلب السابق. ﴿تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿نجعل﴾ على كونه مفعولاً ثانياً له، والجملة الفعلية: لا محل لها من الإعراب، لأنها جملة جوابية. ﴿لِيَكُونَا﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل. ﴿يكونا﴾: فعل مضارع ناقص واسمه، منصوب بأن مضمرة بعد لام كي ﴿مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾: جار ومجرور خبر ﴿يكونا﴾، والجملة الفعلية مع أن المضمرة: في تأويل مصدر مجرور باللام، والجار والمجرور: متعلق بـ﴿نَجْعَلْهُمَا﴾؛ أي: نجعلهما تحت أقدامنا لإرادة كونهما من الأسفلين في النار.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾: ناصب واسمه. ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية: في محل النصب مقول ﴿قَالُواْ﴾. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وترتيب. ﴿ٱسْتَقَٰمُواْ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿قَالُواْ﴾، ﴿تَتَنَزَّلُ﴾: فعل مضارع. ﴿عَلَيْهِمُ﴾: متعلق به. ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾: مستأنفة مسوقة لبيان حال المؤمنين في الدنيا. ﴿أَلَّا﴾: ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿لا﴾: نافية، ﴿تَخَافُواْ﴾: فعل وفاعل منصوب بـ﴿أن﴾ المصدرية، أو ﴿أن﴾: مخففة من الثقيلة، و﴿لا﴾: ناهية. ﴿تَخَافُواْ﴾: مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ﴿أن﴾ المخففة، وعلى كلا التقديرين ﴿أن﴾ ومدخولها: منصوب بنزع الخافض؛ أي: بأن لا تخافوا، الجار والمجرور: متعلق بمحذوف حال من ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ تقديره: قائلين بـ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾. ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾: معطوف على ﴿تَخَافُواْ﴾. ﴿وَأَبْشِرُواْ﴾: معطوف أيضاً على ﴿تَخَافُواْ﴾. ﴿بِٱلْجَنَّةِ﴾: متعلق بـ﴿أبشروا﴾. ﴿ٱلَّتِي﴾: صفة لـ﴿الجنة﴾. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ناقص، واسمه، وجملة ﴿تُوعَدُونَ﴾: خبره، وجملة ﴿كان﴾: صلة

الموصول.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية: في محل النصب مقول للقول المحذوف الذي وقع حالاً من ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لأنه من تتمة مقول الملائكة. ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ﴾: متعلق بـ﴿أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾؛ لأنه جمع ولي من الولاية بمعنى الحفظ؛ أي: نحن الحفظة لأعمالكم. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ صفة لـ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾. ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَلَكُمْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لكم﴾: خبر مقدم. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور حال من ضمير المخاطبين، ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ، والجملة الاسمية: في محل النصب معطوفة على جملة ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾ على كونها مقول القول، ﴿تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة: صلة لـ﴿مَا﴾ الموصولة، والعائد: محذوف، تقديره: تشتهيه أنفسكم. ﴿وَلَكُمْ﴾: خبر مقدم. ﴿فِيهَا﴾: حال من ضمير المخاطبين. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل الرفع، مبتدأ مؤخر، والجملة: معطوفة على ما قبلها، وجملة ﴿تَدَّعُونَ﴾: صلة لـ﴿مَا﴾ الموصولة، والعائد: محذوف، تقديره: ما تدعونه. ﴿نُزُلًا﴾: مصدر واقع في موضع الحال من الهاء المحذوفة في ﴿تَدَّعُونَ﴾، أو من ﴿مَا﴾ الموصولة؛ أي: ولكن فيها ما تدعونه حال كونه معداً لكم. ﴿مِّنْ غَفُورٍ﴾: صفة لـ﴿نُزُلًا﴾. ﴿رَّحِيمٍ﴾: صفة ﴿غَفُورٍ﴾ أو هو جمع نازل كصابر وصبر، فيكون حالاً من ﴿الواو﴾ في ﴿تَدَّعُونَ﴾، أو من ﴿الكاف﴾ في ﴿لكم﴾، فعلى هذا تتعلق ﴿مِّنْ غَفُورٍ﴾ بـ﴿تَدَّعُونَ﴾؛ أي: ما تطلبونه من ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿وَمَنْ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿مَنْ﴾: اسم استفهام في محل الرفع مبتدأ. ﴿أَحْسَنُ﴾: خبره، والجملة: مستأنفة. ﴿قَوْلًا﴾: تمييز محول عن المبتدأ، منصوب باسم التفضيل. ﴿مِّمَّن﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَحْسَنُ﴾، ﴿دَعَآ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿دَعَآ﴾ والجملة الفعلية: صلة ﴿مَن﴾

الموصولة. ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به معطوف على ﴿دَعَآ﴾. ﴿وَقَالَ﴾: معطوف على ما قبله أيضاً. ﴿إِنَّنِى﴾: ﴿إن﴾: حرف نصب، و﴿النون﴾: للوقاية، و﴿الياء﴾: اسمها. ﴿مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: خبرها، وجملة ﴿إن﴾: في محل النصب مقول ﴿قال﴾.

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿وَلَا﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿لا﴾: نافية. ﴿تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ﴾: فعل وفاعل. ﴿وَلَآ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لا﴾: زائدة لتأكيد النفي. ﴿ٱلسَّيِّئَةُ﴾: معطوف على الحسنة، والجملة الفعلية: مستأنفة. ﴿ٱدْفَعْ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة: جملة إنشائية لا محل لها من الإعراب. ﴿بِٱلَّتِى﴾: متعلق بـ﴿ٱدْفَعْ﴾. ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة: صلة الموصول. ﴿فَإِذَا﴾ ﴿الفاء﴾: إما تعليلية وهي التي كان ما بعدها علة لما قبلها، أو فصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا دفعت بالتي هي أحسن، وأردت بيان ثمرته.. فأقول لك: إذا الذي... إلخ. ﴿إذا﴾: فجائية، في محل النصب على الظرفية المكانية متعلق بمعنى التشبيه الآتي، والظرف يتقدم على عامله؛ لأنهم يتوسعون في الظروف ما لا يتوسعون في غيرها، أو حرف لا تحتاج إلى متعلق تتعلق به. ﴿ٱلَّذِى﴾: مبتدأ. ﴿بَيْنَكَ﴾: منصوب على الظرفية الاعتبارية. متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿وَبَيْنَهُۥ﴾: معطوف على ﴿بَيْنَكَ﴾. ﴿عَدَٰوَةٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية: صلة الموصول. ﴿كَأَنَّهُۥ﴾ ﴿كأن﴾: حرف نصب وتشبيه، و﴿الهاء﴾: اسمها. ﴿وَلِىٌّ﴾: خبرها، ﴿حَمِيمٌ﴾: صفة ﴿وَلِىٌّ﴾ وجملة ﴿كأن﴾: في محل الرفع خبر الموصول؛ أعني: ﴿ٱلَّذِى﴾ والجملة الاسمية: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، والتقدير: فأقول لك: الذي بينك وبينه عداوة مشبه بولي حميم في تلك الحضرة؛ أي: في المكان الذي حصل فيه دفع السيئة بالحسنة، وجملة إذا المقدرة: مستأنفة، ويجوز أن تكون الجملة التشبيهية في محل نصب على الحال، والموصول: مبتدأ أيضاً، و﴿إذا﴾ التي للمفاجأة: خبره، والعامل في هذا الظرف من الاستقرار هو: العامل في هذه الحال، ومحط الفائدة في هذا الكلام هو الحال، والتقدير: ففي الحضرة المعادي مشبهاً لولي الحميم، وقدمه أبو البقاء على

ما قبلها.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية، أو اعتراضية. ﴿ما﴾: نافية. ﴿يُلَقَّىٰهَآ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة، ومفعول ثان، والضمير لخصلة دفع السيئة بالحسنة. ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: نائب فاعل لـ﴿يلقى﴾ والجملة الفعلية: مستأنفة أو اعتراضية، وجملة ﴿صَبَرُواْ﴾: صلة الموصول. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿ما﴾: نافية. ﴿يُلَقَّىٰهَآ﴾: فعل مضارع ومفعول ثان. ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر. ﴿ذُو﴾: نائب فاعل لـ﴿يلقى﴾. ﴿حَظٍّ﴾: مضاف إليه، ﴿عَظِيمٍ﴾: صفة ﴿حَظٍّ﴾ والجملة الفعلية: معطوفة على ما قبلها. ﴿وَإِمَّا﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية أو عاطفة. ﴿إما﴾ ﴿إن﴾: حرف شرط أدغمت نونها في ﴿ما﴾ الزائدة. ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾: فعل مضارع في محل الجزم بـ﴿إِنَّ﴾ الشرطية؛ مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة. و﴿الكاف﴾: مفعول به. ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾: حال من ﴿نَزۡغٌ﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها و﴿نَزۡغٌ﴾: فاعل. ﴿فَٱسۡتَعِذۡ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة الجواب وجوباً. ﴿استعذ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد. ﴿بِٱللَّهِۖ﴾: متعلق بـ﴿استعذ﴾، والجملة في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إن﴾ الشرطية: معطوفة على جملة ﴿ٱدۡفَعۡ﴾، أو مستأنفة. ﴿إِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل أو مبتدأ. ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾: خبران لـ﴿إن﴾ أو لـ﴿هُوَ﴾ والجملة: خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل الأمر بالاستعاذة.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿وَمِنۡ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿ءَايَٰتِهِ﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿ٱلَّيۡلُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ﴾: معطوفات على ﴿ٱلَّيۡلُ﴾ والجملة: مستأنفة مسوقة لبيان جمل من آيات الله ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَسۡجُدُواْ﴾: فعل وفاعل، مجزوم بـ﴿لَا﴾ الناهية. ﴿لِلشَّمۡسِ﴾: متعلق به. ﴿وَلَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لا﴾: زائدة زيدت لتأكيد نفي ما قبلها. ﴿لِلۡقَمَرِ﴾: معطوف

على ﴿لِلشَّمْسِ﴾ والجملة: مستأنفة. ﴿وَٱسْجُدُوا۟﴾: فعل أمر وفاعل معطوف على ﴿لَا تَسْجُدُوا۟﴾، ﴿لِلَّهِ﴾: متعلق بـ﴿اسجدوا﴾. ﴿ٱلَّذِى﴾: صفة للجلالة. ﴿خَلَقَهُنَّ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة: صلة الموصول. ﴿إِن﴾: حرف شرط، ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ناقص واسمه، في محل الجزم بـ﴿إن﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها. ﴿إِيَّاهُ﴾: ضمير نصب منفصل في محل النصب مفعول مقدم لـ﴿تَعْبُدُونَ﴾ وجملة ﴿تَعْبُدُونَ﴾: خبر ﴿كان﴾ وجواب ﴿إن﴾ الشرطية: محذوف دل عليه ما قبله، تقديره: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ فاسجدوا لله الذي خلقهن. وجملة ﴿إن﴾ الشرطية: مستأنفة..

﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ (٣٨)﴾.

﴿فَإِنِ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا أمرتهم بالسجود، وأردت بيان ما هو اللازم لك إذا أبوا من السجود.. فأقول لك: ﴿إنْ﴾: حرف شرط، ﴿ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: فعل ماض وفاعل، في محل الجزم بـ﴿إنْ﴾ الشرطية، على كونه فعل شرط لها، وجوابها: محذوف، تقديره: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن السجود.. فدعهم وشأنهم، وجملة ﴿إنْ﴾ الشرطية: في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة: مستأنفة. ﴿فَٱلَّذِينَ﴾ ﴿الفاء﴾: تعليلية للجواب المحذوف. ﴿الذين﴾: مبتدأ. ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾: ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول، والظرفية هنا ظرفية مكانة وتشريف، وهي عبارة عن الزلفى والكرامة. ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿لَهُۥ﴾ متعلق بـ﴿يُسَبِّحُونَ﴾. ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: ظرفان متعلقان بـ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ أيضاً، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: مسوقة لتعليل الجواب المحذوف. ﴿وَهُمْ﴾: ﴿الواو﴾: حالية. ﴿هم﴾ مبتدأ، وجملة: ﴿لَا يَسْـَٔمُونَ﴾: خبره، والجملة الاسمية: في محل النصب حال من فاعل ﴿يُسَبِّحُونَ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾: خبر مقدم. ﴿أَنَّكَ﴾: ناصب واسمه. ﴿تَرَى﴾: فعل مضارع،

وفاعل مستتر يعود على محمد أو على أي مخاطب. ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: مفعول به؛ لأن رأى بصرية. ﴿خَٰشِعَةً﴾: حال من ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ ولك أن تجعل الرؤية علمية، فيكون ﴿خَٰشِعَةً﴾: مفعولاً ثانياً لها وجملة ﴿تَرَى﴾ في محل الرفع خبر ﴿أَنَّ﴾ وجملة ﴿أَنَّ﴾ في تأويل مصدر مرفوع على الابتداء والتقدير ومن آياته رؤيتك ﴿ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾؛ أي: خشوعها ويبوستها، والجملة الاسمية: معطوفة على جملة قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾. ﴿فَإِذَآ﴾ ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿إذا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان ﴿أَنزَلْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلق بـ﴿أَنزَلْنَا﴾، ﴿ٱلْمَآءَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: في محل الخفض بإضافة ﴿إذا﴾ إليها، على كونها فعل شرط لها، والظرف: متعلق بالجواب الآتي. ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿ٱلْأَرْضَ﴾. ﴿وَرَبَتْ﴾: معطوف عليه، والجملة الفعلية: جواب ﴿إذا﴾: لا محل لها من الإعراب وجملة ﴿إذا﴾ معطوفة على جملة ﴿أَنَّكَ﴾، والتقدير: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾ رؤيتك ﴿ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ واهتزازها وربوها وقت إنزالنا الماء عليها، ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿أَحْيَاهَا﴾: صلة الموصول. ﴿لَمُحْىِ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿محي الموتى﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة، ﴿إِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه، ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾: متعلق بـ﴿قَدِيرٌ﴾. و﴿قَدِيرٌ﴾ خبر ﴿إنّ﴾ وجملة ﴿إنّ﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل جملة ﴿إِنَّ﴾ المذكورة قبلها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾: ناصب واسمه، ﴿يُلْحِدُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: متعلق به، والجملة: صلة الموصول. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَخْفَوْنَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية: في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾ وجملة ﴿إِنَّ﴾: مستأنفة مسوقة لبيان حال الملحدين. ﴿عَلَيْنَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ﴿يَخْفَوْنَ﴾. ﴿أَفَمَن﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التقريري؛ أي: لتقرير وتعيين أحد المستويين، داخلة على محذوف معلوم من السياق، و﴿الفاء﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أمن يلحد في آياتنا خير أم من يؤمن بها خير؟ فمن يلقى في النار خير أم من يدخل الجنة خير؟ والجملة المحذوفة: مستأنفة أو إنشائية، لا محل لها من الإعراب. ﴿من﴾: اسم موصول مبتدأ. ﴿يُلْقَىٰ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة ونائب فاعل مستتر. ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾:

متعلق به، والجملة: صلة الموصول ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: معطوفة على تلك المحذوفة. ﴿أَم﴾: حرف عطف. ﴿مَّن﴾: اسم موصول معطوفة على ﴿مَّن﴾ الأولى، وجملة ﴿يَأْتِيٓ﴾: صلته. ﴿ءَامِنًا﴾: حال من فاعل ﴿يَأْتِيٓ﴾. ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: ظرف متعلق بـ﴿يَأْتِيٓ﴾ أو بـ﴿ءَامِنًا﴾، وكان مقتضى السياق أن يقال: أم من يدخل الجنة، ولكن عدل عنه إلى ما ذكر، ليصرح بأمنهم انتفاء الخوف عنهم أصلاً، وذلك أثلج لصدورهم وأقر لعيونهم. ﴿ٱعْمَلُوا۟﴾: فعل أمر وفاعل. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول به، والجملة: مستأنفة مسوقة للتهديد، وجملة ﴿شِئْتُمْ﴾: صلة الموصول، والعائد: محذوف؛ أي: ما شئتموه. ﴿إِنَّهُۥ﴾: ناصب واسمه. ﴿بِمَا﴾: متعلق بـ﴿بَصِيرٌ﴾ وجملة ﴿تَعْمَلُونَ﴾ صلة لـ﴿ما﴾. ﴿بَصِيرٌ﴾ خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾: ناصب واسمه. ﴿كَفَرُوا۟﴾: صلة الموصول. ﴿بِٱلذِّكْرِ﴾: متعلق بـ﴿كَفَرُوا۟﴾. ﴿لَمَّا﴾: ظرف بمعنى حين مجرد عن معنى الشرط متعلق بـ﴿كَفَرُوا۟﴾ ﴿جَآءَهُمْ﴾: فعل ومفعول، وفاعله: ضمير يعود على الذكر، والجملة الفعلية: في محل الجر مضاف إليه لـ﴿لَمَّا﴾ وخبر ﴿إِنَّ﴾: محذوف، تقديره: لا يخفون علينا، وجملة ﴿إِنَّ﴾: مستأنفة، وهذا الوجه أظهر الأوجه الجارية في خبر ﴿إِنَّ﴾، ويؤيده كون ﴿إِنَّ﴾ الثانية بدلاً من ﴿إن﴾ الأولى، فيجري عليها ما يجري على الأولى، فيكون خبرها نفس خبرها، وقيل: إنه محذوف، تقديره: معذبون أو مهلكون، وقيل: إنه محذوف، تقديره: نجازيهم، وقيل: خبرها: قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ﴾ وقيل: خبرها قوله: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ كما هو مبين في المطولات مع علته. ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: ﴿الواو﴾: حالية. ﴿إنه﴾: ناصب واسمه. ﴿لَكِتَٰبٌ﴾ ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿كتاب﴾: خبره ﴿عَزِيزٌ﴾: صفة ﴿كتاب﴾ والجملة: في محل النصب حال من ﴿الذكر﴾ وجملة ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾: صفة ثانية لـ﴿كتاب﴾. ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ متعلق بـ﴿يَأْتِيهِ﴾. ﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾: معطوف على ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾. ﴿تَنزِيلٌ﴾: خبر ثان لـ﴿إِنَّهُۥ﴾، ﴿مِّنْ حَكِيمٍ﴾: متعلق بـ﴿تَنزِيلٌ﴾. ﴿حَمِيدٍ﴾: صفة لـ﴿حَكِيمٍ﴾.

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ

﴿٤٣﴾.

﴿مَا﴾: نافية. ﴿يُقَالُ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة. ﴿لَكَ﴾: متعلق بـ﴿يُقَالُ﴾. ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر. ﴿مَا﴾: نائب فاعل لـ﴿يُقَالُ﴾؛ أي: إلا مثل ما قيل للرسل. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق. ﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعله: ضمير يعود على ﴿مَا﴾ والجملة صلة لـ﴿مَا﴾، ﴿لِلرُّسُلِ﴾: متعلق بـ﴿قِيلَ﴾، ﴿مِن قَبْلِكَ﴾: حال من ﴿الرسل﴾. وجملة ﴿مَّا يُقَالُ﴾: مستأنفة مسوقة لتسليته ﷺ على ما يناله من أذى الكفار. ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾: ناصب واسمه، ﴿لَذُو﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿ذو﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿مَغْفِرَةٍ﴾: مضاف إليه. ﴿وَذُو عِقَابٍ﴾: معطوف على ﴿ذو مغفرة﴾. ﴿أَلِيمٍ﴾: صفة ﴿عِقَابٍ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾: مستأنفة مسوقة لتعليل الأمر بالصبر الدال عليه السياق؛ أي: فاصبر على أذاهم، واعف عنهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿وَلَوْ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية، ﴿لو﴾: حرف شرط، ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول، ﴿قُرْءَانًا﴾: مفعول ثان. ﴿أَعْجَمِيًّا﴾: صفة ﴿قُرْءَانًا﴾. ﴿لَّقَالُوا۟﴾: ﴿اللام﴾: رابطة لجواب ﴿لو﴾ الشرطية. ﴿قالوا﴾: فعل وفاعل جواب ﴿لو﴾ الشرطية، وجملة ﴿لو﴾ الشرطية: مستأنفة مسوقة للرد على تساؤلهم ﴿لَوْلَا﴾: حرف تحضيض بمعنى هلا. ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾: فعل مغير الصيغة ونائب فاعله، والجملة: في محل النصب مقول ﴿قالوا﴾ ﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري. ﴿أعجمي﴾: خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هو؛ أي: القرآن ﴿أعجمي﴾. ﴿وَعَرَبِىٌّ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿عربي﴾: خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: وهو؛ أي: المرسل به ﴿عربي﴾ والجملة: معطوفة على جملة ﴿اعجمي﴾، والجملتان: في محل النصب مقولتان ﴿لَّقَالُوا۟﴾. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة: مستأنفة. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور حال من ﴿هُدًى﴾؛ لأنه صفة نكرة تقدمت عليه، وجملة ﴿ءَامَنُوا۟﴾: صلة الموصول. ﴿هُدًى﴾: خبر المبتدأ. ﴿وَشِفَآءٌ﴾: معطوف على ﴿هُدًى﴾، والجملة الاسمية: في محل النصب

مقول ﴿قالوا﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ، وجملة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ صلته والعائد محذوف تقديره لا يؤمنون به، ﴿فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾: خبر مقدم. ﴿وَقْرٌ﴾: مبتدأ مؤخر، ولا بد من تقدير رابط؛ أي: منه، والجملة الاسمية: خبر ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وجملة ﴿ٱلَّذِينَ﴾: معطوفة على ما قبلها على كونها مقول ﴿قُلْ﴾، ﴿وَهُوَ﴾: مبتدأ، ﴿عَلَيْهِمْ﴾: حال من ﴿عَمًى﴾، و﴿عَمًى﴾: خبر المبتدأ، والجملة: معطوفة على ما قبلها. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿يُنَادَوْنَ﴾: خبره، والجملة: مستأنفة، أو في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿مِن مَّكَانٍۭ﴾: متعلق بـ﴿يُنَادَوْنَ﴾: ﴿بَعِيدٍ﴾: صفة ﴿مَّكَانٍۭ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿قد﴾: حرف تحقيق، ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ فعل وفاعل ومفعولان، والجملة: جواب القسم، لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم: مستأنفة مسوقة لبيان أن الاختلاف في أمر الكتب المنزلة ليس بدعاً، بل هو قديم في الأمم السالفة. ﴿فَٱخْتُلِفَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿اختلف﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور نائب فاعل لـ﴿اختلف﴾، والجملة: معطوفة على جملة ﴿اختلف﴾. ﴿وَلَوْلَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، ﴿لولا﴾: حرف امتناع لوجود ﴿كَلِمَةٌ﴾: مبتدأ، خبره: محذوف وجوباً لسد جواب ﴿لولا﴾: مسده، تقديره: موجودة. ﴿سَبَقَتْ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿كَلِمَةٌ﴾. ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: متعلق بـ﴿سَبَقَتْ﴾ والجملة الفعلية: صفة لـ﴿كَلِمَةٌ﴾. ﴿لَقُضِىَ﴾: ﴿اللام﴾: رابطة لجواب ﴿لولا﴾. ﴿قضي﴾: فعل ماض مغير الصيغة. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: منصوب على الظرفية الاعتبارية، والظرف: متعلق بـ﴿قضي﴾ على كونه نائب فاعل له، وقيل: نائب فاعله ضمير يعود على المصدر المفهوم من ﴿قضي﴾؛ أي: ﴿لَقُضِىَ﴾ القضاء ﴿بَيْنَهُمْ﴾ والجملة الفعلية: جواب ﴿لولا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لولا﴾: معطوفة على جملة ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾. ﴿وَإِنَّهُمْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿إنهم﴾: ناصب واسمه. ﴿لَفِى﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿في شك﴾: جار ومجرور خبر ﴿إنّ﴾. ﴿مِّنْهُ﴾: متعلق بمحذوف صفة لـ﴿شَكٍّ﴾. ﴿مُرِيبٍ﴾: صفة ثانية لـ﴿شَكٍّ﴾ أو ﴿مِّنْهُ﴾: متعلق

بـ﴿شَكٍّ﴾ ﴿مُرِيبٍ﴾ صفة لـ﴿شَكٍّ﴾، وجملة ﴿إنّ﴾ معطوفة على جملة ﴿لولا﴾.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿مَّنْ﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر: جملة الشرط، أو الجواب، أو هما. ﴿عَمِلَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر في محل الجزم بـ﴿مَّنْ﴾ على كونه فعل شرط لها. ﴿صَٰلِحًا﴾: مفعول به، أو نعت لمصدر محذوف، ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة الجواب وجوباً. ﴿لنفسه﴾: جار ومجرور خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: فعمله لنفسه، والجملة الاسمية: في محل الجزم بـ﴿مَّنْ﴾، على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَّنْ﴾ الشرطية: مستأنفة. ﴿وَمَنْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿من﴾: اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر: جملة الجواب. ﴿أَسَآءَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر في محل الجزم بـ﴿مَّنْ﴾ على كونه فعل شرط لها. ﴿فَعَلَيْهَا﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة الجواب. ﴿عليها﴾: خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: فإساءته ﴿عليها﴾ والجملة الاسمية: في محل الجزم بـ﴿مَّنْ﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَّنْ﴾ الشرطية: معطوفة على جملة ﴿مَّنْ﴾ الأولى. ﴿وَمَا رَبُّكَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: حجازية. ﴿رَبُّكَ﴾: اسمها، ﴿بِظَلَّٰمٍ﴾: ﴿الباء﴾: زائدة. ﴿ظلام﴾: خبرها منصوب. ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾: متعلق بـ﴿ظلام﴾ وجملة ﴿مَا﴾ الحجازية: معطوفة على جملة ﴿مَّنْ﴾ الشرطية.

التصريف ومفردات اللغة

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ﴾؛ أي: يسرنا وهيأنا، من التقييض بمعنى التيسير والتهيئة، يقال: قيضته له؛ أي: هيأته ويسرته، ومنه المقايضة بمعنى المعاوضة، يقال: ثوبان قيضان؛ أي: كل منهما مكافىء للآخر في الثمن. ﴿قُرَنَآءَ﴾: جمع قرين، بمعنى: نظير؛ أي: أخداناً وأصحاباً وأصدقاء من غواة الجن والإنس، يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض، والقيض: القشر الأعلى من البيض.

﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾: فعل أمر من لغي بالكسر يلغى بالفتح، وفيها معنيان:

أحدهما: أنه من لَغِيَ: إذا تكلم باللغو، وهو: ما لا فائدة فيه.

والثاني: أنه من لَغَى بكذا: إذا رمى به، فتكون في بمعنى الباء؛ أي: ارموا

به وانبذوه، وإما أن يكون من لَغى بالفتح يلغى بالفتح أيضاً، كسَعى يسعى، حكاه الأخفش، وكان قياسه الضم، كغزا يغزو، ولكنه فتح لأجل حرف الحلق، وقرىء: بضم الغين، من لغا يلغو كدعا يدعو، هذا ما قرره السمين.

وعبارة الزمخشري: ﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ بفتح الغين وضمها، يقال: لَغى يلغي ولغا يلغو، واللغو: الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته. والمعنى هنا؛ أي: عارضوه باللغو والباطل حين يقرأ لتشوّشوا عليه، وأصله على قراءة الفتح: الغيوا، تحركت الياء وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً فالتقى ساكنان ثم حذفت الألف فصار والغوا، وعلى قراءة الضم الغووا، تحركت الواو وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً فالتقى ساكنان فحذفت الألف، ثم حركت عين الكلمة بالضم؛ لتدل على الواو المحذوفة فصار: والغوا.

﴿رَبَّنَآ أَرِنَا﴾ من رأى البصرية، و﴿الهمزة﴾: للتعدية إلى مفعول ثان، فالضمير مفعول أول، والموصول مفعول ثان. كما مر. وأصله: أرئينا؛ أي: صيرنا رائين بأبصارنا، فحذفت الياء التي هي لام الكلمة لبناء الفعل على حذف حرف العلة، و﴿الهمزة﴾: الثانية التي هي عين الكلمة لنقل حركتها إلى الراء قبلها، التي هي فاء الكلمة، فصار وزنه أفنا، فإن الهمزة الموجودة ليست من الكلمة بل هي لتعدية الفعل. اهـ شيخنا.

﴿أَضَلَّانَا﴾ أصله: أضللانا، نقلت حركة اللام الأولى إلى الضاد فسكنت فأدغمت في اللام الثانية ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ والفرق بين الخوف والحزن: أن الخوف غم يلحق الإنسان لخوف مكروه في المستقبل، والحزن: غم يلحق الإنسان من فوات نافع أو حصول ضار. قوله: ﴿ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ أصل: استقوموا، نقلت حركة الواو إلى القاف فسكنت ثم قلبت الواو ألفاً لتحركها في الأصل وانفتاح ما قبلها الآن. ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾ جمع ولي، أصله: أولياي، أبدلت الياء همزة لتطرفها إثر ألف زائدة. ﴿مَا تَدَّعُونَ﴾ أصله: تدتعيون، تفتعلون، أبدلت تاء الافتعال دالاً وأدغمت فيها الدال فاء الكلمة، ثم استثقلت الضمة على الياء فحذفت، فلما سكنت.. التقى ساكنان، فحذفت الياء وضمت العين لمناسبة الواو، فهو افتعال من الدعاء بمعنى الطلب. وفي المصباح: وادعيت الشيء تمنيته وادعيته طلبته. اهـ. ﴿وما يلقاها﴾ أصله: يلقيها بوزن يفعل، قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها،

من التلقية نظير زكى تزكيةً.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ أصله: إن ما على أن ﴿إنْ﴾: شرطية، و﴿ما﴾ مزيدة لتأكيد معنى الشرط والاستلزام، فلذا لحقت نون التوكيد بفعل الشرط، فإنها لا تلحق الشرط ما لم يؤكد، والنزغ والنسغ بمعنًى وهو شبه النخس، والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه يبعثه على ما لا ينبغي، والمراد: الوسوسة. وفي معاجم اللغة: نزغ ينزغ، من باب ضرب نزغاً، نزغ بين القوم: أفسد، ويقال: نزغ الشيطان بينهم؛ أي: أغرى بعضهم ببعض، ونزغه الشيطان إلى المعاصي؛ أي: حثه، ونزغ الشيطان: وساوسه وما يحمل الإنسان على المعاصي.

﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ من السآمة، وهي الملالة؛ أي: لا يملون ولا يفترون. ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ من الاهتزاز؛ وهو التحرك؛ أي: تحرك بالنبات. ﴿وَرَبَتْ﴾ يقال: ربا ربواً ورباً: زاد ونما، والفرس ربواً: إذا انتفخ من عدْوٍ أو فَزع. وقال الراغب: ﴿وَرَبَتْ﴾؛ أي: زادت زيادة المتربي، ويقال: للموضع المرتفع: ربوة ورابية، وأصله: ربو، قلبت الواو ألفاً لتحركها بعد فتح، ثم لما اتصلت تاء التأنيث بالفعل.. التقى ساكنان فحذفت الألف. ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ من الإلحاد، والإلحاد في الأصل: مطلق الميل والانحراف، ومنه اللحد؛ لأنه في جانب القبر، ثم خص في العرف بالانحراف عن الحق إلى الباطل؛ أي: يميلون عن الاستقامة، وهو بضم الياء: مضارع ألحد في دين الله؛ أي: جار وعدل، وقرىء: بفتح الياء مضارع لحد من باب قطع لغة فيه. وقال في «الكشاف»: يقال: ألحد الحافر ولحد: إذا مال عن الاستقامة فحفر في شق.

﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ أصله: يخفيون، قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين. ﴿يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ﴾ فيه إعلال بالقلب، أصله: يلقى بوزن يفعل، قلبت الياء ألفاً لتحركها بعد فتح. ﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الياء فيه منقلبة عن واوه. ﴿شِئْتُمْ﴾ أصله: شيء بوزن فعل، بكسر العين، قلبت الياء ألفاً لتحركها بعد فتح، ثم لما أسند الفعل إلى ضمير الرفع المتحرك.. سكن آخره فالتقى ساكنان: الألف وآخر الفعل، فحذفت الألف فصار اللفظ شأت، فحذفت حركة فائه، ونقلت إليها حركة مجانسة لتلك العين المحذوفة؛ لتدل عليها، ولما كانت العين هنا ياءً.. نقلت إلى الفاء كسرة؛ لأنها هي التي تناسب الياء، وهكذا كل أجوف من هذا النوع.

﴿قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيًّا﴾ قال أبو حيان: والياء فيه: للمبالغة في الوصف، وليس النسب فيه حقيقياً كأحمري ودراري. قال الرازي في «لوامحه»: فهي كياء كرسي وبختي، وفرق بينهما الشيخ، فقال: ليست كياء كرسي وبختي، فإن ياء كرسي وبختي بنيت الكلمة عليها بخلاف أعجمي، فإنهم يقولون: رجل أعجم وعجمي، والأعجمي: هو الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه.

﴿يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ أصله: ينادیون، قلبت الياء ألفاً لتحركها بعد فتح، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين. ﴿مَّكَانِۭ﴾ أصله: مكون بوزن مفعل اسم مكان، نقلت حركة الواو إلى الكاف، ثم أبدلت الواو ألفاً لتحركها في الأصل وفتح ما قبلها حالاً. ﴿وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ﴾ مصدر: عمِيَ يعمَىٰ كصدِي يصدى صدًى، هوِي يهوَى هوًى. ﴿وَمَنۡ أَسَآءَ﴾ الأصل فيه: أسوأ، بوزن أفعل، نقلت حركة الواو إلى السين، ثم أبدلت ألفاً لتحركها في الأصل، وانفتاح ما قبلها الآن.

﴿بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾؛ أي: بذي ظلم؛ فظلام: صيغة نسب، كتمار وبقال وخباز، لا صيغة مبالغة، وهذا التقرير أحسن من غيره.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضروباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: الاستعارة المكنية في قوله: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وقد تقدم إجراؤها كثيراً.

ومنها: التجريد في قوله: ﴿لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله، مبالغةً لكماله فيها، وله أقسام.

فمنه: ما يكون بدخول في المنتزع منه كما هنا: ﴿لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ﴾؛ أي: في جهنم، وهي دار الخلد، لكنه انتزع منها داراً أخرى مبالغة.

ومنه: ما يكون بـ﴿من﴾ التجريدية كقولهم: لي من فلان صديق حميم؛ أي: قد بلغ فلان حداً من الصداقة، يصح معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها، وله أقسام كثيرة مذكورة في محلها.

ومنها: الحصر المستفاد من تعريف طرفي الجملة في قوله: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾؛ أي: ما لنا رب إلا الله سبحانه، مثل: صديقي زيد.

ومنها: الإيجاز البليغ في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾؛ لأن الاستقامة كلمة شملت جميع صفات التقوى.

ومنها: الطباق بين الحزن والبشارة في قوله: ﴿وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ﴾ وفي قوله: ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ وفي قوله: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ﴾، وفي قوله: ﴿عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾؛ لأن الولاية بمعنى الصداقة.

ومنها: الجناس المماثل بين ﴿ٱلۡحَسَنَةُ﴾ و﴿أَحۡسَنُ﴾ في قوله: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾.

ومنها: التكرار في قوله: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾﴾ مبالغةً في التأكيد.

ومنها: جناس الاشتقاق بين ﴿ولا﴾ و﴿قال﴾ في قوله: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾، وفي قوله: ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ﴾.

ومنها: الاستعارة التصريحية الأصلية في قوله: ﴿نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾؛ لأن النزل حقيقة فيما يعد للضيف من الطعام النفيس، ثم استعير لرزق الجنة.

ومنها: الاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا﴾.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ شبه وسوسة الشيطان بالنزغ الذي هو النخس والطعن؛ لأنها بعث على الشر وتحريك على ما لا ينبغي، وفيه أيضاً التجريد المشتمل على من التجريدية في قوله: ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾؛ لأنه جرد من الشيطان شيطاناً آخر، وسماه نازغاً.

ومنها: التشبيه المرسل المجمل في قوله: ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾؛ لأنه ذُكِرَتْ فيه أداة التشبيه فهو مرسل، وحذف منه وجه الشبه فهو مجمل.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ﴾ مستعار الخشوع بمعنى التذلل، شبه يبس الأرض وخلوها عن الخير والبركة بكون الشخص خاشعاً ذليلاً عارياً لا يؤبه به لدناءة هيئته، فهي استعارة تبعية بمعنى يابسة جدبة.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا﴾؛ لأن الإحياء في الحقيقة: إعطاء الحياة، وهي صفة تقتضي الحس والحركة، استعارة لإنبات الأرض، فالمراد بإحياء الأرض: تهييج القوى النامية فيها، وإحداث نضارتها بأنواع النبات.

ومنها: الاحتباك في قوله: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وهو: أن يحذف من كل من المتقابلين نظير ما أثبته في الآخر، وأصل الكلام: ﴿أَفَمَن﴾ يأتي خائفاً و﴿يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا﴾ ويدخل الجنة.

ومنها: الأمر التهديدي في قوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾؛ لأن المقصود بالأمر هنا: التهديد والوعيد لا طلب الفعل.

ومنها: الطباق بين ﴿مغفرة وعقاب﴾، وبين ﴿أعجمي﴾ و﴿عربي﴾.

ومنها: الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ شبه حالهم في عدم قبول المواعظ وإعراضهم عن القرآن وما فيه، بحال من ينادى من مكان بعيد فلا يسمع ولا يفهم ما ينادى به، والجامع عدم الفهم في كل.

ومنها: وضع الظاهر موضع ضمير الآيات في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ وكان مقتضى السياق أن يقال: إن الذين كفروا بها؛ لتقدم المرجع في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾؛ لأن هذه الجملة بدل من تلك الجملة.

ومنها: الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ شبه الكتاب في عدم تطرق الباطل إليه بوجه من الوجوه، بمن هو محمي بحماية غالب قاهر يمنع جاره من أن يتعرض له العدو من جهة من جهاته، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، بأن عبر عن المشبه بما عبر به عن المشبه به، فقال: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ...﴾ إلخ.

ومنها: الاستعارة التصريحية الأصلية في قوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ فإنه أطلق الأعجمي هنا على كلام مؤلف على لغة العجم بطريق الاستعارة، تشبيهاً له بكلام من لا يفصح، من حيث إنه لا يفهم معناه بالنسبة إلى العرب.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾؛ أي: هاد وشاف لهم، ففي إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل.

ومنها: المقابلة في قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾.

ومنها: الاعتراض التذييلي المقرر لمضمون ما قبله في قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فإنه مبني على تنزيل ترك إثابة المحسن بعمله، أو إثابة الغير بعمله، وتنزيل التعذيب بغير إساءة، أو بإساءة غيره منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره من الله سبحانه.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع[1].

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

(١) وقع الفراغ من تفسير هذه السورة الكريمة أوائل ليلة الجمعة، الليلة الثامنة عشرة من شهر الله رجب الفرد، من شهور سنة ١٨/ ٧/ ١٤١٤ ألفٍ وأربع مئة وأربع عشرة من الهجرة النبوية، عليه أفضل الصلوات وأزكى التحيات، وعلى جميع الآل والصحابات، ونتفرّغ بحول الله تعالى وتيسيره لتفسير سورة غافر، نسأل الله تعالى الإعانة على التمام والإكمال، كما أعان على الابتداء والافتتاح، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين، آمين آمين، آمين، ألف ألف آمين، يا رب العالمين.

وهذا آخر ما وفقني الله سبحانه من تفسير هذا الجزء من الكتاب الكريم، فالحمد لله على ما حبا، والشكر له على ما أسدى، والصلاة والسلام على نبي الرحمة والهدى، سيدنا محمد خير من وحّد ودعا، وعلى آله وصحبه نجوم الاهتداء، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين.

اللهم وفقنا بالصالحات، وجنبنا عن الموبقات، واختم لنا بالشهادات، وألهمنا العمل لما يرضيك، والبعد عما يسخطك بفضلك وجودك وكرمك وإحسانك.

وكان الفراغ من هذا المجلد يوم الأربعاء، وقت الضحوة، اليوم الرابع من شهر شوال، من شهور سنة أربع عشرة وأربع مئة وألف ٤/ ١٠/ ١٤١٤ من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلوات وأزكى التحيات، في مكة المكرمة، جوار الحرم الشريف، حارة الرشد من المسفلة، أمام المسجد السندي.

وهذا آخر المجلد الخامس والعشرين، ويليه المجلد السادس والعشرون، وأوله قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

شعرٌ

إِذَا مَا رَأَيْتَ لَحِيْنَا كُنْ سَاتِراً وَحَلِيْمَا
يَا مَنْ يُقَبِّحُ سَطْرِيْ لِمْ لاَ تَمُرُّ كَرِيْمَا

آخرُ

اَلْعَبْدُ ذُو ضَجَرٍ وَٱلرَّبُّ ذُوْ قَدَرٍ وَٱلدَّهْرُ ذُوْ دُوَلٍ وَٱلْعِلْمُ مَقْسُوْمُ
وَٱلْخَيْرُ أَجْمَعُ فِيْمَا ٱخْتَارَ خَالِقُنَا وَفِيْ ٱخْتِيَارِ سِوَاهُ ٱللَّوْمُ وَٱلشُّوْمُ

آخرُ

أُعَلِّمُهُ ٱلرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا ٱشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِيْ
أُعَلِّمُهُ ٱلْقَوَافِيَ كُلَّ حِيْنٍ فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِيْ

آخرُ

لَقَدْ رَبَّيْتُ جَرْوَاً طُوْلَ عُمْرِيْ فَلَمَّا صَارَ كَلْبَاً عَضَّ رِجْلِيْ



الفهرس